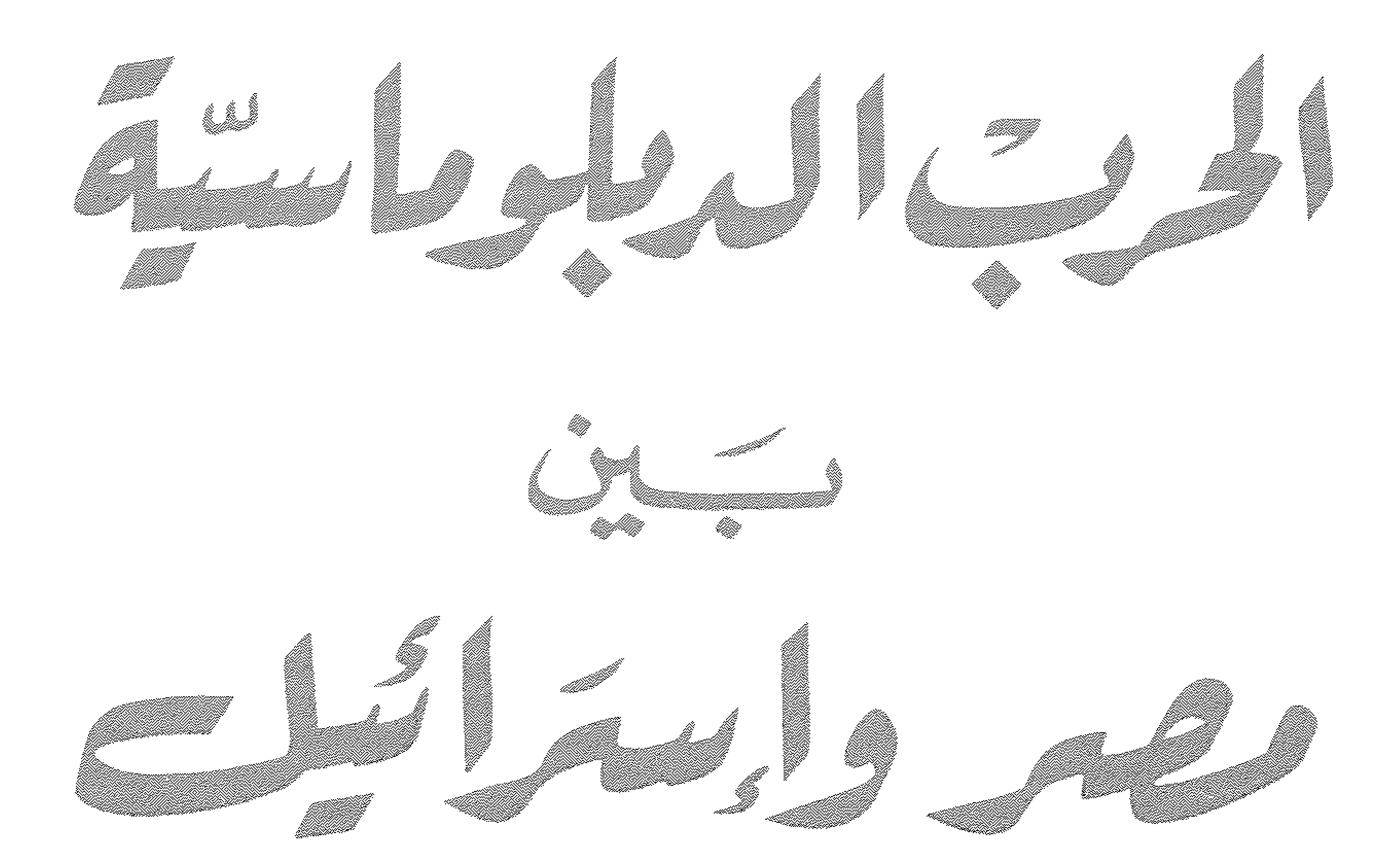
حمدي فؤاد



الحرب الدبلوماسية
بين
مصر وإسرائيل

من القرار ٢٤٢ عام ١٩٦٧
الى إتفاقية الإسكندرية عام ١٩٧٥



حمدي فـؤاد

الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل



المحتويات

شكر وتقدير

ان هذا العمل كان من الصعب ان يرى النور الا بفضل تشجيع من زميلي الأستاذ فؤاد مطر الذي دفعني لأن اضع على الورق تجربة اكثر من ربع قرن بالنسبة لموضوع واحد، هو الشرق الاوسط، حربنا ونضالنا، خصوصا حربنا الدبلوماسية.

والفضل يرجع ايضا الى زميلنا الاكبر محمد حسنين هيكل، الذي كتب مقدمة هذا الكتاب.

ومع اعترافي بفضل الزميلين محمد حسنين هيكل وفؤاد مطر فان مجموعة من الاخوة يعملون معي في "الاهرام" مارسوا كل جهد ممكن من اجل تحقيق هذا العمل، وفي مقدمتهم الزملاء سليمان حبالى المحرر في "الاهرام" الذي تولى مراجعة المعلومات وتقديمها، وعز الدين شوكت امين بمكتبة "الاهرام" ونعيم جبران بقسم المعلومات ومحمد فاروق سعد الدين.

القاهرة: مارس (آذار) ١٩٧٦

حمدي فؤاد

مقدمة

بقلم : محمد حسنين هيكل

لا اعرف لماذا أحاول ـ وبكثير من الالحاح ـ أن اقنع عددا من شهود الحوادث بأن يكونوا في يوم من الأيام رواتها.

وأحسب أنني أشعر بأن الآخرين في الدنيا الواسعة يتكلمون، وأما نحن قيود السكوت تمسك بنا... العارفون منا يلزمون الصمت، والذين لا يعرفون لا يكفون عن الكلام ولكنه «الكلام الساكت» في التعبير السوداني، أي الكلام الذي لا ينقل الى سامعيه معنى مفيدا وهو الى الثرثرة اقرب منه الى اي شيء آخر.

وفي عوالم أخرى أكثر تقدما، فان مهمة أي سياسي أو مجاور لميدان السياسة، لا تعتبر أنها اكتملت الا عندما يؤدي صاحبها أمام التاريخ شهادته ويكتب القصة التي عاشت فيه أو عاش فيها: هكذا فعل تشرشل وديجول وأيزنهاور عن تجربة الحرب العالمية الثانية مثلا، وهكذا فعل شليزنجر وسورنسون وسالنجر عن تجربة عصر الرئيس جون كنيدي في الولايات المتحدة، وهذا مثال آخر.

كلهم يكتبون... زعماء وقادة، وزراء وسفراء وصحفيون أتاحت لهم الظروف أن يروا الحوادث في مرحلة الخلق الاولى.

كلهم يكتبون ...

والأهداف من الكتابة واضحة.

أكبرها وأجلها أن يكون مما يكتبه هؤلاء جميعا خزانة تجربة عظيمة تفيد منها أممهم والانسانية كلها.

وهناك بعد ذلك أهداف أخرى.

بينها أن تقابل الروايات، ومن تقابلها بالاتفاق والاختلاف تنجلي صورة التاريخ وتنفك طلاسمه.

وبينها أن يدور حول كل ما يكتبون حوار تعمق به الحوادث من مجرد رواياتها إلى درجة التثبيت منها والى حد استيعابها.

وهناك غير ذلك أهداف عديدة.

وأجدني الآن ـ على سبيل المثال ـ الح على الدكتور محمود فوزي أن يكتب القصة التي عاشها والتي عاشت فيه ... وكان إعتقادي وما يزال أن قصة محمود فوزي كنز تتضاءل أمامه الكنوز. ذلك أن محمود فوزي لم يكن شاهدا على الحوادث فحسب، وأنما كان انسانا مفكرا مثقفا لا يتلقى التطورات كما تقع وانما يدير معها ـ حتى بينه وبين نفسه ـ حوارا عميقا ومبدعا.

وأجدني ـ على سبيل المثال ـ ومن الآن ـ أحاول اقناع محمود رياض ان يرتب نفسه ليوم يتفرغ فيه من أعماله في جامعة الدول العربية حتى يجلس هو الاخر فيكتب قصته من مفاوضات رودس سنة ١٩٤٩ الى مفاوضات الوحدة مع سوريا سنة ١٩٥٨ الى المفاوضات مع ويليام روجرز وأندريه جروميكو وجونار يارينج فيما تلا يونيو (حزيران) ١٩٦٧.

وأجدني ـ على سبيل المثال أيضا ـ أسأل نفسي:

من يستطيع أن يروي قصة الاتحاد السوفياتي في حرب السويس أكثر من محمد عوض القوني الذي كان سفيرا ـ وسفيرا مستنيرا ـ لمصر في موسكو تلك الايام؟

ومن يستطيع أن يروي قصة العلاقات العربية السوفياتية أكثر من الدكتور مراد غالب الذي قضى أحد عشر عاما في سفارة مصر لدى الاتحاد السوفياتي مستشارا، أحيانا وسفيرا في أحيان أخرى ودارسا باحثا ومدققا في كل الأحيان.؟

ومع أن الوقت لا يزال مبكرا فلعل أكبر وأخطر قصص الدبلوماسية الحديثة هي القصة التي عاشها اسماعيل فهمي وعاشت فيه وكان خلالها طرفا في عمل وندا في صراع مع هنري كيسنجر وهو واحد من ظواهر هذا العصر مهما اختلفت فيه الآراء وتنوع الجدل.

واسماعيل فهمي يملك قدرة هائلة على الربط وذاكرته حديد وأوراقه نخيرة غالية حتى مع استبعاد كل ما تقتضي المصلحة العامة حفظه من اسرار.

ومتى يكتب اسماعيل فهمي؟ لا أعرف وان كنت أتمنى أن تتاح لنا في يوم من الأيام فرصة قراءته.

من نلك كله فلقد وجدتني متحمسا الى أبعد حد عندما قدم لي زميلي وصديقي الاستاذ حمدي فؤاد محرر الاهرام «الدبلوماسي»، كتابه هذا عن الحرب الدبلوماسية بين مصر واسرائيل، وهي ناحية من نواحي الحرب الشاملة التي دارت رحاها في الشرق الأوسط منذ سنة ١٩٤٧ وبالتحديد وبالتركيز منذ سنة ١٩٦٧.

الكتاب مجموعة وثائق أصلية هائلة لا يستطيع أن يجمعها في النهاية غير صحفي يعرف أين مواطن الاخبار وأين مكامن أسرارها.

والربط بين الوثائق معقول وان كنت أعتقد أنه كان بوسع حمدي فؤاد أن يعطي من حول الوثائق اطارا اوسع يتضمن رؤيته هو أيضا للحوادث التي تشير اليها الوثائق، ومع نلك فلربما كان لحمدي فؤاد عذره أن يعطي أكثر من الوثائق وأن يعطي أقل من نفسه لان المحانير كبيرة والمحظورات أسلاك شائكة.

وفي كل الأحوال يبقى أن هذا الكتاب وثيقة مهمة، ويبقى ما اعطاه حمدي فؤاد من نفسه فيه ـ مع قلته ـ شهادة لها قيمتها وتستحق أن تسمع أمام من تعنيهم حوادث ووقائع فترة من أخطر فترات تاريخ العرب المعاصر.

محمد حسنين هيكل

الجزء الاول

عبد الناصر . . .
من يارينج الى سكرانتون

١ ـ موقف اميركا قبل ٥ يونيو ١٩٦٧

وصلت العلاقات المصرية الاميركية الى نقطة اللاعودة مع نهاية عام ١٩٦٦، وبداية عام ١٩٦٧. وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، لا يخفي إمتعاضه من الرئيس الامريكي الأسبق ليندون جونسون (١).

في ٢٩ أبريل (نيسان) ١٩٦٧، كان «الرئيس» أنور السادات رئيسا لمجلس الأمة في ذلك الوقت عائدا من زيارة برلمانية لكوريا الشمالية. وتوقف في طريق عودته في موسكو واجتمع إلى رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي اليكسي كوسيجين. وأبلغه كوسيجين أن المعلومات التي جمعها الاتحاد السوفياتي تؤكد أن اسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية، بينما كان رئيس وزراء اسرائيل الأسبق ليفي أشكول يهدد باحتلال القدس.

وتجمعت لدى القيادة السياسية والعسكرية المصرية معلومات تشير إلى إحتمال وقوع اعتداء اسرائيلي على سوريا.

كان الموقف الدولي يسمح للولايات المتحدة في أن تستفيد من صدام عسكري مسلح في منطقة الشرق الاوسط، يؤدي الى إضعاف موقف عبد الناصر، ويعطي الاتحاد السوفياتي «درسا» يؤثر به على موقفه من تأييده للدول العربية، ويزيد من حدة الاستقطاب الدولي، قبل بدء مرحلة الوفاق أو الانفراج الدولي، وكان يمثل هذه السياسة ليندون جونسون ووزير خارجيته دين راسك.

وفي ١٦ مايو (أيار) ١٩٦٧، بعث الفريق محمد فوزي رئيس الاركان المصري في ذلك الوقت برسالة مقتضبة الى الجنرال ريكي (هندي) قائد قوة الطوارىء الدولية في الشرق الاوسط والذي كان ضمن قوة الطوارىء في الكونجو يقول فيها:

«لقد أعطيت تعليماتي للقوات المسلحة المصرية لكي تكون على استعداد للتدخل اذا بدأت إسرائيل عدوانا جديدا على أي دولة عربية. وعندما يتم تنفيذ هذه التعليمات فان قواتنا العسكرية سوف يتم حشدها على الجبهة الشرقية في سيناء. ولكي نضمن أن القوات الدولية المتمركزة في نقطة المراقبة على طول هذا الخط فأننا نطلب سحب هذه القوات الدولية من هذه النقط...».

كان واضحا أن مصر تطلب سحب القوات الدولية من مواقعها في سيناء اي من غزة الى ايلات.

وكانت هذه الرسالة سببا في إثارة أزمة دولية من نوع جديد، وهذا ما ضايق الجنرال ريكي، اذ ان سحب قوة الطوارىء يقتضي توجيه رسالة بهذا المعنى من وزير خارجية مصر الى السكرتير العام للامم المتحدة، على ان يقوم (يوثانت) السكرتير العام في ذلك الوقت بابلاغ تعليماته الى قائد القوات الدولية في مصر. ولا يجوز أن يطلب رئيس الاركان المصري

---

(١) كتاب عبد الناصر والعالم لمحمد حسنين هيكل: ص ٢١٦

من القائد الدولي سحب قواته، لان هذه القوات تتبع الأمم المتحدة وتعمل بقرار من مجلس الأمن، وقائد القوة مجرد موظف دولي ينفذ تعليمات المجلس.

وثارت أزمة عنيفة، في كل من القاهرة ونيويورك، وتدخلت عواصم أخرى أهمها الهند ويوغسلافيا. وكان يتنازع أغلب الدول الصديقة، وفي مقدمتها يوغسلافيا موقفان: موقف يرى ضرورة الاستجابة لمطلب مصر بسحب القوات، وآخر يرى ان الاستجابة لطلبها قد يؤدي الى إنهيار الموقف في المنطقة، مما يعطي اسرائيل فرصة توجيه ضربة عسكرية لمصر.

وفي نيويورك اجتمع دانيلو ليكيتش رئيس وفد يوغوسلافيا لدى الآمم المتحدة ـ كما روى لي بعد تعيينه سفيرا لبلاده في القاهرة ـ بيوثانت وأوضح له أنه من الممكن الاستجابة لطلب مصر من ناحية، مع اعطاء الفرصة لمزيد من البحث حول ضرورة سحب القوات الدولية من خليج العقبة. وكان من رأي يوغوسلافيا ضرورة معالجة هذا الموضوع بحذر شديد لتأجيل العاصفة التي كانت تدبرها اسرائيل، باثارة موضوع حرية الملاحة في خليج العقبة.

ويؤكد الدبلوماسيون الذين عملوا في تلك الفترة في الامم المتحدة ان يوثانت بفكره البوذي المخلص، طلب الى الدكتور رالف بانش مساعد السكرتير العام ان يتولى دراسة هذا الموضوع وان بانش أفتى بضرورة أن ترسل مصر رسالة بهذا المعنى تتضمن طلب سحب قوة الطوارىء من مصر وغزة وشرم الشيخ، وأنه لا مبرر للتأجيل. وكان الهدف من إزاحة قوة الطوارىء وإعطاء اسرائيل فرصة القيام بضربة جوية خاطفة لتحطيم الجيش المصري.

لم يستغرق الأمر أكثر من ٤٨ ساعة. فقد بعث محمود رياض وزير الخارجية بتاريخ ١٨ مايو (أيار) ١٩٦٧ الى يوثانت بالرسالة التالية:

«القاهرة في ١٨ مايو ١٩٦٧

عزيزي يوثانت

تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة، بافادتكم بأنها قررت إنهاء وجود قوات الطوارىء الدولية، في أراضي الجمهورية العربية المتحدة، وفي قطاع غزة.

رجاء التفضل باتخاذ الاجراءات اللازمة نحو رحيل هذه القوات في أقرب وقت.

وأنتهز هذه الفرصة، لأقدم لكم خالص الشكر والاحترام.

محمود رياض

وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة»

ولمواجهة الأزمة التي ستعقب توجيه هذه الرسالة، وحق مصر في طلب ابعاد قوات الطوارىء استدعاني السيد محمود رياض الى مكتبه وأملى علي التصريح الآتي لكي ينشر في «الاهرام»:

«ان قوات الطوارىء الدولية قد حضرت بناء على موافقة وإذن من حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وان بقاء هذه القوات كان رهنا باستمرار موافقة مصر. إن الرسالة التي بعثت بها اليوم الى السكرتير العام للامم المتحدة أنهت في الواقع أساس وجود قوات الطوارىء سواء على حدود الجمهورية العربية المتحدة، أو في قطاع غزة».

ولم تشر رسالة محمود رياض الى يوثانت أو تصريحه الى الوضع الخاص بشرم الشيخ، لكن كان من الواضح ان الانسحاب يجب أن يتم من شرم الشيخ ايضا.

وبمجرد الانتهاء من إبلاغ ذلك الى يوثانت كلف محمود رياض، الوزير المفوض عباس حلمي صدقي مدير ادارة شؤون فلسطين التي اصبحت تتبع وزارة الخارجية، باعداد مذكرة عن الموضوع الخاص بخليج العقبة. وفي هذه المذكرة التي صدرت يوم ٢٠ مايو (ايار) ١٩٦٧ أشارت مصر الى ان خليج العقبة يخضع للسيادة المشتركة لكل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن، وبذلك تصبح مياهه مغلقة لا ينطبق عليها حق المرور البري بالنسبة لسفن اسرائيل.

وفي البند الثاني من المذكرة ورد الآتي:

«ان وجود شواطىء لاسرائيل على جزء من خليج العقبة هو مجرد وجود فعلي، وعسكري بحت، ولا يعد حدودا اقليمية. وهو وجود يخالف اتفاقيات الهدنة وقرارات الامم المتحدة.»

وأشارت المذكرة الى ان سكرتارية الامم المتحدة كلفت الخبير البريطاني (كنيدي) اعداد قائمة باسماء المضايق التي تعتبر ممرات دولية. واشتملت قائمته على ٢٣ مضيقا ليس بينهـا مضيق تيران.

انسحبت القوات الدولية من شرم الشيخ. واحتلت القوات المصرية مواقعها. وازداد تدهور الموقف بالضجة التي أثارتها إسرائيل وبدعوتها اميركا وبعض الدول البحرية الى القيام بمظاهرة بحرية تشترك فيها إسرائيل تحاول فيها هذه الدول «إقتحام» خليج العقبة. وحدث ذلك في الوقت الذي كان يوثانت يعرب عن رغبته في زيارة مصر لبحث الموضوع مع الرئيس جمال عبد الناصر. وخلال الزيارة تقدم يوثانت بمقترحات قبلها عبد الناصر وتتلخص في ثلاث نقاط:

اولا ــ تمتنع اسرائيل عن إرسال سفن تمر في خليج العقبة حتى لا تمارس مصر حقها في منع مرور هذه السفن.

ثانيا ــ تمتنع الدول الأخرى عن ارسال مواد استراتيجية عبر المضائق الى اسرائيل.

ثالثا ــ تؤجل مصر ممارسة حقها في التفتيش على الشحنات التي تمر في المضائق.

وفي الوقت الذي تمكن فيه يوثانت من تأجيل انفجار الازمة ساعات، كان الدكتور محمد حسن الزيات وكيل الخارجية في ذلك الوقت يجتمع بجورج يوست احد مساعدي وزير الخارجية الاميركية في مكتبه بوزارة الخارجية المصرية في الجيزة، ويتوصل معه الى المبادىء نفسها تقريبا، ويتعهد يوست بأنه سيحصل على موافقة حكومته على ذلك، لدرجة ان الدكتور محمد حسن الزيات استدعاني الى مكتبه وأبلغني كلاما مختصرا للنشر خلاصته «... أن الازمة في طريقها الى الانفراج».

كان التركيز واضحا من جميع الاطراف الدولية لايجاد حل لمشكلة خليج العقبة ومرور السفن، وكانت الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية تسير في طريقها المرسوم،

لتوجيه ضربة قاصمة الى الجيش المصري ممثلا في سلاح الطيران بالذات.

أما امريكا فكانت مستمرة في التمويه إلى درجة أن سفيرها في القاهرة لوشيوس باتل حمل رسالة من الرئيس جونسون إلى الرئيس جمال عبد الناصر. وكان باتل يوم ٢٣ مايو (أيار) ١٩٦٧ يرافق سفير امريكا الجديد ريتشارد نولتي الذي توجه الى وزارة الخارجية المصرية ليقدم الى محمود رياض صورة اوراق اعتماده، ومذكرة شفهية من الحكومة الاميركية تتضمن الآتي.

«نظرا للظروف الراهنة، فان حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وكذلك الحكومات العربية الأخرى يجب أن تعتمد على تأكيد موقف حكومة الولايات المتحدة الاميركية التي تعارض بكل حزم أي عدوان يقع في المنطقة، بأي صورة من الصور، سواء أكان هذا العدوان واضحا، او مستترا تقوم به قوات نظامية او جماعات غير نظامية.»

وفي واشنطن استدعى يوجين روستو احد مساعدي وزير الخارجية الامريكي يوم ٢٦ مايو (أيار) السفير المصري هناك الدكتور مصطفى كامل، وحذره من النتائج الخطيرة المترتبة على قيام مصر بالهجوم على اسرائيل. وأكد روستو مرة أخرى معارضة حكومته الحازمة «لاي عدوان يقوم به أي جانب». وأوضح للسفير المصري أن الولايات المتحدة سوف تتصل باسرائيل لكي تمتنع عن القيام بأي عمل عسكري من جانبها.

وأكدت الحكومة الامريكية في رسالة بعث بها الرئيس ليندون جونسون الى الرئيس اليوغسلافي جوزيب بروز تيتو «محافظتها على السيادة الكاملة لكل دولة من دول المنطقة (الشرق الاوسط) على اراضيها، وعلى استقلالها السياسي».

وفي الوقت الذي كانت الاتصالات الدبلوماسية دائرة على أعلى المستويات كانت اسرائيل تضع اللمسات الأخيرة للحرب التي شنتها يوم ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧، وكانت امريكا تطالب مصر بعدم القيام بأي «عدوان». وكان ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل مجتمعا بدين راسك في واشنطن.

وقعت هزيمة ٥ يونيو عام ١٩٦٧، وعجز مجلس الأمن عن اتخاذ قرار يطالب اسرائيل بالانسحاب وإستمر الموقف كذلك الى شهر اكتوبر.

دعا الرئيس عبد الناصر مجلس الوزراء الى جلسة عقدت يوم ٣١ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٧ لمناقشة الوضع في مجلس الامن الذي عجز عن أصدار قرار يطالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية التي تحتلها، ويضع إطارا سليما لمعالجة مشكلة عدوان مسلح قامت به دولة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة (إسرائيل) ضد ٣ دول اعضاء في المنظمة الدولية (مصر والاردن وسوريا). وكان الدكتور محمود فوزي قد عاد من نيويورك، عقب جلسات طويلة ومضنية عقدها مجلس الأمن للوصول الى القرار المطلوب والذي يتناسب مع الموقف الذي حددته مصر بمجرد انتهاء الاعمال العسكرية، وقبول وقف اطلاق النار، يوم ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ والذي يتلخص في النقاط الآتية:

- ضرورة إنسحاب إسرائيل الى ما قبل ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧.
- حق كل دولة من دول المنطقة في تحقيق استقلالها القومي.

وكان السفير الاميركي في جدة قد أبلغ الحكومة السعودية بأن اسرائيل قبلت بتنفيذ القرار، واعترف يارينج بأن كل الصيغ التي اقترحها لا تحمل التزاما اسرائيليا بذلك.

وقدم يارينج رد ابا ايبان على كل هذه المحاولات والصيغ وهذا نص رد ايبان:

«يجب أن توضح في القاهرة أن مفهوم اسرائيل لدعوتك الاطراف للاجتماع بك، سوف يؤدي الى عقد اجتماعات مشتركة هدفها السعي للوصول الى اتفاق لتنفيذ المبادىء التي وردت في قرار مجلس الامن».

وعندئذ أراد رياض ان ينهي كل هذه المحاولات، ويحدد المواقف بصفة واضحة ولذلك املى على يارينج هذا النص:

«ان حكومة الجمهورية العربية لا زالت تريد تصريحا يؤكد استعداد اسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الامن. وعندما يتأكد ذلك فان حكومة الجمهورية العربية على استعداد للتفاوض معك (مع يارينج) في كيفية تنفيذ القرار».

طار يارينج يوم ٢٢ أبريل (نيسان) الى طهران حيث اجتمع بيوثانت الذي وصل اليها لحضور اجتماع لجنة حقوق الانسان وعاد مرة اخرى في ٩ مايو (أيار) من نفس العام مصمما على دعوة الاطراف للاجتماع به في نيويورك كما اقترحت مصر.

وتبلور الاجتماع الطويل الذي عقده في ذلك اليوم مع محمود رياض في القاهرة عن رسالة من يارينج الى السكرتير العام هذا نصها

«عزيزي السكرتير العام

ان حكومتي مصر واسرائيل قد أوضحتا لي انهما تقبلان قرار مجلس الامن (التاريخ والرقم) بهدف الوصول الى تسوية سليمة ومقبولة لمشكلة الشرق الاوسط. وسوف تقوم الحكومتان بالتعاون معي، وتحت اشرافي لتنفيذ ما ورد في هذا القرار.

وقد أظهرت الحكومتان عن استعدادهما للتعاون معي في حدود صلاحياتي كممثل شخصي للسكرتير العام، للوصول الى اتفاق وتسوية بالصورة المشار اليها.

ونظرا للسرعة التي يتطلبها الموقف، وللتعجيل في بذل الجهود من أجل الوصول الى هذه التسوية فانني اقابل ممثلي كل من الجمهورية العربية واسرائيل في اجتماعات. في اطار تنفيذ قرار مجلس الامن وذلك في نيويورك.

وانه ليسعدني أن ابلغكم أن الحكومتين المشار اليهما قد اجابتا بالقبول على هذا الاقتراح.

٩ مايو (ايار) ١٩٦٨
جونار يارينج

وسلم رياض المبعوث الدولي رده على هذه الرسالة وهذا نصه:

«السيد السفير جونار يارينج
ممثل السكرتير العام للامم المتحدة

بالاشارة الى رغبتكم التي ابديتموها لي اليوم، بدعوة ممثل عنا لمقابلتكم في نيويورك، اود ان اؤكد لكم مرة اخرى استعداد ممثلنا الدائم في نيويورك في ان يجتمع بكم لمتابعة الاتصالات التي سبق لكم ان اجريتموها مع الاطراف المعنية، وفقا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ وبغية تنفيذ هذا القرار.

وقد سبق أن أشرت خلال اجتماعاتنا السابقة الى اهمية وجوب وضع برنامج زمني لتنفيذ قرار مجلس الامن، وعرضت عليكم عدة وسائل للوصول الى هذا ومن بينها ان تتقدموا انتم بجدول زمني تقومون بأعداده لتنفيذ ذلك القرار.

وهذه المقترحات تنبثق بطبيعة الحال مما سبق واعربت الجمهورية العربية المتحدة عنه، من قبولها واستعدادها لتنفيذ قرار مجلس الامن.

وأود أن اعرب من جديد عن استعدادنا للتعاون معكم بصفتكم مبعوثا خاصا للامين العام في الاضطلاع بالمسؤوليات التي حددها قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

القاهرة في ٩ مايو (أيار) ١٩٦٨.

محمود رياض
وزير خارجية
الجمهورية العربية المتحدة».

وفرك يارينج يديه بارتياح وقال مخاطبا محمود رياض:

«انني مدين لك بالكثير لان هذا القبول سيعجل لقيامي بمسؤولياتي».

بعد أقل من عام، وفي شهر مارس (اذار) ١٩٦٩، تقدم يارينج بأسئلة محددة لكل من مصر واسرائيل والاردن ولبنان، مستمدة من قرار مجلس الامن. وطلب من هذه الدول ان تحدد في ردها مدى موافقتها على الاسئلة المقدمة. وردت الدول العربية الثلاث ايجابيا على هذه الاسئلة. ورفضت اسرائيل الرد ايجابيا على سؤال يارينج الخاص باللاجئين وقبولها لتنفيذ قرارات الامم المتحدة، أما السؤال الاساسي والجوهري الخاص بمدى استعداد اسرائيل للانسحاب من الاراضي التي تحتلها فقد ردت عليه قائلة: «لم توجد مطلقا حدود آمنة ومعترف بها بين اسرائيل والدول العربية، وتبعا لذلك فلا بد من اقامة هذه الحدود الان كجزء من اتفاقية السلام ولا بد ان يحل محل وقف اطلاق النار اتفاق سلام يقيم حدودا آمنة ومعترفا بها من خلال التفاوض مع الحكومات المعنية»(١).

---

(١) اسئلة يارينج والرد عليها في الفصل الخاص بالوثائق ص ٣٩٣

٣ ـ دبلوماسية المواجهة ... والمواجهة العسكرية

بعد هزيمة ١٩٦٧، وبعد ان اتضحت ابعاد الموقف الاميركي ادركت القاهرة انه الى أن تقوم الدول العربية، وفي مقدمتها مصر، بتصحيح ما حدث بمعركة عسكرية او بمواجهة سياسية او بكلتيهما معا فأن المعجزة لن تحدث.. فاسرائيل سوف لا تترك الارض وتعيدها لاصحابها.

ولكي لا تفقد مصر الوقت المطلوب للاعداد العسكري، كان لا بد لها ان تجد البديل في عمل سياسي منظم، يبدأ بيارينج، ويتسع ويمتد ليشمل عواصم العالم كله، بما في ذلك الولايات المتحدة.

كان من المستحيل اقناع اسرائيل، او الولايات المتحدة بتجاهل نتائج حرب ١٩٦٧ وكان من المستحيل صدور انذار سوفياتي امريكي كما حدث في عام ١٩٥٦ الذي انسحبت على أثره اسرائيل وبريطانيا وفرنسا من كل من سيناء، ومن القناة ومدنها.

فرصة الوقت كانت مطلوبة، وضرورتها حيوية، ومع الاهتمام بعنصر الوقت فقد كان المطلوب ان تظل قضية الشرق الاوسط ساخنة دائما، ومتحركة دائما، وحية دائما.

مارست اميركا قبل صدور قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ جهودها وضغوطها من أجل عرقلة صدوره، وعندما صدر، أرادت ان تجعل منه نهاية للازمة والتوتر، تدخل بعدها المشكلة الى ثلاجة الازمات المستعصية، التي لا يمكن ايجاد حل لها (١).

ان استمرار تجميد الموقف، كما كان عليه بعد ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧، عند قبول وقف اطلاق النار، كان هو الوضع الامثل بالنسبة لاسرائيل. فقواتها تحتل اراضي ٣ دول عربية وجنودها على ضفة القناة الشرقية أمام الاسماعيلية بالذات، وعلم اسرائيل الذي يرتفع فوق هضبة رملية، يذكرّ المصريين بأنهم هناك على بعد أمتار، وأميركا تتوقع ان يكون هذا الوضع فرصة لتصفية حركة القومية العربية، بأنتصار اسرائيل على مصر رائدة هذه الحركة تحت زعامة عبد الناصر.

كانت هناك احتمالات تفجير الموقف الداخلي في مصر تحت ضغط عسكري واقتصادي وسيكولوجي يخنق الانفاس، ويزهق الارواح، مع احتمالات تفجير الموقف في سوريا، وبين الدول العربية بعضها البعض. وكانت القنابل والصواريخ الاميركية تقصف المباني والمنشآت والمستشفيات في هانوي، والصراع الصيني السوفياتي يقسم المعسكر الاشتراكي الى قسمين متصارعين، وجونسون يجلس في البيت الابيض بعد ان قذفت به المقادير من مزرعته في تكساس الى رئاسة الجمهورية خلفا للرئيس كينيدي ويستعد

---

(١) مقال محمد حسنين هيكل: بصراحة. الاهرام، ١٥/١٢/١٩٦٧

جونسون لا ليخلف كيندي فحسب بل ليدخل هذا البيت الابيض مرة اخرى بانتخاب شعبي يضفي على وجوده في هذا المقعد شرعية جديدة تطلق يده في المزيد من العنف والتدمير.

في ظل هذه الظروف التي أكتفيت بسرد عناوينها، بدأت مهمة يارينج في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧، بصدور قرار مجلس الامن، وعندما جاء الى الشرق الاوسط لاول مرة، كانت المنطقة تعيش في ظل احتمالات تجدد الصراع العسكري مرة اخرى بعد حرب ٥ يونيو (حزيران)، باعتبار هذه الحرب كانت مقدمة للصراع وليست خاتمة له.

سجلت العلاقات المصرية ــ الاميركية انهيارا لم يسبق له مثيل الا في الفترة التي اعقبت رفض اميركا تمويل السد العالي عام ١٩٥٥، ثم استعادت هذه العلاقات وضعها، بعد تدخل الرئيس ايزنهاور ممارسا تهديده المباشر ضد اسرائيل وانجلترا وفرنسا، لسحب قواتها من مصر. وعادت العلاقات الى تدهورها، بالمواجهة المستمرة بين السياسة الاميركية والتيار العربي التحرري في المنطقة وحركة عدم الانحياز في قارات العالم الثلاث.

أجمعت كل التقارير الواردة الى القاهرة من عواصم العالم، ومن واشنطن بالذات على ان اسرائيل تحشد قواتها العسكرية، لتوجيه ضربة ضد سوريا، الى ان شنت اسرائيل هجومها المفاجيء على مصر عام ١٩٦٧.

وعندما اصدر مجلس الامن قراره بوقف اطلاق النار كانت الولايات المتحدة تسعى الى تزويد اسرائيل بالسلاح، وتظهر العداء الواضح للعرب ولمصر بالذات. ففي ٢٥ اغسطس (آب) ١٩٦٧، قبل صدور قرار مجلس الامن، وافق مجلس النواب الاميركي على ٣ تعديلات في مشروع القانون الخاص بالمساعدات الخارجية التي تقدمها الولايات المتحدة للدول العربية بهدف الضغط على هذه الدول لقبول التفاوض المباشر مع اسرائيل. وكانت مظاهر الضغط انهاء التدريبات التي كان بعض العسكريين من العالم العربي يتلقوها في أميركا ومن بينهم عسكريون من العراق والسودان.

بدأت اميركا بمجرد وقف اطلاق النار بعد ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بتسليم اسرائيل ٣٦ قاذفة قنابل من طراز سكاي هوك ١ ــ٤، وذلك في ٢٢ سبتمبر وأعلن ذلك رسميا روبرت ماكلوسكي المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية الذي أذاع يوم ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ بأن اسرائيل ستحصل على قاذفات ومقاتلات من طراز سكاي هوك ومعدات عسكرية اخرى، وحدد عدد الطائرات بخمسين. ولكي تبرر اميركا هذا الموقف، اذاعت بأنها ستعطي مساعدات من هذا النوع للاردن، بتزويدها بطائرات سكاي هوك، ولكنها عادت ومارست الضغط على بريطانيا التي قررت ان تعطي الاردن ٣٠ طائرة مستعملة من طراز هوكر هنتر و ٢٠ طائرة لايتننج، وهي أقل بكثير من قدرة السكاي هوك.

وفي ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس العام القى نيكولاي كاتزنباخ وكيل الخارجية الاميركية محاضرة في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا اعلن فيها أن استمرار إرسال اميركا السلاح لاسرائيل، كان ضرورة بسبب استمرار تسليح الاتحاد السوفياتي للعرب وفي نفس اليوم وافق مجلس النواب الاميركي بأغلبية ١٦٧ صوتا ضد ١٤٣، على خفض اعتمادات المساعدات الخارجية وفرض قيود مشددة على دول افريقيا واميركا اللاتينية عدا اسرائيل اذ تقرر اعفاء تل ابيب من جميع هذه القيود.

استمر تأييد الولايات المتحدة لمهمة يارينج في الوقت الذي استمر فيه الدعم العسكري والسياسي والمادي لاسرائيل.

كانت الولايات المتحدة تستعد لمعركة انتخابات الرئاسة لعام ١٩٦٨، واصبحت زيارة اسرائيل هي اكبر دعم لمرشحي الرئاسة الاميركية في معركتهم الانتخابية لدرجة ان جيرالد فورد عضو الكونجرس والرئيس الحالي أعلن أن حكومة جونسون لم تعمل بما يكفي لحماية أمن اسرائيل، وأن مصير اسرائيل مرتبط بمصالح الأمن الخاصة بالولايات المتحدة.

كان ارتباط أمن الولايات المتحدة بأمن اسرائيل، والعكس،هو التطور الجديد في العلاقات الاميركية الاسرائيلية الذي تأكد خلال الزيارة التي قام بها ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل ـ في ذلك الوقت ـ لواشنطن يومي ٧ و ٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ حيث اجرى محادثاته مع الرئيس جونسون. وجاء في البيان الرسمي الذي صدر عقب ذلك «ان قدرات اسرائيل الدفاعية ستبقى موضع دراسة على ضوء جميع العوامل ذات الصلة بالموقف بما في ذلك شحن المعدات العسكرية من جانب الاخرين الى المنطقة».

قامت اسرائيل بهذه المناورة البارعة بهدف ربط أمنها بأمن الولايات المتحدة ومواجهة التعاون المصري العربي ـ السوفياتي، بالتحالف العسكري السياسي بين اسرائيل والولايات المتحدة. وكانت معادلة ربط أمن اسرائيل بأمن الولايات المتحدة، صيغة الاحلاف العسكرية الاخرى.

ولاول مرة بعد حرب ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ تعلن الولايات المتحدة رسميا عن صفقة طائرات من طراز فانتوم، تقدمها لاسرائيل في الوقت الذي كان يارينج يمارس جهوده اليائسة سعيا وراء ورقة او صيغة مكتوبة توحي بأن اسرائيل على استعداد للانسحاب من الاراضي العربية...

وقد اعلن ليفي أشكول في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ اثناء اجتماعه بحاخامات اليهود، قبل ان يبدأ زيارته للولايات المتحدة بأن اميركا ستزود اسرائيل بالفانتوم، مقابل تأييد يهودها (يهود اميركا) لجونسون في فيتنام، وفي انتخابات الرئاسة.

معركة الكرامة

عقب زيارة ليفي اشكول لاميركا، وحصوله على أكبر دعم ممكن، وفي ٢١ مارس (اذار) ١٩٦٨، عبرت القوات الاسرائيلية نهر الاردن في أخطر عملية عسكرية. ففي الساعة الخامسة والنصف صباحا تقدمت القوات الاسرائيلية مستخدمة ٣ ألوية تعززها ١٠٠ دبابة وتحميها ١٠ طائرات وعبرت جسور نهر الاردن الثلاث، متجهة الى منطقة الكرامة مستهدفة بذلك ضرب قيادة قوات المقاومة الفلسطينية.

لم تكن اسرائيل تتوقع بعد حرب ١٩٦٧ أن تجد العرب على استعداد لمواجهه عسكرية جديدة معها. لكنها فوجئت بمقاومة عسكرية رهيبة شاركت فيها وحدات من المقاومة والجيش الاردني. وبعد معركة ١٥ ساعة دون توقف انسحبت القوات الاسرائيلية وخسرت ٤٥ دبابة و ٢٥ مجنزرة و ٢٧ قطعة آلية متحركة و ٥ طائرات ومئتي قتيل وجريح.

كان التحرك العسكري الاسرائيلي في المنطقة، بمثابة مواجهة جديدة تقوم بها اسرائيل من اجل إقناع العالم بعدم قدرة العرب على استمرار الصراع ضدها من ناحية، وعدم جدية كل الجهود التي يقوم بها يارينج، وتقوم بها الامم المتحدة في المنطقة، والتأكيد أن قدرتها على الردع ستكون هي الاسلوب الافضل لتجميد الموقف العسكري والسياسي الذي فرضته اسرائيل.

عقد مجلس الامن اجتماعا طارئا في نفس اليوم اي ٢١ مارس (اذار) (١٩٦٨). وبالرغم من كل جهود الولايات المتحدة لمنع ادانة اسرائيل بمحاولة القاء اللوم على «الارهابيين الفلسطينيين» فان القرار قد صدر بادانة العدوان الاسرائيلي وتهديد اسرائيل باتخاذ اجراءات اكثر فاعلية إذا كررت عدوانها.

تفجرت أزمة العرض العسكري الذي قررت ان تقوم به اسرائيل في ميدان القدس بعد عدوانها على الكرامة، اظهارا لتفوقها العسكري الذي حقق لها ان تفوز على ٣ بلاد عربية وتجعل من القدس عاصمة لها. وعقد مجلس الامن جلسة طارئة في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ واصدر قرارا جماعيا طالب فيه اسرائيل بالغاء العرض العسكري المزمع اقامته في ٢ مايو (ايار). وبالرغم من صدور هذا القرار فقد اعلنت اسرائيل في قاعة جلسة مجلس الامن انها ستقيم عرضها العسكري في التاريخ المحدد، وعلى الرغم من مقاطعة جميع رجال السلك الدبلوماسي الاجنبي في اسرائيل لهذا الحدث الا ان الرغبة في التحدي قد دفعت الحكومة الاسرائيلية الى تنفيذ ما التزمت به.

في ظل هذا الجو السياسي والعسكري، كان يارينج يجري مشاوراته واتصالاته. وبعد جلسة العمل التي عقدها مع محمود رياض يوم ٩ مايو (ايار) ١٩٦٨، وحصل منه على رسالة مكتوبة بالموافقة على ايفاد ممثل مصر لدى الامم المتحدة ليكون على اتصال به في نيويورك، طار المبعوث الدولي الى نيقوسيا يوم ١٠ مايو (أيار) وقام بتوديع الرئيس القبرصي الاسقف مكاريوس، واعلن ان مقر قيادته الجديدة سوف يكون في نيويورك وليس في نيقوسيا.

وبمجرد وصول يارينج الى الامم المتحدة يوم ١٦ مايو (ايار) بدأ اتصالاته مع ممثلي الدول الاربع الكبرى. ثم طار يوم ٢٨ مايو (ايار) ١٩٦٨ الى موسكو، واستقبله هناك الكسي كوسيجين رئيس الوزراء وانذريه جروميكو وزير الخارجية وفاسيلي كوزنتسوف نائبه. وفي استكهولم التقى يارينج الذي كان يقضي إجازته السنوية بمحمود رياض الذي كان يزور العاصمة السويدية.

شعر يارينج بضخامة الاحداث التي تدور من حوله. فأميركا تعلن انها سترسل طائرات الفانتوم لاسرائيل، والعرض العسكري يتم في القدس بالرغم من صدور قرار من مجلس الامن، والقوات الاسرائيلية تعبر جسور نهر الاردن لتضرب «الكرامة»، والمدفعية الاسرائيلية تضرب زوارق تطهير القناة ومدينة الاسماعيلية، واميركا تقول انها تعطي الطائرات لاسرائيل بدعوى ان الاتحاد السوفياتي يقدم المعونة العسكرية لمصر وسوريا. ويختفي تدريجيا بريق أمل المبعوث الدولي، الى ان يتلاشى خلال حرب استنزاف على طول قناة السويس، وفي رحلة نشاط دبلوماسي تمارسه مصر في كل عواصم العالم، تشرح

قضيتها، وتفضح مؤامرة الصمت التي ارادوا فرضها على مهمة يارينج، بحيث يبدو وكأن مصر ترفض التعاون معه وتستعد لحرب رابعة.

أصبحت لقاءات يارينج مع وزراء خارجية المنطقة تتم عفويا، ودون ارتباط او تنظيم سابق، وبغير ما هدف. فبعد اللقاء الذي تم مع رياض في استكهولم يوم ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٨ التقى يارينج مع ابا ايبان في لاهاي في ٢٧ يونيو (حزيران)، ثم بعبد المنعم الرفاعي في لندن. وطار الى نيويورك ليقدم تقريره الى يوثانت يوم ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٦٨، ثم عاد الى القاهرة يوم ١٧ اغسطس (آب) بعد ان أصبح دور الدولتين العظميين أكثر اهمية وخطورة، وبعد ان قررت عواصم الازمة، مصر وسوريا والاردن، بدء تحرك سياسي في مواجهة الدعم العسكري الاميركي المستمر لاسرائيل، والدعم السياسي الذي تؤيد فيه اي موقف من المواقف الخاطئة التي تتخذها اسرائيل بما في ذلك نسفها لمهمة يارينج ولقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧.

٤ ـ عبد الناصر يكتب الى زعماء العالم

رسم الرئيس جمال عبد الناصر سياسته بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ على أساس ان تقوم مصر بتغيير الموقف العسكري والسياسي لصالحها. وكان ذلك يقتضي تغيير الوضع الذي ترتب على حرب الايام الستة.

وشارك محمود رياض الرئيس عبد الناصر في تحديد مراحل العمل التي بدأت بمحادثات يارينج في القاهرة، وعمان، وتل ابيب بحيث تحتفظ مصر بالقدرة على التحرك سياسيا وعسكريا في نفس الوقت. وكانت استحالة الوصول الى فكر صانع القرار الامريكي هي العقبة الاساسية التي واجهت مصر، اذ استمر الرئيس ليندون جونسون والمؤسسة الامريكية، في دعم الاحتلال الاسرائيلي بمختلف الوسائل والصيغ.

وعندما وضعت مصر خطتها لبناء قدراتها القتالية، كان الماريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفياتي قد جاء الى القاهرة يوم ٣٠ مارس (اذار) ١٩٦٨، عقب عدوان اسرائيل على «الكرامة» وزار الجبهة والتقى به عبد الناصر في أول ابريل (نيسان) من نفس العام.

وقبل ان يطير جريتشكو الى القاهرة، كانت القيادة السياسية السوفيتية عقب عدوان الكرامة تدرك خطورة الموقف السياسي والعسكري الذي يواجهه الرئيس عبد الناصر، وبعد يومين من حادث الكرامة كان القائم بالاعمال السوفياتي في القاهرة يطلب مقابلة محمود رياض لابلاغه رسالة من القيادة السوفياتية وكانت تتضمن المبادىء التالية:

١ ـ ان المسؤولين في موسكو يشاركون في تأييد الموقف الذي اتخذته مصر بضرورة استخدام كل الوسائل والامكانيات السياسية من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن.

٢ ـ لا بد مع الوضع الراهن من التفكير في الوسائل التي تستطيع القاهرة بالتعاون مع موسكو ان تمارسها من اجل الضغط على اسرائيل وكذلك الولايات المتحدة حتى لا تنجح محاولات احباط تنفيذ ذلك القرار.

٣ ـ ضرورة اظهار الاعمال التي تقوم بها اسرائيل مثل تعرضها بالهجوم على زوارق وقاطرات هيئة قناة السويس التي كانت تعمل في تطهير القناة.

بعد زيارة جريتشكو للقاهرة، وبعد انتهاء مباحثاته مع الرئيس عبد الناصر، إتجه الاتحاد السوفياتي الى ممارسة أسلوب الضغط العسكري لاظهار أن مصر، والدول العربية لا تقف موقف الاستسلام أمام الاعمال العسكرية التي قامت بها اسرائيل في «الكرامة» ولذلك اتخذ الاتحاد السوفياتي قراره بممارسة هذه المظاهر العسكرية عقب العدوان على الاردن، وتعثر مهمة يارينج. وكانت هذه المظاهر هي:

١ ـ قيام البحرية السوفيتية بمظاهرة بحرية شرقي البحر الابيض بارسال طرادات وسفن حراسة وغواصات الى هذا الجزء من البحر الذي كان قاصرا على سفن الاسطول السادس.

٢ ـ تقوم وحدات من طيران البحرية السوفيتية بزيارة ودية لمصر من ١٠ الى ١٥ يوما.

٣ ـ تقوم وحدات جوية اخرى بزيارة مماثلة لسوريا واللاذقية بالذات.

وانتهز الرئيس عبد الناصر فرصة اصرار اسرائيل على رفض الغاء العرض العسكري في القدس ليبعث برسائل شخصية الى رؤساء الدول الاعضاء في مجلس الامن، والى السكرتير العام للامم المتحدة. وقد اعلن عبد الناصر عن ذلك في خطابه لمناسبة عيد العمال عشية احتفال اسرائيل بعرضها العسكري في مدينة القدس.

وباعتبار ان الولايات المتحدة هي احدى الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن، فقد بعث عبد الناصر برسالة الى الرئيس جونسون. وكانت رسائله كلها مكتوبة بصيغة واحدة هذا نصها:

«السيد الرئيس......

يشرفني ان انهي اليكم عميق تقديري للموقف (١) الذي اتخذتموه بتأييد قرار مجلس الامن الذي صدر في ٢٧ ابريل عام ١٩٦٨ بشأن مطالبة اسرائيل بمنع العرض العسكري الذي تزمع القيام به يوم ٢ مايو.

ولا شك عندي ان موقفكم هذا كان قائما على عدم موافقتكم على الاعمال التي تقوم بها اسرائيل في القدس، ورفضها الامتثال لقرار الجمعية العامة الذي اصدرته في دورتها الخاصة في ٤ يوليو عام ١٩٦٧، وليقينكم بان هذا العمل من جانب اسرائيل انما هو عمل غير مشروع».

بعث الرئيس عبد الناصر برسالته الى جونسون، ضمن مجموعة الرسائل التي بعث بها الى زعماء العالم، والى يوثانت. وبعد ١٣ يوما طلب دونالد بيرجس رئيس بعثة رعاية المصالح الامريكية مقابلة عاجلة مع محمود رياض تمت في ١٤ مايو عام ١٩٦٨، وأبلغه رد الرئيس جونسون على رسالته، وكانت هذه الرسالة تحمل ايضا قرار الرئيس الامريكي بعدم طلب اعادة ترشيحه لرئاسة الجمهورية نتيجة الضغوط السياسة والهزيمة العسكرية التي لحقت بالولايات المتحدة خلال حرب فيتنام.

وكانت رسالة جونسون الى الرئيس عبد الناصر في هذا النص:

«عزيزي سيادة الرئيس
لقد تلقيت وقرات لتوي رسالتكم التي بعثتم بها الي في اول مايو.

لقد أسفنا، ولسنوات طويلة، لفشل الاطراف في ايجاد تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي، والتي سيؤدي حل هذه المشكلة الى الرضى الكامل والعام.

---

(١) لم تعارض الولايات المتحدة صدور قرار مجلس الأمن الخاص بمنع العرض العسكري

والآن، لاول مرة منذ عام ١٩٤٨، تسنح فرصة التقدم نحو السلام. فباسم هذه الشعوب المعنية، لا بد من عدم اضاعة هذه الفرصة من ايدينا.

ان نصيبا كبيرا حيويا من مصادر الثروة الطبيعية من مصر واسرائيل قد تم تكريسه لفترة طويلة، للتسلح ولاستخدام الاسلحة.

لقد كان هناك دائما اعتماد اكبر على استخدام القوة في تسوية مشاكل الشرق الاوسط، في ذلك الاتجاه من انكار للصيحات التي تطالب بالمزيد من التطور الاقتصادي والاجتماعي.

ان وقت التغيير قد حان، اذ ان قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ينص على الاهداف والمبادىء التي ينبغي تطبيقها. وكما تعرفون فلقد ايدنا هذا القرار بقوة، كما جاء في التصريح الذي اعلنته في ١٩ يونيو عام ١٩٦٧، هذا التصريح الى جانب قرار مجلس الامن مع ما يتضمنانه من مبادىء اساسية، كانا وسيظلان القاعدة الاساسية التي تنطلق منها سياستنا.

نحن نعتقد أنه يمكن التوصل الى اتفاق قائم على المبادىء التي سبق ان اعلنتها في تصريحي، وتنفيذ قرار مجلس الامن اذا استطاعت الاطراف المعنية التوصل الى اتفاق قائم على تفصيلات جوهرية من خلال قرار مجلس الامن. ومن اجل تحقيق ذلك شجعنا كافة الاطراف على التعاون مع السفير جونار يارينج وتأكيد ان مهمته تتضمن أفضل الوسائل للوصول الى حل موفق.

وفي هذا الشأن شجعني استعدادكم للتعاون مع يارينج. وعندما يكون قادرا على ترتيب قيام مناقشات جادة تتناول صميم المشاكل يمكن للولايات المتحدة والدول المعنية الاخرى ان تمارس تأثيرها لتحقيق العدل والسلام وفقا لقرار ٢٢ نوفمبر.

إن النجاح يقتضي بذل اقصى جهودنا الشخصية الفعالة، فكما تعرفون يا سيادة الرئيس فلقد قررت أخيرا عدم ترشيح نفسي مرة أخرى كرئيس للولايات المتحدة. لقد اعتقدت انه كان بوسعي ان ابذل المزيد في هذا المجال من اجل تقدم محاولات السلام في الشرق الاوسط، كما حدث في فيتنام. ولكننا نعرف انتم وانا انه اذا كانت جهود دولتي مهمة فان السلام لن يتحقق الا اذا كانت الاطراف المعنية في هذا الصراع الطويل راغبة حقا في السلام فانها تناضل من اجل تحقيقه.

مع اطيب التمنيات
ليندون. ب. جونسون».

١٣ مايو (ايار) ١٩٦٨.

٥ - ازمة مع الصين وازمة في كوبنهاجن

مكتب وزير الخارجية محمود رياض يعمل خلال الازمة، طوال الليل والنهار. فعندما تكون الساعة الثانية عشرة ظهرا في نيويورك، تكون الساعة في القاهرة السابعة مساء، وعندما تبدأ تقارير بعثاتنا في واشنطن ونيويورك تصل الى وزارة الخارجية يكون الليل قد انتصف في القاهرة. ويتعاقب الليل والنهار وتتابع الايام، والتقارير تتكدس، والمقابلات الدبلوماسية لا تنتهي والزائر الدائم هو جونار يارينج، على الاقل خلال يناير وفبراير ومارس من عام ١٩٦٨.

وفي زحام الاحداث، ورياض يتابع الموقف الدولي، من مكتبه بوزارة الخارجية، يدق جرس التلفون ويقول المتحدث باللغة العربية أن سفير الصين يريد مقابلة وزير الخارجية.

واعتقد محمود رياض أن هوانج هوا (رئيس وفد الصين الان في الامم المتحدة) لديه معلومات جديدة تتعلق بموقف بلاده من الازمة، فالصين لم تكن عضوا بعد في الامم المتحدة، وعلاقاتها بالاتحاد السوفياتي تزداد سوءا يوما بعد يوم، وأنباء متضاربة عن أحداث معينة تجري في الصين. ويحدد وزير الخارجية موعدا للسفير الصيني.

قال سفير الصين بهدوء، كان ذلك في ٢٥ مارس (اذار) ١٩٦٨، ان لديه تعليمات مهمة من حكومته تتعلق بالعلاقات بين البلدين. وتوقع محمود رياض ان يكون لدى السفير من الانباء ما يدفعه الى طلب مقابلة وزير الخارجية في هذه المرحلة الحرجة من مراحل مهمة يارينج، وفي قلب الأزمة الدائرة في المنطقة. وأنصت رياض باهتمام وجدية الى المعلومات المهمة التي حملها اليه سفير الصين والتي طلب ابلاغها في أقرب وقت الى الرئيس جمال عبد الناصر، باعتبار ان التعليمات التي تلقاها كانت من الزعيم الصيني شو ان لاي الذي التقى لاول مرة بعبد الناصر في باندونج عام ١٩٥٥.

وبأدب صيني جم قال السفير أن بلاده تعتبر عدم تسليم الصيني الهارب (الجاسوس) بمثابة عمل غير ودي من جانب الحكومة المصرية.

واندهش محمود رياض من صيغة الابلاغ من ناحية، ومن الموضوع المعروض للبحث من جهة أخرى، واستفسر من السفير عن قصة هذا الشاب الهارب الجاسوس الذي سيؤثر على العلاقات المصرية ـ الصينية. وتصور السفير أن وزير الخارجية كان يخفي معلومات مهمة تتعلق بهذا الشاب.

ولكن وزير الخارجية لم يكن لديه من الوقت لكي يتتبع هذه القصة التي تعتقد الصين أن لها كل هذه الخطورة.

قصة الشاب الصيني بدأت عندما وصل الى مطار القاهرة يوم ٢٥ فبراير (شباط) عام ١٩٦٨ راكب ياباني عادي، يحمل جواز سفر يابانيا، وعليه تأشيرة لدخول مصر مع ٧

حقائب. واستقل سيارة تاكسي الى السفارة السوفيتية التي تولت الحجز له في فندق فيكتوريا، بشارع ابراهيم باشا بجوار جمعية الشبان المسيحية.

الى هنا والقصة عادية جدا، وليست قصة على الاطلاق. فآلاف الركاب القادمين من آسيا ينزلون في مطار القاهرة ويقضون عدة أيام، ويغادرونها الى عواصم اخرى. ولم يكن رجال الامن يعرفون أن هذا الراكب العادي سوف يؤثر على العلاقات المصرية ـ الصينية لفترة طويلة، وعلى علاقات محمود رياض بالحكومة الصينية.

ينزل الشاب الياباني «الصيني الهارب» في فندق فيكتوريا. ويفاجأ الاستقبال بعشرات من الشبان الصينيين الذين كانوا يسمون في ذلك الوقت بالحرس الاحمر يقتحمون ويصعدون الى الغرفة رقم ١٠٣ حيث ينزل الشاب الياباني. ويجري خلفهم موظف الاستقبال ويستعين بالبوليس. وكان رجال الامن في القاهرة قد تلقوا مكالمة من مجهول (ربما من السفارة السوفيتية) تبلغهم بأن الحرس الاحمر الصيني في طريقه الى فندق فيكتوريا لخطف شاب صيني مجهول او قتله. ويسرع البوليس الى الغرفة وينقذ الشاب قبل أن يفتك به الحرس الاحمر.

وتطورت القصة، وبدأ تحقيق دقيق في هذه المشكلة التي بدأت خيوطها تتجمع عندما تقدم سفير الصين بمذكرة الى وكيل وزارة الخارجية يبلغه فيها بأن شابا صينيا اسمه كوان يوشين هرب من بكين بجواز سفر ياباني وجاء القاهرة وأنه يحمل وثائق مهمة، وأنه، حفظا للعلاقات الطيبة بين البلدين فان حكومة الصين تطالب بتسليمه.

وتتولى سلطات الامن بحث الموضوع وتقرر نظرا لخطورة الموقف، واحتمالات اغتيال هذا الشاب سواء بواسطة الحرس او بواسطة غيرهم نظرا لتورطه في قضية تجسس دولية، أن تضعه في سجن القناطر. ويصدف أن أكون في وزارة الخارجية المصرية، لاجد أمامي أخطر قصة سياسية في ذلك العام، وان كانت لا يمكن أن تغطي بأهميتها على المشكلة الاساسية التي نركز عليها البحث، وهي معركة مصر الدبلوماسية، لكن هذه القضية الفرعية قد أضفت ظلالها على علاقات مصر بالصين لفترة غير قليلة.

ويتضح من التحقيق الاولى أن هذا الشاب كان يعمل في المؤتمر الاسيوي الافريقي في بكين، ويبدو أنه كان يعمل لحساب الاتحاد السوفياتي. وبعد حدوث الانقسام في حركة التضامن الاسيوي الافريقي في مؤتمر الجزائر عام ١٩٦٥، ثم في مؤتمر قبرص عام ١٩٦٦ وخروج الصين من مؤتمر التضامن، سعى الاتحاد السوفياتي للحصول على معلومات وافية عن نشاط الصين في آسيا وافريقيا بعد احتدام الصراع الايديولوجي الصيني ـ السوفياتي الذي تطور الى مواجهة عنيفة قسمت حركة التضامن وتحولت الى صراع بين البلدين في أغلب عواصم العالم.

وقد توقعت القيادة الصينية، وكانت تمر بمرحلة بدء الثورة الثقافية مع استمرار المواجهة العنيفة مع الاتحاد السوفياتي ان هذا «الجاسوس» قد ساعده الاتحاد السوفياتي على الهرب من الصين، اذ انه بحكم عمله في بكين كان يتصل بالاجانب وحصل على جواز سفر من شاب ياباني ربما كان بتكليف من دولة اخرى، ومع الجواز تذكرة سفر الى القاهرة على الطائرة الباكستانية، وهي الشركة الوحيدة بخلاف ايروفلوت وايرفرانس، التي تنزل في الصين. ويستقل الصيني الطائرة الباكستانية ومعه ٧ حقائب تضم اهم

الوثائق التي قد يكون الاتحاد السوفياتي مهتما بها.

ويتقدم السفير الصيني في القاهرة بمذكرة يطلب فيها تسليم الجاسوس الهارب، وتدرس الخارجية الموقف، ويتضح عدم وجود معاهدة تبادل المجرمين بين البلدين. وتسعى السفارة السوفيتية من جهة أخرى الى محاولة نقله الى موسكو، وتتصل سفارة اليابان تستفسر عن الشاب وتطالب بالجواز الياباني الذي تعتبره وثيقة مهمة لا يجوز تداولها.

وتستمر هذه القصة شهورا الى أن يحدد سفير الصين بكل وضوح أن حكومته تعتبر عدم تسليمها الشاب وحقائبه عملا غير ودي. ويرد محمود رياض بكل ادب «انني اعتقد ان علاقاتنا بالصين اقوى وأهم من شاب هارب... وسأطلب كل المعلومات الخاصة به واقدم لك ردا».

ويستمر اهتمامي الصحفي بهذا الشاب. فهروبه من الصين، واهتمام ٣ دول في مقدمتها الصين والاتحاد السوفيتي، مع احتمالات ان يكون للولايات المتحدة اهتمامات اخرى به بالاضافة الى اليابان... كل ذلك أضاف الى القصة الكثير من عوامل التشويق.

ذهبت الى سجن القناطر، وحاولت أن اتحدث مع الشاب ولكنه كان منهارا زائغ البصر، يعتقد أنني من رجال الامن. وأوضحت له انني صحفي، ولكن الدنيا في نظره تحولت الى رجال امن ومخابرات وجاسوسية وقتل. ويتذكر أباه وأمه وابنه الصغير في بكين، ويتناسى انه بفعلته هذه قد وضع القاهرة في موقف حرج بين الاتحاد السوفياتي والصين، اذ استدعت حكومة بكين سفيرها في القاهرة للتشاور. ولكنه عاد بعد ذلك وتم تعيين سفير جديد واحتفظت الصين به في الوقت الذي سحبت فيه كل السفراء اثناء الثورة الثقافية. الى أن أوضح الرئيس عبد الناصر عن طريق الاخ ياسر عرفات لشوان لاي(١) أنه لم يفضل الاتحاد السوفيتي على الصين بالنسبة لمشكلة هذا الهارب. وكان فعلا من رأي القاهرة أنه لا يجوز تسليم لاجئين سياسيين وظل هذا الشاب في مصر حتى مارس (اذار) عام ١٩٦٩، الى أن حصل من وكالة اللاجئين الدولية في القاهرة على وثيقة سفر لاجيء دولي الى فيينا بمعرفة هذه الوكالة الدولية. ومنذ سفره انقطعت صلة مصر بهذه المشكلة التي اضطرت عبد الناصر ان يكتب لشو ان لاي ثم يكلف ياسر عرفات توضيح الموقف له.

وقد حدثت بعد ذلك تطورات مهمة في العلاقات المصرية ـ الصينية، اذ أنه بانتهاء الثورة الثقافية، وجهت الصين الدعوة في عام ١٩٧٠ الى صحفي واحد من كل دولة عربية، وكنت من بين مجموعة الصحفيين العرب الذين زاروا الصين في ٤ مايو (ايار) ١٩٧١، واستقبلنا السيد شو ان لاي. وفي العام التالي، وجهت الصين الدعوة للسيد محمود رياض، الذي زارها في ٢١ مارس عام ١٩٧٢ وكان مستشارا للرئيس السادات للشؤون السياسية واستقبلته الصين اعظم استقبال، واجتمع به الزعيم الصيني شو ان لاي. وقد رافقت محمود رياض في هذه الرحلة التي زادت من دعم العلاقات بين البلدين.

ازمة في كوبنهاجن

في ٣ يوليو (تموز) عام ١٩٦٨، كان محمود رياض وزير الخارجية المصرية يزور العاصمة الدانمركية لاول مرة، بعد زيارة سريعة لهولندا. وكنت الصحفي الوحيد

---

(١) عبد الناصر والعالم: لمحمد حسنين هيكل ص ٢٨٥

الذي رافقه في هذه الجولة، والدعاية الصهيونية تملأ الدنيا بأن مصر ترفض التفاوض مع اسرائيل، وأن يارينج طلب الى كل من مصر واسرائيل، أن تجلسا معه للتفاوض، وأن مصر رفضت ذلك واسرائيل ترحب بأي اتفاق يؤدي الى السلام. وانها لا تريد الارض، ولا تريد الاحتلال ولكنها تسعى لان تعيش في سلام !

وكانت المعركة الاولى في لاهاي، بعد اجتماع عقده محمود رياض وزير الخارجية مع جوزيف لانز وزير خارجية هولندا في ذلك الوقت وسكرتير حلف الاطلنطي حاليا، يوم اول يوليو (تموز) عام ١٩٦٨. دعا رياض كبار الصحفيين الهولنديين للحديث معه في اول مؤتمر صحفي بعد حرب ١٩٦٧ وفي هولندا بالذات التي تتمتع فيها اسرائيل بتأثير ملحوظ على الشباب بصفة خاصة، وبعد هزيمة ساحقة للعرب، جعلت من اسرائيل رمزا للانتصار والتفوق! وفي اثناء المؤتمر الصحفي، أشار محمود رياض الى ان موقف اسرائيل من استمرار احتلال الاراضي العربية، كموقف هتلر الذي ارتكب اعظم الجرائم اثناء احتلال اوروبا وهولندا بالذات. وغضب عدد من الصحفيين الهولنديين لتشبيه اسرائيل بالنازي.

ولم تكد زيارة محمود رياض تنتهي في هولندا بهذه الضجة الا لتبدأ زيارته للدانمرك وتنتهي بضجة اخرى، وصل صداها الى اغلب عواصم العالم وتعدتها الى موسكو حيث كان الرئيس عبد الناصر في زيارة للاتحاد السوفياتي.

كانت زيارة محمود رياض للدانمرك من الناحية السياسية ناجحة جدا، وكانت محاولة لاقتحام المواقع التي تصورت اسرائيل انها حصون منيعة لها. واستقبل ملك الدانمرك وزير الخارجية المصري، وتمت ترتيبات الزيارة بكل دقة ومجاملة، وكانت الدانمرك في ذلك الوقت عضوا في مجلس الامن، وكان موقفها غير ودي باشتراكها في المظاهرة البحرية التي أرادت اميركا ان تقوم بها بعد اغلاق خليج العقبة في مايو ويونيو ١٩٦٧.

رسمت مصر سياستها الخارجية بعد هزيمة ٥ يونيو على أساس اعادة تحسين علاقاتها الدبلوماسية مع جميع عواصم العالم، خصوصا مع الدول التي لا توصف علاقاتها بالقاهرة بانها علاقات صداقة وتعاون واخاء. ولذلك ركزت مصر اهتمامها على أساس تقسيم العالم الى مناطق، تتم زيارتها بحيث يتحقق اتصال مباشر مع كل العواصم وعلى أعلى المستويات.

نعود الى كوبنهاجن، والمؤتمر الصحفي الذي عقده محمود رياض يوم ٣ يوليو عام ١٩٦٨، وحاول الصحفيون منذ اللحظة الاولى احراجه بصورة او بأخرى. وكان ابا ايبان قد بعث برسائل شخصية الى عواصم اوروبا الغربية التي كان محمود رياض سيزورها في جولته الاولى، بعد تعثر مهمة يارينج. وتشير كل الرسائل الى ان مصر ترفض التفاوض، وترفض حل المشكلة وتتمسك باستعادة اراضيها، لكي تكرر عدوانها على اسرائيل، وترفض الحدود الآمنة التي تطالب بها، في وقت تعاني فيه مصر من هزيمة عسكرية لا تستطيع ان تنكرها.

ويبدأ الاستفزاز بسؤال من آخر القاعة التي عقد فيها محمود رياض مؤتمره الصحفي، والسؤال يقول:

«لقد سمعنا كل هذه التصريحات والبيانات... هل مصر على استعداد للاعتراف باسرائيل؟».

ورد رياض قائلا: ان مصر عندما قبلت قرار مجلس الامن، قد قبلت جميع البنود التي وردت فيه، والمبادىء التي نص عليها القرار، وهي تؤكد ان لكل دولة الحق ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها. وينص كذلك على الانسحاب من كل الاراضي العربية».

وعاد الصحفي يسأل: «انني أكرر سؤالي... هل تنوي مصر الاعتراف باسرائيل؟».

وبكل هدوء قال رياض: «نحن على استعداد لقبول كل ما ورد في قرار مجلس الامن. وقد ذكرنا ذلك ليارينج، وأكدنا له أنه سبق ان وقعنا اتفاقية هدنة مع اسرائيل. وعندما وقعناها لم نوقعها مع اشباح ولكن مع ممثلين لاسرائيل، وأنا الذي وقعت على هذه الاتفاقية. وبالرغم من ذلك أعلن بن جوريون ان هذه الاتفاقية لاغية وتم دفنها بعد عدوان عام ١٩٥٦».

ومضى رياض يقول للصحفي «اننا نريد السلام ولكننا لا نريد الاستسلام».

وفي أقل من لمح البصر اذاعت وكالات الانباء أن رياض ادلى بتصريح في كوبنهاجن قال فيه ان مصر سوف تعترف باسرائيل وانها تريد ان توقع معها معاهدة صلح. وكان رياض يقول اننا على استعداد للوفاء بكل التزاماتنا الواردة في القرار بما في ذلك الاعتراف بالحدود والوجود والسيادة لكل دولة من دول المنطقة.

ولم نعرف بحدود الازمة التي ترتبت على هذا التصريح الا عندما دعا الرئيس جمال عبد الناصر وزير خارجيته محمود رياض لمقابلته في موسكو، وكان عبد الناصر قد طار من القاهرة الى العاصمة السوفياتية على طائرة خاصة من طراز اليوشن، هبطت في مطار فنوكوفو في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٤ يوليو عام ١٩٦٨. وكان بريجنيف وكوسيجين وبودجورني في استقبال عبد الناصر الذي أتجه الى مقر اقامته في تلال لينين حيث يحتفظ السوفيات بمجموعة من القصور التي تطل من أعلى موقع في موسكو على المدينة الجميلة. وتمتاز هذه القصور بانها مشيدة على نمط هندسي واحد تحيط بها حدائق رائعة الجمال تغطيها الزهور والخضرة خلال فصل الصيف، وتكتسب بياض الثلج مع الخريف حتى اوائل ربيع العام التالي. ونزل رياض في احدى فيلات تلال لينين، بينما أقام الرئيس عبد الناصر في المبنى الرئيسي لهذه المجموعة من القصور التي تحيط بها قصور اخرى ينزل فيها اعضاء الوفد.

ودخلت غرفة محمود رياض لاجد عنده الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير «الاهرام» في ذلك الوقت ومعه شريط طويل من الورق الابيض عبارة عن ورق التيكر العربي الذي يحمل مئات من البرقيات المرسلة الى عبد الناصر في القاهرة وموسكو، تستنكر تصريح محمود رياض. وعلى هامش الشريط الطويل من الورق تأشيرة بالقلم الاحمر من عبد الناصر تقول «ما رأيك في هذا يا محمود».

وقال هيكل ان الرئيس قد بعث بهذه البرقيات. فقلت على الفور: «لقد حضرت المؤتمر الصحفي، وليس مجاملة لاحد، فان وزير خارجيتنا لم يقل كلمة واحدة من هذا التصريح»

وبدأت أقرأ من مفكرتي كل كلمة قالها الصحفيون، وما قاله وزير الخارجية،

واتفقنا على أن أبعث الى «الاهرام» بتفاصيل ما دار في المؤتمر الصحفي، والمحاولات التي تبذل لتشويه حقيقة موقف مصر. ونزل محمود رياض الى حديقة الفيلا يحيط بنا زهر المشمش والتفاح. فقد كنا في «عز الصيف» وفي شهر يوليو ترتفع الحرارة في موسكو وتصل الى فوق الاربعين مئوية في بعض الاحيان. وكان عبد الناصر ينزل من مقر إقامته ليركب سيارته، ولمح محمود رياض في حديقة القصر فنادى عليه وقال: «محمود... بتعمل ايه تعال معي نزور بريجنيف». واستقل رياض السيارة مع عبد الناصر. وعرف الجميع بعدها ان أزمة تصريحات كوبنهاجن كانت ازمة مفتعلة على شاكلة الازمات التي ستتكرر عند مواجهة معاقل الصهيونية.

في خلال هذه الزيارة، كان عدد من مساعدي عبد الناصر يتناولون الغداء. وعلى المائدة مال محمد حسنين هيكل الى ناحيتي وقال: هل تعرف الشاب الذي يجلس الى جانبك؟ فقلت: لم اتشرف بعد. قال: الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم من الوفد المرافق للرئيس (واعتقدت انه احد رجال الامن)، ولكنني لاحظت اهتماما متزايدا به، وكان الرجل يبتسم برقة وهو يتبادل التحية معي. وبعد ان انتهى من تناول الغداء امسك محمد حسنين هيكل بذراعي وقال لي: تعال معنا سنذهب لمقابلة الدكتور مراد (مراد غالب سفير مصر في موسكو). ركبنا سيارة واحدة ومعنا الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم. وقال هيكل عند وصولنا الى مكتب السفير: أعتقد أننا سنتركك لبعض الوقت فسوف نتحدث مع الدكتور مراد. ثم همس في أذني: «ألم تعرف من هو عبد الفتاح ابراهيم. انه ياسر عرفات».

وكان هذا اول لقاء لي مع الاخ ياسر عرفات الذي جاء ضمن وفد عبد الناصر الى موسكو.

وكان هذا اول لقاء بين القادة السوفيات والاخ ياسر عرفات.

وفي خلال هذه الزيارة التاريخية اتفق عبد الناصر مع القادة السوفيات على أسس اعادة تسليح الجيش المصري واستمرار المواجهة السياسية مع اسرائيل.

٦ ـ اوروبا تبحث في موقفها

تحركت اسرائيل بسرعة في عواصم اوروبا الغربية، لتواجه الحرب الدبلوماسية التي مارستها مصر، وسعت تل أبيب الى التحرك في اتجاهين:

١ ــ دعم مواقعها من جديد في امريكا وفي العواصم التي لم تتحرك بالقدر الكافي في اتجاه تأييد الموقف المصري خصوصا في هولندا وبلجيكا والدانمرك ودول الشمال.

٢ ــ محاولة التأثير على علاقات مصر باوروبا، وفي مقدمتها علاقاتها بفرنسا، باذاعة انباء عن قيام فرنسا بتسليح اسرائيل.

ففي شهر مايو (ايار) عام ١٩٦٨ زار ابا ايبان دول الشمال، قبل زيارة محمود رياض. وبناء على التقارير الواردة لوزارة الخارجية كان المطلوب أن تتحرك القاهرة لتوضيح وجهة نظرها.

وفي رسالة بعث بها اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي للمستر نيلسون وزير خارجية السويد، أثناء زيارة ايبان لاستكهولم أوضح جروميكو النقاط التالية:

١ ــ ان الاتحاد السوفيتي يدين العدوان الاسرائيلي، ويدين رفض اسرائيل التعاون مع جونار يارينج.

٢ ــ ان الدول التي تسكت على موقف اسرائيل ولا تندد بتصرفاتها انما تشجع تل أبيب على الاستمرار في ممارسة سياسة العدوان.

٣ ــ يقترح الاتحاد السوفياتي أن تمارس السويد ضغطا على اسرائيل، وعلى ايبان بالذات، لقبول الفرص المتاحة لتحقيق الحل السلمي، وإظهار النية في الأنسحاب من الاراضي التي تحتلها.

ونظرا لاهمية ودقة العلاقات بين السويد والاتحاد السوفياتي فان نيلسون وزير خارجية السويد قد بعث برد سريع على رسالة جروميكو يقول فيه:

١ ــ ان السويد سوف تسعى لاقناع ابا ايبان بضرورة التوصل الى حل سلمي للمشكلة.

٢ ــ ان استكهولم تدرك تماما خطورة الموقف خصوصا بعد حرب عام ١٩٦٧.

٣ ــ ان رئيس وفدها في نيويورك قد حدد بالدقة موقف بلاده من الازمة.

٤ ــ ان السويد تحرص على عدم الادلاء بتصريحات أو التعقيب على المواقف نظرا لقيام السفير جونار يارينج وهو دبلوماسي سويدي بمهمة صعبة ودقيقة، ولا تريد حكومته في هذا الوقت بالذات وضع عقبات في طريقه، وهي تبلغ مواقفها للدول المعنية دون ضجة قد

تؤثر على مدى حياد يارينج بالنسبة للمشكلة.

٥ ـ تعتقد السويد انه قد طرأ تغيير كبير في موقفها بالنسبة للمشكلة.

ومن اوسلو عاصمة النرويج، ومن عواصم أخرى استطاعت أن تجمع مصر «المبادىء» التي يسعى ايبان ان يوضحها للدول التي زارها، ومن بينها النرويج والسويد وبلجيكا وهولندا في مايو (ايار) عام ١٩٦٨.

وتحدد الموقف الاسرائيلي كما عرضه ايبان في النقاط التالية:

١ ـ انتقد ايبان الموقف العربي، ووصف اغلاق خليج العقبة بأنه محاولة لخنق اسرائيل. ولذلك فان تل ابيب لن تسمح بالعودة الى الموقف الذي كانت عليه قبل عام ١٩٦٧.

٢ ـ طالب ابا ايبان بمفاوضات مباشرة بين اسرائيل والعرب، ورفض تدخل طرف ثالث، حتى ولو كان هذا الطرف الامم المتحدة، ووصف قرار مجلس الامن بأنه جدول أعمال يصلح لكي يكون رؤوس موضوعات تبحثها مصر واسرائيل في مباحثاتها المباشرة...

٣ ـ طلب ابا ايبان من العواصم التي زارها أن تمارس جهودها من أجل استمرار يارينج في مهمته...

٤ ـ رفض ايبان اعادة قطاع غزة الى الادارة المصرية (كما كان عليه قبل عام ١٩٦٧) ووصف هذا القطاع «بأنه كالخنجر الموجه الى قلب اسرائيل، كما أن القطاع لم يكن مصريا. أما بالنسبة للقدس فانها أصبحت عاصمة لاسرائيل! ومن الممكن بحث وضع الأماكن الاسلامية تحت ادارة اردنية وتحت علم الاردن. وبالنسبة للضفة الغربية، فان اسرائيل لا تطمع فيها ولكنها ترى ضرورة تعديل الحدود.

٥ ـ لا تعارض اسرائيل في اعادة القناة للملاحة قبل اجراء مفاوضات مع مصر... بشرط السماح لسفن جميع الدول بما فيها اسرائيل طبعا للملاحة فيها.

٦ ـ بالنسبة «للاجئين» فان ايبان يرفض اعادة توطينهم او تعويضهم ولكن من الممكن ان تتولى الدول العربية توطينهم في اراضيها.

وتلقت القاهرة ما يفيد ان حكومة النرويج قد اقترحت على ايبان بأن تقوم اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية، وتبدأ مفاوضات بين العرب واسرائيل بعد ذلك، في الوقت الذي تتواجد فيه قوات دولية على الحدود، مع بقاء مناطق منزوعة السلاح تفصل بين العرب واسرائيل، وتتم المفاوضات بينهما على اساس الوصول الى اتفاق يهدف الى نزع سلاح سيناء.

ورفض ايبان كل هذه الافكار وقال ان اسرائيل لا تريد الا اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب، تنتهي بتوقيع اتفاقية صلح، تنص على الحدود الجديدة لكل من اسرائيل والدول العربية.

وعندما كان ايبان يغادر الخارجية النرويجية قامت تظاهرة معادية له خارج جامعة اوسلو، وكان ذلك اثناء الاحتفال بالذكرى العشرين لقيام اسرائيل (مايو سنة ١٩٤٨ ـ مايو ١٩٦٨).

رفض بيار هارميل وزير خارجية بلجيكا أن يعلن أن زيارة ابا ايبان لبروكسل في خلال شهر مايو، هي زيارة رسمية، وكان ايبان يسعى للحصول على هذا الاعلان من جانب هارميل الذي رفض ذلك، بحجة أن الحكومة البلجيكية قد استقالت وأنه يتولى تصريف أمور الخارجية بصفة موقتة الى حين تشكيل الوزارة الجديدة. وكانت بلجيكا تسعى الى عدم اعطاء زيارة ايبان الصفة الرسمية نظرا لانها «ليست راضية عما تقوم به اسرائيل» في الفترة الأخيرة، وكان من بينها الهجوم الاسرائيلي على «الكرامة». وفي خلال زيارة ايبان لبروكسل أوضح له هارميل أن حكومته تنظر بعين القلق الى الأعمال العسكرية التي تقوم بها اسرائيل في المنطقة.

وأكدت حكومة بلجيكا في ذلك الوقت (وكان جمال منصور وكيل وزارة الخارجية الآن سفيرا لمصر فيها) أن الموقف البلجيكي لم يعد في صالح اسرائيل، كما كان في الماضي، وأنها بدأت تقدر الموقف العربي.

وبعثت اسرائيل بمذكرة الى الحكومة البلجيكية تطلب فيها عدم قبول مصر في منظمة الجات (التعرفة الجمركية) بحجة أن انضمامها سيؤدي الى اضرار بالغة تلحق باسرائيل باعتبار أن مصر تنضم مع الدول العربية في اتفاقية لمقاطعة اسرائيل، وأن هذه المقاطعة العربية تضر ضررا خطيرا بالاقتصاد الاسرائيلي. وانضمام مصر الى منظمة الجات سيزيد من هذا الضرر.

وبالعكس تماما رحبت بلجيكا بانضمام مصر الى المنظمة.

❊ ❊ ❊ ❊

هذه صورة سريعة لتطور علاقات اوروبا الغربية والشمالية باسرائيل. ويقابلها في الجانب الآخر زيادة التعاون الامريكي ـ الاسرائيلي. ففي لقاء تم في نيويورك بين لوشيس باتل مساعد وزير الخارجية الامريكية الذي كان سفيرا لبلاده في القاهرة مع رئيس الوفد المصري في نيويورك أكد لوشيس باتل أن العرب يقبلون «التنازلات» بعد فوات الوقت. وأن المفاوضات التي يمكن أن تتم بين العرب واسرائيل تحت اشراف يارينج، سيتحدد فيها مفهوم الحدود الآمنة' وأن امريكا تعتقد أن العرب يتمسكون بانسحاب اسرائيل من الاراضي التي تحتلها، بينما قرار مجلس الامن يتضمن مبادىء اخرى، لا بد من النظر الى القرار كوحدة واحدة، ولا يجوز مناقشته كما يرى العرب من زاوية واحدة ... وهي زاوية الانسحاب فقط.

وفي موقع آخر يتحرك مسؤول امريكي اسمه غديت ويبر فيترأس اللجنة التنفيذية لمنطقة الشرق الاوسط لتوطين اللاجئين ويزور اسرائيل ويجتمع بموشي ديان، ليبحث مع اسرائيل مشروعا اقرب الى الجنون يقترح فيه ان يتم حفر قناة جديدة شرقي قناة السويس لمواجهة مطالب الملاحة الدولية، بعرض ١٠ أميال، وتتولى مؤسسة امريكية استئجار هذه القطعة من الارض التي يتم فيها حفر القناة بحيث يكون التأجير لصالح المؤسسة لمدة ٩٩ عاما.

وتؤكد اسرائيل «للمفكر الامريكي» انها لا تمانع في هذا المشروع اذا وافقت مصر على ذلك، ويجري البحث حول «شراء» أراضي سيناء وتوطين «اللاجئين» فيها، وشق قناة جديدة

يكون لاسرائيل نصيب فيها، بحيث يتم بيع اجزاء من القناة الجديدة لاسرائيل لتعديل حدودها ويتم توطين «اللاجئين» في سيناء، ويصبحون بذلك منطقة عازلة بين اسرائيل ومصر!

أزمة صواريخ فرنسية لاسرائيل

استمرت اسرائيل خلال شهر مايو (أيار) عام ١٩٦٨ في مساعيها من أجل تعكير علاقات مصر مع دول أوروبا الغربية بكل صورة من الصورة، وركزت اهتمامها على فرنسا بالذات. وكان هدفها تشويه موقف الرئيس شارل ديجول بعد موقفه الحازم الذي اتخذه بعد حرب ١٩٦٧، عندما أكد أن اسرائيل هي التي بدأت العدوان، وبالتالي فان فرنسا تدين موقف المعتدي.

سعت اسرائيل، وساعدتها في ذلك الولايات المتحدة لتشويه الموقف الفرنسي. وكانت ارتباطات حكومة تل أبيب مع داسو صاحب شركة داسو – أخطر وأكبر شركات العالم في انتاج الطائرات المقاتلة من طراز ميراج بكل انواعها – سببا في تعكير العلاقات الفرنسية – العربية باستمرار الى أن انتهت هذه الازمة بقرار ديجول الحاسم في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٩ بوقف تسليم فرنسا طائرات الميراج التي تعاقدت عليها اسرائيل ودفعت «مقدم» استلامها.

واشنطن تشير الى أن فرنسا «الصديقة» للعرب على وشك إنتاج صاروخ فرنسي بعيد المدى يضمن لاسرائيل «حماية» الأراضي العربية التي تحتلها وتهدد به «العمق» في الاراضي المصرية.

سعت الولايات المتحدة الى تسريب الخبر، وتلقت الخارجية المصرية برقية مقتضبة من بعثة رعاية المصالح المصرية في واشنطن تقول فيها يوم ٨ مايو (ايار) عام ١٩٦٨ :

«تشير المعلومات المستقاة من واشنطن أن اسرائيل وقعت عقدا لشراء صاروخ فرنسي جديد بعيد المدى وذلك في عام ١٩٦٣، على أن يتم تسليم الصفقة في عام ١٩٦٨، وقد تأخر تسليمها الى عام ١٩٦٩.

«وقد اتخذت فرنسا موقفها بتأجيل التسليم نظرا لان الحكومة الاسرائيلية تعمدت إذاعة نبأ الصفقة. وقد يكون ذلك متعمدا للاساءة الى العلاقات المصرية – الفرنسية بصفة خاصة، والموقف الفرنسي ازاء العرب، بصفة عامة».

كان ديجول، بخلاف معارضته للموقف الاسرائيلي، يعارض ايضا سياسة الولايات المتحدة ازاء غرب اوروبا وفرنسا بالذات، ويسعى الى تجميد مشاركة بلاده في حلف الاطلنطي واظهار استقلاليتها داخل التحالف الغربي.

وأسرعت الدول العربية الى اصدار تعليماتها الى ممثليها لدى حكومة الجنرال ديجول، في محاولة لمعرفة الموقف الفرنسي الرسمي من هذه المعلومات التي تتردد في الاوساط الدبلوماسية. واختار سفراء الدول العربية سفير الاردن لمناقشة هذا الموضوع مع وزارة الخارجية الفرنسية. وفي تكذيب قاطع نفى مدير الادارة السياسية في هذه الوزارة أي احتمال باعطاء اسرائيل صواريخ بعيدة المدى.

وأكد مدير الادارة السياسية في الخارجية الفرنسية للسفارة المصرية في باريس يوم ١١ مايو (ايار) عام ١٩٦٨ أنه في وضع يسمح له بنفي ما تردد عن اعطاء صواريخ فرنسية لاسرائيل. وأضاف المسؤول الفرنسي أنه قد تمت فعلا اتصالات بين بعض العلماء الفرنسيين والاسرائيليين حول الصواريخ وكان ذلك على المستوى الشخصي، وأن هذه الاتصالات لا تلزم الحكومة الفرنسية بأي تعهدات ازاء اسرائيل. وأكد أنه لم تتم أي أبحاث مشتركة بين البلدين، وأن فرنسا لم تبع ، وسوف لا تبيع لاسرائيل أي صواريخ أرض – أرض بعيدة المدى.

وأنهى الدبلوماسي الفرنسي المسؤول حديثه مؤكدا أن فرنسا لا تستبعد اثارة هذه الانباء للايقاع بين العرب وفرنسا. وكان راديو استكهولم قد أذاع عشية هذا اللقاء أن شركة داسو تقوم ببناء محطة لاطلاق الصواريخ في السعودية وفي اسرائيل، ونفت الحكومة الفرنسية هذه المعلومات.

وعندما وقع العدوان الاسرائيلي على مطار بيروت في ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٦٨ انتهز الجنرال ديجول فرصة الاحتفال الذي يقيمه ليلة رأس السنة للسلك الدبلوماسي ليعلن أن فرنسا لن تسلم اسرائيل طائرات الميراج الخمسين. وكان ذلك في وجود والترايتان سفير اسرائيل في باريس، في ذلك الوقت. واتجه ديجول الى فيليب تقلا سفير لبنان في باريس ليؤكد له تأييد فرنسا التام للبنان ضد الهجوم الاسرائيلي. وقال ديجول: «ان اسرائيل ارتكبت عملا من أعمال العنف الاحمق بهجومها على مطار بيروت». وقد ظلت اسرائيل تناصب ديجول العداء حتى وفاته وبعد اعلانه اعتزاله العمل السياسي، وترك منصبه كرئيس للجمهورية.

٧ ـ نيكسون... وسكرانتون

حاول ريتشارد نيكسون في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٨، بعدما أصبح مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة الامريكية أن يستفيد من الاخطاء التي ارتكبها ليندون جونسون، والتي أدت الى الاعلان عن انسحابه من العمل السياسي، وأوفد أحد كبار مساعديه وكبير مستشاريه في الشؤون الخارجية وليام سكرانتون، حاكم ولاية بنسلفانيا الى أوروبا الغربية، والتقى بالرئيس الفرنسي ديجول يوم ١٩ سبتمبر عام ١٩٦٨. وزار بعد ذلك بون وبروكسل وأمستردام ولندن، وعاد الى واشنطن ليبلغ نيكسون الذي كان يستعد لدخول المعركة الانتخابية أن نفوذ الولايات المتحدة يتدهور في الخارج، وأنه لا بد وان يسعى الى تحسين العلاقات مع فرنسا بالذات، ومع اوروبا الغربية، وأكد له أن ديجول يكن تقديرا كبيرا لنيكسون، وأن الرئيس الفرنسي يحبذ فوزه في الانتخابات واقترح عليه أن يتحرك أيضا في اتجاه العالم العربي ومصر. وكان سكرانتون من كبار خبراء الشرق الاوسط والمرشح الاول لتولي منصب وزير الخارجية في حكومة نيكسون الجديدة.

واستجاب نيكسون لاقتراح سكرانتون، وأعد رسالة الى الرئيس جمال عبد الناصر بعث بها بتاريخ ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٨، بعد انتخاب نيكسون للرئاسة وكان يطلق عليه «الرئيس الامريكي المنتخب» الى ان تولى المنصب رسميا في ٢٠ يناير عام ١٩٦٩. وكانت رسالة الرئيس المنتخب واحدة من رسائل مماثلة الى كل من ايران ولبنان ومصر والسعودية والاردن واسرائيل.

وكان نص رسالة نيكسون التي بعث بها في برقية مختصرة:

«عزيزي سيادة الرئيس

استعدادا لتولي منصبي فقد طلبت من حاكم ولاية بنسلفانيا السابق وليام م.م سكرانتون ان يقوم ببعثة لتقصي الحقائق في الشرق الاوسط في اوائل ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨. ولي عظيم الامل انكم ووزير خارجيتكم سوف تتيحان له فرصة مقابلتكم لتوضيح وجهة نظركم بكل صراحة ووضوح بالنسبة للموقف في بلادكم، وفي المنطقة ككل.

وسوف تقوم بعثتنا الدبلوماسية في بلادكم بابلاغكم بموعد وصوله بالضبط وخططه المقبلة في المنطقة. وسوف يرافقه مساعده الخاص جـ. ساسال.

مع خالص تمنياتي

المخلص

ريتشارد نيكسون»

مكتب الرئيس المنتخب

الجمعة ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨

وصل وليام سكرانتون الى مطار القاهرة يوم ٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨، مع توقعات متزايدة بأن «ذهاب» الرئيس جونسون، ومجيء نيكسون قد يكونان بداية تحول في

السياسة الامريكية في الشرق الاوسط. والتقى الرئيس عبد الناصر في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ ديسمبر بالمبعوث الامريكي الذي ليست له صفة رسمية، اذ انه لا يعمل في الادارة الامريكية كما أن الذي أوفده هو ريتشارد نيكسون الذي لم يتول مسؤوليات منصبه. وكان جونسون قابعا في البيت الابيض، وين راسك في وزارة الخارجية، والسلطة كلها في ايدي جولدبرج رئيس وفد اميركا في الامم المتحدة والاخوين روستو في الخارجية الامريكية.

ولذلك فقد استقبل سكرانتون في مطار القاهرة الدكتور حسن صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر وسفير اسبانيا الذي يرعى مصالح الولايات المتحدة. وفي الساعة الثانية بعد الظهر بعد وصوله بعشرين ساعة قضاها في منزل دونالد بيرجس رئيس البعثة ومع محمود رياض وزير الخارجية استقبله الرئيس عبد الناصر.

وفي خلال هذا اللقاء أوضح سكرانتون ان الرئيس الجديد المنتخب ريتشارد نيكسون يريد أن يسمع من رؤساء جمهوريات وملوك المنطقة رأيهم في المشكلة بكل صراحة، وانه قبل أن يغادر واشنطن اجتمع بوزير خارجية امريكا الرسمي دين راسك، وأن كل اتصالاته لا تتجاوز اعداد تقرير مفصل للرئيس المنتخب عن اراء القادة والزعماء.

جاء سكرانتون من واشنطن الى بيروت ومنها الى القاهرة وزار معسكرات «اللاجئين» في الاراضي المحتلة واجتمع في بيروت يوم ٥ ديسمبر بالسادة محسن قطان الذي رأس اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في يوليو (تموز) عام ١٩٦٨ بالقاهرة، والدكتور يوسف صايغ ووليد الخالدي. وبالرغم من أن السيد يحي حمودة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت أكد أن المنظمة لم تكلف احدا بمقابلة سكرانتون الا أن الخطأ الذي ارتكبه سكرانتون من وجهة نظر اسرائيل بهذا اللقاء الى جانب تصريحاته الاخرى، قد تسببت في تركيز الهجوم عليه من جانب اسرائيل، وضياع احتمالات توليه منصب وزير خارجية امريكا والاختفاء الكامل من مسرح السياسة الامريكية.

قال لي سكرانتون في القاهرة عقب اجتماعه بالرئيس عبد الناصر انه لا يحمل معه مقترحات لان وضعه لا يسمح له بأن يتقدم بمقترحات لان نيكسون لم يتول منصبه رسميا، كما أنه (اي سكرانتون) لم يتم تعيينه في أي منصب. وعبر عن اهتمام نيكسون بالمنطقة وقال ان ايفاده اليها دليل على أن الرئيس الجديد قد بدأ نشاطه قبل ان يتولى منصبه رسميا، يبحث مشاكل الشرق الاوسط. وقال أنه سيزور معسكرات اللاجئين وأنه يوافق على أن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يعملان معا من أجل ايجاد حل سلمي للمشكلة.

جاء سكرانتون، كما قال لي، ليسعى لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، وفاتح الرئيس عبد الناصر في ذلك الموضوع مؤكدا. «**ان اهتمامات امريكا في الشرق الاوسط ليست هي التأييد المطلق لاسرائيل، ولنا أهتمامات كثيرة ومتعددة في المنطقة، ومصالح امريكا فيها كثيرة ومختلفة**».

كنت اتحدث مع سكرانتون في مطار القاهرة بعدما اعلن أن الرئيس عبد الناصر أبلغه تحياته للرئيس نيكسون الذي قابله في القاهرة قبل ذلك في ٢٣ يونيو عام ١٩٦٢ (١)

(١) زار نيكسون القاهرة في عام ١٩٦٢ كعضو من الاعضاء البارزين في الكونجرس

وقال سكرانتون «ان الرئيس عبد الناصر قد طلب اليه أن يبلغ الرئيس نيكسون تمنياته الطيبة لتوليه منصبه الجديد».

وغادر سكرانتون القاهرة الى السعودية وعمان . وفي اسرائيل ارتكب «الخطيئة المميتة» عندما اعلن «ان الولايات المتحدة لن تبدي في المستقبل أي تحيز لاية دولة في الشرق الاوسط، وأنه من الاهمية أن تكون السياسة الامريكية في المنطقةاكثر انصافا».

وقبل ان يغادر سكرانتون القدس، كانت اسرائيل تغلي وتقرر ان يختفي سكرانتون من السياسة الاميريكية وان تركز اهتمامها على الرئيس الجديد ريتشارد نيكسون ليسير في الاتجاه الذي سار عليه ليندون جونسون وتحقق الهدف الذي تسعى اليه.

وقبل ان يصل سكرانتون الى واشنطن، وبالدقة ليلة وصوله الى نيويورك يوم ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨، في طريقه الى العاصمة الامريكية لمقابلة نيكسون كان رونالد زيجلر المتحدث الرسمي باسم الرئيس المنتخب والذي ظل معه حتى اسقطته فضيحة (ووترجيت) يؤكد في مؤتمر صحفي أن تصريحات سكرانتون وبالذات عن اتباع امريكا سياسة أكثر انصافا واعتدالا في المنطقة هي آراء سكرانتون الشخصية وليست بالضرورة آراء الرئيس المنتخب. وكان سكرانتون قد قدم تفسيرا لتصريحاته مفاده أن امريكا ليست مطالبة بأن تحتضن دولة معينة في المنطقة ، وتتجاهل بقية الدول الاخرى!

كان تصريح زيجلر، ولقاء نيكسون بسكرانتون، السطور الاخيرة في حياة سكرانتون السياسية، اذ اختفى اسمه نهائيا من الصحف والاذاعات والنشاط الحزبي، والسياسي، منذ خطيئة ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ الى ان اختاره فورد رئيساً للوفد الاميريكي في الامم المتحدة.

اكتفى نيكسون بالازمة التي خلقها له سكرانتون بهذه التصريحات وعدل عن تكليفه بأي منصب رسمي أو غير رسمي، وانتظر الايام الباقية له، ليتولى مسؤولياته الجديدة، وترك لجونسون ودين راسك معالجة مشكلة الشرق الاوسط الى أن يغادر جونسون البيت الابيض ويدخله نيكسون في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩. ولم يكن يدري أنه سيغادره مرة أخرى في عام ١٩٧٤، الى مزرعته بعد قراره اعتزاله منصب رئيس الجمهورية.

انتهز جولدبرج ويوجين روستو فرصة قرب انتهاء حكم جونسون وحاولا استغلال ضعف دين راسك وزير الخارجية لتحقيق كل ما تطلبه اسرائيل، في الفترة الباقية لجونسون في الحكم.

وتلقى محمود رياض من بعثتنا الدبلوماسية في امريكا تقريرا يشير الى اجتماع تم في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ بين جولد برج والسفير السوفياتي اناتولي دوبرنين بحضور يوجين روستو وكيل الخارجية الامريكية. وفي هذا الاجتماع اقترحت الولايات المتحدة ضرورة تأييد مهمة يارينج وتجميد احتمالات مناقشة الازمة امام مجلس الامن وظهر اتجاه امريكا لاول مرة فيما اسمته «**حل المشكلة على مراحل**».

وفي الوقت الذي كانت الاتصالات الدبلوماسية دائرة ومستمرة لدعم مهمة يارينج الذي تجمد نشاطه بعد ٩ مايو (ايار) ١٩٦٨، قامت اسرائيل بعدوان جديد على الضفة

الشرقية لنهر الاردن في ٤ اغسطس (آب) ١٩٦٨. واجتمع مجلس الامن بناء على طلب الاردن، لبحث العدوان على منطقة «السلط»-وبالرغم من الادانة الكاملة لموقف اسرائيل، واتجاه اعضاء المجلس الى اصدار قرار عنيف ضدها الا ان المناقشات ظلت مستمرة داخل المجلس حتى يوم ١٦ اغسطس. وبالرغم من معارضة امريكا لاي ادانة لاسرائيل الا ان مجلس الامن اصدر قراره الذي يصف فيه عدوان اسرائيل بانه «انتهاك صارخ لميثاق الامم المتحدة» وان تكرار هذه الاعتداءات سوف يدفع المجلس الى الاخذ في الاعتبار عدم التزام اسرائيل بتنفيذ واحترام قراراته».

عادت المناوشات الى المنطقة، واضطر مجلس الامن الى الانعقاد مرة اخرى بناء على طلب كل من مصر واسرائيل في ٨ سبتمبر (ايلول) من نفس العام وأصدر قرارا يعبر فيه عن قلقه من الموقف المتوتر في الشرق الاوسط مؤكدا ضرورة التزام جميع الاطراف بقرار وقف اطلاق النار (قرار ٢٤٢).

دفع عدوان اسرائيل على الاردن الملك حسين الى السفر في ٢٢ سبتمبر (ايلول) الى السعودية ثم القاهرة، وبعد ذلك الى ليبيا وبريطانيا. وفي القاهرة التقى بالرئيس جمال عبد الناصر وأوضح له خطورة الوضع في الاردن.

وطلب عبد الناصر من محمود رياض استدعاء السفير السوفياتي لابلاغه هذا البيان: «**ان السيد الرئيس لديه طلبات جديدة من الاتحاد السوفياتي، وان احداث الاردن تمثل قلقا متزايدا لدى مصر، ويؤكد أن اسرائيل ماضية في عدوانها**».

وطار السفير السوفياتي الى موسكو، بينما طار محمود رياض الى الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ فور انتهاء اجتماعاته في القاهرة مارا بفرنسا وبريطانيا وكندا.

ونظرا لعدم تحقيق اي نجاح في مهمة يارينج، فان الجمعية العامة للامم المتحدة في دورة انعقادها الثالثة والعشرين قررت تأجيل النظر في قضية الشرق الاوسط الى الدورة التالية.

وخلال وجود محمود رياض في نيويورك قدم دين راسك في اول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ لاول مرة مقترحات امريكية هذا نصها:

١ ــ انسحاب اسرائيل من الاراضي المصرية.
٢ ــ انهاء حالة الحرب.
٣ ــ فتح قناة السويس للسفن الاسرائيلية.

٤ ــ حل مشكلة اللاجئين على أساس سؤال كل لاجىء بصفة سرية وشخصية عن رغبته في العودة، واذا رفض فله الحق أن يختار البلد الذي يريد أن يذهب اليه بشرط موافقة هذه الدولة.

٥ ــ وضع قوات دولية في شرم الشيخ على الا يجوز سحبها الا بقرار من مجلس الامن او الجمعية العامة.

٦ ــ الاتفاق على مستوى التسليح في المنطقة.

٧ ـ توقع مصر وثيقة تضمن كل الالتزامات السابقة وتوقعها اسرائيل ايضا.

كان من الواضح أن هذه المقترحات لا تتسم بالجدية. فالرئيس جونسون يستعد لمغادرة البيت الابيض، ووزير خارجيته سيفقد منصبه، الى جانب الاعتراضات الموضوعية التي قدمها يوم ١٨ ديسمبر ١٩٦٨ السفير محمد عوض القوني رئيس وفد مصر في الامم المتحدة في ذلك الوقت، الى جيمس راسل ويجينز رئيس الوفد الامريكي في المنظمة الدولية، ورفضت فيها مصر، قبول تسوية خاصة بها اذا ورد في المقترحات الانسحاب من الاراضي المصرية، وترفض أسلوب حل مشكلة اللاجئين الا بمقتضى ما ورد في قرارات الامم المتحدة، والتي نصت على عودة اللاجئين او تعويضهم، ورفضت مصر قبول اي حظر على الاسلحة، طالما ان الاراضي العربية ما زالت محتلة، وأن الشعوب العربية لا بد من أن تحصل على السلاح لتحرير أراضيها، ورفضت مصر قبول وجود قوات دولية الا اذا تواجدت في الجانبين (مصر واسرائيل).

بعث محمود رياض ـ بعد عودته من نيويورك الى القاهرة ـ برسالة الى دين راسك قام بتسليمها الى رئيس الوفد الاميركي، وفي نفس الوقت بعث برسالة الى يارينج يطلب فيها أن يتقدم بمقترحات محددة عن رأيه في تنفيذ القرار وكان ذلك يوم ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ بمناسبة مرور عام على صدور هذا القرار، دون ان تنجح الامم المتحدة في تحريك المشكلة.

طار يارينج الى قبرص واجتمع بابا ايبان في نيقوسيا يوم ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ ثم جاء الى القاهرة يوم ٤ (ديسمبر) وزار عمان يوم ٧ ديسمبر ثم طار الى موسكو ليستأنف عمله في العاصمة السوفياتية.

وقبل ان ينتهي عام ١٩٦٨ بعث محمود رياض وزير الخارجية برسالة يوم ٨ ديسمبر عقب اللقاء الذي تم بينه وبين يارينج يوم ٤ ديسمبر يحدد فيها موقف مصر من الازمة. وكانت القاهرة قد تلقت تقارير من لندن وعمان عن نتائج اتصالات يارينج وكلها تؤكد عدم الاتجاه الى تنفيذ اي نص من نصوص قرار مجلس الامن.

في ديسمبر ١٩٦٨ كان ايبان يزور لندن، حيث اجتمع به مستر مايكل ستيوارت وزير خارجية بريطانيا. وعلمت القاهرة أن ايبان أبلغ وزير الخارجية البريطاني أن اسرائيل لا تقبل الاعلان عن استعدادها لان تقوم باتخاذ خطوات في سبيل تهدئة الموقف، وأصر ايبان على ضرورة اجراء مفاوضات مع مصر، وأن المكان المناسب لذلك هو نيويورك.

وحاول ايبان ان يوضح الاسباب التي دعت اسرائيل للقيام بأعمال سماها «اعمال تأديبية» وهي الغارات التي قامت بها على السلط ونجع حمادي والكرامة بدعوى ان اسرائيل تقضي على احتمالات قيام العرب «بعدوان» عليها. وسعى ستيوارت الى الحصول على وعد من ايبان لاظهار حسن نية اسرائيل ازاء العرب، وبكل كبرياء وصلف رفض ايبان الالتزام بأي وعد من جانبه. وحاول ستيوارت أن يقنعه بتخفيف الضغط على العرب المقيمين في الاراضي المحتلة حتى تتوقف عملية نزوحهم منها الى الاراضي العربية الاخرى، ولكن ايبان رفض تغيير سياسة اسرائيل أو تصرفاتها في الاراضي العربية المحتلة. وكانت اسرائيل قد رفضت قبل ذلك ايفاد الامم المتحدة لبعثة من المنظمة الدولية لتقصي الحقائق في هذه الاراضي واضطرت البعثة التي كان يرأسها السفير اميروسنج رئيس وفد سريلانكا

(سيلان) أن تجري التحقيق المطلوب في القاهرة وعمان وبيروت للاستماع الى شهادة العرب النازحين عن أراضيهم المحتلة.

كان هذا هو المنطق الذي تفرضه اسرائيل في المنطقة وتلزم به المجتمع الدولي، بالتخلي عن مسؤولياته في حفظ الامن والسلام.

وتلقت القاهرة هذه المعلومات، واستقبل محمود رياض السفير يارينج في مكتبه بالجيزة بعد اجتماع عقده المبعوث الدولي مع ايبان في قبرص، ومع الملك حسين وبهجت التلهوني في عمان، وجاء ليعلن أنه قرر العودة الى موسكو، وأنه سيترك الفرصة أمام الدول الكبرى لممارسة جهودها من أجل دعم مهمته.

طار يارينج الى نيقوسيا بعد ان ابلغ رياض يوم ٥ ديسمبر عام ١٩٦٨ أنه بعث بنتائج اتصالاته كلها الى يوثانت، وأنه يدرك انه وصل الى طريق مسدود لا يسمح له بتحقيق المزيد من التقدم. فقد سأل في قبرص عن موقف اسرائيل من الانسحاب من الاراضي العربية الى الحدود الآمنة، وما هي الحدود الآمنة التي تقترحها اسرائيل، فأجاب ايبان «بأن تحديد الحدود الآمنة الجديدة لا يتم الا عن طريق مفاوضات بين العرب واسرائيل».

ورد محمود رياض على كل هذه النقط في الاجتماع الذي عقده مع يارينج ووعده بارسال مذكرة مكتوبة برد مصر على موقف اسرائيل، وبعث بهذه المذكرة الى قبرص بتاريخ ٨ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٦٨. (١).

---

(١) راجع نص المذكرة في الفصل الخاص بالوثائق ص ٣٩٣

٨ ـ الاتحاد السوفياتي... وامريكا

قبل ان ينتهي عام ١٩٦٨، سعى الاتحاد السوفياتي الى تحقيق بعض خطوات على طريق التقدم، بعد أن رأى ان السفير جونار يارينج بجهد رجل فردي، لا يجد تعاونا من اسرائيل، ولا تأييدا كافيا من امريكا، ولا يستطيع أن يحقق نجاحا في مهمته التي واجهت هذا الطريق المسدود، بعد جهود عام كامل، لم يحصل فيه على مجرد اعلان من جانب اسرائيل بقبول لقرار مجلس الامن. وأبرقت الحكومة السوفياتية الى يوري تشريناكوف القائم بأعمالها في واشنطن لغياب اناتولي دوبرنين سفيرها عن العاصمة الامريكية بمقترحات محددة طلبت أن يقوم القائم بالاعمال السوفيتي بتسليمها الى الرئيس ليندون جونسون، وتم ذلك في مقابلة بين القائم بالاعمال السوفياتي ووكيل الخارجية يوجين روستو يوم ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ في وزارة الخارجية الامريكية. وطلب الاتحاد السوفيتي، عن طريق سفارتي بلاده في كل من لندن وباريس، تسليم نفس المذكرة الى الحكومتين الفرنسية والبريطانية.

وهذا نص مذكرة الاتحاد السوفيتي.

ان البنود الرئيسية لخطة عمل يقترحها الاتحاد السوفيتي لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ يمكن التعبير عنها كما يلي:

تؤكد اسرائيل والدول العربية المجاورة التي ستكون على استعداد للاشتراك في تنفيذ مثل هذه الخطة قبولها لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، كما تعبر عن استعدادها لتنفيذ كافة بنوده. وبموجب هذا فانهم يوافقون على أن يتم تحديد الجدول الزمني وطريقة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ عن طريق الاتصالات بواسطة يارينج. ويجري في نفس الوقت اعداد خطة يتفق عليها لتطبيقها من قبل الطرفين من اجل تنفيذ البنود الاخرى من قرار مجلس الامن، ويؤخذ في الاعتبار عند اعدادها اقامة سلام عادل ووطيد في الشرق الاوسط حيث يتاح لكل دولة في المنطقة ان تعيش في امان.

ويمكن أن يكون الهدف من هذه الاتصالات التفاوض حول خطوات محددة لتنفيذ قرار مجلس الامن المشار اليه انفا:

١ ـ تعلن حكومة اسرائيل وحكومات الدول العربية المجاورة التي تقبل الاشتراك في تنفيذ الخطة برضائها المشترك وفي نفس الوقت عن استعدادها لانهاء حالة الحرب بين هذه الدول العربية واسرائيل والتوصل الى حل سلمي للمشكلة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة. وفي هذا الخصوص تعلن اسرائيل عن استعدادها لان تبدأ في موعد محدد سحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة نتيجة لنزاع صيف ١٩٦٧.

٢ ـ تودع الدول العربية المشار اليها انفا وكذلك اسرائيل لدى الامم المتحدة ـ عند موعد انسحاب القوات الاسرائيلية والذي سيتم على مراحل وتحت اشراف ممثل

الامم المتحدة ـ الوثائق فيما يتعلق بانهاء حالة الحرب، وباحترام وبالاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وكذلك بوحدة أراضيها وباستقلالها السياسي وبحقها في العيش في سلام وأمن داخل حدود آمنة ومعترف بها، اي تطبيقا لما ورد في قرار مجلس الامن المشار اليه.

وطبقا لاتفاق يتوصل اليه عن طريق وساطة الدكتور يارينج، فانه يتعين الاتفاق على النقاط التالية ـ الحدود الامنة والمعترف بها (مع ارفاق الخرائط المقابلة)، وحرية الملاحة في الممرات البحرية الدولية في المنطقة، والحل العادل لمشكلة اللاجئين، ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي (ومن الممكن أن يكون ذلك عن طريق وسائل من بينها اقامة مناطق منزوعة السلاح).

ومن المفروض أن هذا الاتفاق سيعتبر ـ وفق ما حدده قرار مجلس الامن ـ كوحدة متكاملة تتعلق بكافة اوجه التسوية السلمية في منطقة الشرق الاوسط اي ككل.

٣ ـ وفي خلال الشهر التالي ـ حسبما يتفق عليه ـ ستنسحب القوات الاسرائيلية من جزء من الاراضي العربية الى خطوط يتفق عليها في شبه جزيرة سيناء وفي منطقة الضفة الغربية لنهر الاردن (وكذلك من الاراضي السورية ـ من منطقة القنيطرة).

وعندما تصل القوات الاسرائيلية الى هذه الخطوط المحددة من قبل في شبه جزيرة سيناء (على سبيل المثال: ٣٠ ـ ٤٠ كيلومترا من قناة السويس) ترسل حكومة الجمهورية العربية المتحدة قواتها الى منطقة القناة وتبدأ في تطهير القناة لاستئناف الملاحة.

٤ ـ وفي خلال الشهر التالي ـ حسبما يتفق عليه ـ تنسحب القوات الاسرائيلية الى الخطوط التي كانت فيها قبل ٥ يونيو ١٩٦٧. وبعد ذلك يعاد اقامة الادارة العربية كاملة الى المناطق التي تم تحريرها كما تعود قوات الجيش والبوليس التابعة لها الى المناطق.

وفي خلال المرحلة الثانية من انسحاب القوات الاسرائيلية من الجمهورية العربية المتحدة، تعلن الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل (او الجمهورية العربية المتحدة وحدها اذا وافقت حكومتها على ذلك)، قبولها تمركز قوات الامم المتحدة قرب الخط القائم قبل ٥ يونيو في شبه جزيرة سيناء وفي شرم الشيخ وقطاع غزة، أي استعادة الحالة التي كانت قائمة في المنطقة في مايو ١٩٧٠.

يتخذ مجلس الامن قرارا بايفاد قوات الامم المتحدة وفقا لميثاق الامم المتحدة ويؤكد مبدأ حرية الملاحة لسفن كافة البلاد في مضيق تيران وفي خليج العقبة.

٥ ـ وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية الى الحدود الدولية التي تخطط بواسطة مجلس الامن او عن طريق توقيع وثيقة متعددة الاطراف، تدخل الوثائق السابق ايداعها من جانب الدول العربية واسرائيل موضع النفاذ.

ويتخذ مجلس الامن طبقا لنصوص ميثاق الامم المتحدة قرارا عن الضمانات الخاصة بالحدود العربية الاسرائيلية (وضمانات الدول الاربع الاعضاء الدائمين في مجلس الامن غير مستبعدة (١)).

(١) تفادت المحادثات التي تناولت ازمة الشرق الاوسط اشراك الصين الوطنبة ولذلك فان الصيغ اشارت الى الدول الاربع الكبرى واغفلت اشراك الصين الوطنية.

وكانت آخر رسالة يكتبها ليندون جونسون في تاريخه السياسي تمثلت بالرد الذي بعث به الى الاتحاد السوفياتي والذي قام دين راسك يوم ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩، بتسليمه الى يوري تشريناكوف. وطلب جونسون ان يكون رده بمثابة رسالة منه الى رئيس الوزراء السوفياتي اليكسي كوسيجين.

جاء هذا الرد الاميركي بمثابة وثيقة التزام من جانب جونسون بتأييد ودعم الموقف الاسرائيلي، فقد اعلن في رده ان الانسحاب يجب ان يتم الى حدود آمنة وأنكر ان قرار مجلس الامن قد نص صراحة على أن الانسحاب يتم عن كل الاراضي التي تحتلها اسرائيل وايد أنها قبلت قرار مجلس الامن. وتناست ذكر حقوق الشعب الفلسطيني. وهذا نص مذكرة جونسون:

«لقد درسنا ابلاغات الحكومة السوفياتية المقدمة الى وزير الخارجية دين راسك بتاريخ ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨. وقد أحيط الرئيس جونسون بها وهو يرجو أن يسلم رد حكومة الولايات المتحدة الى الرئيس كوسيجين.

ان حكومة الولايات المتحدة ترحب برغبة الحكومة السوفياتية في التعاون معها لمساعدة السفير جونار يارينج في جهوده للوصول الى اتفاق على تسوية سلمية ومقبولة للنزاع في الشرق الاوسط. وان الولايات المتحدة لتقدر الاستمرار في تبادل وجهات النظر بينها وبين الاتحاد السوفياتي بشأن الشرق الاوسط سيما وأن استمرار الطريق المسدود يتضمن مخاطر عنف قد تهدد مصالح الولايات المتحدة.

وقد لاحظت حكومة الولايات المتحدة بعض العناصر البناءة في ابلاغات حكومة الاتحاد السوفياتي، وخاصة فيما تعكسه هذه الابلاغات من الاعتراف بمبدأ أنه يتعين أن تقوم التسوية على أساس الاتفاق بين الاطراف من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط، وفقا لنصوص ومبادىء قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧.

وتلاحظ حكومة الولايات المتحدة أن بعض الجوانب الاخرى من ابلاغات الحكومة السوفياتية تردد مواقف وآراء لا تتفق ووجهة نظر الولايات المتحدة حول مسؤولية نشوب اعمال القتال في يونيو ١٩٦٧ وحول الطريق المسدود الذي تواجهه مهمة يارينج، وكذلك حول التفسير الصحيح لقرار مجلس الامن.

وتعلم الولايات المتحدة انه من المهم الا يكون هناك سوء فهم بينها وبين الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع الحيوي، وهي بالتالي تتقدم بالتعليقات الآتية:

١ ــ تنظر الولايات المتحدة، كأمر له أولوية قصوى، الى قيام الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وغيرهما من الدول باستخدام كل نفوذها لوقف الزيادة الخطيرة في عمليات الارهاب العربي في المنطقة. ذلك ان عمليات الارهاب تؤدي حتما الى عمليات انتقامية. ان دور الارهاب والاعمال الانتقامية قد يكون من شأنها في رأي الولايات المتحدة تعريض احتمالات الوصول الى تسوية سلمية، بالتطبيق لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، ذاتها للخطر. ان النشاط الارهابي الذي تؤيده او تسمح به بعض الحكومات، والاعمال الانتقامية التي تثيرها تشكل خرقا خطيرا لقرارات مجلس الامن بشأن وقف اطلاق النار.

٢ ــ تثير الابلاغات السوفياتية من جديد مسألة قبول اسرائيل لقرار ٢٢ نوفمبر

واستعدادها لتنفيذه . ومن جهة نظر . الولايات المتحدة، فأن اسرائيل تقبل القرار وتوافق على تنفيذه بواسطة الاتفاق.

ويبدو واضحا أن العرب يفسرون هذه العبارات بطريقة مختلفة عن الاسرائيليين. ومن وجهة نظر الولايات المتحدة، فانه يتعين على الاطراف الان ان يسلكوا سبيل توضيح مواقفهم حول المسائل الموضوعية الرئيسية بدلا من الاستمرار في مناقشة هذه النقطة. وتأخذ الولايات المتحدة المشروع المقدم الينا من الوزير المفوض السوفياتي تشريناكوف في ٢٠ ديسمبر كاشارة على موافقة السوفيات على هذا الموقف.

٣ ـ يطيب لحكومة الولايات المتحدة أن تلاحظ أن الحكومة السوفيتية تعتبر أن النقاط التي عرضها وزير الخارجية دين راسك على وزير الخارجية محمود رياض تتضمن اعتبارات بناءة. الا انها تود أن تؤكد أن جميع النقاط التي عرضها وزير الخارجية الامريكية، بما في ذلك بصفة خاصة تلك التي تتعلق بالانسحاب الاسرائيلي، كانت تقوم على أساس افتراض ان الانسحاب سيكون جزءا من تسوية يتفق عليها بين الاطراف من شأنها ان تؤدي الى سلام عادل ودائم في المنطقة. وان الولايات المتحدة لا تتفق مع وجهة النظر الواردة في الابلاغ السوفيتي من أن الجمهورية العربية المتحدة قد ردت بطريقة ايجابية على ملاحظات وزير الخارجية راسك. وكانت تتوقع ان تكون الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لان تتحرك لتوضيح موقفها أكثر مما أرادت ان تفعل حتى الآن.

٤ ـ ان كلا الابلاغين السوفياتيين في ١٩ ديسمبر وفي ٣٠ ديسمبر ١٩٦٨ يسيئان تاويل وجهة النظر الامريكية فيما تعنيه الاشارة الاسرائيلية الى اتفاقيات الهدنة كما وردت في مذكرة وزير الخارجية ايبان الى السفير يارينج في الرابع من نوفمبر ١٩٦٨. ان اتفاقيات الهدنة قد نبهت بوضوح أن خطوط الهدنة ليست بحدود سياسية نهائية وانما يمكن أن تتعدل بالاتفاق في المرحلة الانتقالية من الهدنة الى حالة السلام الحقيقي. وكما أكدت الولايات المتحدة في بيانها في ٢٩ سبتمبر ١٩٦٨، فان لب السياسة الامريكية منذ الخامس من نوفمبر ١٩٦٧ هو أن هذا الانتقال ينبغي ان يتم وسياسة الولايات المتحدة باقية على ذلك في هذا الشأن. وفي نفس الوقت، فأنه كان ولا يزال من سياسة الولايات المتحدة، وكما ذكر الرئيس جونسون في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٨، ان الحدود الآمنة المعترف بها المنصوص عليها في قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، لا يمكن ولا يجب ان تعكس ثقل الغزو. ويعكس قرار مجلس الامن هذه المبادىء عندما يطالب باقامة سلام عادل ودائم ولكن لا يرد في القرار على وجهة التحديد انه يتعين ان تكون الحدود الآمنة المعترف بها التي تنسحب اليها القوات الاسرائيلية مطابقة للخطوط السابقة للخامس من يونيو ١٩٦٧ أو أي تاريخ أخر. ومن جهة نظر الولايات المتحدة، فان ما استهدفه القرار أساسا هو التوصل من هذا الانتقال الى حالة سلام والاتفاق بين الاطراف على عناصرها وليس العودة الى الوضع القائم سابقا. وان الولايات المتحدة لعلى اقتناع من ان استمرار حالة الهدنة المخلخلة للعشرين عاما التي مضت سيكون عبئا على السلام العالمي. وأنه لا يمكن للولايات المتحدة ان تتحدث باسم اسرائيل، ولكن نعتقد انه من الاهمية ان تبدي وجهة نظرها هذه واضحة للحكومة السوفياتية في هذا الموضوع.

٥ ـ تبدي الحكومة السوفيتية فيما ابلغته في ٣٠ ديسمبر ١٩٦٨ ان «المشكلة

الاساسية» في تسوية الشرق الاوسط هي انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية التي تحتلها وفقا لقرارات وقف اطلاق النار الى خطوط الهدنة THE القائمة في ٥ يونيو ١٩٦٧. ان الولايات المتحدة لا تعتبر ذلك هو التفسير الصحيح لقرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٨. وان اللغة الواردة في المذكرة السوفياتية لم يستعملها هذا القرار. والقرار من وجهة نظر الولايات المتحدة يتطلب انسحاب اسرائيل «من اراض احتلت في النزاع الاخير» FROM TERRITORIES IN THE RECENT CONFLIT الى حدود آمنة ومعترف بها يتم اقامتها باتفاق الاطراف تطبيقا للفقرة (٣) من القرار. ونحن نعتقد ان هذا هو ما تعنيه الفقرة الثانية من المشروع السوفياتي المسلم للولايات المتحدة في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٨.

٦ ـ ويبدو هذا المشروع شكلا كاتفاق PROVISIONAL AGREEMENT لعقد اي اتفاق بين الاطراف يتناول المسائل المحددة في قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧. ويطالب صراحة هذا الاتفاق المؤقت بمزيد من المشاورات بين الاطراف، يرتبها السفير يارينج، بحيث يمكن التوصل عن طريقها الى النصوص النهائية للاتفاق الختامي FINAL AGREEMENT الذي تتطلبه الفقرة الثالثة من القرار وتجد الولايات المتحدة ان فكرة الاتفاق التمهيدي PRELIMINARY PLAN او تفاهم UNDERSTANDING بين الاطراف قد تمكن السفير من عقد اجتماعات مثمرة مع الاطراف ومن مساعدتهم في الوصول الى اتفاق على مشروع نهائي DEFENSIVE PLAN لتنفيذ جميع نصوص قرار مجلس الامن وكذلك على جدول زمني متفق عليه لتنفيذ مثل هذا المشروع. وترى الولايات المتحدة انه يتعين ان يتضمن الاتفاق الذي يستهدفه المشروع جميع عناصر التسوية بين اسرائيل وكل جيرانها، ككل A PACKAGE DEAL وذلك قبل اتخاذ اية خطوات لوضع التسوية موضع التنفيذ.

٧ ـ وقد وجدت الولايات المتحدة عند تحليلها للمشروع السوفيتي بعض المشاكل من حيث التفسير اللفظي للنصوص. وعلى سبيل المثال فان الفقرة الثانية تتكلم عن نصوص يتفق عليها بشأن الحدود الآمنة المعترف بها (مع ارفاق الخرائط المقابلة)، في حين ان الفقرة الرابعة تتضمن الاشارة الى الانسحاب الى خطوط الهدنة القائمة في ٥ يونيو سنة ١٩٦٧، كما ان الفقرة الثانية تسلم بامكانية قيام المناطق المنزوعة السلاح كما ورد في القرار، ولكن الفقرة الرابعة تدعو الى دخول القوات العربية الى ارض تنسحب منها اسرائيل، وتشير الفقرة الرابعة الى اعادة الحالة على الحدود بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة الى ما كانت عليه في مايو ١٩٦٧. الا ان هذه الحالة في نظر الولايات المتحدة كانت السبب المباشر للحرب. وتدعو ديباجة المشروع السوفياتي الى حالة سلام وليس الى حالة هدنة. كما لا ترد في الفقرة الرابعة اية اشارة الى حرية الملاحة للسفن الاسرائيلية في قناة السويس وتوحي الفقرة الخامسة بأنه يتعين ان يتم انسحاب قوات اسرائيل قبل ان تصبح الالتزامات التي تعهدت بها الحكومات العربية ملزمة لها. ويبدو هذا الاجراء غير متوافق مع الفقرة الثانية التي تسلم بمبدأ تسوية «ككل»، وكذلك مع الفقرة الثانية من الافتتاحية «الديباجة» التي تسلم بالحاجة الى اتفاق على مشروع لتنفيذ النصوص الاخرى الواردة في قرار مجلس الامن وذلك في نفس الوقت الذي يتم فيه الاتفاق على جدول زمني واجراءات انسحاب اسرائيل.

٨ ـ والولايات المتحدة على استعداد لمناقشة الشكل الذي تضمن فيه

الحكومتان وجهات نظرهما حول كيفية تحقيق اتفاق «ككل» بين الاطراف يتم التفاوض بشأنه تفصيلا بين الاطراف عن طريق الاجتماع بالسفير يارينج وليس بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

٩ ـ تتفق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على أنه، وان كان يتعين على كلتا الحكومتين بذل كل ما في وسعهما لمساعدة السفير يارينج والاطراف للتوصل الى اتفاق، لا يمكن لهما ان يفرضا السلام ولن تكون إقامة السلام عن طريق اتفاق الاطراف. وليس لدى الولايات المتحدة اي اعتراض على جدول زمني يتفق عليه لانسحاب اسرائيل، اذا ما كان مثل هذا الجدول الزمني جزءاً من الاتفاق بين الاطراف. وهي ترى ان جدولا زمنيا لتنفيذ الاتفاق بين الاطراف يجب أن يكون من بين المسائل التي يتناولها السفير يارينج معهم.

الا ان الولايات المتحدة ترى التزاما عليها هنا ان تبدي تعليقها على مشكلتين تتعلقان بالامن اثارتهما الابلاغات السوفيتية.

١٠ ـ ان الفقرة الثانية من الابلاغ السوفيتي بتاريخ ١٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨، تشير الى ما أبدته الولايات المتحدة في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ بشأن مطالب اسرائيل الاقليمية تجاه الجمهورية العربية المتحدة، ونلاحظ ان اسرائيل قد أثارت «مسألة ضرورة تواجد قواتها في شرم الشيخ». وفي نظر الولايات المتحدة، فانه يتعين أن تكون عملية التوصل الى اتفاق وتحقيق تسوية سلمية مقبولة،كما جاء في قرار ٢٢ نوفمبر١٩٦٧،عن طريق التفاوض MOST INVOLVE NEGOTIATION حول وسائل تنفيذ كافة عناصر التسوية، كما ورد في هذا المشروع، بما في ذلك الضمان للحقوق الملاحية المشار اليها في الفقرة الثانية (من القرار وينبغي ان يراعى بوضوح ان نزاع يونيو ١٩٦٧ وقد أطلقته مسألة حقوق المرور عبر مضائق تيران. ولا سبيل لامكان تحقيق أملنا في السلام الا باقصى قدر من الترتيبات الامنية لضمان هذه الحقوق. ويكون للاطراف ـ بالاشتراك مع السفير يارينج ـ الاختيار من بين الوسائل الممكنة لتنفيذ الفقرة (أ) من قرار مجلس الامن.

١١ ـ وبالنسبة لنزع سلاح سيناء، فان القرار المحتمل حول هذه النقطة يتوقف أيضا على الاطراف أنفسهم. ومع ذلك تجد الولايات المتحدة أنه من الصعب عليها ان تقتنع ان نزع السلاح الجزئي كما يقترح الاتحاد السوفياتي يوفر شروط الامن اللازمة لاقامة السلام، لقد بدأت حرب عام ١٩٦٧ كنتيجة مباشرة للاحداث في سيناء، كما أدى النشاط في هذه المنطقة الى نشوب أعمال القتال عشرة أعوام من قبل. وأمام هذا التاريخ، فأنه من الصعب ان نرى كيف يمكن ان يقوم السلام الدائم على مجرد نزع سلاح جزئي لهذه المنطقة الحساسة.

١٢ ـ وتستمر الولايات المتحدة على اعتقادها بان تفاهما بشأن مستويات التسلح والحد من الاسلحة لهو جانب حيوي لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وهي تستمر في الاعراب عن أسفها للسياسة السوفياتية في هذا الخصوص وتحث على اعتبار هذه المسألة عنصر لا غنى عنه في التسوية السلمية لأزمة الشرق الاوسط».

تحركت مصر فور تلقيها معلومات رسمية من رئيس بعثة المصالح الاميركية في مصر المستر دونالد بيرجس تضمنت نص هذه المذكرة بالاضافة الى التوضيحات التي قدمتها اميركا الى مصر، وعدد من الدول العربية المعنية، تحاول فيها ان تدافع عن موقفها.

كانت المذكرة الاضافية التى فسرت بها اميركا موقفها تتلخص في النقاط الآتية:

١ ـ انه لا يمكن التوصل الى سلم دائم ومستمر في المنطقة الا بموافقة الاطراف كما انه لا يمكن فرض حل من الخارج.

٢ ـ أكدت الخارجية الامريكية انها لا تؤيد اطلاقا استمرار احتلال اسرائيل لشرم الشيخ. وانها على العكس تسعى الى البحث عن الوسائل التي تتضمن حرية الملاحة في شرم الشيخ على أن يتم ذلك بموافقة الاطراف باتفاقهم مع السفير جونار يارينج.

٣ ـ أن الولايات المتحدة تؤكد بشكل قاطع أن اي اتفاق يتوصل اليه الاطراف لا يجوز ولا يصح ان يعكس اغتصاب الاراضي بالقوة.

٤ ـ أن الولايات المتحدة تعتقد انه من الضروري ان يكتمل للملاحة الحرية التامة سواء في خليج العقبة او في قناة السويس كما ورد في قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧.

٥ ـ تعتقد الولايات المتحدة انه يمكن التوصل الى ذلك كجزء من «اتفاقية تعاقدية» CONTRACTUAL AGREEMENT اي ان امريكا لا تقترح تواجد قوات الامم المتحدة في قناة السويس.

وفي يوم ١٩ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٩، بعد ان درست مصر مذكرة الرئيس جونسون وتفسيرات الخارجية الاميركية شهدت وزارة الخارجية المصرية اكبر نشاط دبلوماسي باجتماع دعا اليه محمود رياض حضره جميع السفراء العرب، وأبلغهم نص مذكرة الاتحاد السوفياتي الى جونسون، ورد جونسون على المقترحات السوفياتية، ورأي القاهرة في الموقف الاميركي. واستدعى وكيل الخارجية السفير صلاح جوهر سفراء الدول الاعضاء في مجلس الامن بينما استدعى محمود رياض في المساء سفيري فرنسا والاتحاد السوفياتي وقامت وزراة الخارجية بتحديد موقف مصر، وتعليقها على الرد الاميركي.

وصفت مصر مذكرتها بأنها مجرد ملاحظات اولية على الرد الاميركي حددت فيها اعتراضاتها على هذا الرد.

وهذه هي ملاحظات مصر الاولية على الرد:

جاء رد الولايات المتحدة اسوا بكثير مما كنا نتوقع لانه أظهر انحياز الولايات المتحدة الكامل لأسرائيل.

وملاحظاتنا عليه هي:

١ ـ انحياز كامل للعدوان الاسرائيلي وهذا يعيد للاذهان موقف الحكومة الاميركية في ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما رفضت ادانة العدوان الاسرائيلي بالرغم من انها ابلغتنا رسميا بمذكرة قدمها لنا السفير الأمريكي يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ اي قبل العدوان الاسرائيلي ببضعة أيام انها ستعارض بحزم اي عدوان عسكري تقوم به أي دولة في المنطقة وذلك داخل الامم المتحدة وخارجها. كما اكدت لنا الحكومة الامريكية في هذه المذكرة ان الولايات المتحدة ترى ان اتفاقيات الهدنة هي افضل وسيلة للمحافظة على السلام في المنطقة.

٢ ـ ويتبين لنا من موقف الحكومة الامريكية عدم التزامها بسياستها التي أبلغتها لنا رسميا قبل العدوان الاسرائيلي.

٣ ـ تجاهلت الولايات المتحدة في ردها القضية الفلسطينية ولم تشر في مذكرتها بكلمة واحدة الى حقوق الشعب الفلسطيني او عن رايها في كيفية حل مشكلة اللاجئين.

٤ ـ أطلقت الحكومة الامريكية تعبير الارهاب العربي على كفاح الفلسطينيين عن قضيتهم ومقاومتهم النبيلة للعدوان الاسرائيلي، واعتبرت ان المقاومة الباسلة التي يقوم بها الفلسطينيون هي العائق الاساسي في اقرار السلام متجاهلة بذلك عدوان اسرائيل على الدول العربية.

٥ ـ جاء في الرد الامريكي ان اسرائيل قبلت بقرار مجلس الامن. والواقع انه لم يعد مقبولا الاستمرار في مثل هذا التلاعب بالالفاظ. ذلك ان اسرائيل كشفت أخيرا عن موقفها بصراحة تجاه قرار مجلس الامن عندما أعلنت عن نواياها في استمرار احتلال الاراضي العربية وضم هذه المناطق اقتصاديا لها في اية تسوية سلمية نهائية.

٦ ـ رفضت حكومةالولايات المتحدة حتى الآن ان تحدد موقفها بالنسبة للمواقع التي يجب ان تنسحب اليها اسرائيل. وهي تطالب الدول العربية ان تتفاوض مع اسرائيل حول مصير الاراضي العربية وحدود الدول العربية بحجة تامين سلامة اسرائيل وذلك في الوقت الذي تحتل فيه اسرائيل الاراضي العربية. بل أن رأي الولايات المتحدة هو عدم عودة اسرائيل الى خط ٥ يونيو ١٩٦٧ الذي بدأت منه العدوان.

٧ ـ ترفض المذكرة الامريكية ما اسمته «بفرض الحل» على دول المنطقة بينما المطلوب من الدول الكبرى مواجهة مسؤولياتها طبقا لميثاق الامم المتحدة وذلك باتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذ قرار مجلس الامن الذي ترفض اسرائيل تنفيذه.

٨ ـ لم ترفض الولايات المتحدة احتلال اسرائيل لشرم الشيخ في التسوية النهائية بل اعتبرت هذا الموضوع من المسائل التي يجب مناقشتها لضمان حرية الملاحة في خليج العقبة.

٩ ـ تتحدث الولايات المتحدة في مذكراتها بصراحة انها ترى نزع سلاح سيناء بالكامل وان نزع السلاح الجزئي لسيناء غير كاف بحجة ان سيناء كانت مصدرا للعدوان عامي ١٩٦٧ و ١٩٥٦. ولا تتحدث المذكرة الامريكية عن نزع سلاح النقب او جزء منه.

١٠ ـ أشارت المذكرة الى الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس والى نزع سلاح سيناء وتامين حدود اسرائيل عن طريق التفاوض مع الدول العربية ولم تشر الى انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية والقدس ومرتفعات الجولان السورية وقطاع غزة.

١١ ـ يلقي الرد الامريكي بالمزيد من الصعوبات أمام مهمة يارينج ويحول دون تحركه في المستقبل من اجل تحقيق التسوية السلمية.

الجزء الثاني

عبد الناصر . . .
من روجرز الى الحرب

١ ـ ديجول والازمة... وازمة ديجول

بعد الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت الدولي، أوضح الجنرال ديجول مؤكدا مرة أخرى موقف بلاده من رفض العدوان، وجاءت رسالة مع اوائل عام ١٩٦٩ من السفير المصري في باريس السيد حافظ اسماعيل الى الرئيس جمال عبد الناصر، تؤكد له ان الرئيس ديجول «يعتبر أنه بالرغم من اعتدال الموقف المصري الا انه ابعد ما يكون عن الاستسلام والتنازل، وأن فرنسا ترى ضرورة استمرار مهمة يارينج، وان اسلوب دعم المبعوث الدولي لا يمكن ان يكون قاصرا على التعاون الثنائي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، بل لا بد من اشتراك الدول الاربع الكبرى في مسؤولية دعم السلام في العالم وفي الشرق الاوسط بالذات».

تلقى الرئيس عبد الناصر معلومات السفير حافظ اسماعيل باهتمام بالغ، وكانت أمامه الرؤية الواضحة للموقف:

١ ــ جاء اندريه جروميكو الى القاهرة في ٢١ ديسمبر(كانون الاول)عام ١٩٦٨ يحمل معه مشروعا سوفياتيا لحل الازمة.

٢ ــ وافقت مصر على المشروع الذي تقدم به جروميكو وعاد به الى موسكو يوم ٢٤ ديسمبر، ليكلف الاتحاد السوفياتي القائم بأعماله في واشنطن ابلاغ هذا المشروع الى الرئيس ليندون جونسون في الوقت الذي وافقت عليه مصر.

٣ ــ رفضت الولايات المتحدة المشروع السوفياتي، وقدمت ردا على المشروع، اعتبره الرئيس جمال عبد الـ اصر بمثابة «انحياز للموقف الاسرائيلي».

٤ ــ غادر يارينج منطقة الشرق الاوسط عائدا الى موسكو منتظرا الدعم من السوفيات والاميركان ولكنهما لم يستطيعا الاتفاق على شيء.

٥ ــ قامت اسرائيل بغارات على مطار بيروت، وعلى الاردن، ثم هاجمت نجع حمادي.

٦ ــ بدأت مصر تستعد لحرب استنزاف طويلة الاجل، في غياب تحرك دبلوماسي، انتظارا لاعادة بناء القوات المصرية، وتنظيم الصف العربي، قبل الخوض في معركة حاسمة مع الجيش الاسرائيلي.

كان الرئيس نيكسون يدخل البيت الابيض في ١٥ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٩، ولاول مرة استعداداً للبقاء فيه فترتين تمتدان حتى عام ١٩٧٦، ويحتار الرئيس الاميركي المحامي الذي كان يعمل في مكتبه، ويليام روجرز، ليكون وزيرا لخارجيته ويتخلص من اسرة روستو، وجولدبرج، ويمهد لصفحة جديدة في علاقاته مع العالم، ومع الشرق الاوسط، وبالذات بانهاء حرب فيتنام وتغيير صورة الوجه الاميركي القبيح التي ساهم ليندون جونسون في ترسيخها .

بعد اتصالات بين ديجول والرئيس عبد الناصر، تقدم الرئيس الفرنسي باقتراح محدد في ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩، بعد يومين من تولي الرئيس نيكسون مسؤولية الحكم يعلن فيه أن فرنسا طلبت الى الدول الكبرى (الاتحاد السوفياتي ـ الولايات المتحدة ـ بريطانيا ـ فرنسا) الموافقة على عقد اجتماع يضم رؤساء وفود هذه الدول في نيويورك لبحث ازمة الشرق الاوسط.

وأوضح ديجول في رسالة الى القاهرة عن طريق سفارتي البلدين أنه يتوقع بعد انتهاء معركة الانتخابات الرئاسية في اميركا، ان الرئيس الجديد ريتشارد نيكسون سيكون في وضع أفضل يسمح له باتخاذ خطوات اكثر ايجابية بالنسبة لمشاكل العالم، وفي مقدمتها مشكلة الشرق الاوسط.

رحبت مصر بهذا الاقتراح الفرنسي، وان كانت تجربة القاهرة مع واشنطن لا تبشر بكثير من الامل، وقد تأكد ذلك من ردود فعل الدول الكبرى من ناحية مبدأ قبول هذه الفكرة. ففي ٢١ يناير بعد ٤ أيام رحبت موسكو بالاقتراح الفرنسي، وأنتظر نيكسون اسبوعا كاملا قبل ان يعلن عن «تعاطفه» مع الفكرة، وجاءت بريطانيا تعلن عن موافقتها في نفس الوقت الذي اعلنت فيه اميركا عن تعاطفها.... ولم توافق اميركا الا في الثالث من فبراير (شباط) بالرغم من تأييد يوثانت الكامل للاقتراح الفرنسي.

وبعد ما أعلن نيكسون عن موافقة اميركا على الاقتراح الفرنسي، أذاع أن بلاده ستلتزم بخمسة مبادىء بالنسبة لازمة الشرق الاوسط واختار فرصة عقد مؤتمره الصحفي الثاني يوم ٦ فبراير (شباط) ١٩٦٩ ليعلن «ان الاهتمام الراهن بالشرق الاوسط ينبعث عن حقيقة واضحة، وهي ان هذه المنطقة قد تنفجر فيها حرب كبرى».

اراد نيكسون ان يحتفظ لاميركا بعنصر المبادرة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط، وفي ظل موافقته على الاقتراح الفرنسي حدد موقف الولايات المتحدة من الازمة في المبادىء التالية:

١ ـ ان تؤيد اميركا تأييدا كاملا مهمة جونار يارينج مبعوث الامم المتحدة في الشرق الاوسط

٢ ـ ستجري مباحثات ثنائية في الامم المتحدة، تمهد للمحادثات الرباعية.

٣ ـ ستقوم اميركا بمحادثات مع دول الشرق الاوسط (اسرائيل والدول العربية).

٤ ـ ترغب اميركا في أن تمضي للعمل في مشروعات طويلة الاجل في المنطقة (مشروع ايزنهاور ـ شتراوس للتخفيف من حدة المشاكل الاقتصادية التي تواجه الشرق الاوسط.)

٥ ـ يجب ان تكون المبادرة متعددة الاطراف، ولا تقتصر على اتجاه واحد، وان تنظر اميركا في كل طريق يؤدي الى السلام.

كان من الواضح ان نيكسون بهذه المبادىء، اراد الا يرفض الاقتراح الفرنسي من جهة. ويحتفظ لاميركا بحق اجراء اتصالاتها مع دول المنطقة ملوحا بمشروعات اقتصادية تستفيد منها شعوب الشرق الاوسط دون ان يحددها ومحتفظا بضرورة اجراء حوار ثنائي بينه وبين الاتحاد السوفياتي يتناول كل المشاكل العالمية. بحيث يكون اتفاق العملاقين بداية لتحقيق سياسة الانفراج الدولي، عن طريق التفاهم المباشر بينهما، وللوصول الى

اتفاق بينهما على المشاكل الكبرى وفي مقدمتها حظر انتشار الاسلحة النووية، والحد منها، والتمهيد للوفاق الدولي الذي لاحت الفرص أمام تحقيقه بعد تسوية المشكلة الفيتنامية.

كانت فلسفة نيكسون في ذلك الوقت ان تكون علاقاته ممتازة مع فرنسا، ومع الجنرال ديجول بالذات، قبل ان يتخذ قراره بالاتجاه نحو لقاء قمة مع الاتحاد السوفياتي، باعتبار ان تحديد نقط الخلاف مع فرنسا، ومحاولة القضاء عليها، سيعطيان للرئيس الاميركي الجديد فسحة من الوقت، تسمح له بمحاولة الدخول في حوار جدي مع موسكو. وجاء اعلان نيكسون عن مبادئه الخمسة قبل سفره الى باريس في لقاء للقمة مع ديجول الذي تم يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٦٩ وأعلن نيكسون فور وصوله الى العاصمة الفرنسية: «يجب على اميركا وفرنسا ان تسعيان معا وتبدآن رحلة طويلة سعيا وراء تحقيق سلام دائم». وبعد اجتماع استمر ٦ ساعات بين نيكسون وديجول يوم اول مارس (أذار)، في قصر فرساي، أعلن الجانبان «ان الرئيسين تناولا بالبحث المشكلات العالمية، وان مشكلة الشرق الاوسط كانت اول مشكلة تناولاها بالبحث».

بالرغم من جو المودة والصداقة والترحيب الذي ساد استقبال ديجول للرئيس نيكسون قال السفير روبرت ماكلوسكي المتحدث باسم وزارة الخارجية الاميركية عقب هذه الزيارة التي استمرت من ٢٨ فبراير (شباط) الى ٣ مارس (اذار) ١٩٦٩:

«... ان اجتماع نيكسون مع الرئيس ديجول لم يسفر عن تغيير موقف اميركا من ان المحادثات الثنائية ينبغي ان تسبق اجتماع الدول الاربع الكبرى لبحث مشكلة الشرق الاوسط، وسوف تستمر المحادثات الثنائية الى أن ترى الولايات المتحدة ضرورة تستدعي اجتماع ممثلي الدول الاربع، ولذلك فان محادثات الرئيس الاميركي مع الرئيس الفرنسي قد عززت الجهود التي تبذل لعقد اجتماع رباعي في الامم المتحدة لبحث ازمة الشرق الاوسط».

وفي نفس الوقت اكدت الخارجية الفرنسية «... ان الخلافات بين اميركا وفرنسا جوهرية، ولا يمكن حلها بسهولة، وان التقدم الوحيد الذي حدث هو الاتفاق من حيث المبدأ على التعجيل بالمحادثات الرباعية».

وأتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قراره بايفاد الدكتور محمود فوزي مساعده للشؤون الخارجية في جولة يطوف خلالها بأكبر عواصم العالم. وذهبت للقاء الدكتور فوزي قبل ان يبدأ جولته.

قال لي الدكتور فوزي «هذه الجولة التي اقوم بها هي رحلة اتصال مع دول العالم، ونحن نسبح عكس التيار، والتيار جارف وعارم ومندفع ولذلك فنحن نحاول دائما ايجاد تقارب ذهني وحضاري بيننا وبين الدول الكبرى باعتبار ان التزام هذه الدول بتحمل مسؤولية حفظ الامن والسلام، هو الاسلوب الدبلوماسي الذي يحتم عليها ان تمارس هذه المسؤولية من الضغط على اسرائيل من اجل احترام المواثيق الدولية وقرارات الامم المتحدة».

وأوضح لي الدكتور فوزي الموقف المصري كالآتي:

١ ــ نحن نفضل ان يكون التشاور رباعيا. ونرحب بتوسيع دائرة التشاور بحيث

يشمل الدول الاعضاء في مجلس الامن، ليس فقط الدول الاربع الكبرى، بل كل اعضاء المجلس.

٢ ــ بعد انتهاء مشاوراتنامع الدول الكبرى، ننتقل الى مرحلة التشاور مع الدول الاخرى الاعضاء في مجلس الامن.

وكان مجلس الأمن، عندما دار هذا الحديث في الثالث من مارس عام ١٩٦٨ مؤلفا من الدول الخمس الكبرى بما فيها «الصين الوطنية ــ فرموزا». وكانت الدول غير الدائمة في عضوية المجلس هي اسبانيا وبلجيكا وباراجواي وكولومبيا وزامبيا والسنغال والجزائر وفنلندا والمجر وباكستان.

كان الرئيس عبد الناصر على ضوء معلومات سفارتنا في باريس، يتتبع الجهد الذي يبذله الرئيس ديجول من اجل اخراج الازمة من الطريق المسدود الذي وصلت اليه. وفي الثالث من مارس ١٩٦٩ عقد اجتماعا طويلا مع مساعده للشؤون الخارجية الدبلوماسي المحنك الدكتور محمود فوزي ووضع فوزي أمام الرئيس تصوره لمرحلة العمل المقبلة، في ظل الظروف المتغيرة بعد البيان الذي اصدره الجنرال ديجول وينادي فيه بضرورة تشاور الدول الاربع الكبرى من أجل ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط وبعد انتخاب نيكسون رئيسا للجمهورية وزيارته لباريس.

وأصدر الرئيس عبد الناصر قراره بايفاد مساعده للشؤون الخارجية الدكتور محمود فوزي يحمل رسائل الى الجنرال ديغول في باريس، وهارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا، والجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية.

وفي فندق «الكرايون» بباريس يوم ٤ مارس (آذار) دار حديث طويل بيني وبين الدكتور محمود فوزي، رجل الدبلوماسية الصامت، الذي لم يسمح في ذلك الوقت بنشر حديثه مكتفيا بأن يكون كلامه مجرد أرضية صالحة لفهم الموقف المصري.

كان من الضروري أن تتصل مصر بالدول الكبرى، ومع أميركا أيضا، ثم تتصل باسبانيا وبلجيكا، وبقية الدول الاخرى التي تمثل أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية في مجلس الامن.

وصل الدكتور محمود فوزي الى باريس يوم ٤ مارس (آذار) واستقبله الرئيس الفرنسي شارل ديجول في اليوم التالي، وقبل ان يلتقي فوزي بالرئيس الفرنسي اجتمع بسفراء الدول العربية في باريس، ودار حديث طويل وتحليل للموقف الفرنسي اشترك فيه سفراء هذه الدول في العاصمة الفرنسية.

وفي الوقت الذي وصل فيه فوزي الى باريس، استمعنا الى حديث طويل أدلى به ميشيل دوبريه وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت عن نتائج محادثات ديجول مع نيكسون.

قال دوبريه «ان الاتفاق الوحيد الذي يمكن أن نقول أنه تم بين الرئيس ديجول والرئيس نيكسون هو التقاء وجهات نظرهما حول أهمية وضرورة مناقشة أزمة الشرق الاوسط فورا في نطاق الدول الاربع الكبرى... وقد قال ديجول لنيكسون: ان الولايات

المتحدة لا تستطيع بمفردها أن تتولى حل أزمة الشرق الاوسط اذ لا بد وأن تجري مشاوراتها مع الدول الاوروبية الغربية ومع الدول الاوروبية الاخرى أي باشراك الاتحاد السوفياتي وفرنسا وبريطانيا». وحدد دوبريه الموقف الفرنسي مؤكدا ان «وجود تحالف بين فرنسا وأميركا، داخل التحالف الغربي، وتشابه موقفهما بالنسبة لبعض المشاكل، لا يعني انحيازا فرنسيا للموقف الامريكي وتبعية لها في كل المواقف السياسية والعسكرية والاقتصادية... ان الشعب الفرنسي يتتبع المشاكل الدولية، ولكن البعض يتصور أن واشنطن وموسكو وبكين هي وحدها العواصم التي تشترك في رسم السياسة العالمية... ان فرنسا تعتقد ان اوروبا تشارك ايضا في هذا العمل». وأكد دوبريه ان هذه السياسة ليست مرتبطة بموقف الرئيس الفرنسي شارل ديجول وحده، وليست مرهونة بوجود او اختفاء شخصيات معينة من المسرح السياسي الفرنسي، اذ ستظل فرنسا الحليف الجدير بالاعتماد عليه لهؤلاء الذين يريدون تحقيق السلام في العالم».

وأضاف دوبريه «ان موضوع اسرائيل لم يكن موضع تشاور بين الرئيس ديجول ونيكسون اذ ان موقف فرنسا من أزمة الشرق الاوسط هو موقف خاص ومنفرد فقد كانت المورد الوحيد والاساسي للاسلحة التي تقدمها لاسرائيل، وقد أصبحت الآن مشكلة الشرق الاوسط هي مشكلة سلام العالم كله».

فور وصول الدكتور محمود فوزي الى العاصمة الفرنسية، عقد مجلس الوزراء الفرنسي اجتماعا خاصا برئاسة كوف دي مورفيل رئيس الوزراء لبحث نتائج زيارة نيكسون لباريس، وقدم ميشيل دوبريه تقريرا الى المجلس عن هذه المحادثات التي تناولت مستقبل العلاقات الفرنسية ـ الاميركية وموقف الدولتين من مشكلة الشرق الاوسط وفيتنام. وأعلن وزير الاعلام الفرنسي عقب هذا الاجتماع «بأن الرئيس الفرنسي بحث موضوع الشرق الاوسط مع الرئيس الاميركي واننا شعرنا بأن الجانب الاميركي لم يكتف فقط بتفهم وجهة النظر الفرنسية في هذه المشكلة والتي تطالب باجتماع ممثلي الدول الاربع الكبرى والتعجيل بهذا الاجتماع، بل نحن نعتقد بأن الرئيس نيكسون يؤيد فكرة اجتماع الاربعة».

نتيجة هامة اسفرت عنها محادثات نيكسون مع ديجول، كما قال الرئيس الفرنسي لوزير خارجيته الذي قام بابلاغ هذه النتيجة الى محمود فوزي وهي «ان العلاقات الشخصية بين ديجول ونيكسون سوف تزداد عمقا في خلال مقابلاتهما المقبلة وان هذه العلاقات من الممكن ان تستمر في نفس الجو من التفاهم والعمق».

ذهب الدكتور محمود فوزي الى قصر الاليزيه يوم ٥ مارس (آذار) في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ليلتقي بعملاق فرنسا شارل ديجول الذي وصفه الدكتور فوزي بأنه «علم من أعلام التاريخ، وهو رجل له ثقة بنفسه وببلده لا حد لها... ان ديجول رجل له حس مرهف. يهتم جدا بالمنهج بقدر اهتمامه بالموضوع ويسعى دائما الى التوفيق بين المنهج والموضوع، ويستطيع أن يوفق بين المثل الاعلى الذي يؤمن به والمنفعة الواقعية التي يريدها لشعبه».

وروى الدكتور فوزي أنه التقى بالمفكر أندريه مالرو وزير ثقافة فرنسا في ذلك الوقت، وكان مالرو يتحدث عن مدى ثقة ديجول بنفسه وبلده، فقال ان ديجول ذهب الى بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، وكان ديجول يرأس «حركة فرنسا الحرة» وكان بمفرده يعاونه بعض المخلصين ومن بينهم مالرو، يبحث في تنظيم حركة تحرير فرنسا من الاحتلال النازي، وكان ذلك يبدو حلما بعيد التحقيق. فقد استسلمت حكومة الجنرال بيتان، وتعاونت مع النازي وانشغلت بريطانيا بمواجهة الهجوم الالماني عليها.

وتقدمت الحكومة البريطانية بمذكرة الى شارل ديجول في لندن، وبدأ ديجول في قراءة المذكرة، وبعد أن انتهى منها، دق على المائدة وقال: «ان فرنسا لا تقبل هذه المذكرة»، وأندهش البريطانيون عندما سمعوا ديجول يتحدث عن فرنسا. فقد جاء الى بريطانيا بمفرده وظلام الاحتلال يسيطر على كل بلاده وحركة المقاومة لم تبدأ بعد.

وعندما انتهى الاجتماع سأل اندريه مالرو ديجول قائلا «سيدي الجنرال لقد قلت ان فرنسا ترفض المذكرة... أين هي فرنسا التي تتحدث عنها».

قال ديجول «أنا فرنسا، وفرنسا أنا».

كان ديجول يشعر أن كل كلمة يقولها هي التعبير الصادق عن المبادىء التي لا بد وأن يؤمن بها كل فرنسي، واذا كان لا يؤمن بها فهو ليس جديرا بأن يكون فرنسيا.

كان الدكتور فوزي يروي بعض ذكرياته عن ديجول وسيارته الستروين التي يرتفع عليها علم الجمهورية العربية، يرفرف على مقدمتها، في طريقه الى قصر الاليزيه ليجتمع بالجنرال ديجول لمدة ٤٥ دقيقة. وحرص الرئيس الفرنسي على أن يكون الاجتماع قاصرا عليهما.

دخل فوزي قصر الاليزيه ليجلس مع الجنرال ديجول يستعرضان موقف فرنسا من الازمة، ورأي القاهرة الذي جاء يعرضه مبعوث الرئيس عبد الناصر في اول لقاء رسمي بين البلدين، اذ لم يتح العمر لديجول ولعبد الناصر ليحققا هذا اللقاء المباشر بينهما. وشكر الدكتور فوزي الرئيس ديجول باسم مصر وشعبها ورئيسها على موقفه النبيل والحاسم من أزمة الشرق الاوسط، وعرض فوزي تصور الرئيس عبد الناصر لطبيعة المرحلة القائمة مؤكدا الآتي:

١ ــ ان القاهرة وهي تفضل أن يكون اجتماع نيويورك رباعيا الا انها تتمنى توسيع دائرة التشاور لتشمل كل دول مجلس الامن.

٢ ــ انه من الخطأ أن نتصور أن القاهرة تطلب من الدول الكبرى فرض حل على المنطقة لتنفيذ قرار مجلس الأمن، اذ ان اتفاق هذه الدول على صيغة وأسلوب التنفيذ سوف يعقبه ويصاحبه اتصال بالدول المتنازعة، وستكون هذه الدول المتحاربة على علم بما يتم الاتفاق عليه في اطار مجلس الامن.

٣ ــ تسعى اسرائيل الى اثارة ما تسميه «بالحدود الآمنة» بمعنى ان هذه الحدود

تختلف عن حدود ٥ يونيو(حزيران)في حين أن الفقرة الاولى من فقرات قرار مجلس الامن تنص على أنه لا يجوز قبول مبدأ احتلال او كسب أراضي دولة اخرى عن طريق الحرب.

٤ ــ ان محاولة الضغط على يارينج للعودة الى منطقة الشرق الاوسط تقتضي تأييد الدول الكبرى مجتمعة له، وفي اتجاه واحد، وليس في اتجاهات مختلفة، بمعنى اتفاق هذه الدول، وليس باتخاذ مواقف متباعدة.

لم يكن حديث فوزي مع عملاق فرنسا قاصرا على الازمة بقدر ما تناول التصور للمستقبل. فقد دار حديث حول مستقبل قناة السويس ومشروعات التعدين في سيناء. ومشروع أنابيب البترول (السويس ــ الاسكندرية) واحتمالات وجود الغاز الطبيعي في سيناء وتحسين الانتاج في صناعات الاسمنت والفوسفات والسماد. وكان من أهم الموضوعات التي أثيرت مع ديجول ومساعديه مشروع اتفاق القاهرة الكبرى وشبكة المترو.

أراد الدكتور فوزي أن يمهد بهذا اللقاء الطريق أمام آفاق أرحب وأوسع مع دولة لها حجم فرنسا وأهميتها، ومع زعيم فرنسي له رؤيته العالمية للمشاكل، ونظرته الثاقبة لمستقبل البشرية كلها.

استمرت اجتماعات فوزي مع كوف دي مورفيل رئيس الوزراء واندريه مالرو وزير الثقافة وميشيل دوبريه وزير الخارجية بينما ظهرت في الجو بوادر أزمة سياسية حادة بين الحكومتين الفرنسية والاسرائيلية اذ خرج أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل ــ في تلك الحين ــ من تل أبيب، يوم لقاء ديجول مع الدكتور فوزي، بتصريحات هاجم فيها موقف فرنسا من اسرائيل، خلال محادثات ديجول مع نيكسون، فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط. وكان ديجول ذكر امام الدكتور فوزي، أنه ابلغ نيكسون «أن فرنسا لا تقبل الاعتراف بالوضع الحالي القائم في الشرق الاوسط (وهو وجود القوات الاسرائيلية في مواقعها التي كانت عليها) وأنها لا تعترف الا بالوضع الذي كانت عليه قبل ٥ يونيو (حزيران)». وقامت قائمة اسرائيل باعتبار ان هذا الموقف يؤكد تأييد فرنسا لكل محاولات استرداد الاراضي المحتلة، وبالتالي ــ كما تتصور اسرائيل ــ تشجيع جميع الاعمال الفدائية والقوات العسكرية لتقوم بتحرير هذه الاراضي.

كانت حكومة الرئيس ديجول ترى أن مجرد بدء ظهور حركة مقاومة فلسطينية في الاراضي المحتلة سيكون بداية طريق طويل من الكفاح لا يمكن القضاء عليه ــ اذ ان نمو حركات المقاومة هو نمو عضوي لا يتوقف، واذا بدأ ــ والمقاومة تبدأ بمجموعات من الشباب تقوم بعمليات عسكرية ــ في الوقت الذي تحاول القوات الدخيلة المحتلة للاراضي تأمين وتوفير المعيشة للشعب العربي، كان هذا الشعب سيتردد بين قبوله اسباب العيش وبين مقاومته لقوات الاحتلال لكنه في النهاية يجد نفسه وقد انضم الى صفوف حركة المقاومة، فتضاعف قوات الاحتلال انتقامها من الفدائيين والشعب المعادي لها. وهنا يحدث ما تسميه فرنسا «نقطة اللاعودة» عندما ينضم الشعب المتردد للمقاومة تقع القطيعة بين الشعب وقوات الاحتلال، ويتحقق الالتحام الكامل بين الشعب والمقاومة.

وقد حدثت مناقشة بين الجنرال بوفر قائد الحملة الفرنسية في حرب ١٩٥٦ وبين ايتان سفير اسرائيل في باريس، عندما حاول ايتان تصحيح بعض الوقائع للجنرال بوفر، الذي رد عليه بكل خشونة قائلا: «مسيو ايتان انني ارفض ان اتلقى درسا منك بالذات في حركة المقاومة».

وأثار فوزي مع الجنرال ديجول، ومع المسؤولين الفرنسيين المحاولات المستمرة التي تقوم بها اسرائيل من أجل «تهويد القدس» ، القرارات التي أصدرتها الامم المتحدة تعترض فيها على هذه الاجراءات الباطلة.

قبل أن ينهي الدكتور فوزي محادثاته في باريس كانت الحكومة الفرنسية تبلغه انها ارسلت تعليمات محددة الى رئيس وفدها في نيويورك ليتقدم باقتراح حكومة الرئيس ديجول بالبدء فورا في محادثات رباعية تضم رؤساء وفود الدول الاربع الكبرى في نيويورك.

استغلت اسرائيل هذا الموقف الفرنسي الواضح من الازمة لتحريك العناصر المؤيدة لها للتعريض بالجنرال ديجول، واثارة المشاكل الاقتصادية التي ظل يعاني منها، وسيظل يعاني منها الشعب الفرنسي، لتوجيه ضربة الى حكم الجنرال، وقاد جي موليه هذه الحملة ووجه نقدا شديدا للرئيس الفرنسي، الذي وصف حكمه بأنه «نظام لم يسبق له مثيل لان حكم الرجل الواحد الذي يسيطر على فرنسا الآن، لم تعرفه أيام الملوك والاباطرة وان حكم الاباطرة يتضاءل خجلا وتواضعا أمام سلطات وسيطرة رجل فرنسا الاوحد... (حكم الجنرال ديجول)»!

وبذل كوف دي مورفيل رئيس وزراء فرنسا، واحد كبار رجال الاقتصاد الفرنسي كل جهوده لاجل تفادي الازمة التي تهدد ديجول، والتي كان مبعثها في الظاهر سوءالحالة الاقتصادية، وشعر ديجول بأن فرنسا ترفض النظام الذي يريده لها فتقدم بطلب اجراء استفتاء شعبي أسفر عن تخلي ديجول عن مسؤولية الحكم بعد كفاح طويل (١) أعاد لفرنسا مكانتها، وبنى الاسس السليمة لتعاونها مع العالم العربي، ورفضها للتعبئة الاميركية.

---

(١) قدم الجنرال ديغول استقالته يوم ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٦٩ بعدما اظهرت نتيجة الاستفتاء انه لا يحظى بتأييد الاغلبية التي تسمح له بالاستمرار في الحكم.

٢ ـ فوزي في لقاء مع كابوت لودج

دخل الدكتور محمود فوزي مبنى السفارة الاميركية في باريس، وعبر الشارع الضيق الذي يفصل بين فندق كريون، ومقر السفارة في ميدان الكونكورد ليجتمع بالسياسي الاميركي هنري كابوت لودج الذي كان في مارس (آذار) عام ١٩٦٩ رئيسا للوفد الاميركي في مباحثات فيتنام. وكان فوزي قد زامله في العمل، أثناء رئاسة فوزي لوفد مصر في نيويورك، ورئاسة هنري كابوت لودج للوفد الاميركي خلال فترة حكم الرئيس الاميركي الراحل دوايت ايزنهاور بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧.

وجلس فوزي يتحدث الى كابوت لودج، وهو يتطلع الى المسلة المصرية التي تتوسط ميدان الكونكورد أكبر وأشهر ميادين العاصمة الفرنسية، وبعد لقاء استمر ساعة ونصفا، عاد فوزي الى فندق كريون ليقيم عشاء عمل تكريما لزميله الاميركي، وذلك يوم ٧ مارس (آذار) عام ١٩٦٩، قبل ان يغادر فوزي باريس الى لندن.

كان نيكسون يتولى مسؤوليات عمله الجديد، وكان من الضروري ان تكون مصر على اتصال بالجانب الاميركي في اطار اتصالاتها مع الدول الاعضاء الدائمين في مجلس الامن، وكان فوزي قد وجد الجو مناسبا للقاء مع زميل قديم للحديث كما يقول فوزي «عن احوال الدنيا»، ومع الولايات المتحدة بالذات، ومع كل دول العالم عدا اسرائيل لانها الدولة الوحيدة التي لا نتكلم معها، ولماذا نحرم انفسنا من الكلام مع كل انسان.

دار حديث طويل بيني وبين الدكتور فوزي عقب اللقاء مع كابوت لودج، وقال لي الدكتور فوزي «ان مبدأ عودة العلاقات مع اميركا قائم، ولكن متى؟ هذا هو السؤال. ان ذلك سيتم عندما نستطيع ان نجد الحد الادنى من المبررات لعودة العلاقات. ولكننا لم نصل بعد الى هذا الحد الادنى، وكان من المفروض عودة العلاقات بعد انتخاب الرئيس الجديد ريتشارد نيكسون، ولكننا كنا ندرك ان اميركا ستعطي الفانتوم لاسرائيل، وسوف توفر لها التفوق في السلاح، ولذلك كان من الصعب ان نجازف باعلان عودة العلاقات طالما ان هذا التهديد قائم».

ومضى فوزي يقول «في عهد رئاسة ليندون جونسون أعلن عن تقديم ٥٠ فانتوم لاسرائيل ولحسن الحظ فان نيكسون لم يعلن حتى الآن عن الغاء الصفقة ولم يرتبط بضرورة تنفيذها (كان ذلك يوم ٧ مارس (آذار) ١٩٦٩).

لم يكن موضوع العلاقات بين البلدين يثار لاول مرة في هذا اللقاء الذي تم في مارس (آذار) ١٩٦٩، فقد التقى المهندس سيد مرعي وزير الزراعة في عام ١٩٦٨، في اثناء زيارته لواشنطن بالمستر لوشس باتل مساعد وزير الخارجية الاميركي في ذلك الوقت، على مائدة

الغداء الذي اقامه الدكتور أشرف غربال المشرف على رعاية المصالح المصرية في واشنطن. وخلال هذا اللقاء أشار باتل الى ضرورة تماسك مصر واحتفاظها بأعصابها لان الوصول الى حل يحتاج الى وقت طويل وأنه من الضروري العمل على استمرار مهمة يارينج.وذكر صراحة في نهاية حديثه انه يعتقد أن استئناف العلاقات بين مصر وأميركا هام، في ظل هذه الظروف التي تحتم وجود حوار على اعلى مستوى بين البلدين.

ورد سيد مرعي مؤكدا «ان اميركا قد أضاعت فرصة بدء صداقة حقيقية مع العرب، ويتعذر حاليا على مصر التفكير في اعادة العلاقات، ومع ذلك فان القاهرة حريصة على استمرار الحوار مع اميركا».

وقد تم هذا اللقاء بين المهندس سيد مرعي ولوشس باتل في واشنطن منذ عام، وجاء محمود فوزي ليستكمل الحوار مع كابوت لودج في باريس.

وقال لي فوزي في استكمال حديثنا عن اللقاء مع لودج وتحليله للموقف الاميركي بعد انتخاب نيكسون «من الناحية الايجابية فان الموقف الاميركي يتحسس ولكن الولايات المتحدة لا زالت تتحدث عن الحدود الآمنة في حين ان القرار يتكلم عن العودة الى حدود ٥ يونيو(حزيران)وعدم جواز حصول دولة على أراض بالقوة، ولا زالوا يتكلمون عن ضرورة اجراء مفاوضات في مرحلة من المراحل ويتكلمون عن توقيع معاهدة صلح... اذن اين التحسن المتوقع الذي يمكن ان يكون أساسا لعودة العلاقات.

«انهم يتكلمون عن أهمية الوجود المصري في اميركا، والوجود العربي بصفة عامة ويقولون ان غياب العرب هو موقف سلبي، وقد يكون هذا الرأي صحيحا لو كنا قد قطعنا كل اتصال بأميركا. ونحن نحتفظ بمستوى معين للتمثيل في واشنطن، ونحن نلتقي بالاميركان في كل مكان، وكذلك كان موقفنا مع بريطانيا فقد قطعنا العلاقات الدبلوماسية معها، وكنا نتكلم مع الانجليز باستمرار، ونحن نعرف رأيهم، وهم يعرفون رأينا. والمسألة ليست الاكتفاء بمظهر تبادل علاقات دبلوماسية بل بجدية وأهمية قيام هذه العلاقات. ولكي تكون على علم كامل بالموقف فان قرار قيام علاقات دبلوماسية مع اميركا قرار متخذ، ولكن المهم هو اختيار التوقيت». (تم تبادل التمثيل في فبراير (شباط) ١٩٧٤ بعد الوصول الى اتفاق الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية وبعد زيارات كيسنجر للقاهرة).

عقب مقابلة الدكتور فوزي لهنري كابوت لودج طلبت مقابلة احد مساعديه الذي أشار بكل وضوح الى المرارة التي تشعر بها اميركا ازاء الموقف الفرنسي. وكانت الولايات المتحدة تسعى عن طريق اجتماعها مع الفيتناميين في العاصمة الفرنسية للوصول الى اتفاق نهائي، تتحقق به تسوية هذه المشكلة التى تورط فيها جونسون، وأدت الى اعتزاله العمل السياسي ومحاولة نيكسون تفادي هذه الاخطاء بانهاء المشكلة، والتطلع الى فترة طويلة من الهدوء تسمح له خلال فترة رئاسته الاولى ان ينهي مشكلة فيتنام، ثم يتفرغ للعلاقات الاميركية السوفياتية، والعلاقات الاميركية الصينية، ويقترب من أزمة الشرق الاوسط بصورة يحتفل فيها في عام ١٩٧٦ بالعيد المئوي لاستقلال اميركا، في اوج مجده، وفي قمة انتصاراته.

أنتقد المسؤول الاميركي موقف ديجول وقال انه ينظر الى المشكلة نظرة قديمة بالية ترجع الى خمس عشرة او عشرين سنة عندما كانت فرنسا تحتل فيتنام قبل معركة ديان بيان فو!

وقال ان نيكسون لم يستطع التوصل الى اتفاق في الرأي مع ديجول حول مشكلة فيتنام، لان ديجول يؤيد وجهة نظر الفيتناميين وجبهة تحرير جنوب فيتنام.

الا ان الولايات المتحدة تقدر دور ديجول لاستضافته للوفود المشتركة في مباحثات باريس، ومحاولات فرنسا اتخاذ موقف الدولة المحايدة في هذا النزاع.

وكان من أغرب الآراء التي قالها هذا المسؤول الاميركي «الذي وعدته بعدم ذكر اسمه «ان الولايات المتحدة ترحب بأي وساطة تقوم بها الجمهورية العربية، أو الدول العربية أو اي دولة في العالم الثالث للخروج من هذه الازمة التي تورطت فيها امريكا بتدخلها في فيتنام.!

وأكد المسؤول الاميركي ان فرنسا تؤيد وجهة نظر «الفيت كونج» (جبهة تحرير فيتنام الجنوبية)وبذلك فان الولايات المتحدة لا تتوقع أن تقوم فرنسا بوساطة حقيقية طالما أنها تؤيد وجهة نظر «الاعداء». وأستبعد المسؤول الاميركي أن يقوم الرئيس نيكسون باستئناف ضرب فيتنام الشمالية بعد أن استأنفت امريكا محادثاتها في باريس مع الفيتناميين، وأن نيكسون أبلغ ديجول، وكذلك عواصم أوروبا الغربية التي زارها انه يستبعد حدوث ذلك بالرغم من الضغوط التي يعاني منها من العسكريين الاميركيين الذين يشتركون في هذه «الحرب» ومن جمهورية فيتنام الجنوبية. (المؤيدة من أميركا أي حكومة الرئيس ثيو) وقد طالبت حكومة ثيو باستئناف ضرب الشمال.

وتوقع هذا المسؤول الاميركي أن اعادة ضرب فيتنام الشمالية سوف تغضب السوفيات، وهو ما يريد نيكسون أن يتفاداه حتى لا يتورط في نفس الموقف الذي ادى الى سقوط جونسون، وسوف يتبع هذا التورط مزيداً من التورط في الشرق الاوسط وفيتنام وفي كل جنوب شرق آسيا[1].

غادر الدكتور فوزي العاصمة الفرنسية يوم ٨ مارس (آذار) الى لندن ليجد جوا سياسيا يختلف تماما عن الجو في باريس. فحكومة العمال التي يرأسها المستر هارولد ويلسون تتورط في بيع المزيد من الاسلحة لاسرائيل، كما ان حكومة ويلسون قد وافقت على الذهاب الى المحادثات الرباعية وهي تجر ساقيها جرا تحت ضغط من اميركا، بحيث لا تواجه الولايات المتحدة موقفا متشددا من الاتحاد السوفياتي وفرنسا، وتضطر لتقف موقف المؤيد لاسرائيل بمفردها.

كان أبا ايبان قد وصل الى لندن، ليحتفل بذكرى مرور عشرين عاما على اصدار اول صحيفة باللغة الانجليزية تؤيد الحركة الصهيونية وهي جريدة «فانجارد» الصهيونية.

(١) تأكدت صحة هذا الرأي اذ أصدر نيكسون تعليماته باستئناف ضرب فيتنام وضرب هانوي، واسقاط الالغام في خليج «هايفونج» وزاد تورطه بمد اسرائيل بالمزيد من المعونة العسكرية، واهمال مشكلة الهند وباكستان، مما ادى الى تفجير حرب الشرق الاوسط والحرب الهندية ـ الباكستانية.

وعندما التقى هارولد ويلسون بالدكتور فوزي، في مقر رئاسة الوزارة البريطانية ١٠ داونينغ ستريت المشهور، كان ويلسون يرتدي «الاسموكنج» استعدادا للاجتماع بالجالية اليهودية البريطانية وانصار الصهيونية الذين كانوا يحتفلون بمرور عشرين عاما على اصدار هذه الجريدة، وكانت اسرائيل تختلق هذه المناسبة للتأثير على علاقات بريطانيا بالدول العربية خصوصا اثناء زيارة على هذا المستوى للعاصمة الانجليزية.

استمرت محادثات فوزي مع ويلسون ومع دينيس هيلي وزير الدفاع البريطاني يومي ١٠ و ١١ مارس (آذار)، والتقى ايضا بالسير اليك دوجلاس هيوم رئيس حزب المحافظين الذي كان يستعد للفوز في الانتخابات وليرأس الحكومة البريطانية الجديدة.

انتهز الدكتور فوزي فرصة هذه اللقاءات ليسأل وزير الدفاع البريطاني والمستر جرونوي روبرتس وزير الدولة البريطاني عن موضوع ارسال اسلحة وقطع غيار لاسرائيل مؤكدا أن دولة مثل السويد وهي من الدول التي تعتمد في اقتصادها على بيع الاسلحة، توقف هذه العمليات بمجرد سماعها عن احتمال حدوث صدام مسلح وتلغي العقود، وفرنسا بالذات قد أوقفت بيع صفقة طائرات لاسرائيل، بالرغم من أنها تلقت مقدما قيمة الصفقة. وكان رد بريطانيا التقليدي «اننا نرسل فعلا أسلحة وقطع غيار مع مراعاة أن هذه العمليات لا تؤدي الى الاخلال بميزان القوى في المنطقة».

قال الدكتور فوزي تعقيبا على هذا الكلام «ليس من المهم أن أقول انني اقتنعت بهذا الكلام، ولكن المهم أننا قلنا رأينا وأننا استمعنا لكلامهم، وعندما قلت لهم انكم تذهبون الى المحادثات الرباعية من غير حماس، قالوا اننا سنجتهد من أجل تحقيق بعض التقدم في هذه المحادثات».

سعت اسرائيل قبل هذه الزيارة الى توضيح أن مصر تحاول التأثير على الدول الكبرى للايهام بأن الموقف متفجر في المنطقة، وأوضح فوزي أن اسرائيل تضرب المدن والمصانع والمطارات ولكننا نحاول أن نضرب من الضفة الغربية للقناة في حدود امكانياتنا العسكرية، وأنه لا يمكن قبول احتلال اسرائيل للاراضي العربية، وسكوت الدول العربية عن حقها هو منطق استسلام ترفضه جميع الدول.

وقال الدكتور فوزي ان بريطانيا وغيرها من الدول الكبرى لديها من أجهزة مخابراتها العسكرية وامكانياتها للتأكد من حقيقة الموقف في المنطقة، وان كل الدلائل تؤكد ان اسرائيل تريد ان تحتفظ لأطول مدة ممكنة بالاراضي التي تحتلها، وأن الدول الكبرى تستطيع ان تقوم بأعداد تقرير كامل للموقف العسكري والسياسي في المنطقة، واحتمالات التفجير وعدم الاكتفاء بما تقوله مصر او تقوله اسرائيل.

وتولى مايكل ستيوارت وزير خارجية بريطانيا توضيح أن حكومته تقوم بعمليات ارسال قطع غيار لاسرائيل في «أضيق حدود» دون اخلال بميزان القوى. ورد فوزي مؤكدا أن أي دعم لاسرائيل هو بمثابة تأكيد ودعم لمواقفها من استمرار احتلال الاراضي بالقوة، وهو المبدأ الذي ترفضه بريطانيا باعتبارها دولة من الدول الاعضاء الدائمين في مجلس الامن بالاضافة الى انها صاحبة قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي وضع صياغته اللورد

كاردون الانجليزي ورئيس وفد بريطانيا في مجلس الامن اثناء مناقشته قضية الشرق الاوسط بعد حرب ١٩٦٧.

وبالادب الانجليزي المعهود وقف ويلسون في مأدبة العشاء التي اقامتها الجالية اليهودية في لندن تكريما له، بمناسبة مرور عشرين عاما على صدور مجلة «فانجارد» يقول «لقد جئت الى هذا الحفل بعد لقاء تم بيني وبين صديقي وضيفنا الدكتور محمود فوزي مبعوث الرئيس المصري جمال عبد الناصر». ونبه ويلسون في خطابه أمام الجالية اليهودية لمشكلة «اللاجئين» قائلا «انه من الاهمية والخطورة ان ننظر الى هذه المشكلة لا باعتبارها مشكلة انسانية فحسب تحتاج الى عطفنا بل يجب ان ننظر اليها باعتبارها مشكلة انسانية وسياسية في نفس الوقت».

٣ ـ فرانكو... والازمة

حملت الطائرة التي وصل بها الدكتور محمود فوزي الى العاصمة الاسبانية آنية آثرية يبلغ ارتفاعها ٦٢ سنتيمترا، وقطرها ١٨ سم، يرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ سنة. وذهب فوزي الى قصر «البارادو» الذي يبعد حوالي نصف ساعة عن العاصمة الاسبانية لمقابلة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية يوم ١٤ مارس (آذار) ١٩٦٩.

وعندما قدم الدكتور فوزي هدية مصر الى فرانكو قال له: «سيادة الجنرال الرئيس فرانكو، عندما اردت ان اعبر لكم عن عمق العلاقات المصرية الاسبانية اخترت هذه الآنية الفرعونية التي يرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ سنة لانها تمثل مدى عمق صداقتنا وتقديرنا لمواقفكم. وهذه الآنية بالرغم من قدمها فهي سليمة تماما، وعمرها هو عمر العلاقات الثقافية والانسانية التي تربط بين اسبانيا والعالم العربي متمنيا ان تستمر هذه العلاقات قوية ومتينة ودائمة».

وقدم الدكتور فوزي الى الجنرال فرانكو تلخيصا دقيقا لمهمته في باريس ولندن، وتناول جميع جوانب المشكلة، والمسائل الدولية الاخرى. وبدأ فرانكو يسأل عن السد العالي، والنتائج الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على الانتهاء منه، ثم سأله عن حقول البترول الجديدة في مصر، ومدى الثروة البترولية التي تتمتع بها، باعتبار أن اسبانيا من الدول الهامة التي تستورد البترول المصري.

وبعد ساعة كاملة من حديث سياسي اقتصادي حضاري عميق مع الجنرال فرانكو، عقد الدكتور فوزي اجتماع عمل، حضره السفير المصري في مدريد في ذلك الوقت السيد مصطفى لطفي وحضره السنيور كاستيلا وزير خارجية اسبانيا، الذي احاط مجلس الوزراء الاسباني قبل اجتماعه بفوزي بنتائج لقاء المبعوث المصري مع الجنرال فرانكو.

وأكد فوزي أن مصر تريد حلا لمشكلة الشرق الاوسط ولكن الشعب لا يستطيع الانتظار اذا فشلت محاولات الوصول الى هذا الحل. وشكرت اسبانيا الدول العربية التي ايدت ترشيح اسبانيا لعضوية مجلس الامن، وتأييدها لتحقيق جلاء بريطانيا عن جبل طارق. وأكدت اسبانيا اهمية حصول غينيا بيساو على استقلالها من الحكم البرتغالي.

أوضح الجانب الاسباني أن بلاده على علم بكل تفاصيل موقف الجمهورية العربية وانها ستعمل من خلال اتصالاتها المستمرة معها في سبيل تأييد هذا الموقف. ولاول مرة يثير الجانب الاسباني مشكلة هامة هي المشروع الذي اعده وزير خارجية اسبانيا السنيور كاستيلا الذي سماه «تحييد حوض البحر الابيض» ويقترح فيه انسحاب اساطيل جميع الدول الكبرى من حوض هذا البحر الا الدول المطلة عليه وهي فرنسا. وأشار وزير خارجية اسبانيا الى عدم ترحيب بلاده بوجود قطع الاسطول الاميركي وبالذات الغواصات من طراز

«بولاريس» التي تحمل صواريخ ذرية، بالرغم من ان اسبانيا قد وقعت اتفاقية مع اميركا تعطي لها الحق في استخدامها لقواعدها. الا ان هذه الاتفاقية ينتهي العمل بها في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٦٩، ولا ترغب اسبانيا في تجديدها. وترفع أسبانيا علمها على هذه القواعد وقد قامت بتأجيرها في عام ١٩٥٢ لمدة عشرة اعوام تنتهي في عام ١٩٦٣، ثم لفترة ثانية من عام ١٩٦٣ لمدة خمس سنوات انتهت فى عام ١٩٦٨.

وقد حاول جونسون قبل ان يتخلى عن الرئاسة تجديد هذا العقد وظلت هذه القضية معلقة الى يوم ٢٩ مارس (آذار) ١٩٦٩.

وقد استطاعت الولايات المتحدة أن تحصل على امتياز تأجير هذه القواعد عام ١٩٥٣ في وقت كانت اسبانيا تواجه مشاكل اقتصادية ضخمة الى جانب مقاطعة كل دول الكتلة الاشتراكية لها ورفض قيام علاقات اقتصادية وسياسية معها. وانتهزت اميركا الفرصة لتحصل على عقد تأجير لمدة عشر سنوات ثم اعقبته بعقد ينتهي في عام ١٩٦٨.

وواجهت حكومة الجنرال فرانكو ازمة حقيقية نتيجة لهذا الوجود الاميركي بعد ان فقدت اميركا قنبلة هيدروجينية في قاعدة «بالومارس» عام ١٩٦٦ فزادت من الشعور المعادي لها في اسبانيا. واستغل الطلبة والعمال هذا الشعور المعادي لتحريك العناصر المعتدلة والرافضة للسيطرة الاميركية ضد هذه القواعد التي حصلت عليها اميركا عام ١٩٥٣، لاستخدامها كقاعدة متقدمة لقاذفات القنابل ذات المدى المحدود. وفقدت هذه الاستراتيجية اهميتها بعد استخدام قاذفات القنابل من طراز ب ٥٢، والصواريخ عابرة القارات المتمركزة في الولايات المتحدة.

وبمقتضى الاتفاقية التي انتهت عام ١٩٦٨ وامتد العمل بها حتى عام ١٩٦٩ كان لاميركا الحق في استخدام القاعدة البحرية الموجودة في «روتا» كقاعدة لاسطول غواصات بولاريس، الذي يتحرك في الاطلنطي وحوض البحر الابيض، وان كان من الممكن نقل هذه القواعد، حتى من وجهة نظر راسمي الاستراتيجية العسكرية الاميركية الى الساحل الشرقي للولايات المتحدة لتوفير نفقات استئجار هذه القواعد واسكات الاصوات المعادية للوجود الاميركي في أسبانيا، والتي تؤثر على نظام حكم الجنرال فرانكو. وقد تحملت اميركا مقابل استخدام هذه القواعد مسؤولية الدفاع عن اسبانيا كلها...! وأنتهز وزير خارجية اسبانيا فرصة زيارة دين راسك وزير خارجية امريكا لاسبانيا، لابلاغه بان اراضيها ومطاراتها لا يمكن ان تستخدمها الولايات المتحدة الا في حدود استئذان الدولة صاحبة الارض، لذلك فان اسبانيا ترفض استخدامها ضد العرب ولصالح اسرائيل التي لا تعترف بها، وقد رفضت اسبانيا خلال حرب اكتوبر استخدام قواعدها لصالح الولايات المتحدة لاسرائيل بعد سقوط خط برليف.

٤ ـ رباعية... لا ثنائية

في نفس الوقت الذي تعثرت فيه مهمة يارينج مع نهاية شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ وبعد اعلان الرئيس جونسون عن اعتزاله الرئاسة الاميركية، كان الجنرال ديجول يتتبع في باريس تطورات الازمة والاحداث التي يشهدها الشرق الاوسط، خصوصا بدء ظهور المقاومة الفلسطينية. وكانت رسالة الرئيس ديجول عن طريق السفير حافظ اسماعيل في باريس تتلخص في النقط التالية:

١ ـ بدأ العالم يدرك أهمية المقاومة التي ظهرت واضحة على طول الجبهة المصرية، ومن الاردن، وفي الاراضي العربية المحتلة.

٢ ـ تحسن موقف الرأي العام العالمي لصالح العرب.

٣ ـ من المهم استمرار يارينج في مهمته.

٤ ـ يعتقد الرئيس ديجول أنه عقب الانتخابات الاميركية (التي اسفرت عن انتخاب نيكسون) فان فرنسا ستقترح عقد اجتماعات رباعية بدلا من المحادثات الثنائية التي كانت تدور في واشنطن ونيويورك بين يوجين روستو وأناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن. وكان ممثلا الدولتين العظميين قد اتفقا على ضرورة العمل من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن على مراحل، وأن عرض قضية الشرق الاوسط على المجلس سوف لا يؤدي الى نتيجة، نظرا لان الحكومة الاميركية مشغولة بانتخابات الرئاسة. وكان جولدبرج رئيس وفد اميركا اثناء رئاسة جونسون قد حدد موقف حكومته من الازمة، في ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي المصرية (دون الاشارة الى الاراضي العربية) مقابل اعلان مصر انهاء حالة الحرب مع اسرائيل..! وقد تبلور الموقف السوفياتي عن مقترحات تقدم بها رسميا الكسي كوسيجين رئيس الوزراء واعتراض حكومة جونسون عليها.

تبلور موقف الرئيس ديجول، قبل زيارة الدكتور فوزي لباريس، بالمطالبة رسميا في ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ بعقد اجتماعها لممثلي فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة لمناقشة «الوضع في منطقة الشرق الاوسط الذي اصبح خطيرا لدرجة تدعو الى القلق، وأنه من واجب الدول الكبرى ان تتفق فيما بينها على وسيلة لتنفيذ قرار مجلس الامن».

وعلى الفور وافق الاتحاد السوفياتي على الاقتراح الفرنسي، ثم وافقت بريطانيا واعلن يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة تأييده للاقتراح. وقبل ان يطير الرئيس الاميركي «الجديد» ريتشارد نيكسون الى باريس، أعلن يوم ٣ فبراير (شباط) ١٩٦٩ عن

موافقته على الاقتراح الفرنسي ثم اصدر في مؤتمر صحفي عقده يوم ٦ فبراير بيانا حدد فيه موقف بلاده من الازمة وتضمن النقاط الخمس.

وبمجرد أن اعلن نيكسون موافقته على الاجتماعات الرباعية وأذاع نقاطه الخمس، أعلنت اسرائيل يوم ٢٢ فبراير أنها تطالب بالغاء هذه الاجتماعات التي لم يتقرر بعد موعدا لعقدها وأشارت الى ان فكرة أجتماع الدول الاربع الكبرى هي بمثابة فرض حل، وصفته بأنه أشبه بتسوية «ميونيخ» التي اعلن تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا قبل بداية الحرب العالمية الثانية عن قبول احتلال هتلر لمر دانزيج.

وعقد مجلس الوزراء الاسرائيلي اجتماعا في ٣٠ مارس (آذار) ١٩٦٨، أصدر بعده بيانا يرفض المحادثات الرباعية بينما كان ممثلو الدول الكبرى يمهدون لعقد اول جلسة من جلسات مباحثاتهم الرسمية يوم ٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٩ في جو من السرية التامة لم يسبق لها مثيل.

وقد بدأت هذه الاجتماعات في نيويورك بعقد اجتماع رسمي حددت فيه كل دولة من الدول الاربع موقفها من كيفية وأسلوب تنفيذ قرار مجلس الامن واقترح رؤساء وفود هذه الدول أن يتم اللقاء في مقر رئيس الوفد السوفياتي، ثم يتم اللقاء الثاني في مقر رئيس الوفد الاميركي، ثم الفرنسي، وبعد ذلك البريطاني بحيث يدعو رئيس كل وفد الوفود الثلاثة الاخرى الى مقره، وبالتناوب. وكان يسود هذه الاجتماعات الجو الرسمي ثم تحول تدريجيا الى جو اجتماعي عائلي.

وفي لقاء تم بيني وبين السير كولن كرو رئيس الوفد البريطاني في الامم المتحدة عام ١٩٧٠، روى لي أن الجدية والاهمية اللتين سادتا هذه الاجتماعات وتبادل الاتهامات والبيانات قد تحولت بالتدريج الى نوع من التنافس في اظهار كرم رئيس كل وفد في الترحيب بالوفود الاخرى وتقديم أطيب الاطعمة والمشروبات مع استمرار العمل الجدي. وكان الوفد السوفياتي مثلا يقدم افخر انواع الفودكا والكافيار، بينما الوفد البريطاني يقدم افضل انواع الويسكي، وكذلك الوفد الفرنسي الذي يقدم اطيب انواع النبيذ والشمبانيا.

وجرى العرف في ذلك الوقت على ان يقوم رؤساء الوفود بابلاغ الدول المعنية (مصر واسرائيل والاردن) بما حدث في هذه اللقاءات التي استمرت اكثر من عامين وانتهت الى اعلان اميركا عن صعوبة اشتراك رئيس وفدها في هذه المحادثات، وأنها تقترح أن ينوب نائب رئيس الوفد عن الرئيس، ونزل مستوى هذه المحادثات وتضاءلت اهميتها بسبب الازمات التي كانت تثيرها الولايات المتحدة داخل هذه الاجتماعات ثم بسبب اتجاهها في نفس الوقت الى تقديم مبادرات فردية الى الاطراف المعنية مباشرة، باهمال الدول الثلاث الاخرى المشتركة معها في هذه المحادثات، كما ان التطورات السياسية والعسكرية والاقليمية التي أضفت بظلالها على جو الاجتماعات الرباعية جعلت من هذه اللقاءات مجرد اجتماعات شكلية لا جدوى منها ولا فائدة من ورائها.

لذلك تقدمت أميركا رسميا في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠ بطلب وقف المحادثات الرباعية، بالرغم من معارضة بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي وذلك بعد أن تقدمت اميركا بـ «مبادرة روجرز» ثم أعلنت رسميا في ٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١ بأنها ترفض بصفة نهائية الاشتراك في هذه المحادثات.

ان الاحداث التي وقعت في منطقة الشرق الاوسط، والعلاقات بين الاتحاد السوفياتي وأميركا، وانتقال مصر من مرحلة «الصمود» أمام الاعتداء الاسرائيلي الى مرحلة الردع والاستنزاف وتطور اعمال المقاومة، والصدام المسلح بين المقاومة وسلطات الاردن، وقيام ثورتي السودان وليبيا، وتزويد اميركا لاسرائيل بصفقات متعاقبة من السلاح الى جانب رفض اميركا أسلوب تعاون رباعي من اجل حل الازمة، جعلت من هذه المحاولة مجرد لقاءات اجتماعية، كما توقع لها كولن كرو منذ البداية.

٥ ـ جروميكو في القاهرة

في الوقت الذي كانت المحادثات تتم فيه بين جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركي، وأناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن في مارس وأبريل ومايو من عام ١٩٦٩، كانت فرنسا تتقدم باقتراحها لتوسيع هذه المحادثات لتشمل الدول الاربع الكبرى.

واحتفظت اميركا بمحادثاتها مع دوبرنين في واشنطن باعتبار ان لقاء العملاقين أمر ضروري وحيوي لا بالنسبة للشرق الاوسط بالذات، بل بالنسبة للمشاكل العالمية بصفة عامة. ومن خلال هذه الاجتماعات يستطيع كل جانب ان يجس نبض الطرف الآخر بالنسبة لهذه المشاكل مجتمعة ومتفرقة.

وفي نيويورك كانت المحادثات الرباعية تتم بين رؤساء وفود الدول الاربع الكبرى في نيويورك. وأصدر ممثلو هذه الدول في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٩ بيانا اعلنوا فيه انهم سيعملون معا من اجل ايجاد صيغة دولية تساعد يارينج على استئناف مهمته.

وضعت الولايات المتحدة العقبات أمام قيام ممثلي هذه الدول بمسؤولياتهم وتعثرت محادثات سيسكو ودوبرنين في واشنطن. فقد كانت الفجوة واسعة بين الموقف الاميركي والموقف السوفياتي، وارادت الولايات المتحدة ان تؤكد ان اي محاولات لحل المشكلة لا بد وأن تكون نتيجة لمقترحات أميركية، ولذلك أعدت مشروعا لحل ازمة الشرق الاوسط قامت بتسليمه الى دوبرنين في واشنطن وقد بعث به السفير السوفياتي الى موسكو. وقرر قادة الاتحاد السوفياتي ان يكلفوا اندريه جروميكو وزير الخارجية بالسفر الى مصر فورا وعرض الامر كله على الرئيس جمال عبد الناصر.

تقدمت الولايات المتحدة بمشروعها المؤلف من ١٣ نقطة. وقد ارفقت به القيادة السوفياتية التي تضم ليونيد بريجنيف ونيكولاي بودجورني رئيس الجمهورية والكسي كوسيجين رئيس الوزراء رسالة[١]. هذا نصها:

«سيادة الرئيس

«لقد قدم الاميركيون لنا نص ما اسموه «وثيقة تمهيدية» يمكن اقتراحها على حكومتي اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة لاستخدامها تحت اشراف السفير يارينج بمثابة أساس للوصول الى اتفاق لبناء السلام العادل والدائم طبقا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧. ان الجانب السوفياتي يدرس حاليا

(١) بصراحة: محمد حسنين هيكل، الاهرام، ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٩.

مضمون هذه الوثيقة ويفكر في امكانيته تقديم وثيقة مقترحات مضادة ردا على الاميركيين، ونحن نريد ان نتشاور معكم حول تقديمها.

«لقد قال سفيرنا دوبرنين لمساعد وزير الخارجية الاميركية سيسكو بصورة تمهيدية اننا نشعر بالارتياح نحو استعداد الولايات المتحدة للانتقال من الكلام الى البحث العملي لجوهر الامور وفي نفس الوقت أشار السفير السوفياتي الى أن الوثيقة الاميركية لا تحتوي الا على مصالح طرف واحد من اطراف النزاع وهو اسرائيل».

عرض اندريه جروميكو على الرئيس جمال عبد الناصر نص المقترحات الاميركية وهي:

١ ـ عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالحرب.

٢ ـ حق كل دول المنطقة ان تعيش في سلام.

٣ ـ يلتقي ممثلو الجانبين (مصر واسرائيل) تحت أشراف السفير جونار يارينج للوصول الى اتفاق تعاقدي ونهائي.

٤ ـ ينهي الجانبان حالة الحرب، وتبدأ حالة سلام رسمي، ويمتنع الجانبان ويمنعان كل انسان من القيام بأعمال عدوانية من أراضيها أو عبر أراضيها، ويمتنع كل جانب عن تشجيع وايواء من يقوم بهذه الاعمال التي تتعارض مع حالة السلام.

٥ ـ في مناقشة الحدود الآمنة والمعترف بها فان اسرائيل يجب ان توافق على احتمال قبول مبدأ الاعتراف بالحدود الدولية التي كانت قائمة بين (فلسطين) تحت الانتداب، والحدود المصرية الدولية.

٦ ـ لا بد من وجود مناطق منزوعة السلاح من الاراضي التي تنسحب عنها اسرائيل.

٧ ـ الوضع بالنسبة لغزة يتم الاتفاق عليه بين الاردن واسرائيل، وعلى أساس قبول مبدأ الانسحاب، وايجاد مناطق منزوعة السلاح ووجود اشراف دولي على القطاع في الوضع النهائي للتسوية.

٨ ـ يعتبر خليج تيران بانه من الممرات الدولية، مع وضع ضمانات أمن بالنسبة لشرم الشيخ (ضمانات دولية لحرية الملاحة لا يمكن ازالتها من جانب واحد).

٩ ـ بالنسبة لقناة السويس، فان الملاحة فيها حرة لجميع سفن العالم (مع عدم الاشارة الى ان قناة السويس ممر مائي دولي).

١٠ ـ حق الفلسطينيين في العودة او التعويض، على ان يتم تنفيذ ذلك بموافقة مشتركة، وفي ظل ظروف واجراءات يتم الاتفاق عليها. ولا بد من تحديد نسبة معينة يمكن ان تستوعبها اسرائيل كدفعة أولى على ان يتم توطين هذه الدفعة بعد ٣ أشهر من الاتفاق النهائي.

ومع عدم تعطيل الوصول الى هذا الاتفاق بسبب المشكلة الفلسطينية.

١١ ـ يعترف ويحترم الجانبان (المصري والاسرائيلي) حق كل دولة في السيادة على أراضيها وحقها في الاستقلال السياسي، وحقها في أن تعيش في سلام داخل حدود امنة معترف بها.

١٢ ــ حالة السلام: هي حالة لا يقع فيها اي عدوان من دولة على أخرى، مع الامتناع عن القيام بأي أعمال عدوانية بواسطة جماعات او افراد او بأي صورة من الصور.

١٣ ــ الاتفاق النهائي: يكون الاتفاق النهائي بمثابة وثيقة واحدة ويوقع عليها الجانبان وتتفق أحكام هذا الاتفاق مع قرار مجلس الأمن.

وبعد تقديم هذه المقترحات الى الرئيس جمال عبد الناصر، سأل اندريه جروميكو «هل نرفض هذه المقترحات، وننهي المحادثات الدائرة الآن على المستوى الثنائي في واشنطن والرباعي في نيويورك».

وكان رأي الرئيس عبد الناصر ان تستمر الاتصالات على أساس مبادىء محددة يتفق الجانبان المصري والسوفياتي على تحديدها وهي:

١ ــ ان المشروع الاميركي يهتم فقط بايجاد تسوية بين مصر واسرائيل، ولا يذكر شيئا عن سوريا او الاردن.

٢ ــ ان المشروع أغفل نهائيا موضوع القدس.

٣ ــ ان المشروع يهدف الى وقف الاعمال الفدائية ويشترط أن الوصول الى اتفاق يقتضي اغفال موضوع الفلسطينيين، على ان تكون المشكلة الفلسطينية مكملة للاتفاق وليست اساسا له.

٤ ــ ان عودة الفلسطينيين أمر مرهون بموافقة اسرائيل بعد الوصول الى التسوية النهائية وطبقا لمصالحها في تحديد نسبة الفلسطينيين الذين يعودون مع عدم الاشارة الى الوضع اذا رفضت عودتهم.

٥ ــ ان المشروع اعتبر أن قناة السويس ممر دولي دون ذكر ذلك صراحة، في حين ان القناة ممر مائي يجري داخل أراض مصرية.

٦ ــ ان الهدف الاساسي هو ابعاد مصر عن المشكلة، ونزع سلاح سيناء، واتجاه اسرائيل الى فرض نفوذها على الاردن وسوريا وغيرهما من الاراضي والدول العربية اذا وافقت مصر على قبول مبدأ حدودها التاريخية كأساس لحل المشكلة واغفال قضايا الشعوب العربية الاخرى.

طار اندريه جروميكو الى موسكو يوم ١٢ يونيو (حزيران) بعد اعداد مسودات بمشروع سوفياتي جديد لتقديمه الى الولايات المتحدة والى الدول الاربع الكبرى.

كان موعد اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة يقترب والاستعدادات تتم لانعقاد الدورة الرابعة والعشرين من دورات الجمعية العامة، والمحادثات الرباعية تتعثر بسبب الموقف الاميركي الى ان التقى وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى في نيويورك وأصدروا بيانا في العشرين من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ ينص على المبادىء التالية:

١ ــ ضرورة العمل والاسراع لايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط.
٢ ــ تأكيد وتأييد قرار مجلس الامن.
٣ ــ اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة.

٤ ــ حق كل دولة من دول المنطقة أن تعيش في سلام كدولة مستقلة ذات سيادة.

واضطر ممثلو الدول الكبرى أن يعودوا الى استئناف اعمالهم بعد ان رأى وزراء خارجيتهم أن الاتفاق على المبادىء العامة قد يساعد رؤساء الوفود على وضع التفاصيل النهائية الخاصة بمشروع اقتراح يصلح كأساس لحل مشكلة الشرق الاوسط.

وقدم الاتحاد السوفياتي في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ عقب عطلة رأس السنة مباشرة مذكرة تتضمن مقترحاته التي قام بتوزيعها على رؤساء وفود الدول الاربع الكبرى هذا نصها.

١ ــ يجب ان تعلن اسرائيل، وكذلك الدول العربية، عن استعدادها وحسن نيتها ورغباتها في تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في عام ١٩٦٧ بكل تفاصيله، وبجميع بنوده والتزاماته.

٢ ــ توافق جميع اطراف النزاع على ان المكاسب الاقليمية عن طريق الحرب لا يمكن السماح بها.

٣ ــ يتم اعداد وثيقة تتضمن بنود الاتفاق كما وردت في قرار مجلس الامن وتنسحب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي تحتلها وبعد ذلك تأتي مرحلة انهاء حالة الحرب بين اسرائيل والعرب.

٤ ــ يتم ايداع هذه الوثيقة لدى الامم المتحدة، مع استكمال انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة، على ان يكون هذا الانسحاب مرتبطا بضمان حدود معترف بها لدول المنطقة.

٥ ــ يقترح مجلس الامن بعد موافقة الدول المعنية او الاعضاء الدائمين انشاء مناطق منزوعة السلاح، طبقا للحدود القائمة.

٦ ــ تتضمن اللوائح الخاصة بهذه المناطق قيودا خاصة موقتة ذات طبيعة عسكرية بحتة.

٧ ــ توضع قوات تابعة للامم المتحدة بموافقة مصر مشفوعة بقرار من مجلس الامن، في منطقة غزة حيث كانت هذه القوات قبل مايو (أيار) ١٩٦٧، وتوضع قوات اخرى دولية في منطقة شرم الشيخ.

٨ ــ تتعهد اسرائيل بان تذعن لقرارات الامم المتحدة بخصوص اللاجئين الفلسطينيين.

٩ ــ حرية الملاحة لجميع الدول عبر مضايق تيران وخليج العقبة وقناة السويس.

١٠ ــ تكف الاطراف منذ لحظة ايداع وثيقة أو وثائق السلام النهائية لدى الامم المتحدة عن الاعمال التي تتعارض مع انهاء حالة الحرب.

وعليه يصبح انهاء حالة الحرب في صورته النهائية ساري المفعول في نفس الوقت الذي يتم فيه انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها اثناء حرب ١٩٦٧.

١١ ــ يحترم الجانبان مبادىء الامم المتحدة فيما يتعلق بالتزام المسلك السلمي في العلاقات وحل نزعها بالطرق السلمية والامتناع عن استخدام السلاح او التهديد باستخدام القوة.

١٢ - **يحترم كل جانب استقلال وأراضي الجانب الآخر وحقه في العيش في سلام.**

وفي الوقت الذي كانت فيه اتصالات الدبلوماسية دائرة رباعيا وثنائيا في واشنطن ونيويورك، كان الرئيس ريتشارد نيكسون يواجه ضغطا لتزويد اسرائيل بالمزيد من الطائرات والاسلحة، وحرب الاستنزاف تستمر على طول جبهة القناة، والاعمال الفدائية تزداد عنفا وضراوة والقوات المصرية الخاصة تعبر القناة وتعود الى الضفة الغربية والقوات الاسرائيلية تحاول القيام باعمال عسكرية وبحرية لاخماد محاولات التحرك العسكري المصري.

وتفجرت فجأة ثورة في السودان في ٢٥ مايو (أيار) ١٩٦٩ قام بها الجيش وتولى جعفر نميري رئاسة الثورة، ثم رئاسة الدولة ثم قام الجيش الليبي بثورة على النظام الملكي في البلاد.

وأعلنت حكومة الثورة برئاسة العقيد معمر القذافي في أول سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩، قيام الجمهورية الليبية، واتجهت الثورة فورا الى المطالبة بجلاء القواعد الاميركية والانجليزية عنها، وطلب الملك ادريس السنوسي من الرئيس جمال عبد الناصر أن تقبل مصر لجوءهالسياسي في أراضيها واستجابت القاهرة لهذا الطلب.

وقررت دول المواجهة (سوريا والاردن... والاردن والعراق .. ومصر والسودان) عقد مؤتمر قمة في القاهرة في اول سبتمبر وامتد حتى ٣ سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٦٩ لمواجهة الموقف العربي والدولي، بعد أن فقدت هذه الدول الامل في تحقيق تفاهم دولي، لحل المشكلة سواء عن طريق السفير جونار يارينج او عن طريق اتصالات الدول الاربع الكبرى.

٦ - محاولات عربية... ومؤتمر قمة الرباط

عقد وزراء خارجية الدول العربية اجتماعا عاجلا لهم في الامانة العامة للجامعة العربية يومي ٢٥ و ٢٦ أغسطس (آب) ١٩٦٩، وقرروا ضرورة دعوة مجلس الدفاع المشترك للنظر في مواجهة العدوان الاسرائيلي، ومساندة حركة المقاومة الفلسطينية، والدعوة لعقد مؤتمر قمة عربي لتدارك الموقف بعد هذا التدهور الذي شهدته جبهات وقف اطلاق النار وعدم امكانية تحقيق اي تقدم سياسي وعدم قيام الدول العربية بجهد عسكري مشترك لمواجهة التجميد السياسي الذي فرضته الولايات المتحدة على امكانيات اي تفاهم دولي يهدف الى تحريك الازمة من رقدتها.

وعقب لقاء القمة بين دول المواجهة في القاهرة عقد مجلس الدفاع العربي المشترك مؤتمرا أيام ٨ و ٩ و ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ ووضع تقريره السياسي على أساس المبادىء التالية:

١ ــ ان محاولات الحل السلمي عن طريق العمل السياسي قد فشلت ووصلت الى طريق مسدود.

٢ ــ ان الطريق الوحيد المفتوح امام الامة العربية هو طريق التعبئة والقوة والحشد، وأن تتحمل كل دولة مسؤولياتها الكاملة من الناحية السياسية والعسكرية استعدادا للمعركة الحتمية المقبلة.

٣ ــ قرر مجلس الدفاع المشترك بالاجماع الموافقة على تقرير الفريق اول محمد فوزي القائد العام للقيادة الشرقية والغربية، وعلى حجم جميع القوات المطلوبة كحد ادنى من أجل ازالة آثار العدوان.

٤ ــ عقد رؤساء اركان حرب القوات العربية اجتماعا مع القائد العام (الفريق اول محمد فوزي) لبحث توزيع القوات المطلوبة من الدول العربية، والتزمت بعض الدول بالبدء فورا في تنفيذ الالتزامات المطلوبة منها.

٥ ــقرر مجلس الدفاع التوصية بدعوة مؤتمر القمة العربي الى الاجتماع بالرباط في العشرين من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ لنظر موضوع حشد جميع القوى العربية العسكرية والاقتصادية والسياسية لصد العدوان الاسرائيلي، وافق مجلس الجامعة العربية على ذلك.

وبالرغم من عدم وصول مؤتمر القمة العربي في الرباط الى قرارات نهائية تتفق وخطورة المرحلة التي كانت تواجه الامة العربية في ذلك الوقت، الا أن قيام ثورتي السودان وليبيا وتحقيق لقاء القمة الذي انبثق عنه ميثاق طرابلس (مصر ـ ليبيا ــ السودان) والنتائج المحدودة التي ترتبت على لقاء القمة في الرباط، قد أثرت على الموقف الاميركي الذي

بدأ قبل الاعلان عن انعقاد المؤتمر، القيام بحملة في جميع العواصم العربية وفي الدول العربية التي كانت تعارض الرئيس جمال عبد الناصر بالذات، لاحباط كل محاولة لتوحيد الصف العربي، والاتفاق على مبادىء ثابتة ونهائية بالنسبة للمعركة العسكرية المقبلة التي لم يتوقع احد من قادة العرب قي ذلك الوقت ان مصر مقبلة عليها دون شك.

في الفترة التي اعقبت اجتماع مجلس الدفاع العربي في القاهرة، وقبل بدء اعمال مؤتمر القمة العربي في الرباط، كانت سفارات اميركا في المنطقة تتلقى تعليمات من ويليام روجرز وزير الخارجية الاميركي تطالب هذه السفارات بانتهاز فرصة عدم اتفاق العرب على رأي موحد، للضغط على العواصم العربيه، لمنع اتخاذ مؤتمر القمة العربي لقرارات تكون غير مقبولة من الولايات المتحدة، ومحاولة اثارة خلافات داخلية في كل دولة عربية وبين كل دولة عربية واخرى، والتلويح بأن المساعدات الاميركية التي تقدمها لبعض الدول العربية قد يصدر قرار من البيت الابيض بوقفها اذا اتخذت هذه الدول مواقف متشددة ضد مصالح اميركا.

وكان من اهم الفقرات التي وردت في التعليمات التي بعث بها روجرز الى ممثليه في المنطقة، أنه سيوفد أكبر عدد من السياسيين الى الشرق الاوسط للايحاء بان اميركا تتحرك في اتجاه حل الازمة وعرقلة كل جهود يمكن ان تؤدي الى قيام جبهة عربية متحدة، خصوصا بعد نحسار النفوذ الاميركي الذي كان سائدا في السودان وليبيا بعد ثورة الجيش في البلدين.

أوفدت الحكومة الاميركية فعلا الى كل العواصم العربية مبعوثين سياسيين على مستويات مختلفة، وكان نصيب مصر من هذه الحملة الدبلوماسية ايفاد روبرت برانجر نائب وزير الدفاع الاميركي قادما من واشنطن يرافقه دونالد بيرجس رئيس بعثة رعاية المصالح الاميركية في القاهرة يحملان رسالة رقيقة من ويليام روجرز لم تكن مكتوبة بل شفوية وصلا بها يوم ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ وأبلغاها الى السفير صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية يوم ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) وتتضمن الآتي:

١ ــ ان الولايات المتحدة قد أيدت الرئيس جمال عبد الناصر منذ بداية الثورة، وأنها عام ١٩٦٧ تحاول ان تجد حلا مشرفا للازمة.

٢ ــ أنها قررت لذلك أن تكون على اتصال مباشر بالقاهرة وفي حوار مفتوح مع المصريين.

٣ ــ وصف بيرجس رسالة روجرز الشفوية بانها تفيض بالادب وروح الصداقة والمودة.

٤ ــ ان اميركا لا تريد تقسيم العرب ولكنها تحاول ان تجد صيغة تصلح لاتفاق يغطي المشاكل الخاصة بالشرق الاوسط ويمكن ان تؤدي الى حل في شكل «صفقة واحدة».

وقال بيرجس ان حكومته تطلب اليه ان يبلغ القاهرة ان الولايات المتحدة تحاول ان تكسر حدة الجمود، وتسهيل عملية «التفاوض» التي يمكن ان تبدأ لحل المشكلة، وان اميركا لا تريد ان تتكلم مصر او الاردن باسم الفلسطينيين، ولذلك فهي تقترح ان يكون موضوع الفلسطينيين قاصرا عليهم (اي على الفلسطينيين) وأن تكون هناك مباحثات

مستقلة (غير مباشرة) بين مصر واسرائيل من جهة وبين الاردن واسرائيل مباشرة للاتفاق على ترتيبات خاصة بشرم الشيخ. أما موضوع غزة فانه يحتاج الى اتصالات بين الاردن ومصر من جهة، وبين اسرائيل ومصر من جهة اخرى. وعلى كل حال فان اميركا لا تريد ان تكون غزة تحت اشراف اسرائيل وتفضل ان تكون وطنا للفلسطينيين.

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الاتصالات دائرة مع القاهرة، كانت عواصم عربية اخرى تتلقى توضيحات اخرى من جانب اميركا.

وعندما التقى الملوك والرؤساء العرب في الرباط يوم ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ كان الصحفيون الاميركيون الذين يغطون مؤتمر القمة، على علم بأن ثمة مقترحات اميركية قد تم تسليمها الى الملك حسين ملك الاردن. وعقب انتهاء مؤتمر القمة العربي اكدت انباء واشنطن ان ويليام روجرز قد قرر ان يقوم بزيارة لافريقيا يقترب خلالها من عدد من العواصم العربية بهدف التأثير على لقاء القمة، وللايحاء بأن اميركا قائمة لحل مشكلة الشرق الاوسط.

وقد زار روجرز الرباط وتونس ولاجوس وأديس أبابا. وكان في كل عاصمة يذهب اليها خلال جولته التي تمت في مارس (آذار) ١٩٧٠ يشير الى ان الولايات المتحدة تسعى للتعاون مع مصر ولا تهدف الى اسقاط نظام عبد الناصر وان اميركا في طريقها الى الاعلان عن مشروع جديد لحل ازمة الشرق الاوسط اصبح اسمه فيما بعد «مشروع روجرز».

٧ ـ السادات في موسكو... وحديث لم ينشر

بعد هذه الاتصالات الدبلوماسية التي تمت بين القاهرة وواشنطن، على ضوء التقارير الواردة الى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر، واستكمالا للمشاورات مع الاتحاد السوفياتي، قرر الرئيس جمال ان يوفد «السيد» أنور السادات، عضو اللجنة التنفيذية العليا ورئيس مجلس الامة الى موسكو، قبل انعقاد مؤتمر القمة العربي، لمواجهة الموقف العدواني الاسرائيلي المتكرر على المدن والمصانع والمدارس.

وفي التاسع من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ كان السادات يرأس وفدا من محمود رياض وزير الخارجية والفريق أول محمد فوزي وزير الحربية ويضم ايضا اللواء احمد نوح المسؤول عن الطيران في وزارة الحربية. وكنت واحدا من الصحفيين الذين طاروا مع السادات الى موسكو على طائرة سوفياتية خاصة غادرت مطار القاهرة في العاشرة صباح يوم ٩ ديسمبر (كانون الاول) لتصل في الثانية والنصف بعد الظهر الى مطار فنوكوفو الخاص في موسكو. وكان أندريه جروميكو وزير الخارجية والمارشال جريشكو وزير الدفاع في استقبال الوفد «الحكومي والحزبي» الذي يرأسه انور السادات.

وفي اليوم التالي دخل السادات قاعة الاجتماعات الكبرى في قصر الكرملين ليجد في انتظاره واستقباله ليونيد برجنيف وألكسي كوسيجين ونيكولاي بودجورني.

وقف بريجنيف في وسط القاعة مادا كلتا يديه وقال بالعربية «السلام عليكم» ثم عانق انور السادات وجلس القادة الثلاثة على جانب من الطاولة بينما جلس على الجانب الآخر انور السادات ومحمود رياض والفريق اول محمد فوزي والسفير الدكتور مراد غالب، وأمام بريجنيف ملف ضخم عن الشرق الاوسط.

وكما قال لي السيد انور السادات «فان الوفد كان يمثل الرئاسة المصرية باختياره رئيسا للوفد، ويضم الخارجية والحربية، كما ان المحادثات تتم في وقت أكدت فيه كل التقارير التي وردت الى وزارة الخارجية المصرية والى عدد من عواصم العالم العربي والى الاتحاد السوفياتي تؤكد استحالة الوصول الى بداية معقولة لحل أزمة الشرق الاوسط في ظل انحياز اميركي كامل لاسرائيل لم يعط الفرصة أمام الدول الثلاث الكبرى الاخرى لممارسة جهودها من أجل تغيير هذا الموقف».

كان لقاء السادات مع القادة السوفيات هو اول لقاء يتم على هذا المستوى بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية منذ يوليو (تموز) ١٩٦٨ بعد زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو. وسبق لقاء السادات اجتماعات هامة عقدتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، لبحث الموقف في الشرق الاوسط على ضوء ٣ ثورات جديدة في المنطقة هي: ثورة السودان وثورة ليبيا وثورة الصومال باتجاهاتها التحريرية.

وكان الاتحاد السوفياتي يبحث علاقاته بمنطقة الشرق الاوسط، وعلاقاته بالولايات المتحدة. وكانت تجري في ذلك الوقت محادثات هلسنكي الخاصة بالامن الاوروبي، واجتماعات نيويورك وواشنطن الخاصة بالشرق الاوسط، واتصالاته مع حكومة بون تمهيدا لعقد مؤتمر يضم دول حلفي وارسو والاطلنطي قد تشترك فيه أميركا وكندا.

وكانت القاهرة تريد أن تعرف موقف الاتحاد السوفياتي من احتمالات مواجهة عسكرية جديدة مع اسرائيل في غياب حل سلمي للمشكلة.

وقبل ان يطير السادات عائدا الى القاهرة التقى بالمبعوثين المصريين والعرب يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٩ وتحدث اليهم عن كل التطورات. ونظرا لاهمية هذا اللقاء الذي قمت بتسجيل تفاصيله فانني أنقل اهم الفقرات التي وردت فيه.

قال السادات ان الرئيس (جمال عبد الناصر) اعتكف بسبب الاعياء. ففي يوم واحد حضر مناورة عسكرية استمرت حتى الساعة الخامسة مساء وكانت قد بدأت في الصباح ثم التقى بوزير مغربي هو السيد احمد العراقي بخصوص المؤتمر الاسلامي الذي ينعقد لبحث حريق المسجد الاقصى، ثم اجتمع بالقيادات العسكرية حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي. بعد هذا الجهد شعر بأنه لا يستطيع الحركة، ونصحه الاطباء فعلا بالاعتكاف وملازمة السرير والابتعاد عن العمل ثلاثة اسابيع لان حالة الاعياء قد تؤدي الى مضاعفات بالاضافة الى مرض السكر، وقد تكون لهذه الحالة نتائج سيئة.

ومضى السادات يتحدث الى المبعوثين عن المعركة فقال:

«من أول فبراير (شباط) ١٩٦٩ تقريبا وكل ٢٤ ساعة تمر لا بد من حدوث قتال، اما بالمدفعية او بالغارات علينا او عليهم. ودي مرحلة نسميها مرحلة الردع بعد مرحلة الصمود. انتم عارفين بعد حرب ١٩٦٧ خرجنا نشعر بالمرارة والالم والمهانة، وكان الطريق مفتوحا أمام العدو. ولكننا بعد عام واحد، استطعنا ان نعيد بناء الجيش، وانتقلنا من مرحلة الصمود الى مرحلة الردع. بدأنا ذلك من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ وأول ما عملناه هو حراسة كاملة على جميع المنشآت على امتداد ١٦٠ كيلومترا بمحاذاة القناة. كان هدف اسرائيل تحطيم الجبهة الداخلية، وكسر الجبهة العسكرية بالضرب في العمق، وفي المرحلة الاولى اكتفينا بالصمود، وبتحصين مواقعنا وحراستها، ثم بدأنا في المرحلة الثانية وهي مرحلة الردع اي الرد والهجوم والعبور. كل يوم عندنا معارك مدفعية وطيران وعبور، بالاضافة الى معارك بحرية. وفي وسط هذا الجو قامت ثورة في السودان كانت ملحمة رائعة بالنسبة لنا.

«قبل ثورة السودان بثلاثة أيام يعلن وزير الاستعلامات السوداني بأن السودان بتفكر في عودة العلاقات مع اميركا وتتحدى قرارات الجامعة العربية، واميركا في غاية الاطمئنان... ونحن لا نستطيع أن ندخل أكثر من معركة واحدة. ولا نستطيع ان نواجه ما يحدث في السودان، يشاء ربنا انه بدلا من أن تقع السودان في أيدي أميركا، وبدلا من ان يصبح الامام الهادي رئيس جمهورية نلاقي نميري بـ ٢٤٠ عسكري فقط يقوم وينهي الوضع في السودان ويقود ثورة عسكرية.

«هذا حدث في مايو (أيار) ١٩٦٩، وبعد كده يمر يونيو ويوليو واغسطس وفي اول سبتمبر نسمع عن ثورة جديدة في ليبيا. وده يؤكد أن المبادىء التي نؤمن بها والكفاح

والالام جابت نتيجة.

«حصلت دوشة داخل البلد، وكان لازم ان نشرك الشعب في كل شيء. حاولت بعض القيادات في الاتحاد الاشتراكي أن تتفلسف، ولكن الامور كانت واضحة، ثورة في السودان وثورة في ليبيا والشعب العربي في ليبيا والسودان يقول «تحرر... اشتراكية... معركة».

«أكبر نصر يمكن ان نحققه الان هو ان نسير في طريقنا الى المعركة وأن تكون الصورة واضحة أمام الجميع. بلا غموض ولا تساؤل.

«أنا حاشد قواتي على طول خط المواجهة مع اسرائيل. كانوا فاكرين ان مصر حتنهار اقتصاديا... وعسكريا... وطبعا هذا غير صحيح...

«اقتصاديا احنا مش جعانين، كل حاجة متوفرة. في ديسمبر عام ١٩٦٧ كان المفروض أن يحدث ما كانت تتوقعه اسرائيل، آخر مليم كان حينتهي... وكان أملهم بعد الهزيمة أن يسود اليأس شعب مصر: ويعدين ما فيش فلوس... ما فيش رغيف العيش، الشعب يثور... خلاص الدنيا تنقلب، ويسقط النظام من داخله... بين هزيمة عسكرية وعجز اقتصادي.

«قمنا باعادة تنظيم القوات المسلحة... وأنعقد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم (١٩٦٧) وحصلنا على الدعم، وأصبح اقتصادنا اقتصاد حرب وكل شيء أصبح الآن متوفر تماما في السوق، أحسن من قبل عام ١٩٦٧.

«أنا أحب أن اقول ان الوقت مش في صالح اسرائيل... طيب... الوقت في صالح مين؟

«الناس بتسأل احنا منتظرين ايه... اسرائيل بتضرب بالصواريخ ولكننا في نفس الوقت اللي بنبني فيه الجيش، ونصمد، بدأنا مرحلة ردع... يعني الرد والهجوم... والوحدات بتعبر القناة، والعبور هو امتحان لقوة الجيش واستعداده.

«والرئيس (عبد الناصر) عنده خطة عمل، بعد ٩ و ١٠ يونيو (حزيران) عندما خرج الشعب وقت الهزيمة والمرارة والنكسة ليعبر عن الصمود، وعدم الاستسلام وقال الرئيس ممكن مع الامبركان، أجيب زكريا يتكلم معاهم (زكريا محيي الدين) الشعب قال تقعد مكانك، لا نستسلم ولا نتكلم مع الاميركان.

«يوم ١١ يونيو (حزيران) الصبح الساعة الحادية عشر بالذات بدأ الرئيس يشتغل. بحث عن عبد الحكيم (عبد الحكيم عامر) علشان يقوله «ارتاح بقه» ليس هناك داعي لأن المصيبة كبيرة. الساعة الواحدة بعد الظهر يوم ١١ يونيو (حزيران) كان فيه ٦٠٠ ضابط في مركز القيادة في مدينة نصر، والريس على الفور اصدر قرار بتعيين فوزي (الفريق اول محمد فوزي) والضابط اللي يعترض يروح السجن. الساعة سبعة مساء يوم ١١ يونيو (حزيران) بدأ عبد الناصر يخطط للمعركة بالكامل، وقال المعركة دي لازم نخلص منها على ثلاث مراحل: مرحلة صمود... ثم مرحلة ردع... ثم مرحلة ازالة أثار العدوان.

«هذا التخطيط كان لازم يقتضي اعادة البناء العسكري... ثم اعداد الشعب سياسيا. وفعلا بدأنا مرحلة البناء العسكري يعني يوم ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ أي بعد ٥ أشهر من هذه الكارثة الاليمة، بعد ٥ أشهر من المهانة والمرارة، وقف اول خط دفاعي، كان

عبد المنعم رياض الله يرحمه (الفريق عبد المنعم رياض استشهد في ٩ مارس (أذار) ١٩٦٨ وهو يتفقد المواقع في الجبهة) بيشتغل ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة. كل دقيقتين ونصف كان الاتحاد السوفياتي يبعث طائرة فيها ١٠ طن سلاح، انطونوف نازلة في مطار القاهرة غير المراكب في الاسكندرية... لمدة شهر المراكب استمرت الى آخر يوليو (تموز) ١٩٦٨، اولادنا في مراكز التدريب تتمرن ٢٤ ساعة علشان يستوعبو السلاح.

«في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ كان فيه افتتاح مجلس الامة (الشعب) ولم نفتح المجلس وذهبت بنفسي الى الخط في القنال وراجعت في كل شيء. كان المفروض ان يتكلم جمال في المجلس في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) وكان لازم اديله فكرة دقيقة وفعلا قام اول خط دفاعي من بور سعيد الى السويس يعني ٦٠ كيلومترا واقف على رجليه، وكان لا يمكن ان يعبروا الى الضفة الغربية يعني استطعنا بناء اول خط دفاعي.

«اول يناير (كانون الاول) ١٩٦٨ بدأنا نتدرب على الهجوم... ولكن ليس معنا ذلك اننا خلاص اصبحنا في وضع يسمح لنا بالهجوم، ولكننا بدأنا نتدرب فقط. مشينا في برنامجنا. عام ١٩٦٨ صدرت احكام الطيران (الحكم على الفريق صدقي محمود) وحصلت عملية الطلبة وانتهت ببيان ٣٠ مارس (أذار) ثم الاستفتاء في ٢ مايو (أيار) ١٩٦٨ وبدأنا اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي، وراح كل عام ١٩٦٨ لاعادة البناء السياسي في وقت البناء العسكري ماشي. أمكننا اختصار الكثير واستعنا باولادنا من حملة المؤهلات وكنا نجيب الاولاد بتوع الريف... يعني الفلاحين نعالجهم من أمراض القرية الانكلوستوما والبلهارسيا ويعدين اعلمه على أحسن وأحدث الاسلحة. الخبراء الروس شهدوا لنا بالقدرة على استيعاب السلاح في أقصر وقت. بتاع المؤهلات يحتاج لتدريب ٢١ يوم وبتوع القرية يحتاجوا لشهرين علاج ويعدين يعملوا معانا.

«١٩٦٨ اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ماشي. بناء القوات المسلحة من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ بدأت تتدرب على الهجوم من وراء خط الدفاع وقلنا ان مرحلة الصمود انتهت وبدأت مرحلة الردع. والخط وقف على رجليه في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨. واحنا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ جهزنا لواء الدبابات والمدفعية... وحصلت اول معركة مدفعية في سبتمبر وأكتوبر ١٩٦٨ وأول معركة اسقطنا فيها ٤ طائرات للعدو رحت بنفسي وزرت قاعدة انشاص الجوية، وقدمت التهنئة للطيارين بتوعنا.

«في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ جى على نجح حمادي ضرب محطة المحولات وكان عليها خفير ببندقية. وبعدها قمنا بحصر جميع المنشآت ومحطات الكهرباء ومحطات للصرف. وجردنا كل اهدافنا الحيوية.

«قبل ما نجي موسكو، الولاد بتوعنا عبروا القناة وقعدوا ٢٤ ساعة ورجعوا، عاوزين يبقوا على طول، في الضفة الشرقية، ولكن قلت ما فيش داعي لاننا لازم نعرف ليه بنعبر.

«عمليات العبور للضفة الشرقية قسمين: قسم للاستطلاع وقسم للقتال... قسم للاستطلاع يروح هناك ويعبر، بدون احتكاك، الاولاد يدخلوا ويشوفوا ويرجعوا. وقسم القتال يروح ويعبر، واحدد له هدف يضربه وموقع معين يصيبه... يعمل كمين... وينسحب.

«عمليات الاستطلاع تتم يوميا طول ٣٦٥ يوم في السنة على طول الخط من بور سعيد السويس يتم الاستطلاع.

«الاولاد بتعبر تعرف الارض علشان اليوم اللي يعبر فيه يعرف هو بيقاتل فين ومع مين.

«قبل ما نيجي موسكو الاولاد قعدوا في الضفة الشرقية ٢٤ ساعة وقلنا لهم ارجعوا، قالوا عاوزين نقعد ونقاتل، قلت لهم كفاية ارجعوا... الهدف ليس هو مجرد العبور... ولكن العبور ذاته لازم تكون معاه خطة معينة، هدف محدد لازم احسب حسابه. العدو عنده تفوق جوي، وليه ابعت الاولاد بتوعي علشان يموتوا من غير سبب... احنا مش عاوزين مجزرة لهم... أضيع الاولاد ليه انتظر شوية لغاية ما يكون هناك تعادل جوي... لازم يكون تعادل بلاش تفوق جوي... العبور ليس مشكلة باعتراف الكل. المشكلة ان أولادي يخشوا لهدف معين وحسب خطة معينة.

«ما هو هدف العبور... لازم احقق هدفا معينا... بصراحة وببساطة لازم يكون عندي تعادل جوي مع اسرائيل... لازم يكون عندي طيارين يعني لازم يكون لكل طيارة طيار واحد على الاقل، اليهود عندهم ٢ لكل طيارة، ولازم أصيب طياريه... الاسرائيلي ما يهموش الدبابة ولا المدفع يهمه العسكري الاسرائيلي، استراتيجيتي هي جنازة كل يوم في تل ابيب. في حرب الاستنزاف لازم يكون عندي تعادل جوي، وعنق الزجاجة هو السلاح الجوي... واسرائيل لا تستطيع أن تتفوق علينا في القوات البرية، ولا تستطيع ان تهاجم بها لانها سوف تتعرض للخسارة، وهم لا يريدون خسارة بهذه الصورة، والى ان يتم تعادل معهم في الطيران سأستمر في تدريباتي الى أن استطيع تحقيق هدفي، وأعبر، وأفتح القناة للعالم كله وأوضع العالم أمام مسؤولياته بالنسبة للملاحة.

«بعد ما كنا جثة هامدة في ١٩٦٧ والطريق مفتوح الى القاهرة النهار ده نقف ونردع، ونصمد، ونضرب تجمعات العدو، وبحريتنا بتطلع الى شاطيء سيناء، وخليج أيلات، وعمليات اخرى لا نقول عنها الان وطائرات هليوكبتر بتزرع الالغام، ويتدرب الطيران للانزال خلف خطوط العدو، وطالما أضرب، فسوف اتلقى بعض الضربات ولكن اللي يزعجني أن انضرب ولا استطيع ان ارد. الضفادع البشرية بتاعتي في ايلات والبحرية في رمانة وبلوظه وعمليات العبور مستمرة، العدو بيبعث طيارات على بعد ٥ كيلومتر ولا تأثير لها، ضربوا مواقعنا خمس ساعات وانتهت بجريح واحد، ولم يصب العدو سيارة واحدة ولا مركز صواريخ، الضرب كله كان خارج الموقع.

«المهم أننا نسير في طريق تحرير أراضينا , اذا كنا سكتنا معليش... ولكننا الان في تخطيطنا نضع أمام عيوننا هدفا واحدا هو تحرير الارض...

«احنا لغاية للوقتي وبكرة وبعده بنقول اذا كان فيه حل سلمي، خير وبركة حتى لا نضحي بمصري واحد، ولكن الواقع ايه... الواقع أن اميركا مصممة على أن تخرج اسرائيل من المعركة بنصيب الاسد، واميركا تقدمت بمقترحات من ١٠ نقط وطالبة من الاتحاد السوفياتي يرد عليها، وبتلومه لانه لم يرد. عشر فقط، هي كمالة لثلاث نقط، وفيه ١٤ نقطة، وسبع نقط بتوع راسك، وخمس نقط بتوع جونسون. المهم ان نفهم ما هو الفخ الاميركي...!

«الفخ الاميركي أن مصر تخرج من المعركة، ومن السهل بعد كده حل المشكلة، تسوية بين مصر واسرائيل وتجزئة للقضية، والاميركان قالوا حاجة كويسة قوي... قالوا حاجة مغرية... قالوا ما فيش خلاف بين مصر واسرائيل حول موضوع الحدود. واميركا معترفة بذلك، والحدود معروفة من أيام وجود مصر وفلسطين والحدود دي حدود آمنة.

«ومعنى هذا الكلام ان القوات الاسرائيلية تجلو عن سيناء كلها، وتخرج من كل حدود مصر.

«طيب وبعد كده أيه...؟

«مصر تقعد مع اسرائيل وتقرر مصير غزة، وتقعد مع اسرائيل وتقرر مصير شرم الشيخ... واسرائيل تنسحب، ومصر تسمح بمرور السفن، ولكن ليس لها دعوى بموضوع الفلسطينيين...

«فيه راجل اسمه بيرجس (دونالد بيرجس) جيه في مايو (آيار) ١٩٦٩ وقال انه رايح اجازة من مصر، لمدة ٣ أشهر وبعدين بعث رسالة قال فيها مصر متشددة ليه؟... ليه مش عاوزين عودة العلاقات. ليه التشدد والصلابة... (مصالحنا في السعودية) مؤمنة، وفي الكويت مؤمنة، وفي السودان وفي ليبيا مؤمنة، ومصالحنا في اسرائيل مؤمنة، طيب نساعد مصر ليه... نساعدكم ليه وانتم رافضين عودة العلاقات؟

«سافر من مصر في أواخر ابريل (نيسان) وأوائل مايو (أيار) ١٩٦٩. يوم ٢٥ مايو (أيار) تقوم ثورة السودان. النميري يخلص الوضع في السودان وبيرجس سافر اميركا...

«وأول سبتمبر (ايلول) قامت ثورة ليبيا... على عكس ما كان أي انسان يستطيع أن يتصور مليون ونصف ليبي لديهم ثروة قدرها الف مليون دولار، وعندهم طبقة كانت منتفعة من هذه العملية... ومعاهدة وقاعدة في هويلس وطبرق والعضم... قواعد اميركية وانجليزية والاميركان موجودين والحالة عال ومستقرة وتقوم ثورة ليبيا!

«كان نفسي أشوف بيرجس... نفسي أشوف بيرجس في قاعدة هويلس، أكبر قاعدة اميركية خارج الولايات المتحدة وبيتدرب الطيارين الاميركان ٣٦٥ يوم في السنة والطيران كويس وطيارين حلف الاطلنطي يتمرنوا داخل الاراضي الليبية ووراهم الصحراء... وبالرغم من ذلك قامت ثورة ليبيا.

«كان نفسي اشوف بيرجس... ونشوف مصالح اميركا في ليبيا والسودان وفي المنطقة.

«اميركا تعبانه في فيتنام، ولكنها حتستمر بشراسة أكبر... وفي المرحلة المقبلة أنا متوقع شراسة عنيفة علينا... لازم حيدوا اسرائيل سلاح أكثر... طيران ودبابات وفنيين يبعتوا بهم لاسرائيل... وأميركا لا تعيد النظر في موقفها ابدا.. لانهم لو اعادوا النظر يعني معناه انهم يسلموا بالخطأ، وطبعا مش حيعملوا كده.

«وفي عام ١٩٦٧ باعتراف اميركا كان عند اسرائيل ٧٠٠ متطوع من اميركا وانجلترا وبلجيكا والمانيا الغربية، متدربين على المدرعات والطيران وموجودين في اسرائيل، وأخيرا الفدائيين في العريش قتلوا واحد اسرائيلي، طلع انه · يهودي بلجيكي واليهود لم ينكروا ذلك.

«المسألة عاوزه وقت. لازم عملية استنزاف للعدو. تصورنا للمعركة المقبلة انه ليس هناك احتمالات حل سلمي... ولم نؤمن في لحظة من اللحظات ان اسرائيل ستقبل أي حل سلمي، ولا بد من مواجهة ولا بد من معركة، كما نرى الليل والنهار... قواتنا ٥٠٠ الف وحنكملها لمليون عسكري مهما بلغت التكاليف، لان الكرامة اغلى من كل شيء والمسألة ببساطة أن نتعلم من معركة فيتنام... المعركة معركتنا، وقد نضطر الى ان ندخل المعركة منفردين...

«الاتحاد السوفياتي لازم نشعر بعميق التقدير لموقفه، فقد ساعدنا وسيساعدنا، واحب ان اروي لكم قصة قصيرة، في وقت من الاوقات اتوفر لنا شوية عملة صعبة، وقلنا نشتري سلاح من الغرب، بعثنا نشتري عن طريق طرف ثالث... ووصلت الاسلحة فعلا الى ميناء الشحن في هولندا وبدأت الاوناش تنقل الاسلحة الى المراكب... واليهود عرفوا ورجعوا السلاح، وراحت علينا الفلوس...

«أما بالنسبة للجبهة الشرقية: يضيق صدري ولا ينطق لساني... معهد الدراسات الاستراتيجية في حيفا مطلع بحث بيقول فيه، أنه في اليوم الذي تحارب فيه اسرائيل على جبهتين تنتهي... ليدل هارت، أكبر معلق عسكري، كتبه تدرس في المعاهد العسكرية الى اليوم، يؤيد هذه الدراسة... النيويورك تايمز وأميركا... وكل الناس بيقولوا كده... بيقولوا أن اسرائيل لا تستطيع أن تحارب في جبهتين، ولذلك فأنها تحشد قواتها على جبهة واحدة. ويتعتمد على الحرب الخاطفة، تحشد ٢٥٠ الف على جبهة ويمكن ان تنقلهم الى الجبهة الثانية ولكنها اذا حاربت على جبهتين ولفترة طويلة تنتهي...

«طيب نعمل جبهة شرقية من العراق وسوريا والاردن، ونكون احنا يعني مصر الجبهة الغربية، احنا ماشيين كويس، عندنا نصف مليون، وبنعبر القناة! والطيران كويس، وان كان لسه زي ما قلت يمثل عنق الزجاجة، البحرية كويسه يبقى كلامنا على الطيران... اليهود عملوا زي ما عمل هتلر بدأ يستعد بالطيران من سنة ١٩٣٣، وفي سنة ١٩٣٩ كان يتقدم على «الحلفاء» ست سنين، بعد ٣ سنوات من الحرب استطاع «الحلفاء» ان يتفوقوا في الطيران... وانتهت المانيا...

«بالنسبة لنا... لسه سلاح الطيران المصري لم يغلق الفجوة بيننا وبين اليهود. علشان يتم اعداد طيار يصلح للطيران النفاث لازم ٥ سنوات وده كلام معروف في العالم كله... واليهود سبقوا، ومن سنة ١٩٥٦ وهم بيربوا الطيارين وبعد١١سنة كان عندهم طيران كويس.

«نرجع للجبهة الشرقية بعد الوحدة مع سوريا في عام ١٩٥٨، قال بن جوريون: ان اسرائيل اصبحت مثل البندقة بين كسارة البندق يعني بين سوريا ومصر، ولذلك حاولوا انهاء هذا الوضع، ولازم نعمل كل ما في وسعنا لكي تدعم الجبهة الشرقية.

«أما الجبهة الغربية، فهي مصر، فيها قيادة وعبور وتنسيق وطيران. وضفادع بشرية ومراكب وأسطول بحري... وكل شيء ماشي بنظام والمطلوب الان لازم يكون فيه تنسيق مع الجبهة الشرقية، مع سوريا... ومع الاردن ومع العراق... واحنا حنذهب لمؤتمر القمة في الرباط (٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩)».

وانتقل انور السادات للحديث عن صيغة رودس.فقد ذهب محمود رياض في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩ قبل زيارته لموسكو الى الامم المتحدة واذاعت الولايات المتحدة ان مصر وافقت على صيغة «رودس». وصيغة «رودس» هي ان تبدأ المحادثات عن طريق الامم المتحدة بين مصر واسرائيل، ثم تتحول هذه المحادثات كما كانت تتصور اميركا واسرائيل، الى محادثات بين مصر واسرائيل بصورة مباشرة ويصبح الحوار مباشرا بينهما ويصبح دور الامم المتحدة ثانويا.

قال السادات معلقا على هذه النقطة:

«احنا احترنا مع الاميركان... انهم يلجأون لكل الاساليب... محمود رياض راح الامم المتحدة، وروجرز طلب مقابلته واحنا سياستنا مفتوحة، حتى جوزيف سيسكو قال انه عاوز يزور مصر قلنا يزور ما فيش مانع... رياض في الامم المتحدة قابل روجرز واتكلموا ساعة ونصف، واتكلم معاه في كل المشكلة... وفي كيفية اجراء محادثات عن طريق الامم المتحدة، اليهود بيطالبوا بمفاوضات مباشرة والاميركان عاوزين اليهود يطلعوا بالغنيمة، وعاوزين يقولوا ان مصر وافقت على التفاوض المباشر مع اسرائيل، ورياض قال لروجرز احنا لا نستطيع ان نتكلم مع اليهود مباشرة لانهم يحتلوا الان اراضينا... اتكلم معاهم ازاي... لا بطريق مباشر... او غير مباشر، رياض قابل جروميكو (اندريه جروميكو) وكان جروميكو قد قابل ويليام روجرز في واشنطن ورجع لنيويورك، وقال جروميكو لرياض، انا فهمت من روجرز انك وافقت على اجراء مباحثات مع الاسرائيليين على غرار محادثات رودس[1]، وكان روجرز قد بعث الى رئيس وفده في نيويورك ليبلغه ان اندريه جروميكو قد وافق في واشنطن اثناء اجتماعه بروجرز على صيغة «رودس» بعد ان ادعى روجرز ان رياض وافق على ذلك.

«جروميكو سأل رياض «انت وافقت على اجراء محادثات مع اسرائيل على غرار محادثات رودس» فرد عليه رياض قائلا «لا... ده انت اللي وافقت على صيغة رودس». المهم أميركا قالت لروسيا ان مصر وافقت على «رودس» وأميركا قالت ان جروميكو وافق على صيغة «رودس» والحقيقة ان لا مصر ولا روسيا وافقوا على صيغة دودس، وأحب ان اقول لكم بكل صراحة لم نوافق على «رودس» ولا غير رودس، ومصر لا تتكلم ولا تتفاوض اطلاقا مع اسرائيل، على غرار رودس او غير رودس، وموقفنا هو: لا تسليم في الارض... ولا في حقوق شعب فلسطين، ويوم ما ينسحبوا عن أراضينا... أراضي العرب، ويوم ما يعيدوا حقوق شعب فلسطين يبقى كلام ثاني وأنا اتهم علنا وزير خارجية اميركا بالكذب.

«المهم أننا نعرف احنا رايحين فين، نشوف فيتنام، الفيتناميين ليس لديهم طائرة واحدة واسقطوا ٦٠٠ طائرة اميركية، أميركا عندها تفوق جوي، فانتوم ولكنها لا تستطيع ان تخلع العسكري الفيتنامي من أرضه، واسرائيل عندها تفوق جوي، واستراتيجية الفانتوم عندها، انها تقول مثلاً أنا حاضرب السد العالي اذا لم توافق على طلباتي وتتفاوض معايا، حاضربك وأحطم منشآتك. ولكن على ضوء درس فيتنام الاقي ان الطيران لا يستطيع

---

(١) محادثات رودس هي المحادثات الخاصة باعداد اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ وكان البكباشي محمود رياض يمثل مصر في هذه المحادثات التي تمت تحت اشراف الدكتور رالف بانش.

ان يخلع العسكري من الارض في حين ان العسكري يستطيع ان يسقط الفانتوم وبالتالي يقضي على طيار العدو.

«الطيران الاسرائيلي ٥ يونيو (حزيران) ضرب الطيران المصري، وأصبحت الاهداف امامه مفتوحة. الطيران يمهد للمعركة، ولكنه لا يستطيع احتلال الارض، الجندي هو اللي يحتل الارض. أميركا عندها في فيتنام قاذفات القنابل من طراز «ب ٥٢» وفانتوم وسكاي هوك و«ف ١١٢». جربوا كل هذا واستخدموا طائرات هليوكبتر جديدة، ولكنهم لم ينجحوا في احتلال الارض بالطائرة.

«اسرائيل عندها الان تفوق جوي، ولذلك لا بد ان يكون عندي وسيلة للدفاع الجوي، لكي استطيع أن اصد الطيران.

«ولذلك فأنا لازم اركز على الحصول على جهاز دفاع جوي قوي، في الوقت اللي احصل فيه على طائرات. وأدرب طيارين، ولازم اصل الى مرحلة استطيع فيها ان انهي تفوق اسرائيل الجوي وأنا عارف اسرائيل عندها ايه، بواسطة الالكترونات والاجهزة الحديثة انا استطيع ان اعرف نوع اي طائرة تطلع في المجال الجوي الاسرائيلي. وأي طائرة تطلع في مجال اسرائيل بتعرفها.

«الروس بيعطوا مصر طائرات، لم تكن موجودة عندنا قبل ٥ يونيو (حزيران) وكل واحد فينا عارف الثاني عنده ايه، وفي كل فترة بنعمل تقدير موقف، نشرح خطة العدو وظروفه، والحلول المقترحة، ونحدد هو بيعمل ايه، وأنا لازم اعمل ايه».

غادر انور السادات موسكو، بعد ان ترك عددا من الخبراء العسكريين يوم ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ ليقدم تقريره الى الرئيس جمال عبد الناصر عن مدى استعداد السوفيات للتعاون مع مصر عسكريا وسياسيا، وقبل ان يطير الرئيس جمال الى مؤتمر القمة في الرباط الذي لم يصدر أي قرارات. وبعد انتهاء مؤتمر القمة طار الرئيس عبد الناصر الى ليبيا حيث عقد مؤتمرا مع القذافي ونميري ثم طار يوم ٣١ ديسمبر (كانون الاول) الى الخرطوم واجتمع برجال الثورة السودانية.

وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ كان الرئيس عبد الناصر يستقل طائره خاصة الى الاتحاد السوفياتي، في زيارة سرية لم يعلن الرئيس عنها شيئا في ذلك الوقت، وكان الهدف منها مناقشة الاوضاع العسكرية، بعد استئناف اسرائيل شن الغارات في العمق. ووافق الاتحاد السوفياتي في هذه الزيارة التي استمرت ٤ أيام على دعم السلاح الجوي المصري، وبناء اكبر شبكة دفاع جوي لصد كل غارة اسرائيلية متوقعة، وأكد الجانب السوفياتي ان الدعم المطلوب سوف يصل في موعد اقصاه ٣٠ يوما من انتهاء زيارة عبد الناصر لموسكو. وكانت اسرائيل قد قامت بمعركة في جزيرة شدوان بعد اشتباك مسلح بين القوات المصرية والاسرائيلية قرر بعدها على الفور الرئيس جمال أن يطير الى موسكو للحصول على الدعم العسكري المطلوب.

وفي مناسبة تالية، يوم ٢٣ يوليو (تموز) عام ١٩٧٠ أعلن الرئيس عبد الناصر زيارته السرية لموسكو ووصف التعاون السوفياتي قائلا: «ان الاتحاد السوفيتي قد قرر ان يساعدنا بكل ثقله في الدفاع عن مدننا ضد غارات العمق».

٨ ـ حفار لاسرائيل لاستخراج البترول من سيناء

تلقت الحكومة المصرية في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ معلومات تؤكد ان اسرائيل بدأت في استغلال آبار البترول الموجودة في سيناء وفي خليج السويس، وانها تجري إتصالات مع كندا من اجل بحث امكانية التنقيب عنه، وان أول سفينة للتنقيب عن البترول قد غادرت اوتاوا عاصمة كندا وانها تسير الآن عبر المحيط الاطلسي، وسوف تصل الى داكار ثم تسلك طريق رأس الرجاء الصالح في طريقها الى شرم الشيخ..!

والبرقية التي تلقتها وزارة الخارجية المصرية من عدة مصادر والتي تؤكد هذه المعلومات هذا نصها:

«... اسرائيل منحت نصف مليون دولار لشركة كنتنج KENTING الكندية للتنقيب عن البترول... وأول سفينة تنقيب قد غادرت اوتاوا في طريقها الى شرم الشيخ».

وكلفت الحكومة المصرية بعثة رعاية مصالحها في امريكا وسفارتها في كندا وأغلب سفاراتنا في اوروبا وأفريقيا بتتبع هذه القصة واختيار الاسلوب المناسب لمنع هذه العملية.

جاءت المعلومات الاولية تؤكد خطورة هذه العملية التي تشترك فيها شركات من ٣ دول هي امريكا وكندا وبريطانيا..!

والعملية بدأت باتفاق عقده موشي ديان مع شركة أميركية اسمها شركة «كينج ريسورزس» KING RESSOURCES وصاحب هذه الشركة هو جون كينج JOHN KING ومقرها ولاية دينفر في كولورادو بالولايات المتحدة. ومنحت اسرائيل هذه الشركة نصف مليون دولار كدفعة اولى على الحساب الى حين تحقيق نجاح عمليات الحفر والتنقيب.

وأسرع جون كينج صاحب هذه الشركة بتكذيب ان شركته ستقوم باستخراج البترول في الاراضي المحتلة وأنها قامت فقط بتقديم مشورات جيولوجية ومعلومات اولية للحكومة الاسرائيلية، وانها قامت فعلا باعداد دراسات فنية تتعلق بامكانيات استخراج البترول في سيناء.

وتطوع جون كينج بأن يعلن ان عمليات التنقيب الفعلية التي تتم في اسرائيل تتولاها الان شركة كندية اسمها شركة كينتنج KENTING وان شركة كينج الاميركية اتصلت بشركة كينتنج الكندية للقيام بهذه الاعمال الخاصة بالبحث والتنقيب بواسطة شركة انجليزية اسمها شركة ميدبار MIDBAR ومقرها لندن، وهي احد فروع شركة كينج KING الاميركية.

والمعلومات التي جمعتها القاهرة تؤكد أن اسرائيل قد بدأت اعمال التنقيب في سيناء

بعد اسبوع من حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧، وأن موشي دايان كان أشد الناس حماسا لاستغلال بترول سيناء، والبحث عنه في خليج السويس بالذات.

وتحركت وزارة الخارجية المصرية في عدة اتجاهات، فقد أبلغت مكتب المقاطعة للجامعة العربية بأن شركة كينتينج الكندية التي تقوم بالبحث والتنقيب بتكليف من شركة كينج الاميركية، تعمل في العراق وقبرص، وأن لها مصالح في الدول العربية، ويمكن تطبيق قرار المقاطعة عليها.

وعلى الفور وجه المكتب الرئيسي لقسم مقاطعة اسرائيل في الجامعة العربية انذارا الى جميع الغرف التجارية في العالم، بأن احكام المقاطعة سيتم تطبيقها على أي شركة تقبل ان تقوم بأعمال التنقيب او شراء مواد بترولية من الاراضي العربية المحتلة، لانها ملك للدول العربية ولا يحق لاسرائيل التصرف فيها.

وصدرت تعليمات الى سفارتنا في لندن وأوتاوا وقسم رعاية المصالح المصرية في واشنطن لابلاغ حكومات بريطانيا وكندا واميركا «... بأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تحمل حكومتكم المسؤولية القانونية والسياسية، للسماح لشركة كندية بالقيام بأعمال التنقيب عن البترول مع علم حكومتكم بأن اسرائيل ارتكبت عدوانا باحتلال الاراضي العربية، واستمرار احتلالها، وبالرغم من ذلك، فان حكومتكم لا تمنع شركاتها من مساعدة اسرائيل في البحث واستغلال موارد هذه الاراضي الطبيعية».

وكانت نفس الصيغة قد ارسلت الى حكومتي بريطانيا وأميركا مع تغيير اسم الشركة ومع اضافة فقرة بالنسبة لواشنطن ولندن، اذ جاء في هذه الرسائل «ان حكومة بريطانيا وحكومة الولايات المتحدة تتمتعان بالعضوية الدائمة لمجلس الامن، وتشتركان في المحادثات الرباعية الدائرة الان في نيويورك».

وفي لندن توجه سفير مصر احمد حسن الفقي الى وزارة الخارجية البريطانية وقابل ايفان لوارد وكيلها لشؤون الشرق الاوسط، وأبلغه نص المذكرة يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩، وعبر الوكيل عن قلق بريطانيا من الانباء التي ترددت، والقائلة بأن شركة ميدبار ومقرها لندن وهي فرع لشركة اميركية تفكر ــ بموافقة الشركة الاميركية ــ في التنقيب عن البترول في الاراضي المحتلة... ان الحكومة البريطانية تدرس النتائج القانونية المترتبة على هذا الوضع».

ومن ناحية اخرى أشارت المصادر البريطانية أن شركة ميدبار ليست فعلا شركة بريطانية ولكنها شركة اميركية اتخذت لندن مقرا لها لاسباب مالية تتعلق بالضرائب المفروضة على الشركات الاميركية في الولايات المتحدة، والتي تختار فروعا لها في عواصم اوروبية للتخفيف من الاعباء الضرائبية.

وبالرغم من هذا التكذيب القاطع فان وزارة الخارجية المصرية قد استدعت سفير بريطانيا في القاهرة يوم ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ السير ريتشارد بومونت وأبلغته ان حفارا للبترول تملكه شركة ميدبار المسجلة في بريطانيا قد ابحر من احد موانىء كندا في طريقه الى خليج السويس.

وأراد السفير البريطاني ان يتهرب من المسؤولية بعد تكذيب حكومته القاطع فقال

«أعتقد ان الحفار قد غادر اوتاوا فعلا ولكن ليس في اتجاه خليج السويس ولكن الى مكان آخر...»

وقبلت القاهرة مؤقتا هذا التفسير في الوقت الذي كانت تعلم فيه ان الحفار قد غادر اوتاوا الى داكار ليتخذ مساره حول رأس الرجاء الصالح لينتهي في خليج السويس.

نفس الاجراء اتخذته الخارجية المصرية مع السفير الكندي في القاهرة ومع الحكومة الاميركية في واشنطن، التي ابلغت الدكتور اشرف غربال رئيس بعثة المصالح المصرية في اميركا بواسطة المستر وارن كلارك المسؤول عن شؤون بترول الشرق الاوسط في الخارجية الاميركية يوم ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ أن قاطرة هولندية استأجرتها شركة ميدبار تتولى جر الحفارة واسم القاطرة هو جاكوب فون همسكرك.

دخلت بذلك دولة رابعة في المشكلة واصبحت اميركا وكندا وبريطانيا وهولندا فيها. وصدرت التعليمات لسفارتنا في لاهاي لابلاغ الحكومة الهولندية بمذكرة رسمية بالتعليمات السابقة التي بعثت بها القاهرة الى كل من الدول الثلاث.

وفي القاهرة استدعى السفير سميح انور وكيل الخارجية في ذلك الوقت ــ وسفير مصر في لندن الان القائم بالاعمال الهولندي في ٧ فبراير (شباط) ١٩٧٠ وأوضح له المخاطر التي تتعرض لها القاطرة والحفار، خصوصا وان السفينة التي تقطر الحفار تحمل رعايا هولنديين وان اسرائيل تسعى للزج بأكثر من طرف في المشكلة لتسوئ العلاقات بين مصر وهذه الدول.

وبكل ادب دبلوماسي كان سميح انور ينصح القائم بالاعمال باتخاذ «اللازم» للعمل على وقف هذه العملية، وتحذير الرعايا الهولنديين الموجودين على ظهر القاطرة من البقاء عليها.

وانتهز القائم بالاعمال الهولندي هذه الفرصة ليؤكد «حرص بلاده على عدم الزج بها في هذه المشكلة وانه واثق بأن حكومته سوف تقوم بنصح الافراد والمؤسسات لعدم الزج بأنفسهم في مشاكل سوف يتحملون فيما بعد مسؤولياتها».

ومن القاهرة صدرت تعليمات الى سفارتنا يوم ٧ فبراير (شباط) ١٩٧٠ في كندا وبريطانيا واميركا لابلاغ حكومتها الآتي:

١ ــ بطلان وعدم شرعية ما تتخذه اسرائيل.
٢ ــ هذه الاجراءات يترتب عليها تصعيد الموقف.
٣ ــ مصر تحتفظ بكافة حقوقها كاملة ازاء اي حكومة او شركة تتعاقد مع اسرائيل.

وبالرغم من كل هذه التحذيرات فان القاهرة كانت تعلم مقدما أن اسرائيل سوف تستمر في عملية تحريك الحفار بحيث يصل الى شرم الشيخ وخليج السويس، ليزيد من احراج مصر في علاقاتها مع الدول الافريقية التي سيمر بها الحفار والقاطرة في الرحلة حول القارة الافريقية وعبر رأس الرجاء الصالح

وضعت القاهرة عيونها على تحرك الحفار الذي غادر ميناء داكار في السنغال يوم ٧ مارس (آذار) وأخذ يتحرك في اتجاه ميناء ابيدجان عاصمة ساحل العاج ليصل اليها يوم ١٨ مارس (آذار) وبعد وصوله الى ميناء ابيدجان، وفي خلال ليلة ١٨ و ١٩ مارس (آذار)

بدأ الحفار يميل ويمتلىء بالمياه ثم بدأ يغرق لتبتلعه مياه المحيط الاطلسي... بعد ان تفجرت كل اجهزته.

نبأ هام نشرته الصحف البريطانية في ٢١ مارس (آذار) ١٩٧٠ يقول «تم نسف الحفار في ابيدجان وان جميع اجهزته قد تحطمت، واصبح غير صالح للعمل تماما...» وذكرت هذه الصحف ان مجموعة من الكوماندوس المصريين قد قامت بهذه العملية الجريئة، بعد ان غادر رجالها القاهرة في رحلة سريعة خاطفة الى السنغال ثم الى ساحل العاج، ونسبت هذه المصادر الصحفية الى مصر مسؤولية القيام بهذا العمل الجريء والتزمت القاهرة بالصمت التام.. .ولم تؤكد او تنف قيام الكومندوس بهذه العملية التي وصفتها الصحف العالمية بأنها «ضربة قاصمة لمشروعات اسرائيل».

وكما غادر الحفار الذي تجره قاطرة هولندية احد الموانىء الكندية سرا في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ فقد غاص الحفار يوم ٢٠ مارس (آذار) ١٩٧٠ في مياه المحيط الاطلسي في ميناء ابيدجان ثم رقد في قاع المحيط.

٩ ـ لقاء في اسوان بين عبد الناصر وتيتو

في العاشر من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ اتفقت الحكومة الفرنسية مع حكومة الثورة في ليبيا على عقد صفقة للحصول على ٥٠ طائرة ميراج ثارت لها ثائرة اسرائيل، وتم الاعلان عن هذه الصفقة قبل رحلة الرئيس عبد الناصر الى موسكو في زيارته السرية للعاصمة السوفياتية في ١٢ يناير (كانون الثاني) من نفس العام.

وفي الوقت الذي كان تطور الاوضاع العسكرية يحمل في طياته تهديدات قوية للجانب الاسرائيلي الذي ظل يعربد في المنطقة، قامت البحرية المصرية يوم ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ بابادة مجموعة من الضفادع البشرية الاسرائيلية وهي تحاول عبور القناة ثم دارت معركة جزيرة شدوان في البحر الاحمر بين القوات المصرية والاسرائيلية، وقامت قوة مصرية بتدمير محطة للرادار في سيناء، واسقطت المدفعية المصرية طائرة للعدو في ٢٥ يناير (كانون الثاني) وضبطت المخابرات السويسرية معدات وقطع عيار طائرات الفانتوم، تقوم شركة العال للطيران الاسرائيلي المدني بتهريبها على طائراتها عبر الاراضي السويسرية وصادرت الحكومة السويسرية هذه الشحنة.

استمر تدهور الموقف بصورة اعنف واقوى، اذ قامت الضفادع البشرية المصرية باغراق وحدتين بحريتين لاسرائيل في ميناء ايلات، وأطلقت المدفعية المصرية نيرانها على المدافع الاسرائيلية في عيون موسى وذلك يوم ٦ فبراير (شباط) ١٩٧٠، وحاولت اسرائيل في نفس اليوم الاغارة بطائرات الفانتوم على اسيوط والتل الكبير، فأسقطت المدفعية المصرية طائرتين اسرائيليتين اثناء اغارتهما على الغردقة وسفاجة.

وقامت اسرائيل بأكبر غارة جوية يوم ٩ فبراير (شباط) من نفس العام على مصر، اشتركت فيها ٤٢ طائرة واسقطت المدفعية والطيران المصري طائرتين اسرائيليتين من طراز ميراج.

ومع بداية عام ١٩٧٠ حتى الاعلان عن مبادرة روجرز في يوليو (تموز) من ذلك العام مارست اسرائيل كل اساليب الضغط على حكومة نيكسون للحصول على صفقة جديدة من الفانتوم حددتها بمائة طائرة.

وازاء تدهور الموقف، الذي اصبح يهدد التفوق الاسرائيلي، عقد الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون مؤتمرا صحفيا في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ في واشنطن أكد فيه انه يعبر عن قلقه ازاء ما سماه «التوازن القائم في الشرق الاوسط» وقال: «انهم يتهمون اميركا يوما بانها تؤيد العرب، ويعود العرب ليعلنوا انها تؤيد اسرائيل».

وأعلن نيكسون ان حكومته تبحث طلبا من اسرائيل بتزويدها بمائة طائرة من طراز

فانتوم وانه سيتخذ قراره في هذا الطلب خلال ثلاثين يوما.

وانتهز نيكسون فرصة دعوته لهذا المؤتمر الصحفي ليؤكد وجود خلاف بين واشنطن وباريس، بعد ان اعلنت حكومة الرئيس بومبيدو بأنها ستبيع ٥٠ طائرة ميراج لليبيا. وقال نيكسون «إنني أخشى من إستخدام هذه الطائرات في الحرب الدائرة في الشرق الاوسط».

وفي الوقت الذي كان فيه نيكسون يبدي قلقه من «فقدان التوازن» في الشرق الاوسط، كان الرئيس اليوغوسلافي جوزيف بروز تيتو يتخذ قراره بالسفر الى عواصم افريقيا وآسيا، ليبحث في الدعوة لعقد مؤتمر جديد لدول عدم الانحياز لتكتيل جهود دول هذه المجموعة في مواجهة الضغط الذي تتعرض له دولة من دول عدم الانحياز، وهي مصر، ويعلن عن زيارته لليبيا ضمن جولة بدأت يوم ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ زار خلالها تانزانيا وزامبيا واثيوبيا وكينيا والسودان، ثم ينهي جولته في اسوان حيث يلتقي بالرئيس جمال عبد الناصر في الثالث والعشرين من شهر فبراير (شباط) من ذلك العام، قبل ان يطير تيتو من اسوان الى ليبيا في أول زيارة يقوم بها لمقابلة حكومة الثورة فيها.

خلال جولة تيتو في المنطقة التقى بوليام روجرز وزير خارجية اميركا الذي كان يزور دولا افريقية وعربية بعد مؤتمر القمة في الرباط، ويجتمع تيتو وروجرز في أديس ابابا عاصمة اثيوبيا في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٠. وعقب هذا اللقاء اعلنت السفارة الاميركية في اديس ابابا «أن الموقف في الشرق الاوسط يشغل بال وزير خارجية اميركا بدرجة كبيرة لأن هذا الموقف قد اصبح خطيرا بصورة جدية جدا، ومن الممكن القول بأنه اخذ في التدهور».

وفي بلجراد استدعى السيد فراتوشا نائب وزير خارجية يوغوسلافيا السفير المصري يحي عبد القادر (سفير مصر في اليونان الان) يوم ٦ فبراير (شباط) ١٩٧٠ ليبلغه رسالة عاجلة لاطلاع الرئيس جمال عبد الناصر على مضمونها وذلك قبل ان يبدأ الرئيس تيتو جولته الافريقية هذا ملخصها:

«١ ــ ان تصريحات نيكسون التي ادلى بها يوم ٣١ يناير (كانون الثاني) من هذا العام المقصود بها رفع معنويات اسرائيل، وزيادة الضغط على الجمهورية العربية، في الوقت الذي تتمادى فيه اسرائيل في عدوانها، وتعتقد الخارجية اليوغسلافية ان بيان نيكسون مقصود به الرد على فرنسا بعد عقد صفقة الميراج مع ليبيا.

«٢ ــ تحاول الحكومة اليوغسلافية اعداد مذكرة تتضمن مقترحات محددة لتقديمها للرئيس تيتو، بحيث يتمكن من مناقشتها مع الرئيس عبد الناصر، ولكن الموقف تأزم بصورة اصبح من الصعب بعدها وضع صيغة مقبولة تصلح لمواجهة هذا الموقف المتدهور بصورة بناءة».

وبعث الرئيس عبد الناصر يدعو تيتو وقرينته لزيارته في اسوان في طريق عودته الى يوغوسلافيا، بحيث يطير من الخرطوم الى اسوان ثم يطير منها الى ليبيا فبلغراد.

ونزل الرئيس تيتو من اسوان يوم ٢٣ فبراير (شباط) وقضى يومين في مباحثات مستمرة مع عبد الناصر. وبدأت اول جلسة للمباحثات في مساء نفس اليوم.

وضع الرئيس تيتو نظارته الطبية على عينيه وقال للرئيس عبد الناصر:

«اخي جمال سوف اقرأ لك الان المحضر الذي اعددته بعد المقابلة التي تمت بيني وبين ويليام روجرز في أديس ابابا». وبدأ الرئيس تيتو في قراءة المحضر الذي قال فيه روجرز «انه لا بد من ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط هذا العام (١٩٧٠) وان روجرز لا يتصور امكانية ايجاد اي حل سلمي لهذه المشكلة، اذا انتظرنا للعام القادم».

وسأل عبد الناصر الرئيس تيتو «هل فهمت من هذا الكلام ان الولايات المتحدة تقدم لنا تهديدا بضرورة قبول ما تعرضه علينا خلال هذا العام، والا ضاعت فرص التسوية»؟.

قال الرئيس تيتو «لقد استمعت الى كلام روجرز وقلت له ان الدول الكبرى تتحمل مسؤوليات كبرى. ولذلك فان امداد اميركا لاسرائيل بالطائرات والمعونة العسكرية الممتازة لا يساعد على ايجاد الحل السلمي المطلوب».

رد روجرز قائلا: «ان اميركا لا تعلم ان لدى الدول العربية طائرات اكثر عددا من اسرائيل، ولكن الدول العربية تحتاج الى طيارين». فقال تيتو ردا على روجرز «اذا كانت هذه المعلومات صحيحة وتقتنع بها اميركا فانكم تعطون اسرائيل الطائرات وانتم تعلمون ان لديها الطيارين، وبهذا العمل تشجعون اسرائيل على الاستمرار في احتلال الاراضي العربية وعرقلة كل الجهود التي يمكن ان تؤدي الى تسوية سلمية للمشكلة».

استمر الرئيس تيتو في حديثه مخاطبا عبدالناصر: «انني اريد ان اقدم لك تصوري وتحليلي للموقف في الشرق الاوسط».

واستطرد تيتو في عرضه مؤكدا انه يعتقد ان اميركا لا تساعد ولا تريد ايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط، وان مصلحتها هي استمرار اغلاق قناة السويس، وهي تبني السفن الكبيرة لنقل البترول، وتريد استمرار اغلاق القناة لابعاد الاسطول السوفياتي عن البحر الاحمر والجنوب العربي».

واستمر الرئيس تيتو مؤكدا للرئيس عبد الناصر انه يؤيد موقف مصر الذي اتخذته منذ بداية الازمة، واستمرار اتصالاتها الدبلوماسية وقبولها لقرار مجلس الامن وتعاونها مع السفير جونار يارينج، في الوقت الذي يؤيد فيه جهود مصر من اجل حشد قواها وطاقاتها العسكرية، لانه يوافق الرئيس عبد الناصر في رأيه الذي ينادي به، بأن قبول الامر الواقع هو استسلام وخضوع.

انتقل عبد الناصر بعد ان استمع الى هذا التقرير المفصل الى الحديث عن العالم العربي، والتطورات التي حدثت فيه، خصوصا علاقات الفدائيين بالاردن، وأشار الى ثورتي ليبيا والسودان، وصفقة الاسلحة التي عقدتها فرنسا مع حكومة الثورة في ليبيا، ودلالات هذا التطور الهام.

طلب الرئيس تيتو بعد سماع هذا العرض من جانب الرئيس عبد الناصر ان يعرض فكرة بحثها مع السيدة انديرا غاندي لدعوة مؤتمر جديد لدول عدم الانحياز للانعقاد، مؤكدا ان الدول الاستعمارية سوف تركز جهودها خلال الشهور القليلة القادمة في محاولة منها لتقديم المزيد من التأييد لاسرائيل، استنادا الى تحليل دقيق يؤكد ان اسرائيل تمتاز بتفوق عسكري، وسوف يتضاءل هذا التفوق تدريجيا لان الوقت يعمل ضد المعتدي ولصالح

الدول العربية ولذلك فان هذه الدوائر الاستعمارية ستحاول ان تضاعف من معونتها لاسرائيل حتى لا تجعل من عامل الوقت سببا في فقدان اسرائيل لهذا التفوق.

أوضح الرئيس تيتو ان هذه المواجهة تقتضي جمع دول عدم الانحياز في مؤتمر يتم الاعداد له بكل دقة، وتشترك فيه مجموعة من هذه الدول لتضع سياسة حازمة امام هذا المد الاستعماري.

أيد الرئيس عبد الناصر رأي الرئيس تيتو في ضرورة الاعداد الدقيق لعقد مؤتمر جديد لدول عدم الانحياز، وقدم عرضا لسياسة تسليح منطقة الشرق الاوسط وتدفق الاسلحة والطائرات الاميركية على اسرائيل، وذكر انه حتى لحظة اجتماعه بالرئيس تيتو لم تكن هناك معالجة واقعية لحل ازمة الشرق الاوسط بسبب فشل الدول الكبرى في ايجاد الحل المطلوب بحيث يكون مطابقا ومنفذا لقرار مجلس الامن، بل على العكس فان الولايات المتحدة تزود اسرائيل بالطائرات وبالاسلحة في الوقت الذي تحتل فيه الاراضي العربية، وترفض تنفيذ قرار مجلس الامن.

وقال الرئيس عبد الناصر انه يشعر ان الولايات المتحدة تسعى الان لوقف اطلاق النار لتجميد الوضع القائم في منطقة الشرق الاوسط لصالح اسرائيل.

وأوضح الرئيس عبد الناصر للرئيس تيتو نتائج رحلته التي قام بها سرا للاتحاد السوفياتي، لمواجهة عملية التصعيد العسكري المستمر الذي تمارسه اسرائيل في المنطقة، وقال «ان هدف اسرائيل من زيادة الاعمال العدوانية اشاعة الفوضى في مصر، ولكن العكس هو الذي يحدث، اذ زادت روح المقاومة في الشعب المصري الذي ازداد صلابة وارتفعت معنوياته واصبح تصميمه على تحرير الارض هو الاتجاه السائد ليس فقط بين القوات المسلحة بل ايضا بين الشعب جميعه».

تحدث الرئيس عبد الناصر عن الدول العربية وعن ليبيا بالذات باعتبار ان الرئيس تيتو سيزورها بعد اجتماعات اسوان وأوضح له الاخطار والمؤامرات التي قد تهدد ليبيا الثورة.

وفي خلال زيارة الرئيس تيتو لاسوان واثناء اجتماعاته مع الرئيس عبد الناصر، تبلورت لدى الرئيسين فكرة عن مؤتمر دول عدم الانحياز، وكان من رأيهما ان اسلوب الولايات المتحدة، هو ممارسة المزيد من العنف في حل المنازعات خصوصا بالنسبة لفيتنام والشرق الاوسط.

قال الرئيس تيتو انه تحدث في امر هذا المؤتمر مع السيدة انديرا غاندي واليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، بالرغم من عدم مشاركة موسكو في اعمال مؤتمر عدم الانحياز، الا ان الاتحاد السوفياتي رحب بفكرة انعقاده، وكان هذا هو نفس موقف باكستان التي كان يرأسها في تلك الوقت الرئيس السابق ايوب خان، وكانت ملاحظة تيتو ان باكستان قد انفصلت تدريجيا عن الاحلاف. ووصف أيوب خان حلف جنوب شرقي آسيا بأنه «حلف ميت»، وأن بلاده تؤيد القضية العربية وتهتم بالسلام وحل المشاكل بطريقة سلمية، وأظهر أيوب خان بعض المرونة بالنسبة لمشكلة كشمير التي تؤدي دائما الى توتر في العلاقات مع الهند.

راودت الرئيس تيتو فكرة اشراك عدد من الدول من بينها باكستان في مؤتمر عدم الانحياز الجديد، باعتبار ان الهدف هو خلق جبهة قوية من الدول التي ترفض اسلوب استخدام السلاح من اجل فض المنازعات القائمة. وأيد عبد الناصر فكرة توسيع المؤتمر، خصوصا وان عددا كبيرا من الدول النامية وغير المنحازة، تقع تحت ضغط استعماري متزايد وانها تعيش في ظل ظروف صعبة جدا لذلك فلا بد من الاعداد الدقيق لجمع صفوف هذه الدول لمواجهة العنف الاستعماري الذي تتعرض له خصوصا دول الشرق الاوسط وشعب فيتنام.

كانت فكرة الرئيس تيتو انه ليس من الضروري مهاجمة الولايات المتحدة مباشرة او الغرب باعتبار ان مجرد اجتماع اكبر عدد من دول العالم في مؤتمر قبل نهاية عام ١٩٧٠، يقوم بتحليل للموقف الدولي، وبحث المشاكل العالمية وفي مقدمتها فيتنام والشرق الاوسط فان هذا المؤتمر سوف يدين استخدام القوة، ويهاجم العدوان، ولا يتعرض لاميركا بالذات.

استمرت المناقشات بين الرئيسين ساعات طويلة انتهت بضرورة انعقاد المؤتمر في دولة من الدول الافريقية، باعتبار ان اول مؤتمر انعقد في بلجراد عام ١٩٦١ والثاني في القاهرة عام ١٩٦٥ ولا بد ان ينعقد المؤتمر الجديد في افريقيا أو آسيا، وقد اعتذرت الهند عن انعقاد المؤتمر فيها. ورحبت الجزائر بذلك، وتقرر دعوة مؤتمر تحضيري له في دار السلام ووضع الرئيسان تصورهما للنتائج التي يمكن ان تسفر عنها اجتماعات هذا المؤتمر الذي سيكون هدفه استصدار قرار بحرمان الدولة او الدول التي ترفض تنفيذ قرارات الامم المتحدة من عضوية المنظمة الدولية. وكان من الواضح ان الهدف من ذلك التلويح لاسرائيل بالطرد من الامم المتحدة وكذلك التركيز ايضا على المشاكل الاقتصادية التي تواجه الدول النامية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية. وقبل ان يطير الرئيس تيتو الى ليبيا، وعد الرئيس عبد الناصر بانه سيكتب عدة رسائل الى قادة العالم ومن بينهم نيكسون وبريجنيف وبومبيدو، لحث الدول الكبرى على التحرك في اتجاه حل لازمة الشرق الاوسط. واتفق الرئيسان على استمرار التشاور بينهما الى ان يلتقيا معا في مؤتمر عدم الانحياز الذي تقرر بعد ذلك دعوته للانعقاد في لوساكا عاصمة زامبيا في ٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠.

ولم يتوقع الرئيس عبد الناصر والرئيس تيتو ان هذا اللقاء لن يتم، اذ انشغل الرئيس عبد الناصر في وقف الصراع الدائر بين منظمة التحرير الفلسطينية والاردن في ايلول وحاول تيتو ان يدعوه ليشترك في جلسة واحدة يغادر بعدها زامبيا عائدا الى القاهرة وعرض تيتو ان يبعث اليه بطائرته الخاصة لتقله الى لوساكا، ويعود بها الى القاهرة.

ولم يكن الرئيس تيتو، ولا الرئيس عبد الناصر يعلمان ان القدر المحتوم كان سيوافي عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ دون ان يتحقق لقاء عملاقي عدم الانحياز في لوساكا.

١٠ ـ كوسيجين يكتب لزعماء العالم

عقب زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠، وبعد ان اتضحت امام الجانب السوفياتي حقيقة الدعم الاميركي لاسرائيل، وبعد غارات العمق، كان الاتحاد السوفياتي يدرس بدقة بيان الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون الذي صدر في ٣٠ يناير (كانون الثاني) على ضوء ما تقدمت به اسرائيل من طلبات الى الرئيس السابق ليندون جونسون وعادت وجددت طلبها لنيكسون لتزويدها بالاتي: ٥٠ طائرة من طراز فانتوم؛ ٨٠ سكاي هوك، ١٠٠٠ مليون دولار كمساعدة اقتصادية.

أعلن نيكسون في بيانه يوم ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ أنه يوافق على هذه الطلبات من ناحية المبدأ ويريد مهلة ثلاثين يوما ليعلن قراره النهائي، بينما كانت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تؤكد للمقربين اليها بأنها تعلم مقدما ان نيكسون سوف يوافق على طلباتها. وكانت قد زارت واشنطن في خريف عام ١٩٦٩ ومعها قائمة المشتريات.

بعث الكسي كوسيجين يوم ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ برسالة الى كل من الرؤساء نيكسون وبومبيدو وهارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا يؤكد فيها المبادىء التالية:

١ ـ ان الاتحاد السوفياتي ينظر نظرة خطيرة الى الموقف في الشرق الاوسط.

٢ ـ ان الاتحاد السوفياتي سوف يزود مصر، ودولا عربية اخرى بشحنات جديدة من الاسلحة والطائرات الحديثة اذا استمرت اميركا في امداد اسرائيل بالسلاح.

٣ ـ ان جو العلاقات الدولية لا يمكن ان يتحسن ما دامت اميركا ماضية في تأييد الاستفزازات الاسرائيلية ضد العرب.

٤ ـ ان الاتحاد السوفياتي يعلن بكل وضوح انه ما دامت اسرائيل ماضية في مغامراتها فان الاتحاد السوفياتي سوف يضع تحت تصرف الدول العربية كل ما هو ضروري لطرد المعتدي الوقح.

احدثت رسالة كوسيجين التي جاءت بكل هذا الوضوح والجلاء دويا هائلا في كل عواصم العالم، وخصوصا في الولايات المتحدة، فقد اعتبرت واشنطن هذه الصيغة العنيفة بمثابة تهديد واضح بنقل الصراع العربي ـ الاسرائيلي، الى مجال الحرب الباردة.

وأسرع نيكسون يرد على رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي مؤكدا.

١ ـ ان الولايات المتحدة قامت اخيرا باتصالات مع الحكومات العربية وحكومة اسرائيل للتوصل الى اتفاق جديد لوقف اطلاق النار.

٢ ـ ان الولايات المتحدة ترفض الاتهام السوفيتي بان التأييد الامريكي لاسرائيل هو السبب في تصاعد الموقف في الشرق الاوسط .

٣ ـ عرض الرئيس نيكسون اقتراحا ببدء مفاوضات رباعية للحد من سباق التسلح في الشرق الاوسط .

٤ ـ عاد نيكسون وكرر أهمية إجراء مباحثات على غرار صيغة « رودس » .

كان الرئيس نيكسون ينظر بكثير من القلق للاتفاق الذي عقدته فرنسا لتزويد ليبيا بالميراج ، وإحتمال قيام الاتحاد السوفيتي بتزويد مصر بصفقة طائرات وصواريخ جديدة .

وقرر الرئيس نيكسون آن يوفد وزير خارجيته ويليام روجرز ليزور عواصم عربية وافريقية ، لتوضيح الموقف الامريكي في ضوء اعتداءات اسرائيل المستمرة والتي أدت إلى تعريض مصانع مصر ومدارسها وأهدافها المدنيةلغارات متكررة . وكان الرئيس نيكسون يواجه تحركا فرنسيا ، واتجاها سياسيا وعسكريا اتخذته حكومة الرئيس بومبيدو تمثل في تزويد ليبيا بالطائرات، ومقترحات لحل أزمة الشرق الاوسط تقدمت بها في اجتماعات رؤساء وفود الدول الاربع الكبرى في نيويورك .

غادر روجرز واشنطن في أعقاب الرسالة التي بعث بها كوسيجين الى الرئيس نيكسون ، ورد نيكسون عليها ، وبدأ جولته في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧٠ بزيارة للمغرب ثم تونس ، ثم اثيوبيا حيث التقى هناك بالرئيس اليوغوسلافي جوزيف بروز تيتو واكمل جولته التي استغرقت اسبوعين بزيارة كينيا وكينشاسا ونيجيريا والكاميرون وزامبيا وليبيريا . وفي كل عاصمة افريقية كان يتحدث عن رغبة بلاده في إحقاق السلام في الشرق الاوسط ، ويشير إلى ضرورة العمل على وقف اطلاق النار فورا .

وقد عارضت مصر هذا الاقتراح باعتبار أن قبولها لوقف اطلاق النار لا بد وان يرتبط بالبدء في تنفيذ قرار مجلس الامن ، ولا يكون الهدف منه مجرد تجميد الوضع القائم .

تلقت القاهرة يوم ٦ فبراير ١٩٧٠ تقريرا وافيا من بعثة رعاية مصالحها في واشنطن ، تؤكد مخاوف مصر من تركيز امريكا على وقف اطلاق النار . وقد حددت وزارة الخارجية الامريكية الموقف في النقط التالية :

١ ـ استعداد اسرائيل لقبول وقف اطلاق النار اذا وافقت مصر على ذلك .

٢ ـ ان وزارة الخارجية الامريكية قد بعثت بتعليمات الى المستر دونالد بيرجس رئيس بعثة رعاية مصالحها في القاهرة تطلب اليه ابلاغ وزارة الخارجية المصرية اقتراحا امريكيا بوقف اطلاق النار ، وقد قدم بيرجس هذا الاقتراح الى السفير محمد رياض مدير مكتب السيد محمود رياض وزير الخارجية في ذلك الوقت .(وزير الدولة الآن).

كان تقرير بعثة رعاية المصالح المصرية في واشنطن يحمل في طياته حقيقة نيات الحكومة الامريكية التي أوضحتها في لقاء تم مع مستشار البعثة المصرية حسان العبادي بالتعبير عن قلقها بالنسبة للموقف ، وان امريكا تدرك مدى دقته ، ولذلك فانها لا تتوقع ان

تقبل مصر وقف اطلاق النار ، وهو ما تخشاه امريكا . في حين أن رفض ذلك معناه استمرار الغارات الاسرائيلية . وترى امريكا ان هذه الغارات عمل خاطىء وان كانت لا تملك منع اسرائيل من القيام بها .

واراد المستر دافيد باركر رئيس قسم مصر في وزارة الخارجية الامريكية ـ الذي ابلغ هذه الرسالة الى المستشار المصري في واشنطن ان يحدد موقف بلاده من مذكرة كوسيجين فقال :

« اننا تسلمنا هذه المذكرة في ٣١ يناير . ونحن نعتقد ان اهم ما ورد فيها هو تحميل الولايات المتحدة مسؤولية الغارات التي تقوم بها اسرائيل ، لاننا نقوم بتزويدها بالسلاح : ونحن نعتقد ان ذلك سيدفع الاتحاد السوفيتي لامداد العرب بالسلاح اللازم للدفاع عن انفسهم ، ونحن لا نعتبر المذكرة السوفيتية انذارا لنا ، ولا تتضمن اي تهديد . اذ ان نفس الصيغة قد ارسلت الى ٣ رؤساء وتكاد تكون متطابقة ، والفروق لغوية ، ربما بسبب الترجمة » .

وحدد رئيس مكتب مصر في الخارجية الامريكية موقف بلاده من المذكرة السوفيتية في النقط التالية ، كما قدمها لمستشار البعثة المصرية في واشنطن :

ـ ضرورة العودة الى وقف اطلاق النار .
ـ استعداد امريكا لبحث موضوع تحديد الاسلحة الى المنطقة .
ـ تمسك امريكا بمقترحاتها السابقة بشأن حل المشكلة .
ـ حث الجانب السوفيتي على الرد الايجابي .

وقبل ان يغادر العبادي مكتب دافيد باركر ، كان الدبلوماسي الامريكي يؤكد للمستشار المصري الانباء التي ترددت عن قيام اسرائيل بمد طريق اسفلتي بين ايلات وشرم الشيخ ، ويشير من طرف خفي الى انه يمكن وقف اطلاق النار لفترة محدودة قد تكون ثلاثة اشهر ، وقد تمتد الى ستة اشهر لاعطاء الجو المناسب للمساعي السلمية .

وانهالت التقارير على القاهرة لتؤكد رد فعل عواصم العالم على رسالة كوسيجين واقتراح امريكا بوقف اطلاق النار . فقد جاءت التقارير من لندن ومن السفارة البريطانية في واشنطن في نفس اليوم (٦ فبراير) تؤكد موقف بريطانيا وهو

ـ معلومات بريطانيا ان اسرائيل لا تحبذ وقف اطلاق النار ولكنها ستلتزم به اذا قبلته مصر .
ـ من مصلحة مصر في المرحلة الحالية قبول وقف اطلاق النار ، لاستعادة قوتها العسكرية والتمهيد لحل سلمي على الا يطول الوصول اليه .
ـ ان الولايات المتحدة تؤيدها بريطانيا تسعيان الى تحريك مهمة يارينج .

وجاء تقرير آخر من واشنطن يفيد ان السفارة السوفيتية هناك درست تعليقات المسؤولين على رسالة كوسيجين واحيطت علما بالرد الامريكي . واوضح مستشار سفارة الاتحاد السوفيتي في واشنطن السيد فرونتشوف في نفس اليوم (٦ فبراير) للمستشار

المصري حسان العبادي ان مذكرة كوسيجين قد جاءت حازمة في وصف خطورة الموقف وضرورة وقف الاستنفزازات الاسرائيلية وتوضيح مدى التواطؤ الامريكي مع اسرائيل . وأكد المستشار السوفيتي ان بلاده سوف تبذل كل ما في وسعها للتعاون مع العرب ، ومع مصر بالذات لمدها بما تحتاج اليه من سلاح لوقف الغارات الاسرائيلية . ووصف الجانب السوفيتي الرد الامريكي بانه « مليء بالجدل العقيم » .

وجاءت تقارير اخرى من عواصم اوروبية اسيوية وكلها تشير الى ان امريكا تعرف مقدما ان مصر سوف ترفض وقف اطلاق النار وان رفض مصر لهذا الاقتراح ، سيكون المبرر لقيام اسرائيل بغارات جديدة على المدن والمصانع (وقد حدث هذا فعلا بالغارة على مصنع « ابو زعبل » ومدرسة «بحر البقر » .

تحركت فرنسا من جانبها واوضحت لمصر رأيها في مذكرة الاتحاد السوفيتي التي تلقاها الرئيس بومبيدو وحددت موقفها في النقط التالية :

١ ــ ان المذكرة السوفيتية وان كانت لا تتضمن تهديدا بتدخل سوفييتي مباشر الا انه يجب احترام وتقدير مدى جدية واهمية هذه الرسالة .

٢ ــ بعثت فرنسا بردها على هذه المذكرة ، وهي تؤيد فيها ضرورة وقف اطلاق النار على ان يتم ذلك بواسطة، ومن خلال جهود الدول الاربع الكبرى ، وليس بواسطة امريكا بمفردها .

٣ ــ تلاحظ فرنسا ان امريكا تقوم باتصالاتها بمفردها في الوقت الذي تشترك فيه في محادثات رباعية مع ثلاث دول كبرى . وفي حالة وقف اطلاق النار فان فرنسا لا تقترح ارسال قوات دولية الى المنطقة لمراقبة ذلك .

٤ ــ تقترح فرنسا استمرار الجهود المبذولة الآن في الاجتماعات الرباعية من اجل الوصول الى اتفاق بين هذه الدول وبحيث لا تقوم امريكا وحدها بتقديم مقترحات ترفضها مصر او تقبلها .

٥ ــ فرنسا لا تشير الى موضوع الحد من شحنات الاسلحة .

٦ ــ ان فرنسا بعثت بردها على رسالة كوسيجين دون ان تتشاور مع الولايات المتحدة .

بعد خمسة أيام من وصول رأي الحكومة الفرنسية الى القاهرة ، وعقب مراجعة وزارة الخارجية المصرية لرد فرنسا على رسالة كوسيجين ، دعا السيد محمود رياض وزير الخارجية السفير الفرنسي في القاهرة المسيو فرانسوا بييو وابلغه ان مصر قد تكون في وضع يسمح لها بالنظر في وقف اطلاق النار اذا حضر يارينج الى المنطقة ومعه مشروع تنفيذ انسحاب اسرائيل ، وبحيث تكون هناك خطة عمل ترتبط بوقف اطلاق النار .

على اثر مقابلة وزير الخارجية السيد محمود رياض للسفير الفرنسي وابلاغه بان مصر تتوقع ان تربط فرنسا بين موضوع وقف اطلاق النار والبدء في تنفيذ قرار مجلس الامن . بعث السفير بتقريره في نفس يوم مقابلته مع رياض في ١١ فبراير (شباط) ١٩٧٠ الى

وزارة الخارجية الفرنسية . وبعد يومين اي يوم ١٣ فبراير كان المسيو دولوس مدير ادارة الشرق الاوسط وافريقيا في الخارجية الفرنسية في تلك الوقت ، وسفيرها الحالي في القاهرة ، يجتمع بالوزير المفوض محمد المنشاوي ، والمستشار عادل جنينه من سفارة مصر بباريس (سفير مصر في ماليزيا) في مكتبه بالخارجية الفرنسية . وانتهز الدبلوماسيان المصريان مناسبة تعيين دولوس في هذا المنصب ، الذي تولاه منذ عدة ايام كمدير للشرق الاوسط للتهنئة بهذا الاختيار وكان الدبلوماسي الفرنسي يضع امامه تقرير سفير بلاده في القاهرة ، الذي تضمن ملاحظات وزير الخارجية المصري .

قال دولوس انه يأسف لسوء فهم العبارة التي جاءت في الرد الفرنسي على خطاب كوسيجين . وانهم كانوا يريدون وقف الغارات اولا في الوقت الذي يمارسون جهودهم داخل اجتماعات الدول الكبرى في نيويورك ، لتحريك الازمة . وانهم سيطالبون بان يتم تحديد كل الافكار والمبادىء التي نوقشت في هذه الاجتماعات لتسليمها ليارينج للاستمرار في مهمته وان كانت امريكا لا تشجع هذا الرأي ، وتسعى الى التحرك بمفردها .

واكد دولوس ان بلاده تعارض ما ورد في رد نيكسون على كوسيجين من تطبيق سياسة حظر او تحديد لارسال الاسلحة لكافة الدول لأن هذا الموقف يتعارض مع سياسة فرنسا .

وانهى الدبلوماسي الفرنسي الذي يتولى منصبه لاول مرة كمدير للشرق الاوسط المقابلة بالاعراب عن تقدير بلاده لموقف الرئيس عبد الناصر الذي وصفه بانه « موقف عاقل على الصعيدين السياسي والعسكري . اما القول بان الهدف من الغارات هو إسقاط نظام الحكم في مصر ، فهذا أمل ساذج ، لان الغارة تزيد من ترابط الشعب ومقاومته وإتحاده ضد العدوان » .

وفي نفس اليوم كان السفير حافظ اسماعيل سفير مصر في باريس مجتمعا بالمسيو الفان السكرتير العام للخارجية الفرنسية ، ليبلغه رسالة من القاهرة الى الحكومة الفرنسية توضح هذه المبادىء :

١ ــ ان القاهرة تسجل تقديرها للموقف الفرنسي وعلاقات فرنسا بمصر . وسياستها ازاء الشرق الاوسط ، ولهذا فان الجمهورية العربية تبلغ فرنسا برغبتها في دعم علاقاتها معها . وسيؤكد وزراء اقتصاد مصر وليبيا والسودان (دول ميثاق طرابلس) هذا المعنى بمجرد اجتماعهم ، بدعم وتشجيع كل تعاون مع فرنسا .

٢ ــ تبدي القاهرة ترحيبها بالتعاون الفرنسي ــ الليبي الذي تعتبره مصر تأكيدا لثقتها المتزايدة في الموقف الفرنسي .

٣ ــ إن مصر تدرس باهتمام كل توصيات فرنسا من ضرورة اتاحة الفرصة امام الولايات المتحدة لاظهار حسن نياتها ولكنها تتوقع أن يعلن الرئيس الامريكي عن نفي صفقة الطائرات لاسرائيل ، وبناء على توصيات فرنسا ، فاننا لم نغلق الباب امام اي مشروع امريكي ، ولكننا نحذر فقط من الصياغات الغامضة والعبارات غير المفهومة .

واشار السفير المصري في باريس الى رغبة مصر في الوصول الى تسوية سياسية باتاحة كل الفرص امام المحادثات الرباعية التي تشترك فيها فرنسا ، واعرب عن امل مصر في ان زيارة بومبيدو لواشنطن (في فبراير ١٩٧٠) سوف تتيح للرئيس الفرنسي الفرصة لاقناع الرئيس نيكسون بالمبادىء التي يمكن ان تقوم عليها التسوية .

أوضح المسؤول الفرنسي من جانبه مدى تقدير بلاده لهذه الرسالة الرقيقة ، وقال ان التعاقد على بيع الطائرات لليبيا ليس بهدف الاتجار في السلاح ، وعقد صفقة تجارية ، ولا لتحقيق منفعة مادية بل للتعبير عن الاطار الحقيقي للسياسة الفرنسية عامة .

أما بالنسبة لموضوع وقف اطلاق النار فقد كان من الواضح من هذا اللقاء بين السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية والسفير المصري في باريس ،ان فرنسا في ضوء التطورات الاخيرة ترى ان وقف اطلاق النار هو مقدمة طبيعية لتنفيذ القرار ٢٤٢ وان قبول مصر لذلك ليس الا مجرد التمهيد للتحرك من اجل بذل الجهود المشتركة لتحقيق ذلك .

لم يقتصر صدى رسالة كوسيجين الى رؤساء دول وحكومات امريكا وفرنسا وبريطانيا على عواصم هذه الدول بالذات ، فقد بعث السيد شواين لاي برسالة عاجلة الى الرئيس عبد الناصر في ٢ فبراير عام ١٩٧٠ ، عندما استدعى في مكتبه بقصر الشعب السفير المصري هناك السيد صلاح العبد وابلغه برسالة عاجلة ردا على رسالة بعث بها الرئيس الى شواين لاي مع ياسر عرفات الذي كان يزور بكين .

تضمنت رسالة شواين لاي بالاضافة الى تأكيد تضامن شعب الصين وحكومته مع الشعوب العربية ودعمها لنضالها ، ان الصين تعتقد ان المساعي المبذولة لن تؤدي الى تسوية سلمية ، وان ذلك الرأي تقدمه الصين الى مصر ، استنادا الى معلومات تؤكد ذلك . واشار شواين لاي الى ما سماه « الاستعمار الراسمالي والاستعمار الاشتراكي » .

وقد ظلت الصين دائما على هذا الرأي ، ورفضت الاشتراك في اي جهود دبلوماسية عن طريق اجتماعات مع الدول الكبرى لحل ازمة الشرق الاوسط لانها تؤمن بوجود خلاف جوهري بين موقف امريكا وموقف الاتحاد السوفيتي . وقد رفضت الصين المشاركة في هذه المحاولات بعد انضمامها الى عضوية الامم المتحدة لتحل محل الصين الوطنية ، ورفضت قبول قرار مجلس الامن الخاص بالشرق الاوسط ، وكان رأيها دائما ان المشكلة لا يمكن حلها الا بالنضال المسلح وان الدولة التي تبيع السلاح لمصر شأنها شأن تاجر السلاح الذي يبحث عن سعر أفضل لمنتجاته .

تصادف وجود فاسيلي كوزنتسوف نائب وزير الخارجية السوفيتي في بكين ، بعد أن أرسل كوسيجين رسائله الى واشنطن وباريس ولندن ، وبعد ان ارسل شواين لاي رسالته لعبد الناصر . وزار كوزنتشوف السفارة المصرية في بكين ، واجتمع بالسفير صلاح العبد ليسأله سؤال محددا عن مدى استعداد الصين في رسالة شواين لاي لتقديم اسلحة لمصر . وكان هذا اللقاء يوم ٦ فبراير عام ١٩٧٠ واكد له السفير المصري ان هذا الموضوع لم يكن محل بحث .

وفي تقرير من سفارة مصر في هانوي جاء ما يؤكد ان الصين سوف تواجه الاتحاد السوفيتي بحملة هجوم على سياسته في الشرق الاوسط ، وان معلومات السفارة في فيتنام الشمالية تشير الى ان الدبلوماسية الصينية في هانوي تعطي اهمية كبرى لرسالة شواين لاي للرئيس عبد الناصر . وان المهم لمصر « ان تعرف من هو الصديق الحقيقي لها .. ان الشعب الصيني هو الصديق الحقيقي لكل الشعوب والدول المناضلة ضد الاستعمار » .

١١ ـ دول المواجهة... والبترول العربي

أضافت الثورة الليبية عمقا جديدا للموقف المصري ، وكان لقاء الثورة المصرية مع ثورتي السودان وليبيا . سببا في زيادة تشدد الموقف الامريكي إزاء أي احتمالات للحل السلمي . وباتخاذ فرنسا لقرارها بتزويد ليبيا بصفقة من طائرات الميراج ، وتحرك الصين لدعم الموقف العربي ، اصبحت الولايات المتحدة تواجه تجمعا دوليا يشير الى احتمال خلق جبهة قوية من الدول العربية ، والدول المؤيدة لها تعارض الموقف الامريكي وتدين العدوان الاسرائيلي .

وبانتهاء مؤتمر القمة في الرباط عام ١٩٦٩ ، وزيارة الرئيسين جمال عبد الناصر وجعفر نميري لليبيا ثم الاعلان عن قيام الاتحاد الثلاثي ، تقرر عقد اجتماع لدول المواجهة بدأ جلساته في القاهرة يوم ٧ فبراير ١٩٧٠ وحضره الرؤساء عبد الناصر ونميري ونور الدين الاتاسي (رئيس جمهورية سوريا في ذلك الوقت) والملك حسين وصالح مهدي عماش ممثلا للرئيس العراقي احمد حسن البكر ، وسبق هذه القمة لقاء ثنائي بين عبد الناصر والملك حسين عقد يوم ٥ فبراير .

بعد ثلاثة ايام من عمل مستمر ومناقشات ودراسات ، اصدر ملوك ورؤساء جمهوريات مصر وسوريا والعراق والاردن والسودان بيانا تاريخيا هاجموا فيه « موقف امريكا العدائي الجديد من الامة العربية » ...

وكانت أخطر فقرة في هذا البيان التاريخي الجملة الختامية التي وردت فيه وهذا نصها :

« ان الامة العربية ستقوم بتصفية كل استغلال لمواردها يتم تحويله الى سلاح وعون للاغتصاب الاسرائيلي » .

وبمجرد صدور هذا البيان تأكدت الولايات المتحدة من ان دولتين من اكبر الدول المنتجة للبترول هما العراق وليبيا تشيران الى احتمال تأميم البترول . وكانت هذه الاشارة هي اول مرة تشير فيها الدول العربية الى امكانية استخدام سلاح البترول للضغط على امريكا باعتبار ان ارباح الشركات الامريكية من عائدات النفط يتحول الى سلاح تقدمه امريكا الى اسرائيل تدعم به اغتصابها للاراضي العربية .

وفي لقاء تم بين محمود رياض وزير الخارجية وسفير فرنسا المسيو فرانسوا بييو يوم ١ فبراير اي بعد يومين من صدور البيان سأل السفير الفرنسي وزير الخارجية بكل

صراحة ، عما اذا كان بيان دول المواجهة يهدف الى تأميم المصالح البترولية في العالم العربي ؟

واجاب محمود رياض بنفس الصراحة التي سأله بها السفير الفرنسي قائلا « ان بيان دول المواجهة واضح . وكان من الضروري ان يتناول الموقف الامريكي بمثل هذا العنف... لان الولايات المتحدة يجب ان تعلم ، وكذلك العالم الغربي ، ما ستؤدي اليه السياسة الامريكية . اما عن التأميم فان البيان لم يذكر ذلك صراحة ... ولا يجب ان ننسى مدى الثروة التي تجنيها الولايات المتحدة من استثماراتها في العالم العربي . كما ان العالم الغربي يجب ان يعلم ان كثيرا من مصادر ثروته تحولها الولايات المتحدة الى اسلحة » .

وبتعليمات عاجلة الى سفراء دول المواجهة في لندن ، استقبل مايكل ستيوارت وزير خارجية بريطانيا ، في مكتبه بالوزارة سفيري الاردن والعراق ، والقائمين باعمال السودان وليبيا والجمهورية العربية المتحدة يوم ١١ فبراير (شباط) ١٩٧٠ ، واناب السفراء العرب السفير الاردني والسفير سعد جمعة ، لتوضيح اسباب مقابلتهم له .

حدد السفير الاردني لمايكل ستيوارت في حضور سفراء هذه الدول العربية التي اشتركت حكوماتهم في اصدار بيان دول المواجهة ان الغرض من هذه المقابلة توضيح « مدى تدهور الموقف العسكري والسياسي ، بعد تكرر الاعتداءات الاسرائيلية وضرورة قيام الدول الكبرى بالضغط على اسرائيل ، وكذلك لمنع هذه الدول (بريطانيا) من امدادها بالسلاح. وكانت الدول العربية قد حصلت على معلومات تؤكد ان بريطانيا قد قدمت لاسرائيل صفقة من دبابات السنتوريون وطائرات هوفركرافت .

رد مايكل ستيوارت مؤكدا ان بلاده تبدي مزيدا من القلق نتيجة لتدهور الموقف ، ولذلك فانها ترى ضرورة وقف العمليات الحربية بجميع صورها والاسراع في تحقيق تسوية سلمية . اما بالنسبة لموضوع السلاح ، فان بريطانيا تراعي في عقد صفقات الاسلحة ، الا تعطي لطرف ما يسمح له بشن هجوم جديد على طرف آخر ، وبصورة لا تتعارض مع الجهود المبذولة من اجل تحقيق تسوية سلمية . واكد ان بلاده لم تبرم صفقات جديدة مع اسرائيل وسوف لا تبرم في المستقبل القريب ولكنه لا يلتزم بانها لن تحصل على صفقات في يوم من الايام مثلما تحصل بعض الدول العربية الاخرى .

وفي جنيف طلب رؤساء وفود مصر وسوريا والعراق لدى المقر الاوروبي للامم المتحدة الاجتماع بالمستر ونسبير ممثل السكرتير العام لابلاغه نص بيان مؤتمر المواجهة ، ولمعرفة موقف المنظمة الدولية بعد تدهور الحالة في الشرق الاوسط .

وقد اكد ممثل السكرتير العام ان يوثانت قد اجتمع بالرئيس الفرنسي جورج بومبيدو وبحث معه الوضع الخاص بالشرق الاوسط ، وشاركه في الانزعاج من تدهور الموقف .

وعبر ممثل السكرتير العام عن رأي يوثانت في ضرورة العمل تدريجيا لايجاد حل لهذه

المشكلة باتفاق يتم بين الدول الكبرى على بعض المبادىء الاساسية التي تصلح كنقطة انطلاق للتوصل الى حل لا تفرضه الدول الكبرى على دول منطقة الشرق الاوسط ، بل بحيث تقتنع هذه الدول باهمية الوصول الى هذا الحل .

وحدد ممثل السكرتير العام مدى عجز الامم المتحدة عن عمل شيء الا مجرد اصدار بيان من يوثانت يوضح فيه مدى قلقه من مخاطر الوضع الراهن ، وبحيث يسعى في نفس الوقت لحمل الدول الكبرى على العمل من اجل تنظيم تدفق الاسلحة الى منطقة الشرق الاوسط ، وان كان أمل السكرتير العام ضعيفا في إحتمال قبول الدول الكبرى لفكرة إتفاق فيما بينها يساعد على تحقيق هذا الهدف .

١٢ ـ وثائق المحادثات الرباعية

إن أخطر وثائق أزمة الشرق الاوسط ترقد الآن في ملفات وزارات خارجية الدول الكبرى، وتكمن فيها الاسرار والمناقشات والازمات التي اثيرت داخل ما تعارف العالم على تسميته لفترة امتدت عامين بـ « المحادثات الرباعية » .

والدراسة الدقيقة لوثائق هذه المحادثات تؤكد أنه منذ بداية أزمة الشرق الأوسط بحرب عام ١٩٦٧ الى حرب عام ١٩٧٣ ، تسعى الولايات المتحدة الى الانفراد بكل المبادرات ، بحيث تكون بمفردها صاحبة الحق في حل الازمة بالصورة التي تحددها ، وفي الوقت الذي تراه .

وتكشف وثائق هذه المحادثات ضخامة العمل الجدي الذي تم، وضآلة النتائج التي توصل اليها سفراء الدول الكبرى ومساعدوهم ومستشاروهم . ففي خلال اجتماعات استمرت اياما واسابيع وشهورا ، لم يترك ممثلو هذه الدول احتمالا الا وطرقوه فدرسوا كل جوانب الازمة ، ووضعوا حلولا لكل مشكلة وصاغوا كل عبارة يمكن ان يتضمنها اتفاق نهائي لاحلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط ، واستبدلوا فقرات بفقرات ، ووضعوا صياغات انجليزية وفرنسية ومرادفات لاتينية ، وغاصوا في أعماق القانون الدولي ، وميثاق الامم المتحدة ، وقرار مجلس الامن وناقشوا كيفية تحقيق الامن ، وحماية الحدود ووضع الاراضي المنزوعة السلاح ... وانتهت هذه الجهود المضنية لترقد في ملفات وزارات خارجية الدولة الكبرى .

لذلك كان من الضروري قبل مناقشة ما دار في هذه المباحثات السرية الرباعية ، ان نضعها في إطارها الصحيح ، ونستخلص منها مواقف كل دولة من الدول الكبرى ، ونظرتها لمشكلة الشرق الاوسط .

نادت فرنسا بفكرة قيام الدول الاربع الكبرى لمعاونة السفير جونار يارينج وذلك في ابريل (نيسان) ١٩٦٩ ، وكان هدفها أن تنقل مسؤولية مناقشة أزمة الشرق الاوسط من مرحلة ثنائية المباحثات التي بدأت بين الاتحاد السوفيتي وامريكا الى رباعيتها باشراك فرنسا وانجلترا في هذه المسؤولية .

وقد بدأت هذه المباحثات بمشروع امريكي تقدم به ويليام روجرز يوم ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ ، وانتهت بمبادرة امريكية تقدم بها ويليام روجرز في ١٩ يونيو

(حزيران) ١٩٧٠ ، وبين مشروع روجرز ومبادرة روجرز عقد ممثلو الدول الكبرى[1] اكثر من اربعين اجتماعا عاصفا صاخبا ، سجلوا فيه مواقف وحللوا كل تفاصيل الازمة ، مقوماتها ونتائجها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ووضعوا على هذه الملفات العبارة الشهيرة « سري للغاية » . وقد يأتي الوقت المناسب لكي تعيد هذه الحكومات دراسة نتائج هذا العمل الضخم الذي كان من المفروض ان يكون اسلوبا من اساليب التعاون مع السفير جونار يارينج لتحقيق المسؤوليات التي خوله اياها مجلس الامن واصبحت مجرد وثائق دولية تتضمنها ملفات سرية ترقد في محفوظات وزارات الخارجية .

منذ حرب عام ١٩٦٧ والولايات المتحدة تريد الانفراد بالحل واظهار الدول الكبرى الاخرى بمظهر العجز امام ممارسة اي جهد للتخفيف من حدة الازمة ، بما في ذلك الامم المتحدة وسكرتيرها العام وممثله الخاص السفير جونار يارينج .

وبالرغم من الجهد الذي بذلته فرنسا ، والذي بذله الاتحاد السوفيتي ، الا ان طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين امريكا والاتحاد السوفيتي قد انعكست نتائجها وآثارها على المباحثات الرباعية التي دارت خلال فترة لا تقل عن عام لحل ازمة الشرق الاوسط ، الى ان انتهى هذا الوضع بحرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

بعد ان بدأت المحادثات الرباعية في سرية كاملة ، كما اشرنا في القسم الاول من هذا الكتاب ، وفي جو من القلق والانتظار ، تعثرت مرة اخرى ، بعد ان تبادل الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الاتهامات والرسائل والاتصالات . ولكن الاتحاد السوفيتي عاد في اول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ يحبذ مرة اخرى ضرورة العودة الى هذه المحادثات الرباعية . وتلقف يوثانت السكرتير عام الامم المتحدة هذه المبادرة السوفيتية ليرحب بهذا الاقتراح الذي اعلن المتحدث الرسمي بلسان وزارة الخارجية الامريكية في نفس اليوم – اي اول نوفمبر عام ١٩٦٩ – ان امريكا تود ان تستأنف هذه المحادثات عندما يكون ذلك ممكنا ومنطقيا . وقد استدعى ويليام روجرز وزير الخارجية الامريكي – الذي يمارس مهام عمله الجديد لمدة عام – اناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن للاجتماع به في مكتبه وابلاغه ان الولايات المتحدة لا تشارك الاتحاد السوفيتي في الرأي الذي ابداه بالنسبة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، وتعتقد ان الاتهامات التي وجهها الاتحاد السوفيتي والتي اشار فيها الى ان الولايات المتحدة لا تريد حلا لمشكلة "شرق الاوسط هي « اتهامات باطلة » .

عقب اجتماع ويليام روجرز بالسفير السوفيتي اناتولي دوبرنين في اول نوفمبر عام ١٩٦٩ صدر بيان امريكي يقول « ان الاتحاد السوفيتي يعرض موقف الولايات المتحدة

---

(١) – كان جاكوب ماليك يمثل الاتحاد السوفيتي واللورد كارادون بريطانيا، وجاك بيرار فرنسا وتشارلز يوست الولايات المتحدة، في بدء هذه الاجتماعات، ثم تولى كولن كرو رئيس الوفد البريطاني في الامم المتحدة مسؤولية تمثيلها في المحادثات الرباعية خلفا للورد كارادون الذي ترك خدمة الدبلوماسية البريطانية عام ١٩٧٠.

بطريقة خاطئة ونحن نتساءل عما إذا كان الاتحاد السوفييتي نفسه قد أصبح جادا في حل أزمة الشرق الاوسط بالطرق السلمية » .

كان موعد اجتماع مؤتمر القمة العربي في الرباط يقترب (٢٠ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٦٩) ومجلس الدفاع العربي قد انهى اجتماعاته في القاهرة . والجو العربي مهيأ تماما لاتخاذ مواقف حاسمة ، بعد ثورتي السودان وليبيا .

وفي الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ عقد جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكي اجتماعا عاجلا بالسفير السوفيتي في واشنطن اناتولي دوبرنين ، ثم اجتمع بالدكتور اشرف غربال ، وابلغ الدبلوماسي السوفيتي والدبلوماسي المصري بان الولايات المتحدة قد اعدت مبادىء عامة وخطوطا عريضة ستتقدم بها كمشروع جديد لحل ازمة الشرق الاوسط ، وانها ستتقدم بهذه المقترحات إلى الدول الأربع الكبرى في نيويورك .

وساد الجو العربي تساؤلات عن هذا المشروع « الذي ظهر فجاة في الافق » ، ورؤساء الدول العربية يستعدون لعقد مؤتمر القمة في الرباط .

وفي يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٩ ، كان اناتولي دوبرنين في واشنطن يتلقى مشروعا امريكا احيط بسرية كاملة . بينما توجه مستر دونالد بيرجس رئيس بعثة رعاية المصالح الامريكية في القاهرة الى وزارة الخارجية المصرية ، وقام بتسليم السفير صلاح جوهر وكيل الوزارة صورة من هذه المقترحات التي تلقاها ايضا السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي (الذي توفي في اواخر عام ١٩٧٤) .

وهذا نص ما سمي بعد ذلك بمشروع روجرز :

١ ـ عدم السماح بحيازة الاراضي عن طريق الحرب ، واعتراف كل دولة بسيادة وحدود الدول الاخرى القائمة في المنطقة .

٢ ـ حق كل دولة ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .

٣ ـ كفالة حرية المرور المائي في الممرات الدولية لكل الدول .

٤ ـ انسحاب لسرائيل من سيناء واعادة تخطيط الحدود بين مصر واسرائيل على أساس الحدود التي كانت قائمة بين فلسطين وبين مصر كما كانت عليه في عهد الانتداب البريطاني (بالنسبة للأردن الانسحاب من الضفة الغربية) .

٥ ـ يجتمع ممثلو الدولتين (مصر واسرائيل) باشراف السفير جونار يارينج للتفاوض حول وضع قطاع غزة وشرم الشيخ .

٦ ـ نزع سلاح كل شبه جزيرة سيناء وتتولى القوات الدولية الاشراف على إنسحاب إسرائيل منها .

٧ ـ إبطال جميع الاعمال العسكرية القائمة وإنهاء حالة الحرب حرصا من الدول المعنية على أمن وسيادة دول المنطقة .

٨ ـ تتعهد دول المنطقة بمنع وقمع الهيئات والمنظمات العسكرية وشبه العسكرية من استخدام اراضيها لارتكاب اعمال تتنافى مع حالة السلم وتتعهد بعدم التحريض على ذلك ، وعدم تشجيعه .

٩ ــ عدم تزويد اي دولة من دول المنطقة باسلحة قد تكون سببا في عرقلة المساعي القائمة او السلام العام في المنطقة وتلتزم الدول الكبرى بذلك .

١٠ ــ اجتماع ممثلي الجانبين (مصر واسرائيل ــ الاردن واسرائيل) من اجل انهاء حالة الحرب واقامة حالة سلام حقيقي وانهاء دعاوى الحرب ، وتوقيع اتفاقية تعاقدية ونهائية .

وقد بعثت الحكومة السوفيتية بهذه المقترحات الى سفيرها في القاهرة السيد سيرجي فينوجرادوف الذي قام بابلاغها لوزارة الخارجية المصرية. وكانت الوزارة قد تلقت صورة هذه المقترحات من المستر دونالد بيرجس رئيس بعثة المصالح الامريكية في القاهرة .

كان من الواضح ان المقترحات الامريكية تطالب بنزع سلاح سيناء وتركت مصير غزة وشرم الشيخ لمفاوضات تجريها مصر مع اسرائيل واغفلت موضوع الفلسطينيين وتناست مصير مدينة القدس ، ولم تشر الى موضوع الانسحاب من الاراضي السورية .

وفي يوم ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ تقدمت فرنسا بمبادىء عامة للدول الاربع الكبرى وابلغت صورة منها الى القاهرة وعمان وتناولت هذه المقترحات الأفكار التالية :

١ ــ الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل بعد حرب ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ على ان يكون الانسحاب من غزة ، والضفة الغربية والقدس العربية ، والمرتفعات السورية .

٢ ــ تحديد المناطق التي يتم نزع سلاحها (ولا يكون نزع السلاح شاملا لكل الاراضي التي تنسحب منها اسرائيل) .

٣ ــ تتواجد قوات دولية في مكان واحد ، وبالذات في شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة .

وتقدم الاتحاد السوفيتي بمشروع ثالث في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ ينص على المبادىء التالية :

ــ يجب ان تؤكد اسرائيل والدول العربية استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، بكل ما ورد فيه .

ــ يجب ان توافق كل الاطراف على ان المكاسب الاقليمية عن طريق الحرب لا يمكن السماح بها .

ــ بعد اعداد مسودة بهذه الوثيقة يأتي انسحاب القوات الاسرائيلية وتنتهي حالة الحرب بين اسرائيل والعرب .

ــ يصير ايداع هذه الوثيقة لدى الامم المتحدة ويتم استكمال انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة ، بضمان حدود معترف بها لكل المنطقة .

ــ يقترح مجلس الامن بعد موافقة الدول المعنية (والاعضاء الدائمين في مجلس الامن) انشاء مناطق منزوعة السلاح تحدد هذه الحدود .

تتضمن اللوائح بهذه المناطق النص على وضع قيود خاصة مؤقتة [١] ذات طبيعة عسكرية محضة بمعنى ان المناطق المنزوعة السلاح لا تمثل شكلا نهائيا ووضعا ابديا ، بل تكون مجرد ترتيبات عسكرية خاصة تزول بزوال اسباب اقامتها .

- توضع قوات تابعة للامم المتحدة بموافقة مصر مشفوعة بقرار من مجلس الامن في منطقة غزة ، حيث كانت هذه القوات قبل مايو (ايار) ١٩٦٧ ، وتوضع قوات اخرى في شرم الشيخ .
- تتعهد اسرائيل بان تذعن لقرارات الامم المتحدة الخاصة باللاجئين الفلسطينيين .
- حرية الملاحة مكفولة لكافة الدول عبر مضايق تيران ، وخليج العقبة وقناة السويس .
- تكف الاطراف منذ لحظة إيداع وثيقة او وثائق السلام النهائية لدى الامم المتحدة عن الاعمال التي تتعارض مع انهاء حالة الحرب وعليه يصبح انهاء الحرب في صورته النهائية ، ساري المفعول في نفس الوقت الذي يتم فيه انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد حرب عام ١٩٦٧ .
- يحترم الجانبان مبادىء الامم المتحدة فيما يتعلق بالتزام المسلك السلمي في العلاقات ، وحل المنازعات بالطرق السلمية والامتناع عن استخدام او التهديد باستخدام القوة .
- يحترم كل جانب اراضي واستقلال الجانب الآخر ، وحقه في العيش في سلام .

تقدم ويليام روجرز بمشروعه للدول الاربع الكبرى في نيويورك في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ ، وحددت فرنسا المبادىء التي تقترحها كاساس للحل في ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ووضع الاتحاد السوفيتي تصوره للصيغة التي يمكن ان تكون مقترحاته اساسا لمناقشة ممثلي الدول الكبرى ، الذين قرروا انه نظرا لكثرة المشروعات والمبادىء فانه من الافضل ان يعقدو اجتماعا في السادس من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ ليضعوا بيانا بالنقاط المشتركة والمتفق عليها في كل المشروعات ، بمعنى ان كل مشروع من المشروعات الثلاثة قد تضمن النص على حق كل دولة في ان تعيش في سلام وكذلك نبذ التهديد بالقوة ، ورفض مبدأ حيازة الاراضي بالقوة ، ثم تبدأ بعد ذلك مناقشة النقاط التي يختلف عليها ممثلو الدول الكبرى . وكان من رأي السفير جاكوب ماليك رئيس الوفد السوفيتي في الامم المتحدة وممثله في الاجتماعات الرباعية ان يبحث ممثلو هذه الدول موضوع الانسحاب ويتخذوا قرارا نهائيا فيه ، على اعتبار ان صميم الازمة هو احتلال الاراضي العربية فاذا تم الاتفاق على الانسحاب من كل هذه الاراضي ، اصبحت مهمة ممثلي الدول الكبرى سهلة ، اذ تبدأ بعد ذلك مناقشة مشاكل توفير الامن لكل دولة ، وكفالة حرية الملاحة والاتفاق على شكل السلام النهائي .

---

(١) - وضع الاتحاد السوفيتي هذه التفسيرات الخاصة بالمناطق المنزوعه السلاح بحيث تكون ذات وضع مؤقت، ولا تظل باقية، وتنتهي بانتهاء الاسباب التي ادت الى اقامتها.

قابل جاكوب ماليك الدكتور محمد حسن الزيات رئيس وفد مصر في نيويورك وابلغه يوم ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ ، انه شعر ان الولايات المتحدة لا تريد الاستمرار في هذه المحادثات ولذلك فقد حاول رئيس وفدها السفير تشارلز يوست ان يترك الاتفاق على تحديد جلسة مقبلة لاجتماع سفراء الدول الكبرى مفتوحا . وقد رفض ممثلا فرنسا والاتحاد السوفيتي ترك تحديد الموعد معلقا . وتحت ضغط ، وافقت الولايات المتحدة على ان تكون الجلسة التالية في ١٣ يناير اي بعد اسبوع واحد من انهاء الجلسة التي احيطت مصر بنتائجها ، والتي تمت يوم ٦ يناير .

الطريف ان اسلوب عمل سفراء الدول الكبرى ، كان يتلخص في عقد جلسة عمل طويلة او قصيرة ثم كتابة محاضر بما حدث فيها ويقوم سفير كل دولة من هذه الدول بابلاغ الدول المعنية (مصر واسرائيل والاردن) بملخص سريع لما ناقشوه مع تحليل لموقف كل دولة من الدول المشتركة في هذه المحادثات .

وبناء على معلومات جمعها الدكتور محمد حسن الزيات تاكد لدى رئيس وفد مصر في نيويورك ان الولايات المتحدة غير مرتاحة الى اسلوب المحادثات الرباعية ، وانها تفضل العودة الى المحادثات الثنائية اي بين جوزيف سيسكو واناتولي دوبرنين في واشنطن .

وقد أبدت حكومة الأردن إرتياحها للمقترحات والمبادىء التي تقدمت بها فرنسا في المحادثات الرباعية وأوضح رئيس الوفد السوفيتي في نيويورك السفير جاكوب ماليك للدكتور الزيات ، انه تلقى معلومات من موسكو توحي بان الاردن قد وافق فعلا على هذه المبادىء ، وان التقارير التي تلقاها ممثل الاتحاد السوفيتي في نيويورك تشير الى ان الدكتور مراد غالب سفير مصر في موسكو قد اوضح في مقابلاته مع المسؤولين السوفييت ان الاردن يرتاح الى المبادىء الواردة في المقترحات الفرنسية .

وفي اليوم التالي لجلسة العمل الرباعية ، أي يوم ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ التقى الدكتور أشرف غربال بالمستر هارولد سوندرز رئيس قسم الشرق الاوسط في البيت الابيض الامريكي في ذلك الوقت (مساعد هنري كيسنجر الآن ، ومساعده في ذلك الوقت في البيت الابيض) واشار الى ان الولايات المتحدة قد تقدمت بمبادرة جديدة من جانب ويليام روجرز وان القاهرة لا بد وان تتحرك وتؤيد الجهود التي يقوم بها الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون .

قرر رؤساء وفود الدول الكبرى ان يتولى مساعدوهم عقد جلسة تمهيدية يوم ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ ركز فيها الجانب السوفيتي موضوع البحث على « الانسحاب » مؤيدا ما ورد في المشروع الفرنسي الذي اشار بكل وضوح الى « الانسحاب الكلي » وطالب السوفييت بأن تعلن امريكا ذلك وكان يمثلها في ذلك الاجتماع المستر ويليام بوفوم مساعد رئيس الوفد ، ولكن المندوب الامريكي حاول التخلص من الالتزام بالنص على أن الانسحاب « لا بد وأن يكون إنسحابا كليا » .

وإنتقل الجانب السوفيتي الى مناقشة « مفهوم ارتباطات السلام » وقال الوزير

المفوض السوفيتي منلفتش نائب رئيس الوفد الذي اشترك في هذه الجلسة ان ارتباطات السلام تعني انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية ، وتحديد المناطق التي يمكن نزع سلاحها ، والاتفاق على الحدود النهائية ، والاعلان عن انهاء حالة الحرب . وتمسك الجانب السوفيتي بان قرار مجلس الامن قد نص على ذلك صراحة ولم يتناول اكثر من ذلك[1] وان مستقبل العلاقات بين العرب واسرائيل يتضمنه نص صريح ينطبق على العلاقات بين جميع الدول ، في المادة الثانية من مواد ميثاق الامم المتحدة[2] .

حاول ممثل الولايات المتحدة ان يثير موضوع الفلسطينيين والاعمال التي يقومون بها مشيرا الى انه لا يكفي تطبيق احكام الميثاق ، بل من الضروري النص على انه يجب تحريم القيام باعمال عسكرية نظامية او غير نظامية من اراضي دولة معينة ضد دولة اخرى .

واوضح الجانب السوفيتي ان ما تسميه الولايات المتحدة بالاعمال العسكرية النظامية او غير النظامية نتيجة مباشرة وطبيعية لاحتلال اسرائيل للاراضي العربية ، وهو ما تعارف العالم على تسميته بـ « اعمال المقاومة » ولذلك فان استمرار احتلال هذه الاراضي ، وعدم تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة باللاجئين ، يدفعان هؤلاء الناس الى القيام باعمال المقاومة ، وعندما يتم تحرير الاراضي ويعود الفلسطينيون الى اراضيهم فان الموقف يتغير .

اصر الجانب الامريكي على هذه النقطة مشيرا انه حتى في حالة تنفيذ قرارت الامم المتحدة فان المتطرفين قد يستمرون في ممارسة هذه الاعمال . ورد عليه المندوب السوفيتي بان امريكا لا تستطيع ان تقمع اعمال المتطرفين داخل الولايات المتحدة نفسها .

وقال الجانب السوفيتي انه يقترح ان ارتباطات السلام تأتي بعد بدء الانسحاب ولكن المندوب الامريكي عاد مرة اخرى الى تاكيد ان اي اتفاقيات تتعلق بحل الازمة لا بد وان تتم بعد اجراء مفاوضات بين الاطراف المعنية على اساس « صيغة رودس » . ورد المندوب السوفيتي بانه ليس من المعقول ان نناقش مقترحات نعرف مقدما انها غير مقبولة لان قرار مجلس الامن قد حدد الاسلوب الخاص بحل مشكلة الشرق الاوسط ، والتي يقوم بها السفير جونار يارينج . وان فشل المبعوث الدولي لا يرجع إلى خطأ في أسلوب تنفيذ قرار مجلس الامن بل إلى عدم الاتفاق على المبادىء والأسس التي يمكن ان يعمل بمقتضاها المبعوث الدولي ، وان الهدف من الاجتماعات الرباعية هو تحديد هذه المبادىء والاسس .

كان جلسة يوم ١٠ يناير التي اشترك فيها نواب رؤساء وفود الدول الكبرى اقل

---

(١) لم ينص قرار مجلس الامن على قيام علاقات دبلوماسية او اقتصادية بين العرب واسرائيل ولكنه نص فقط على انهاء حالة الحرب.

(٢) تنص المادة الثانية من مواد ميثاق الامم المتحدة على فض جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية. ويمتنع اعضاء الامم المتحدة في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة او استخدامها ضد سلامة الاراضي او الاستقلال السياسي لاية دولة من الدول، ويقدم جميع الاعضاء كل ما في وسعهم من عون الى الامم المتحدة او اي عمل تتخذه وفق الميثاق.

صخبا وعنفا مما كان متوقعا ، بينما جاءت جلسة يوم ١٢ يناير (كانون الثاني) عاصفة، وتمت على مستوى رؤساء الوفود، وبعد عدوان اسرائيل المتكرر وبعد تبادل الخطابات بين كوسيجين ونيكسون.

انعقدت جلسة العمل يوم ١٣ يناير ١٩٧٠ في مقر رئيس الوفد السوفيتي جاكوب ماليك الذي بدأ الاجتماع بوصفه المضيف ، باقتراح محدد يطلب فيه البدء في العمل الفوري ، وبدون الحاجة الى القاء بيانات وخطب وحدد جدول الاعمال في المسائل الآتية :

أ ــ الانسحاب
ب ــ الحدود
ج ــ ارتباطات السلام
د ــ الفلسطينيون.

واقترح ماليك ان تتم مناقشة موضوعي الانسحاب وارتباطات السلام ويترك رؤساء الوفود الفرصة لمساعديهم لصياغة ما يتم الاتفاق عليه ثم تبدأ بعد ذلك مناقشة الموضوعين الآخرين . وعاد رئيس الوفد الامريكي المستر تشارلز يوست يكرر ما قاله مساعده مستر بوفوم عن ضرورة مناقشة ارتباطات السلام ، وبالذات لا بد من مناقشة نشاط الفدائيين .
•واعترض ماليك قائلا « وكيف نتكلم عن موضوع الفدائيين ونحن نناقش فقط تنفيذ قرار مجلس الامن ، ولم يتضمن هذا القرار الاشارة الى الاعمال الفدائية » .

اصر يوست على ضرورة مناقشة الاعمال الفدائية لانه في حالة انسحاب اسرائيل ، فان نشاط الفدائيين سيهدد أمنها وقواتها ، ولذلك لا بد من البدء في مناقشة هذا الموضوع قبل الدخول في مناقشة الانسحاب .

وتدخل رئيس الوفد الفرنسي السفير جاك بيرار مؤكدا انه من الممكن تلافي ذلك بتقصير فترة الانسحاب وتواجد قوات دولية ، وعودة القوات العربية الى الاراضي التي تجلو عنها اسرائيل .

وفي هذه الجلسة دارت مناقشة هامة عن موقف كل من الاتحاد السوفيتي وامريكا من موضوع الفلسطينيين ، فقد وجه يوست سؤالا مباشرا الى ماليك قائلا « زميلي العزيز مستر ماليك . ما هو موقفكم من موضوع الفدائيين » ، فرد ماليك بكل صراحة « ... عندما يتم انسحاب اسرائيل ، وتتم تسوية مشكلة اللاجئين ، فلن يكون هناك مبررات لاعمال فدائية ... اننا نعرف هذا من التاريخ ومن الأحداث القريبة ، فقد بدأت حركة المقاومة في فرنسا وفي الاتحاد السوفيتي وفي كل دول اوروبا مع الاحتلال النازي ، وتضاءلت المقاومة وانتهت بنهاية النازية وعودة الحكم الوطني » .

أصر الجانب الامريكي على عدم الالتزام بالبدء بمناقشة موضوع الانسحاب واختار تشارلز يوست موضوعا آخر أكثر تفجراً باصراره على مناقشة اسلوب التفاوض ، وانه يقترح مناقشة هذا الموضوع .. قبل مناقشة الانسحاب ، لأن اسرائيل سوف لا تقبل إقرار مبدأ الانسحاب إلا بعد الاتفاق على اسلوب معين للتفاوض .

غضب ماليك من هذا الكلام وقال ثائراً « نحن نجتمع هنا لمناقشة كيفية تطبيق قرار مجلس الامن ، وقد عقدنا حتى الآن ٢٥ اجتماعاً ولا بد أن ننتهي من مناقشاتنا بوضع تصور معين لكيفية تحقيق ذلك » .

وتدخل جاك بيرار وقال « ان قرار مجلس الأمن هو ميثاق هذه المحادثات ، وهو انجيلها » ولا يصح اعتبار موافقة اسرائيل كبديل لقرار مجلس الأمن أو كأساس للمحادثات .

وعاد يوست ليؤكد انه لا بد من اجراء مفاوضات على طريقة رودس على أن تتحول بعد ذلك الى مفاوضات مباشرة .

اعترض ماليك مؤكدا ان الرئيس جمال عبد الناصر قد اعلن في التليفزيون الامريكي أن أوروبا رفضت التفاوض مع النازي اثناء احتلال هتلر لاراضيها ، وان الاتحاد السوفيتي قد رفض التفاوض مع الالمان اثناء الاحتلال النازي . وانتهز ماليك هذه الفرصة ليناقش اسلوب الولايات المتحدة في تزويد اسرائيل بالاسلحة ، فاجاب يوست بان الاتحاد السوفيتي يزود مصر بالسلاح ، ولكن ماليك رفض هذا المنطق مؤكدا مدى الفارق الواضح بين دعم دولة تناضل من اجل تحرير اراضيها وبين دعم دولة تحتل اراضي ٣ دول عربية .

واشار ماليك الى امكانية مناقشة موضوع تحديد ارسال الاسلحة الى المنطقة بعد انتهاء العدوان وتحقيق الانسحاب .

واقترح جاك بيرار اعداد ما سماه « قائمة » تتضمن كل الاراء المشتركة التي يتفق حولها الجميع ، ويتم تسليم القائمة بالمبادىء التي اقرها ممثلو الدول الكبرى للسفير جونار يارينج ليستأنف بعدها مهمته باعتبار ان موافقة الدول الكبرى على هذه المبادىء يعكس موقفا دوليا يستمد قوته من مساندة انجلترا وفرنسا وامريكا والاتحاد السوفيتي لكل ما تضمنته هذه القائمة من مبادىء ثم يتولى يارينج ، مزودا بهذا التأييد ، مسؤولية الحصول على موافقة الاطراف المعنية (مصر واسرائيل والأردن) على قبول هذه المبادىء كأساس للحل .

أضاف بيرار الى هذا الاقتراح فكرة أخرى بضرورة استبعاد امريكا لموضوع المفاوضات على ان يتولى يارينج هذه المهمة ، وفي نفس الوقت كما اقترح بيرار تتولى الدول الكبرى اعداد القائمة الثانية التي يتفق عليها ممثلو هذه الدول ، في الوقت الذي يمارس فيه يارينج مسؤولياته في المنطقة وبالتالي يتم حل المشاكل الرئيسية ، ثم يتناول البحث بعد ذلك المسائل التفصيلية ولذلك فان فرنسا تقترح الربط بين الانسحاب كنقطة أساسية في تنفيذ قرار مجلس الأمن ، مع بحث موضوع حالة السلام ، وأن يتم بحث وقف اطلاق النار في إطار بحث تنفيذ قرار مجلس الأمن .

تقدم تشارلز يوست على الفور وفي نفس جلسة ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ بمشروع بيان يصدر من الدول الكبرى يطالب مصر واسرائيل بوقف اطلاق النار ، وادخل

اللورد كارادون رئيس الوفد البريطاني (الذي وضع صياغة قرار مجلس الامن ٢٤٢) تعديلا على النص الذي تقدمت به الولايات المتحدة ، ليصبح النداء الذي سيصدر من الدول الكبرى ، في صورته النهائية كالآتي « نداء الى الأطراف المعنية بالوفاء بالتزاماتها التي نصت عليها قرارات وقف اطلاق النار والامتناع عن القيام بأي أعمال تتعارض مع هذا الألتزام » .

ونظراً لأهمية وخطورة إصدار هذا النداء ، فقد طلب رؤساء وفود بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي ، الرجوع الى حكوماتهم قبل الموافقة على صدوره ، واقترح اللورد كارادون قبل رفع هذه الجلسة دعوة الاطراف المعنية للاشتراك في هذه المحادثات .

وطلب رؤساء الوفود مرة اخرى اتاحة الفرصة امامهم لمعرفة موقف حكوماتهم من الاقتراح البريطاني ، واقترحوا ان يكون الاجتماع التالي يوم ١٧ فبراير (شباط) ١٩٧٠ الى ان يتلقوا تعليمات حكوماتهم واوضح جاكوب ماليك لرئيس الوفد الامريكي انه يرى من جانبه ، قبل ان يتلقى رد حكومته ، أن الاسراع بتطبيق قرار مجلس الأمن هو الذي سيجعل من الممكن بحث وقف اطلاق النار ، وأنه اذا توصلت الدول الكبرى فعلا الى وقف إطلاق النار ، فلا بد ان يكون ذلك خطوة أولى تؤدي الى الانسحاب ، واذا استمرت امريكا في مساعدة اسرائيل وحمايتها فان ذلك لن يؤدي الى تنفيذ القرار ، ولن يدفع اسرائيل إلى الانسحاب .

وانتهز ماليك هذه المناسبة ليهاجم الموقف الامريكي الذي ادى كما قال لتشارلز يوست .. الى قيام اسرائيل بالهجوم على مصنع بالقرب من القاهرة (مصنع ابو زعبل) وقتل سبعين من العمال المسالمين الذين لا يشتركون في معارك عسكرية ولا يقفون على خط النار .

اتضح من هذه الجلسة الهامة التي استمرت اكثر من ٤ ساعات في منزل رئيس الوفد السوفيتي جاكوب ماليك أن فرنسا تؤيد موقف الاتحاد السوفيتي ، وان الدولتين تنظران الى المشكلة نظرة واقعية ، وان موقف اللورد كارادون لا يبتعد كثيرا عن موقف الدولتين . وبالرغم من كل محاولات رئيس الوفد الامريكي تشارلز يوست لعرقلة بحث صميم المشكلة والاكتفاء بمناقشة وقف اطلاق النار ، فان جاكوب ماليك قال انه في الوقت الذي تبحث فيه الحكومات المعنية الاقتراح الخاص بتوجيه نداء لوقف اطلاق النار ، لا بد وان يستمر البحث في النقاط الاساسية التي تتعلق بالانسحاب ، وربط ذلك بوقف اطلاق النار .

على أثر انتهاء هذه الجلسة عقد السفير جاكوب ماليك في نفس اليوم اجتماعا بالدكتور محمد حسن الزيات رئيس وفد مصر في نيويورك واتفقا على إبلاغ القاهرة وموسكو باقتراح اللورد كارادون الخاص باشراك الدول المعنية في المحادثات الرباعية .

وعقد الدكتور عبد الله العريان نائب رئيس الوفد المصري في نيويورك في ذلك الوقت اجتماعا مع المستر ويليام بوفوم نائب رئيس الوفد الامريكي ، بعد جلسة المباحثات وذلك

يوم ١٤ فبراير (شباط) اي في اليوم التالي لانعقاد جلسة المحادثات الرباعية بناء على طلب الدبلوماسي الامريكي الذي أبلغ الدكتور العريان ان حكومته تسعى الى وقف اطلاق النار ، وان دونالد بيرجس رئيس البعثة الامريكية في القاهرة قد ابلغ ذلك الى الخارجية المصرية وان امريكا تفهم وجهة النظر التي عبرت عنها الجمهورية العربية المتحدة بضرورة الربط بين وقف اطلاق النار والبدء في تنفيذ قرار مجلس الأمن ، وهو ما تسعى الولايات المتحدة لتنفيذه ، لذلك فانها تقترح ان توافق مصر على الاقتراح الذي تقدم به تشارلز يوست في المحادثات الرباعية .

قال الدكتور العريان رداً على اقتراح ويليام بوفوم « ... سأبلغ هذا الرأي الى القاهرة ولكنني أحب أن اؤكد مرة أخرى بأن قرار وقف اطلاق النار ليس إلا مجرد خطوة اولى لايقاف القوات المعتدية ثم يبدأ الانسحاب فوراً » .

وبعقلية استاذ القانون الدولي اوضح الدكتور العريان (الذي كان يرأس وفد مصر في جنيف ، وعضو وفدها في مؤتمر السلام بجنيف وسفيرها الآن في برن أن قرار مجلس الأمن الذي صدر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ قد نص على وقف اطلاق النار ، ووقف العدوان الاسرائيلي ، ثم البدء في تنفيذ ما ورد في القرار ، ولكن اسرائيل استمرت في القيام باعمال عدوانية وأقامت الاستحكامات العسكرية على طول القناة ، واتخذت من هذه الاستحكامات قواعد تضرب المدن والقرى لتفرض شروطها ، وقد إتخذت مصر إجراءات وقائية للرد على هذا العدوان المستمر ، ولا يصح اساءة تفسير قرار وقف اطلاق النار وتجاهل مدى المسؤولية التي تترتب على قيام اسرائيل بعدوان جديد ، واتخاذ قرار وقف اطلاق النار كذريعة لتجميد الموقف ، واستمرار احتلالها وعدوانها .

أبدى ويليام بوفوم تفهمه لوجهة النظر المصرية وقال .. «نحن نعبر بهذا الاجراء الذي نطالب فيه بوقف اطلاق النار ، عن مدى قلقنا من تصعيد الموقف العسكري ، ونحن نبدي اسفنا للهجوم الذي حدث على ابو زعبل .. والخسائر المدنية التي لحقت بعماله وبالمصنع ، وان كانت اسرائيل قد فسرت هذا العمل بانه نتيجة خطأ ، ولقد اصدرنا بيانا يستنكر ذلك ».

ورد الدكتور العريان مسجلا دهشته لأن بيان امريكا الذي استنكر العدوان على أبو زعبل قد ربطه بحادث فردي هو حادث مطار ميونيخ[1] في حين أن عدوان أبو زعبل هو عمل عسكري منظم قامت به دولة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة بطائراتها لضرب اهداف مدنية في دولة اخرى عضو في المنظمة الدولية .

غادر لورد كارادون نيويورك الى لندن ، للتشاور مع حكومته وعاد الى الأمم المتحدة ليجتمع يوم ١٤ فبراير (شباط) ١٩٧٠ بالدكتور محمد حسن الزيات وليبلغه ان الحكومة البريطانية تسعى لايجاد وسيلة لاحراز التقدم المطلوب لأن استمرار تدهور الموقف الراهن

(١) في ١٠ فبراير (شباط) قام اربعة من الفدائيين بالهجوم بالقنابل على افراد طاقم ركاب بوينج ٧٠٧ في مطار ميونيخ تابعة لشركة العال وكان من بين الركاب عساف ديان ابن موشي ديان ويعمل ممثلا سينمائيا.

بهذه الصورة قد يؤدي الى الاضرار بسمعة الأمم المتحدة .

وقال كارادون انه اجتمع برئيس الوزراء المستر هارولد ويلسون واقترح عليه ضرورة التوفيق بين موقف الاتحاد السوفيتي وموقف الولايات المتحدة بحيث يستمر العمل في المباحثات الرباعية ، وان امريكا قد ابدت حسن استعدادها لبحث موضوع الانسحاب والحدود ، وان السوفييت لا بد وان يتعاونوا معهم في موضوع ارتباطات السلام .

وأكد اللورد كارادون أنه اذا نجح الاربعة الكبار في صياغة النقاط التي يتم الاتفاق عليها ، فان يارينج يستطيع أن يستأنف مهمته وتشترك الدول المعنية في هذه المباحثات ، مع الاربعة الكبار وفي اطار مجلس الأمن .

وفي الوقت الذي كان يتم فيه الأعداد للقاء جديد بين رؤساء وفود الدول الكبرى في نيويورك تم اتصال بين الحكومة السوفيتية والحكومة الاردنية وبالملك حسين مباشرة يوم ١٩ مارس (اذار) ١٩٧٠ وكان الهدف من ذلك أن يتولى جاكوب ماليك شرح وجهة النظر الاردنية بالاشتراك مع جاك بيرار رئيس الوفد الفرنسي ، بعد أن حدد الدكتور عبد المنعم الرفاعي وزير خارجية الأردن في عمان لسفيري امريكا وفرنسا ان موقف بلاده يتلخص في النقاط التالية :

١ ـ الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية بحيث يكون الانسحاب شاملا ولا يكون قاصرا على دولة دون أخرى .

٢ ـ القدس جزء من الاراضي العربية التي لا بد أن يكون الانسحاب شاملا لها والانسحاب محتوم وواجب .

٣ ـ ضرورة التركيز على موضوع الانسحاب ، لأنه لا فائدة من مناقشة موضوعات أخرى إلا بعد إقرار مبدأ الانسحاب الكامل .

٤ ـ إن التزامات السلام يجب أن تطلبها أمريكا من اسرائيل ولا تطلبها من الدول العربية لأن اسرائيل هي التي تهدد سلام هذه الدول .

مرة اخرى التقى رؤساء وفود الدول الكبرى في نيويورك يوم ٢٠ مارس (اذار) ١٩٧٠ وكان هدف الوفد الفرنسي ان يبدأ نواب رؤساء الوفود في صياغة النقاط التي يتم الاتفاق عليها ، وعندما تبدأ هذه العملية فسوف تبذل كل دولة جهودها من أجل تضييق شقة الخلاف في المسائل التي لم يتم الاتفاق عليها .

أصر جاكوب ماليك في هذه الجلسة ، بعد اتفاق مع حكومة الأردن ، والاتصالات مع القاهرة ، على ضرورة النص صراحة على أن الانسحاب يجب أن يشمل القدس وغزة والجولان ، واعتبر الجانب الامريكي أن إصرار جاكوب ماليك على ذلك يرجع إلى تشدد الجانب السوفيتي في موقفه . وكان الدكتور محمد حسن الزيات رئيس الوفد المصري قد أوضح خارج جلسات الاجتماعات الرباعية أن مصر (وكذلك الأردن وسوريا) لا تعتبر ذلك تشددا ، لأن قرار مجلس الأمن لا يعني إلا الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية .

كان لقاء ممثلي الدول الكبرى الذي تم في نيويورك يوم ٢٠ مارس من أهم وأخطر الاجتماعات بالرغم من أنه لم يستمر طويلا ، فقد انعقد في مقر رئيس الوفد البريطاني اللورد كارادون الذي اقترح بعد مشاوراته مع حكومته في لندن ضرورة اعداد مذكرة او بيان تضع فيه الدول الاربع النقاط التي تم الاتفاق عليها ، والمسائل التي لا زالت في حاجة الى مناقشة . ولكن جاك بيرار رئيس الوفد الفرنسي اقترح ، كما طالب في الجلسة السابقة ، ضرورة تكليف نواب رؤساء الوفود بالقيام بهذا العمل ، بينما يستمر الرؤساء في عملهم الذي يتناول النقاط الاساسية الخاصة بالمشكلة .

واقترح جاكوب ماليك ان يتم النص في صيغة البيان الذي سيتم اعداده والذي سيشتمل على نقاط الاتفاق على موضوع الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية .

وقال ماليك اذا لم يتم النص على ذلك ، فان الاتفاق سيخلو من العنصر الأساسي في التسوية ، وهو الأنسحاب الكامل . واذا تنازلنا عن هذا النص ، فمعنى ذلك ان الدول الكبرى توافق على احتلال الاراضي او اجزاء منها . وسوف يدفع ذلك اسرائيل الى المزيد من التشدد والمطالبة أيضاً باجراء مفاوضات مباشرة .. ومعنى ذلك أن عملنا هنا كان مجرد عبث .. انني اطلب من السفير تشارلز يوست أن يحدد موقف أمريكا رسمياً من موضوع الانسحاب ؟

في الوقت الذي كانت تجرى فيه هذه المحادثات في واشنطن والتي استمرت حتى يوم ٢٠ مارس (آذار) ١٩٧٠ دون الوصول الى اتفاق ، كان ويليام روجرز يفكر في اصدار بيان يتعلق بأزمة الشرق الأوسط بعد رحلة قام بها في شهر فبراير في القارة الافريقية زار خلالها الرباط وتونس دون أن يقترب من القاهرة .

دعا روجرز الى مكتبه في واشنطن ، أناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفيتي في العاصمة الأمريكية محاولا الخروج من الموقف الذي انتهت اليه المحادثات الرباعية . وقد عقد روجرز اجتماعين مع السفير السوفيتي وكان الاجتماع الاول في ١١ مارس ، والثاني في ٢٥ مارس عام ١٩٧٠ .

في الاجتماع الأول قال دوبرنين : « في الوقت الذي تجرى فيه المحادثات الرباعية فانه من الممكن أن تستمر إتصالاتنا في واشنطن ونحن على إستعداد لمناقشة موضوع السلام ، بشرط ان تكون الولايات المتحدة اكثر وضوحا بالنسبة للانسحاب من شرم الشيخ وغزة وسوريا » .

قال روجرز لدوبرنين نحن على استعداد للموافقة على استئناف اتصالاتنا هذه في واشنطن ، ولكن ذلك لا يعني اننا نلتزم بالموافقة على مقترحاتكم . اننا لا زلنا نتمسك بالمبادرة التي تقدمنا بها في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) من العام الماضي (١٩٦٩) .. ومعنى ذلك اننا لسنا على استعداد لتقديم تنازلات او التراجع عن موقفنا الذي حددناه في مقترحاتنا السابقة » .

وعقد روجرز ودوبرنين اجتماعهما الثاني يوم ٢٥ مارس (آذار) ، واقترح وزير

الخارجية الأمريكية أن يوافق الاتحاد السوفيتي على بيان روجرز الذي صدر في ٢٢ مارس عام ١٩٧٠[١] والذي ينادي بضرورة وقف ارسال الاسلحة الى المنطقة ووقف اطلاق النار .

أما في نيويورك ، وبعد جلسة يوم ٢٠ مارس ، فقد قام جاكوب ماليك يوم ٢٤ مارس بابلاغ رؤساء وفود بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بان الاتحاد السوفيتي قد أبلغه بالموافقة على الاقتراح الفرنسي بتكليف نواب رؤساء الوفود بصياغة ما تم الاتفاق عليه ، وان ذلك سيعطى للسفير يارينج فرصة تحريك الموقف الراهن .

على أثر ابلاغ الاتحاد السوفيتي للدول الثلاث الكبرى بالموافقة على الاقتراح الفرنسي ، اجتمع السفير يارينج برؤساء وفود الدول الكبرى واستمع إلى ملخص لما أمكن تحقيقه قرر على أثره أن يبقى في نيويورك وان كان لا يعتقد بأن ذلك سيساعده كثيراً .

أدرك يارينج بعد اللقاء الذي تم مع رؤساء الوفود ان الدول الاربع الكبرى لم تستطع أن تصل إلى رأي موحد يساعده في مهمته ، وكما قال لبعض السفراء عقب انتهاء الاجتماع « .. انهم يريدون ارسال الكرة الي ... فالسوفيت يريدون تقديم مبادىء عامة ، والامريكان يريدون تقديم تقرير موقت ، والفرنسيون يريدون تقديم مذكرة بنقاط الاتفاق ، ونقاط الخلاف ، والبريطانيون يعتقدون أن تسجيل نقاط الاتفاق سوف يساعدهم على تضييق الخلاف حول النقاط التي لم يتم الاتفاق عليها . انني أعتقد أن مهمتي ما زالت كما هي ، وكما حددها قرار مجلس الأمن ، وما قام به رؤساء وفود الدول الكبرى لا يزيد عن مجرد « تمرين على تفسير القرار ... » .

أبدى يارينج مخاوفه للدكتور محمد حسن الزيات مؤكدا انه لا يرتاح للبقاء في نيويورك دون جدوى ، وانه في خلال اسبوعين سوف يقرر العودة الى مقر عمله في موسكو .

وبالرغم من كل هذه المخاوف فقد استمر رؤساء الوفود في اجتماعاتهم وكلفوا نوابهم باعداد النقاط التي تم الاتفاق عليها ، وقرروا في اجتماعهم الذي عقدوه يوم ٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ ان يتقدموا بورقة عمل تتضمن رأيهم في موضوع الانسحاب ، باعتبار أن الانسحاب هو أساس البحث ، على أن يقوم نواب الرؤساء باعداد الصيغة التي يتم الاتفاق عليها .

عقد نواب رؤساء وفود الدول الكبرى بناء على هذا التكليف جلسة عمل يوم ٧ ابريل ١٩٧٠ وكان الوفد الفرنسي قد اعد صيغة للانسحاب هذا نصها :

« وفقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب ، يتضمن الاتفاق التزاما من جانب اسرائيل بانسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة وفقا لما ورد في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ويتم الانسحاب وفقا لجدول زمني واجراءات يتفق عليها ، بين الاطراف ، ويبدأ الانسحاب يوم ايداع الاتفاق في الأمم المتحدة .

ويتم الانسحاب تحت اشراف الامم المتحدة ويتقرر وجود الأمم المتحدة في المناطق المنزوعة السلاح التي يتضمنها الاتفاق .

---

(١) يتضمن الفصل التالي تفاصيل بيان روجرز ورحلته الى افريقيا.

تعيين الحدود الآمنة والمعترف بها بين اسرائيل وجيرانها (اي العرب) في الاتفاق الموضح على خرائط تصبح جزءا من الاتفاق .

وتكون هذه الحدود كمبدأ ، على أساس خطوط هدنة عام ١٩٤٩ على أن يكون مفهوما انه من الممكن الاتفاق بين الاطراف على تصحيحات طفيفة .

وتكون الحدود بين الجمهورية العربية واسرائيل هي الحدود الدولية لاقليم فلسطين وقت الانتداب ، مع وضع ترتيبات خاصة بالنسبة لمنطقة غزة يتم النص عليها في الاتفاق » .

اكتفى الوفد الامريكي بالتعليق على هذا النص بقوله انه بالرغم من عدم قبوله للمبادىء التي وردت في هذا النص إلا أن الجهد المبذول في اعدادها يستحق التقدير ... !

اما الوفد السوفيتي فقد طلب معرفة الفرق بين هذه الصيغة والمبادىء السوفيتية التي طالب فيها بضرورة الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية ، وإن كان قد أبدى تحفظه على ما ورد في النص الفرنسي الذي يقول عن تعديلات طفيفة في الحدود . واكد الوفد السوفيتي انه لم يتم ابدا إتفاق حول قبول مبدأ التعديلات الطفيفة في الحدود ، وهل معنى هذه التعديلات انها تنطبق على غزة والجولان . وتساءل الوفد السوفيتي عن معنى الترتيبات الخاصة بالنسبة لمنطقة غزة ؟

بالرغم من هذه الاعتراضات فقد قدم الوفد الفرنسي صياغة لموضوع الامن والسلام ، وهذا نصها :

« يلتزم الاطراف لاقامة حالة سلام نهائي بينهم ، ويتعهدون على نحو متبادل وصريح بانهاء كل صورة من صور حالة الحرب ، وإحترام وإقرار سيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها ان تعيش في سلام داخل الحدود الآمنة والمعترف بها والمحددة آنفا .

« وفي هذا المحتوى ووفقا للالتزامات التي يلتزمون بها وفقا للمادة الثانية من مواد ميثاق الأمم المتحدة ، يتعهد الأطراف ، وفقا لجدول زمني ، يوضع بالاتفاق بينهم ، اتخاذ كافة الاجراءات والتدابير اللازمة المناسبة للتثبت من عدم وقوع اي فعل عدائي ، او تدخل من أي نوع او من اي مصدر ، في اقليم الطرف الآخر ، او يكون مصدره ناشئا عن فعل في اقليمه .

« كما يتعهد الاطراف باحترام الترتيبات التي يقرها مجلس الامن ، والتي يوافقون عليها ، بشان وضع ترتيبات امن على الطبيعة ، وبصفة خاصة انشاء مناطق منزوعة السلاح والتواجد بقوات الأمم المتحدة في هذه المناطق . ولا يجوز ان يتضمن وضع هذه الترتيبات أي قيد غير حربي على سيادة الدول على أراضيها . ويتعهد الأربعة (الأربعة الكبار) من جانبهم بأن يطلبوا من المجلس حق اتخاذ كافة التدابير النافعة لارسال قوات الأمم المتحدة الى المناطق المنزوعة السلاح التي سيتضمنها الاتفاق ، والتي لا يمكن ان تسحب هذه القوات قبل موعد محدد وبغير موافقة مجلس الأمن ، بعد انقضاء هذا الموعد . ويتعهد الاربعة اعتبارا من إيداع الاتفاق لدى الامم المتحدة بضمان جميع نصوصه وبخاصة المتعلقة بالحدود والسلام » .

ونظراً لأن الوفد الفرنسي قد تقدم بهذه الصيغة في نهاية الجلسة وقبل الموافقة على النص الخاص بالانسحاب تقرر إنهاء الاجتماع إلى حين موافقة الدول الكبرى على هذه النصوص .

إلى هذا الحد ، وصلت مناقشات الأربعة الكبار ومساعديهم في الوقت الذي كان ويليام روجرز يعلن عن بيانه الذي صدر في ٢٣ مارس (آذار) ١٩٧٠ ، والذي اصبح بعد نلك معروفاً باسم « مشروع او مبادرة روجرز » لوقف اطلاق النار .

١٣ - روجرز : رحلته وبيانه ثم مبادرته

عندما اعلن الرئيس الامريكي السابق ريتشارد نيكسون يوم ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ - مع بداية السبعينات - عن قراره بعدم البت في طلب اسرائيل الذي تقدمت به للحصول على اكبر دعم عسكري خصوصا من طائرات الفانتوم والسكاي هوك ، إلا بعد مهلة جددها لنفسه بثلاثين يوما تنتهي في ٢ مارس (آذار) ١٩٧٠ ، كان ريتشارد نيكسون يسعى في نفس الوقت لتحديد موقف امريكي واضح من أزمة الشرق الأوسط وعلاقة الاتحاد السوفيتي بهذه الأزمة .

قال نيكسون في وثائقه التي سميت بعد ذلك « نظرة نيكسون الى عالم السبعينات » أن هدف سياسته التي سيسير عليها في أوائل حكمه الذي اراد او تصور أنه سيمتد الى عام ١٩٧٦ هو « محاولة حصر تقدم » الاتحاد السوفيتي ، مع تجنب المواجهة معه توطئة لرسم سياسة وفاق طويلة الأجل .

ومشكلة الشرق الأوسط ، مع بداية حكم نيكسون حتى نهايته غير المتوقعة كانت من أخطر المشاكل واكثرها تفجرا ، ولذلك حاول ان يلمس المشكلة خلال سنوات حكمه الاولى ، دون ان يسبب لمسه لها تفجيرا للمشكلة والمنطقة .

حاول نيكسون ان يحصر مشكلة الشرق الأوسط في اطارها المحلي ، بحيث يكون الصراع قاصرا على العرب واسرائيل ، دون تدخل القوى الكبرى ، مع احتفاظ الولايات المتحدة بالقدرة على تحريك الصراع في الاتجاه الذي تحدده دون ان تعطي للاتحاد السوفيتي فرصة نقل هذا الصراع من مفهومه المحلي إلى أبعاده الدولية ، لذلك كان طلب اسرائيل المزيد من السلاح والطائرات من الولايات المتحدة ، عاملا جديدا سوف يرغم الاتحاد السوفيتي للتدخل ، بتقديم المعونة العسكرية والسياسية للعرب ، ولمصر بالذات .

كانت المحادثات الثنائية الدائرة في واشنطن بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، هي محاولة لحصر مناقشة هذه المشكلة في نطاق القمة بين العملاقين ، بينما كانت المحادثات الرباعية في نيويورك بين رؤساء وفود الدول الكبرى ، هي المحظور الذي لا تريده أمريكا ، باشراك أربع دول كبرى في مناقشة أزمة ترغب الولايات المتحدة في ابعاد هذه الدول عنها .

ومع بداية عام ١٩٧٠ حاولت حكومة الرئيس نيكسون أن تساهم . بالقدر الذي تراه - في الانفراد بحل الأزمة ، وبابعاد الاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا عنها ، ولذلك قرر نيكسون تأجيل الاعلان عن صفقة الطائرات وعدم البت في مطالب اسرائيل ليؤكد للعرب ولمصر بالذات النقاط التالية :

١ - ان حكومته تختلف في مواقفها عن مواقف الحكومات الامريكية السابقة

خصوصا حكومة جونسون .

٢ ــ انه ليس بالضرورة أن ذلك يعني وجود تعارض بين حكومة نيكسون واسرائيل ، بل وجود اختلاف بين موقف الحكومتين بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط ، لا يرقى الى مستوى التعارض .

٣ ــ ان حكومة نيكسون لا تريد قطيعة مع مصر ، او مع العرب بل على العكس تريد قيام علاقات متوازية مع العرب من جهة ، ومع اسرائيل من جهة اخرى .

لذلك شجعت الولايات المتحدة بقدر محدود استمرار المشاورات مع الاتحاد السوفيتي في واشنطن ، وافرغت المحادثات الرباعية في نيويورك من محتواها .

أرجأ الرئيس نيكسون قرار تزويد اسرائيل بالطائرات وبعث بوزير خارجيته ويليام روجرز الى المنطقة في فبراير (شباط) ١٩٧٠ يقترب من القاهرة ولا يزورها ، يتناول في محادثاته في المغرب وتونس ، أزمة الشرق الأوسط ، دون أن يضع خطوطا نهائية لتصوره لحل الأزمة ، ثم يبعث روجرز بمساعدة جوزيف سيسكو ليزور المنطقة ويجتمع به الرئيس جمال عبد الناصر ثم يلتقي سيسكو بسفراء امريكا في المنطقة ، بينما يعد ويليام روجرز بيانا هاما عن الأزمة يصدر في ٢٣ مارس (آذار) ١٩٧٠ ثم ينيع بعد ذلك مبادرته الشهيرة في يونيو (حزيران) من نفس العام .

هذه الأحداث السريعة المتعاقبة تحتاج الى المزيد من التفصيل والمناقشة والتحليل ، والمزيد من الوقائع والمعلومات .

ففي العاشر من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ ، قبل أن يعلن الرئيس نيكسون عن قراره بتأجيل البت في منح اسرائيل صفقة الطائرات ، كانت وزارة الخارجية في القاهرة تتلقى تقريرا من الدكتور أشرف غربال يتضمن اقتراحا تقدمت به الولايات المتحدة ، بعودة العلاقات مع مصر ، وأثرت زيادة دعم العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي على قرارات الرئيس الأمريكي .

كان الدكتور أشرف غربال رئيس بعثة رعاية المصالح المصرية في واشنطن ، إجتمع يوم ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ بالمستر روبرت برانجر نائب وزير الدفاع الأمريكي الذي أكد هذه النقاط :

١ ــ ان الولايات المتحدة ، على مستوى البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكي) ووزارة الخارجية ، يهمها استئناف العلاقات مع القاهرة .. مع محاولة فهم الموقف الأمريكي الجديد الذي سيساعد الرئيس نيكسون على اتخاذ مواقف لا تغضب مصر أو العرب .

٢ ــ ان الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الذي القاه في الخرطوم (اول يناير و ٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠، قد أشاد بموقف الاتحاد السوفيتي ، وندد بالموقف الأمريكي .

وجد الدكتور أشرف غربال الفرصة مناسبة لكي يؤكد مخاوف مصر من اتجاهات سياسة الرئيس نيكسون ، اذ ان السياسة الامريكية سوف لا تتحدد معالمها ازاء الرأي العام العربي ، والقادة العرب الا بممارسة الضغط على اسرائيل ، ومنع المعونات الاقتصادية والعسكرية عنها ، هذه المعونات التي تستخدمها اسرائيل ، لا في تحقيق أمنها

كما تقول ، بل للعدوان بدليل استخدام الفانتوم للاغارة على منطقة القناة عشية إجتماع مؤتمر القمة في الرباط (١٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٩) ثم غاراتها على دهشور والتل الكبير . وأن الولايات المتحدة حتى ولو كانت جادة في تحسين علاقاتها فان اسرائيل تسعى الى إفساد هذا الجهد .

وأشار الدكتور غربال الى موقف الولايات المتحدة من البترول المصري في خليج السويس الذي لا يمكن ان توافق امريكا على استغلال اسرائيل له ، وبالرغم من ذلك فان شركة أمريكية تقوم باعمال التنقيب عنه .

ختم الدكتور غربال كلامه قائلا « ... ان موضوع بترول الخليج هو الكوبري الهام الباقي في العلاقات الاقتصادية بين مصر والولايات المتحدة » .

وفي لقاء آخر بين أشرف غربال والمستر الفريد اثرتون نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي وفي نفس اليوم ، كان اثرتون يشير الى أن أمريكا ستتخذ موقفاً حازماً من حل الأزمة ، وان أمريكا تنوي فعلا أن تمارس كل جهودها من أجل الخروج من هذا الطريق المسدود .

دار حوار طويل بين أشرف غربال والفريد اثرتون حول الموقف الأمريكي وطالب الدبلوماسي المصري أن تؤكد أمريكا رفضها لمبدأ احتلال الأراضي بالقوة ، وانها اذا كانت جادة فعلا في إتخاذ موقف لا يتعارض مع مصالح العرب فلا بد من إعلان موقفها من ضرورة إنسحاب اسرائيل ليس فقط من الأراضي المصرية والاردنية بل ايضا من الجولان وذلك سيعطي لسوريا فرصة قبول قرار مجلس الأمن ، ويستطيع يارينج ان يستانف نشاطه . وقد رحب اثرتون بهذه الفكرة ووعد برفعها الى المسؤولين .

سبقت هذه اللقاءات في واشنطن الزيارة التي قام بها ويليام روجرز وزير الخارجية للمغرب بين السابع والتاسع من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٠ وكان هدفها كما قال للسيد عبد الهادي ابو طالب وزير الخارجية المغربي في ذلك الوقت « .. انها زيارة خاصة اكثر منها رسمية . وان هدف رحلتي هو معرفة آراء الدول الأفريقية ، لوضع سياسة أمريكية جديدة .. ولذلك فانني أريد أن استمع أكثر مما أتكلم » .

وصف الاستاذ محمد حسنين هيكل[1] زيارة روجرز للمنطقة بأنها كانت بمثابة ارسال « رسائل على الطبول الأفريقية » إلى القاهرة والعواصم العربية . وكانت زيارة روجرز تهدف فعلا الى إسماع صوت الولايات المتحدة للعواصم العربية ، ولكن عبر عواصم افريقية يزورها رئيس الدبلوماسية الأمريكية . وتؤكد هذه الرسائل التي وصلت الى القاهرة من سفاراتها في المغرب وتونس واديس ابابا وكينيا وزامبيا والكاميرون . « ان روجرز يكرر أن أمريكا لا تريد تحيزاً ضد العرب ، ولا ضد اسرائيل ، وان الهدف من زيارته في هذه الجولة ، هو زيارة عواصم افريقية وأن رحلته قد شملت تونس والمغرب بوصفهما من الدول الافريقية » .

وفي خلال لقاء بين روجرز وعبد الهادي ابو طالب يوم ٨ فبراير (شباط) ١٩٧٠ ، اتضح أمام وزير الخارجية المغربي أن روجرز يريد أن يقترب من مشكلة ليبيا لمعرفة

---

(١) بصراحة : ١٧ مارس (اذار) ١٩٧٠.

مستقبل علاقاتها مع أمريكا وهو من أهداف زيارته للمغرب ، ولذلك سارع أبو طالب ليقول لروجرز « أن المغرب دولة افريقية وعربية واسلامية وأنه اذا جاء لزيارة المغرب كدولة افريقية فانه ينتهز هذه الفرصة ليشرح له موقف المغرب كدولة عربية من مشكلة الشرق الأوسط وأبدى أهمية تطبيق قرار مجلس الأمن ، وأن المغرب يرى أن تزويد أمريكا لاسرائيل بالاسلحة عمل عدائي ضد العرب » .

سأل روجرز وزير الخارجية المغربي عما اذا كانت ليبيا هي جزء من المغرب العربي ، فقال أبو طالب أن ليبيا هي جزء من العالم العربي ، وسيتضح موقفها عندما يجتمع وزراء اقتصاد المغرب العربي في الرباط يوم ١٠ مارس (آذار) ١٩٧٠ .

وبعد يومين من اجتماع روجرز بالوزير المغربي استقبل الملك الحسن الوزير الأمريكي يوم ١٠ فبراير (شباط) وعلى أثر انتهاء المقابلة استدعى وزير الخارجية المغربي السفير المصري في الرباط السيد حسن فهمي عبد المجيد وابلغه ان الملك الحسن تكلم مع روجرز وقال له أن أمريكا ستفقد كل الأصدقاء – هذا اذا كان بقي لها اصدقاء – اذا استمرت على هذه السياسة .

وفي اديس ابابا التقى الرئيس تيتو يوم ١١ فبراير ١٩٧٠ بويليام روجرز الذي شرح للرئيس اليوغوسلافي الموقف الأمريكي من الشرق الأوسط ، ولكن الرئيس تيتو أدان العدوان الاسرائيلي ، وطالب بضرورة وقف الغارات الاسرائيلية . وقال لروجرز أنه لا بد وان تمتنع أمريكا عن تزويد اسرائيل بالسلاح ، وان حل المشكلة لا يمكن ان يكون بارسال مزيد من الطائرات لاسرائيل .

وفي واشنطن كانت السفارة اليوغوسلافية تبلغ بعثة رعاية المصالح المصرية فيها ان الرئيس تيتو لم يعرض القيام بأي وساطة بين مصر وأمريكا ، اذ ان الاتصال بين واشنطن والقاهرة لم ينقطع ، كما انه لا يقر الموقف الامريكي وكان الرئيس تيتو في ذلك الوقت (٢٣ فبراير ١٩٧٠) في طريقه الى اسوان للاجتماع بالرئيس عبد الناصر .

وفي أول مارس (آذار) ١٩٧٠ بعد جولة روجرز في العواصم الأفريقية كان دونالد بيرجس رئيس بعثة رعاية المصالح الأمريكية في القاهرة يبلغ الوزير المفوض محمد رياض وزير الدولة للشؤون الخارجية الآن أن سفراء الولايات المتحدة في افريقيا قد أبلغوا روجرز أن العواصم الأفريقية التي يعملون بها تبدي سخطها تجاه الولايات المتحدة ، خاصة لصفقات الأسلحة التي تقدمها لأسرائيل . ولم يعقب روجرز على هذه المعلومات واكتفى بالصمت .

بعد عودة روجرز الى واشنطن واعداد تقريره الى الرئيس نيكسون بدأ يدرس إعداد بيان يحدد موقف الولايات المتحدة من الشرق الأوسط وبعد ان قرر الرئيس نيكسون مرة أخرى تأجيل البت في مطالب اسرائيل من السلاح ، وفي اثناء بحث الاقتراح الأمريكي بوقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل .

وفي يوم ٢٠ مارس ١٩٧٠ دعا الفريد اثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكي الدكتور أشرف غربال الى مكتبه بوزارة الخارجية وابلغه أن روجرز سوف يعلن بعد ٣ أيام (٢٣ مارس) بيانا يحدد فيه موقف أمريكا من طلبات اسرائيل . وطلب أن تدرس القاهرة

هذا البيان بكل عناية لانه يعبر عن حقيقة موقف واشنطن من المشكلة ولأن أمريكا لا تريد ان تتعجل مصر في الرد عليه ، لأن الهدف منه هو ابقاء الابواب مفتوحة امام الحل السلمي . ورفض المسؤول الأمريكي أن يحدد ما سيرد في بيان روجرز الذي اشار اليه نيكسون شخصياً يوم ٢١ مارس في مؤتمر صحفي إذ قال « ... وكما تعلمون فان وزير الخارجية قد اعد بيانا يعبر عن وجهة نظر الحكومة الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط خصوصا ما يتعلق بمطالب الحكومة الاسرائيلية ، التي تتركز في نقطتين : مطالب عسكرية ... ومطالب اقتصادية .. وسوف يعلن وزير الخارجية في مؤتمر صحفي ردنا على هذه المطالب ، واستطيع ان أقول لكم أن موقفنا من الشرق الأوسط يتلخص في النقاط التالية :

١ ــ وقف إطلاق النار .

٢ ــ خفض تدفق الأسلحة على المنطقة .

٣ ــ الوصول الى تسوية سلمية .

٤ ــ تحقيق توازن بين القوى في المنطقة إلى أقصى درجة ممكنة بحيث يكون التوازن العسكري بهدف دعم السلام وليس للاخلال به .

وسط هذه الضجة والتوقع اعلن ويليام روجرز بيانه المتوقع يوم ٢٣ مارس عام ١٩٧٠ وهذا نصه :

« ان القرارات التي اعلنها اليوم تستند الى تقييمنا الحالي لميزان القوى في الشرق الأوسط . في السنة الماضية طلبت حكومة اسرائيل من الولايات المتحدة بيعها ٢٥ طائرة اضافية من طراز فانتوم و١٠٠ طائرة سكايهوك ، وقد درست الحكومة الأمريكية الطلب الاسرائيلي بعناية وعطف ، على ضوء الوضع العسكري في المنطقة ، وتمشيا مع سياسة الولايات المتحدة الرامية الى بذل كل ما يمكن بذله لتحقيق سلام في الشرق الاوسط وفقا لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

وتقديرنا هو ان قوة اسرائيل الجوية كافية لمواجهة حاجاتها في الوقت الحاضر وبالتالي فقد قرر الرئيس ان يؤخر مؤقتا إتخاذ قرار في الوقت الحاضر بشان طلبات اسرائيل طائرات اضافية ، وباتخاذه هذا الموقف امر الرئيس بالاستمرار في المراقبة الدقيقة لميزان القوى في المنطقة ، وستكون الولايات المتحدة في وضع يمكنها من ان تقدم بسرعة طائرات إضافية واخرى تحل محل القديمة اذا تطلب الوضع ذلك . ولتحقيق ذلك ستستمر الولايات المتحدة في إجراء مشاورات وثيقة مع المعنيين . وفي هذا الصدد لدينا ادلة على ان الاتحاد السوفيتي يتخذ خطوات في الآونة الاخيرة لتقوية الدفاع الجوي للجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بارسال صواريخ من نوع سام ٣ - بالاضافة الى عسكريين سوفييت .

« وكما اشار الرئيس نيكسون يوم السبت فان هذا الوضع يستحق وسيلقى دراسة دقيقة وعن كثب من قبل الولايات المتحدة بالاضافة إلى إعادة النظر المستمرة في تقييمنا للوضع. ومن الناحية الاقتصادية فان الولايات المتحدة ستستجيب لبعض الطلبات المعنية التي قدمتها اسرائيل للحصول على مساعدة مالية قصيرة الاجل ، وستجري الولايات المتحدة دراسة إضافية لحاجات اسرائيل بعد مدة . وسينفذ

برنامج موسع لشراء المواد الغذائية الفائضة ، وخاصة القمح والعلف بتسهيلات ائتمانية سهلة .

« وستقدم الولايات المتحدة ايضا تسهيلات ائتمانية للمساعدة على تغطية الجزء المتبقي الذي يستحق دفعه من العقود العسكرية السابقة .

« وقد اتخذت الولايات المتحدة هذه القرارات باقتناع قوي بأن الأمن النهائي لجميع المعنيين يكمن في السلام ، واتخذت القرارات مع الاعتقاد بان المجرى الحالي للأحداث يجب ان يعكس اذا قدر للوضع ان يستقر وان يبدأ التقدم نحو السلام ، وسوف يتطلب هذا ضبطا للنفس من جانب الدول الرئيسية الأخرى الموردة للسلاح للشرق الأوسط ، فليس في استطاعة اية دولة ان تنتهج سياسة تنشد الانفراد بميزة في المنطقة اذا قدر للسلام ان يتحقق . وفي إتخاذنا هذا القرار المؤقت حول الطائرات ليست لدينا اية نية في تهديد امن اسرائيل ، فاذا اتخذت خطوات قد تخل في الميزان الحالي للقوى ، او اذا تطلبت التطورات السياسية في تقديرنا ، فان الرئيس لن يتردد في اعادة النظر في الموضوع ، واننا نعتقد بان ضبط النفس من جانبنا سيتيح فرصا جديدة لجميع المعنيين داخل المنطقة وخارجها لتخفيف القتال ، وبالتالي دعم امكانيات السلام .

« ومن اجل ذلك ستبذل الولايات المتحدة جهوداً محددة بالطرق الدبلوماسية لتحقيق الغايات الاربع التالية :

اولا : تشجيع الجانبين على التقيد تماما بقرارات وقف اطلاق النار التي اتخذتها الأمم المتحدة .

ثانياً : دعوة اطراف النزاع الى اعادة تقييم الأوضاع التي اصبحت عقبات في طريق السلام .

ثالثا : حث جميع المعنيين على تاييد مقترحات تساعد السفير يارينج على بدء اجراء تفاوضي بين الأطراف المعنية تحت رعايته .

رابعاً : الدخول مع الدول الرئيسية الأخرى المزودة للسلاح لدول الشرق الأوسط في محادثات مبكرة من اجل الحد من الأسلحة وستكون هذه مبادرات جدية تحث جميع المعنيين على الاستجابة لها باحساس من الالحاح يتطلبه الوضع الحالي من جميع الحكومات المسؤولة » .

وفي يوم ٢٤ مارس (آذار) ١٩٧٠ ، كان الوزير المفوض الدكتور احمد عثمان[١] مدير مكتب السيد محمود رياض يستقبل دونالد بيرجس رئيس مكتب رعاية المصالح الأمريكية في القاهرة الذي حمل اليه النص الرسمي للبيان ، بينما كان جوزيف سيسكو ، مساعد وزير الخارجية الأمريكية مجتمعا ـ في نفس اليوم ٢٤ مارس ـ بالدكتور أشرف غربال في واشنطن ، وسلمه نص البيان ومعه توضيحات تؤكد الاتي :

١ ـ ان قرار الحكومة الأمريكية بعدم تسليم اسرائيل الطائرات قرار خطير وهام ، وهذا يؤكد رغبتها في ايجاد حل سلمي .

٢ ـ يهم الولايات المتحدة ان تجد القاهرة في هذا البيان النقاط الايجابية التي تؤكد حسن نواياها .

---

(١) ـ اصبح في شهر مايو (أيار) ١٩٧٥ رئيسا لوفد مصر في جنيف، وقبل ذلك عين رئيسا لوفد مصر المناوب في الامم المتحدة.

٣ ـ تستطيع مصر الآن ان تفكر جديا في قبول وقف اطلاق النار .

أبدت مصر ، على الفور، وفي يوم ٢٤ مارس ـ أي بعد ٢٤ ساعة من دراسة بيان روجرز ـ رأيها في بيان روجرز الذي أعطى لاسرائيل ١٠٠ مليون دولار مساعدة اقتصادية وربط وقف اعطاء الطائرات بعدم وصول أسلحة الى مصر . وكان روجرز يشير بذلك الى احتمال تزويد الاتحاد السوفيتي لمصر بصواريخ سام ٣ . واقتنعت القاهرة بأن أمريكا أوضحت موقفها على أساس أن تزويد مصر بالصواريخ معناه تزويد اسرائيل بالطائرات واختارت مصر قبول التحدي .

وأسرعت الولايات المتحدة توفد جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكي الى المنطقة ، وفي يوم ٢ أبريل (نيسان) ١٩٧٠ ابلغ وزير الخارجية السيد محمود رياض البعثة المصرية في واشنطن ان مصر لا تمانع في قيام جوزيف سيسكو بزيارتها يوم ١٠ ابريل .

إختار جوزيف سيسكو القاهرة ، لتكون أول عاصمة عربية يزورها وقال عند وصوله « ان الولايات المتحدة تريد أن تكون صديقة لكل شعوب المنطقة ، وتريد أن ترى سلاما عادلا دائما يسودها ، لا يعكره قتال أو حروب . إن الولايات المتحدة تؤيد كل ما ورد في قرار الأمم المتحدة ، بكل بنوده وتفاصيله وأحكامه ومبادئه ، ونحن نؤيد القرار لأنه يتضمن وسائل تحقيق سلام نتطلع إليه جميعاً » .

التقى الرئيس عبد الناصر بجوزيف سيسكو يوم وصوله (١٢ ابريل ١٩٧٠) . وقال سيسكو للرئيس عبد الناصر : « اننا طلبنا عودة العلاقات مع الجمهورية العربية ولم توافقوا[١] . ضعونا موضع الاختبار .»

كانت كلمات جوزيف سيسكو ترديدا لوجهة النظر الأمريكية بأن حكومة نيكسون تنوي فعلا إيجاد حل للمشكلة ، وأن ذلك سيتم إذا قبلت مصر واسرائيل وقف إطلاق النار ، ثم يستأنف جونار يارينج عمله ، ولا يقدم الاتحاد السوفيتي صواريخ دفاعية لمصر ، لأن هذه الخطوة ستؤدي الى اعادة النظر في قرار الرئيس نيكسون الذي اعلن فيه ان الولايات المتحدة تؤجل البت في طلبات اسرائيل العسكرية .

زار سيسكو الاردن ، ولبنان ، وطار لطهران ليعقد مؤتمرا دبلوماسيا لسفراء امريكا في المنطقة يوم ٢٢ ابريل ، بعد ان اصطدم بمظاهرات لم يستطع معها ان يدخل عمان ، وبقي في بيروت عدة ساعات وفي خلال جولته وفي مؤتمره الدبلوماسي لم يستمع سيسكو الا لما كانت تطالب به مصر والاردن وسوريا من ضرورة الضغط على اسرائيل لقبول الانسحاب الكامل وضرورة العمل على حل مشكلة اللاجئين ، وان ذلك لا يتحقق إلا بوقف المعونات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل . ولكن جوزيف سيسكو الذي عاد إلى واشنطن يوم ٢٤ ابريل ، كان يعتقد انه استطاع تحقيق الكثير . فقد أعلن عند وصوله الى مطار دالاس (احد مطارات واشنطن) انه استطاع أن يجتمع بقادة الدول التي زارها ليستمع الى آراء ومشاكل هؤلاء القادة ، وللرد عليها خصوصاً ما يتعلق بالسياسة الامريكية .

---

(١) ـ كان الرئيس نيكسون ابلغ ذلك الى الدكتور محمود فوزي اثناء العزاء في الرئيس ايزنهاور

وقال سيسكو « لقد قمت بهذه المهمة في الجمهورية العربية واسرائيل ولبنان والسعودية ولم تتحقق زيارتي لعمان (المظاهرات منعت دخوله) وانني أسجل أسفي لأنني لم استطع زيارة الأردن ، بالرغم من وجود مصالح مشتركة كانت تقتضي إتمامها . وهذا العائق لا يمكن ان يكون سببا في قطع الاتصالات المستمرة بيننا وبين الاردن .. انني اؤكد مرة أخرى بعد عودتي أننا نتوقع تحقيق سلام قريب في المنطقة .

« إن سحب الشك الكثيفة وعدم الثقة تحجب الرؤية الصحيحة في المنطقة ولا زالت هناك خلافات بين الأطراف . انني اعتقد أن تحقيق السلام يصبح متعذرا إلا اذ اظهر الجانبان الرغبة في التحرك من مواقفهم النهائية ، اي ان يتحرك الجانبان في اتجاه « نوع ما » من إطار المفاوضات الذي اشار إليه وزير الخارجية وليليام روجرز يوم ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٩ . والاطار حدده قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، وهذا القرار يخلق أرضية مناسبة ومتوازنة لاتمام مفاوضات بدأت تحت رعاية وإشراف السفير جونار يارينج ، وبالرغم من عدم قبول أي الجانبين للمبادىء التي تقدم بها وزير الخارجية فانني أكدت خلال جولتي تصميمنا على تحقيق ذلك . »

« وأخيرا لقد عدت من رحلتي ، وقد ازداد يقيني بأنه لا يمكن أن يكون هناك سلام لا يأخذ في الاعتبار الاهتمامات المشروعة لكل الأطراف في المنطقة ممن تمس المشكلة الفلسطينية حياتهم . وكما قال وزير الخارجية المستر وليليام روجرز في ديسمبر عام ١٩٦٩ (ان هناك وعيا جديداً بين الشباب الفلسطيني الذي شب منذ حرب ١٩٤٨ ، والذي يحتاج إلى توجيه يبعده عن الشعور بالمرارة واليأس ويتجه به نحو الأمل والعدل . »

« وفي حين ان الفلسطينيين أنفسهم يتحدثون بأصوات عديدة فان الولايات المتحدة تدرك تماما شعورهم بالتمزق ، ولذا فانها عازمة على السعي لتحقيق حل عادل لمشاكلهم التي عبر عنها قرار مجلس الأمن بقدر عزمها على تطبيق جميع الاجزاء الاخرى في هذا القرار » .

بعد زيارة سيسكو للمنطقة ، واجتماع الرئيس عبد الناصر به يوم ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ وبعد قرار الرئيس نيكسون تأجيل البت في تزويد اسرائيل بالفانتوم والسكاي هوك ، قامت طائرتان اسرائيليتان من طراز فانتوم الأمريكية الصنع ، بمحاولة للنفاذ الى العمق في اتجاه الفيوم وتصدى للطائرتين سرب من الطيران المصري من طراز ميج ٢١ ، فاسرعتا بالهرب ، وخرجت بسرعة ٣٠٠٠ كيلومتر في الساعة .

وفي يوم أول مايو (ايار) ١٩٧٠ ، وقف الرئيس جمال عبد الناصر في إحتفال عيد العمال وإختار منطقة شبرا الخيمة[1] ليعلن في خطابه مبادرة جديدة توجه بها الى الرئيس نيكسون كرسالة علنية منه الى الرئيس الأمريكي قال فيها :

« إن الولايات المتحدة على وشك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربية ، والولايات المتحدة بخطوة اخرى على طريق حفظ التوازن العسكري لصالح اسرائيل ، سوف تفرض على الأمة العربية موقفا لا رجعة فيه ، موقفاً يتعين علينا ان نستنتج منه ما

---

(١) ـ المنطقة العمالية التي تتجمع فيها أكبر المصانع المصرية.

هو ضروري ، وذلك سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأمة العربية لعشرات السنين ، وربما مئات السنين .

« انني اقول له (الرئيس نيكسون) ــ وهو يعرف انني أعني ما أقول ــ ان الأمة العربية لا تستسلم ، وهي تريد سلاما حقيقيا ، ولكنها تؤمن ان السلام لا يقوم على غير العدل .

« أريد ان اقول إذا كانت الولايات المتحدة تريد سلاما فعليهاأن تأمر إسرائيل بالانسحاب. ان ذلك في طاقة الولايات المتحدة التي تأتمر اسرائيل بأمرها لأنها تعيش على حسابها ، وأي شيء غير ذلك لا يجوز علينا ، ولن يجوز .

« هذا حل .. والحل الثاني :

« اذا لم يكن في طاقة امريكا أن تأمر اسرائيل ، فنحن على استعداد لتصديقها إذا قالت ذلك مهما كانت اراؤنا فيه ــ ولكننا في هذه الحالة نطلب طلبا واحدا وهو بالتأكيد في طاقة امريكا . ذلك الطلب هو ان تكف عن اي دعم جديد لها ما دامت تحتل اراضينا .

« واذا لم يتحقق الحل الأول ، واذا لم يتحقق الحل الثاني ، فان على العرب ان يخرجوا بحقيقة لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن ، هي ان الولايات المتحدة تريد لاسرائيل أن تواصل احتلال اراضينا ، حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام .

« وذلك ــ وأنا لا أزال أتوجه بالحديث الى الرئيس نيكسون في محاولة اخيرة ــ لن يحدث .

« ان شعوب الأمة العربية قد استيقظت ، ولا سبيل لاعادة القيود عليها ... وانتم مطالبون باستيعاب دروس الثورة في ليبيا والصومال .

إنني أقول للرئيس نيكسون ان هناك لحظة فاصلة قادمة في العلاقات العربية ــ الامريكية ، اما أن تكرس القطيعة الى الأبد ، وأما ان تكون بداية أخرى جادة ومحددة .

« ان التطورات القادمة لن تمس العلاقات العربية ــ الامريكية وحدها ، وانما سوف تكون لها تأثيرات خطيرة أوسع من ذلك وأبعد . إن تصميمنا على تحرير أراضينا ، هو الحق الشرعي الأول لأي أمة تعرف لكرامتها قيمة .

« إنني اتوجه بهذه الكلمة ، إلى الرئيس نيكسون ، لأن اللحظة دقيقة ولأن العواقب بالغة الخطورة ، ورغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بلدينا فلا شيء يمنعنا من توجيه نداء آخر وأخير من اجل السلام .

كان نداء الرئيس جمال الذي بعث به الى نيكسون مقدمة لنشاط دبلوماسي وعسكري لم يشهده الشرق الاوسط منذ حرب عام ١٩٦٧ فقد اسرعت اسرائيل تبلغ الولايات المتحدة بانه لا سبيل الى مواجهة الموقف الا بتزويدها بالطائرات فوراً نظرا لوجود صواريخ سام ٣ في الاراضي المصرية ، وتعاظم وجود الخبراء السوفيت في مصر . ونسيت اسرائيل ان تقول لأمريكا ان ذلك الاجراء كان ضروريا لوقف غارات العمق ومواجهة العدوان الاسرائيلي المتكرر .

واسرع ويليام روجرز يوم ٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ ليجتمع باناتولي دوبرنين سفير

الاتحاد السوفييتي في واشنطن لابلاغه مدى قلق الولايات المتحدة من ادخال الصواريخ الى مصر . في الوقت الذي اتجه فيه روجرز الى مجموعة من اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي ، يوم ٤ يونيو يبلغهم ان امريكا ستلغي قرار وقف ارسال الطائرات الى اسرائيل ، وان ذلك سوف يتحقق في خلال ايام قليلة وربما اسابيع .

وفي مؤتمر صحفي عقده روجرز يوم ٧ يونيو ١٩٧٠ ، في وزارة الخارجية الامريكية ، سأله ميلفين كالب مراسل شركة تليفزيون كولومبيا (احد الاخوين اللذين اصدرا كتاب كيسنجر عام ١٩٧٤):

« لقد تركت انطباعا لدى مجموعة من اعضاء مجلس الشيوخ بان الولايات المتحدة ، في صدد اصدار قرارها ببيع الطائرات النفاثة لاسرائيل هل هذا صحيح ».

رد روجرز قائلا : نعم هذا صحيــــح .

وسأله مستر كالب مرة اخرى : « هل معنى ذلك انه سيتم خلال اسابيع ؟ » . ورد روجرز قائلا « لا اتوقع أن يحتاج ذلك الى كل هذا الوقت ، يا مستر كالب ، نحن الآن بصدد اتخاذ قرار ما اذا كنا سنعطي طائرات اضافية لاسرائيل ، وباي صورة من الصور وكيف نقوم بالاعلان عن ذلك ، ولكنني اتوقع ان ذلك سيتحقق قريباً ، ربما قبل عدة اسابيع » .

وعاد مستر كالب يسأل : «ما مدى خطورة الوجود السوفيتي في مصر ، من وجهة نظر الحكومة الامريكية ؟ » .

قال روجرز « اننا نرى ان الوجود السوفيتي في مصر امر خطير . وهو عامل جديد في الموقف ، فقد أدخلوا عددا من الطيارين كما أدخلوا صواريخ أرض جو من طراز سام ٣ وهذه الامور نعتقد انها خطيرة جدا ... لقد تكلمت بهذا الخصوص مع السفير السوفيتي اناتولي دوبرنين ولكنني غير واثق عن مدى استجابة الاتحاد السوفيتي لطلبنا ... وهل الاتحاد السوفيتي على استعداد لأن يحتفظ بالموقف بهذه الخطورة ، باستمرار تواجده وبذلك يتحقق له المزيد من التأثير في العالم العربي ، ام انه (الاتحاد السوفيتي) يريد فعلا ان يتعاون معنا من اجل ايجاد حل للمشكلة » .

درست حكومة الرئيس نيكسون كل التقارير السياسية والعسكرية الواردة من الشرق الاوسط ، ومن الاتحاد السوفيتي ، وبعد تقدير دقيق للموقف تقدم ويليام روجرز بمبادرة جديدة يوم ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ بعث بها في رسالة شفوية الى السيد محمود رياض في القاهرة ، وقد أصبحت هذه المبادرة معروفة باسم مبادرة روجرز والتي يقترح فيها نقطتين :

١ ــ موافقة مصر واسرائيل على وقف اطلاق النار لمدة ٣ اشهر .
٢ ــ ان يستأنف السفير جونار يارينج مهمته .

والهدف من وقف اطلاق النار ، واستئناف يارينج لمهمته هو اقرار سلام دائم وعادل في المنطقة .

وهذا نص رسالة روجرز الى محمود رياض :

عزيزي السيد/ وزير الخارجية

« لقد اطلعت بعناية على تصريح الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ اول مايو وما ادليتم به من ملاحظات بعد ذلك للمستر بيرجس (المشرف على شؤون الرعايا الامريكيين في القاهرة والملحق بالسفارة الاسبانية) كما قدم إلى المستر سيسكو (مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط) تقريرا كاملا عن الاحاديث التي اجراها مع الرئيس جمال عبد الناصر ومعكم ، وقد قمنا بالتفكير جديا فيما يمكن عمله بالنسبة للوضع في الشرق الاوسط .

« انني اقر بان الوضع بلغ نقطة خطيرة واعتقد انه من مصلحتنا المشتركة ان تحتفظ الولايات المتحدة وتنمي علاقات صداقة مع كل شعوب ودول المنطقة ونامل في توضيح ان ذلك يمكن تحقيقه ونحن على استعداد للقيام بدورنا فيه . اننا ننظر للأطراف الاخرى المعنية ، خاصة لحكومتكم التي يقع عليها دور بالغ الأهمية ـ على أمل أن تتحرك معنا لانتهاز هذه الفرصة ، فاذا ضاعت الفرصة فاننا سنعاني جميعا من النتائج وسنشعر حقا بالاسف على ذلك ، ومن خلال هذه الروح ، فانني اناشد حكومتكم أن تدرس بعناية الأفكار التي سوف اعرضها فيما يلي :

« اننا نهتم بالغ الأهتمام بالسلام الدائم ، ونود ان نساعد الأطراف المعنية للتوصل إلى هذا السلام . لقد تقدمنا باقتراحات جديدة وعملية بمقترحات من اجل ذلك ، كما قدمنا النصح لكافة الأطراف بالحاجة الى قبول حل معقول ، ولضرورة خلق الجو الذي يصبح السلام فيه ممكنا ، ونقصد بهذه النقطة الاخيرة ، تقليل حدة التوتر من ناحية ، وتوضيح المواقف من ناحية اخرى حتى تتوفر للعرب وللاسرائيليين بعض الثقة في أن ما سيتم الانتهاء اليه سوف يحفظ لهم مصالحهم الاساسية .

« وفي رأينا أن الوسيلة الأكثر فعالية للتوصل الى تسوية تكون بأن تبدأ الأطراف في العمل تحت اشراف السفير يارينج (المبعوث الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة) للتوصل إلى الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

« لقد قال وزير الخارجية الاسرائيلي ابا ايبان اخيرا ، ان اسرائيل على استعداد لتقديم تنازلات عندما تبدأ المحادثات ، وفي نفس الوقت فان المشاركة المصرية في مثل هذه المحادثات (مع السفير يارينج) ستؤدي بدرجة كبيرة الى التغلب على الشك الاسرائيلي في ان حكومتهم تسعى بالفعل للتوصل الى سلام .

إنني ادرك موقفكم بالنسبة للمفاوضات المباشرة ، وقد اوضحنا منذ البداية اننا لا نقترح وضع مثل هذه الترتيبات موضع التنفيذ ، وان كنا نعتقد ـ ويتوقف ذلك على التقدم الذي يحرز في المناقشات ـ ان الأطراف قد يجدون من الضروري ان يتقابلوا في مرحلة ما اذا كان السلام سيعود إلى منطقة الشرق الاوسط .

« ومع مراعاة هذه الأفكار فان الولايات المتحدة تتقدم بالمقترحات التالية لتقوم الجمهورية العربية المتحدة بدراستها :

ا ـ ان توافق كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محددة (٣ شهور) .

ب ـ ان توافق الأطراف المعنية على التصريح التالي ، على اساس ان يصدره السفير يارينج في شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت .

ابلغتني الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل انها توافق على :
أ ـ انها بعد ان قبلت وابدت رغبتها في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها في المناقشات التي تنعقد تحت اشرافي طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذي قد اوصي به مع الأخذ في الاعتبار ، كلما كان ذلك مناسبا ، ما يفضله الأطراف بالنسبة لأسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

ب ـ ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

١ ـ الاقرار من جانب الأطراف وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي (وفق نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) .
٢ ـ الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي التي احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

جـ ـ وانه لتسهيل مهمتي وللعمل من أجل التوصل الى حل كما تضمن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فان الأطراف ستحترم بكل دقة ابتداء من اول يوليو حتى اول اكتوبر على الأقل ـ قرارات مجلس الأمن الخاصة بوقف اطلاق النار .
انتهى النص

« اننا نأمل ان يلقى هذا الاقتراح قبولا من الجمهورية العربية المتحدة كما نأمل في الحصول على موافقة اسرائيل وإلى حين ذلك فانني واثق انكم تشاركونني الرأي لبذل كل الجهود من اجل الاحتفاظ بسرية هذه المقترحات حتى لا تؤثر على إحتمالات قبولها .

وانني اوجه رسالة مماثلة الى السيد/ الرفاعي . وآمل ان اتلقى ردكم في أقرب فرصة .

مع أطيب التمنيات

المخلص
ويليام .ب. روجرز

تلقى محمود رياض رسالة روجرز في الوقت الذي كانت فيه نفس الرسالة في طريقها الى الأردن ، وسط جو من السرية التامة ، وكان الرئيس عبد الناصر يبحث ترتيبات زيارته لموسكو ، والتي كانت زيارته الاخيرة للاتحاد السوفيتي .

١٤ ـ عبد الناصر ... وظروف قبول مبادرة روجرز

وقف في مطار فونوكوفو (مطار موسكو الخاص الذي يستقبل كبار الزوار) الرئيس نيكولاي بودجورني ، رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، ومعه الكسي كوسيجين رئيس الوزراء تحت رذاذ من المطر ، يستقبلان الرئيس جمال عبد الناصر الذي وصل بطائرة خاصة الى العاصمة السوفيتية بعد ظهر يوم ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ . وعلى نفس الطائرة كان الاستاذ محمد حسنين هيكل وزير الارشاد الجديد[١] ضمن الوفد الضخم الذي ضم علي صبري ومحمود رياض والفريق اول محمد فوزي وزير الحربية . بينما ارتفعت درجة حرارة الجو لتصل الى ٢٢ مئوية .

وفي اكبر قصور الضيافة المعدة لاستقبال رؤساء الدول ، على تلال لينين امضى الرئيس عبد الناصر والوفد المرافق له عدة ايام ، امتدت الى ١٧ يوما ، على غير ما كان متوقعا ، اذ نصح الاطباء الرئيس عبد الناصر ان يزور مصحة بارفيخا التي تبعد ٣٠ كيلومترا عن موسكو ، وهي ضاحية جميلة تتوسطها بحيرة صغيرة وقصر من قصور القياصرة ملحق بها معمل للتحليل ومستشفى لاجراء الفحوص والكشف ، وغابات ضخمة تحيط بالقصر والبحيرة وينزل بها كبار الضيوف الذين يتمتعون بصداقة قادة الاتحاد السوفيتي للراحة والعلاج .

ومن واشنطن ، وصل الى موسكو في نفس اليوم الوزير المفوض (وزير الدولة للشؤون الخارجية) حاليا محمود رياض ، بعد اجتماعه بجوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكي ، ووصل السفير فلاديمير فينوجرادوف نائب وزير الخارجية السوفيتي (سفيرهم السابق في القاهرة ورئيس وفد الاتحاد السوفيتي في جنيف حاليا) قادما من باريس حيث اجتمع بموريس شومان وزير خارجية فرنسا ، بينما كان اندريه جروميكو يتلقى في موسكو رسالة من ويليام روجرز تتضمن نفس المقترحات التي تقدم بها الى القاهرة .

حمل الوفد المصري معه مبادرة روجرز الجديدة ، ونتائج اجتماعات الدول الكبرى ، ومن بينها المشروع الذي تقدم به الاتحاد السوفيتي في هذه الاجتماعات يوم ١٧ يونيو عام ١٩٧٠ قبل زيارة الرئيس جمال بأقل من اسبوعين .

نصت مقترحات الاتحاد السوفيتي التي تقدم بها الى الدول الكبرى على المبادىء التالية :

---

(١) ـ اختار الرئيس عبد الناصر الاستاذ محمد حسنين هيكل وزيرا للارشاد يوم ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٠.

ـ الهدف الاساسي من التسوية هو ايجاد حالة سلام في المنطقة .

ـ يعترف العرب باستقلال إسرائيل وسلامتها الاقليمية ويتعهدون بعد تحقيق التسوية بعدم استخدام اراضيهم للهجوم على اسرائيل .

ـ تتم مرحلة اولى من مراحل الانسحاب ، على اساس ان الانسحاب يشمل كل الاراضي العربية .

ويتم بعد المرحلة الاولى من الانسحاب ، ترتيب انسحاب جديد من الاراضي الاخرى التي تحتلها اسرائيل مع بحث تسوية شاملة لمشكلة اللاجئين .

ـ تعطى للسفير جونار يارينج صلاحيات جديدة تمكنه من تحقيق هذه المبادىء .

ـ السلام معناه انهاء حالة الحرب .

ـ يتم تشكيل لجنة رباعية (من الدول الاربع الكبرى) تتولى الاشراف على قوة دولية تابعة للامم المتحدة ، وتكون مسؤولية هذه اللجنة الاشراف على التنفيذ وتكون مسؤولة امام مجلس الامن .

ـ يشترك الاتحاد السوفيتي بقوات ضمن القوة الدولية لحراسة المناطق المضطربة لمدة ٥ سنوات أو اكثر . ويسند الى هذه القوة مراقبة المناطق المنزوعة السلاح والبقاع المضطربة مثل غزة وشرم الشيخ .

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ ، دخل الرئيس عبد الناصر الى قاعة الاجتماعات الكبرى بقصر الكرملين ، ومعه اعضاء الوفد المصري الذي انضم اليه الدكتور مراد غالب السفير المصري في موسكو ، وكان في استقباله ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي ونيكولاي بودجورني رئيس الجمهورية والكسي كوسيجين رئيس الوزراء واندريه جروميكو وزير الخارجية والماريشال اندريه جريتشكو وزير الدفاع ، وبوناماريوف سكرتير اللجنة المركزية . وكان مع الرئيس عبد الناصر ، السيد علي صبري الذي كان يناديه الرئيس باسم الجنرال علي صبري ، اذ كلفه بالاشراف المعنوي على الطيران ومنحه رتبه عسكرية شرفية (الفريق) ومحمود رياض والفريق فوزي ومحمد حسنين هيكل .

كان ليونيد بريجنيف قد قرر الاشتراك في هذه المحادثات التاريخية ، بعد توعكه واعتزاره عن مقابلة الرئيس يحي خان رئيس جهورية باكستان الذي كان يزور موسكو في ذلك الوقت .

قال بريجنيف مداعبا الرئيس عبد الناصر « هل حصلت على قسط وافر من الراحة .. » . فرد عبد الناصر قائلا : « منذ وصولي وانا في راحة مستمرة » . وعاد بريجنيف ليسأله عن درجة الحرارة في القاهرة ودرجتها في ليبيا (كان الرئيس عبد الناصر قد عاد من ليبيا الى القاهرة ليطير منها الى موسكو) .

عاد الرئيس عبد الناصر الى قصر الضيافة في تلال لينين ليجد ان مكالمة تليفونية عاجلة تنتظر الفريق أول محمد فوزي ، تطلب اليه ابلاغ الرئيس ، ان وسائل الدفاع الجوي في مصر قد اسقطت اربع طائرات اسرائيلية حاولت التوغل في الاراضي المصرية ، وكانت الطائرات التي اسقطت اثنتين من طراز سكاي هوك واثنتين من طراز فانتوم .

وفي جلسة اليوم التالي ، يوم الاربعاء اول يوليو ، كان الرئيس عبد الناصر ينقل الى

القادة السوفيت ، ان مصر اسقطت ٤ طائرات اسرائيلية امريكية الصنع . والتفت بريجنيف الى عبد الناصر وقال : « ولكن المعلومات التي لدينا تؤكد انكم اسقطتم ٦ طائرات » . فرد عبد الناصر « ... اسقطنا بصفة مؤكدة ٤ طائرات ، ولم اتأكد بعد من ان الرقم قد ارتفع الى ست طائرات ، لان اصابة الطائرتين الاخريين كانت اصابة محتملة ، نحن نراعي الان الدقة في كل البيانات العسكرية » .

وفي يوم ٣ يوليو أيضا حملت الانباء الى موسكو معلومات تؤكد ان مجموعات من طائرات العدو عددها ٢٤ طائرة من طراز فانتوم وسكاي هوك ، قد اغارت في الساعة الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، وعلى فترات متفرقة ، على مواقع القوات المصرية في منطقة الزعفرانه والشلوفه ، والقنطره ، وقد استطاعت وسائل الدفاع الجوي اصابة طائرتين ولم تقع خسائر في الارواح عدا ثلاثة جنود مصريين اصيبوا بجراح .

وكانت كل هذه البيانات العسكرية ، والمعلومات الميدانية ، بالاضافة الى البحث السياسي ، هي اساس المناقشة التي استمرت يومي ٣٠ يونيو واول يوليو عام ١٩٧٠ ، على مستوى القيادة السوفيتية والقيادة المصرية واستغرقت ثماني ساعات تقرر بعدها تأليف لجان سياسية وعسكرية تناقش كل القضايا والمشاكل . وانتهز القادة السوفييت فرصة وجود الرئيس عبد الناصر لدعوته الى حفل الاستقبال الضخم الذي اقاموه في قاعة الكرملين يوم الجمعة ٣ يوليو ، تكريما لرائدي الفضاء اندريان نيكولاييف وفيتالي سيفاستيان ، اللذين حققا الرقم القياسي في البقاء داخل سفينة فضائية لمدة ١٧ يوما ، و١٦ ساعة و٥٩ دقيقة .

كانت السفارة الامريكية في موسكو تحتفل بعيد الاستقلال ، وتستقبل رائدي الفضاء السوفييت ، وبعد انتهاء الاحتفال ، استقبل القادة السوفيت والرئيس جمال عبد الناصر في اكبر قاعات الكرملين، رائدي الفضاء وقرر الرئيس عبد الناصر دعوتهما الى مصر لتقليدهما قلادة النيل . وبعد انتهاء الاحتفال قصد الرئيس الى استراحة باربيخا لاجراء مزيد من الفحوص ، دون تحديد موعد لقاء آخر مع القادة السوفيت .

استغل الرئيس عبد الناصر فرصة انشغال القادة السوفيت في اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي لافتتاح المعرض الصناعي المصري في موسكو يوم ٦ يوليو بينما دعا الماريشال اندريه جروميكو الفريق اول محمد فوزي للاشتراك في حفل تخريج دفعة من الكلية الحربية السوفيتية ، بعد نجاح المباحثات العسكرية بين الجانبين . ووجه القادة السوفييت الدعوة للرئيس عبد الناصر لحضور جلسة افتتاح اعمال مجلس السوفيت الاعلى (البرلمان السوفيتي) يوم ١٢ يوليو ، وكان الهدف هو بقاء الرئيس في موسكو اطول مدة ممكنة للانتهاء من الفحوص الطبية .

كانت زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو ، هي اطول وآخر زيارة يقوم بها للاتحاد السوفيتي ، وانتهت يوم ١٨ يوليو ١٩٧٠ ، بعد ان وجه الدعوة للرفيق ليونيد بريجنيف لزيارة القاهرة .

وقبل ان يطير الرئيس عبد الناصر عائدا الى القاهرة يوم ١٨ يوليو كان محمود رياض وزير الخارجية قد اعد رده على مبادرة روجرز بالقبول مع تأييد الاتحاد السوفيتي لذلك ،

على ان يسعى الاتحاد السوفيتي من جانبه لاستمرار المحادثات الثنائية والرباعية مع زيادة دعم القدرات الدفاعية لمصر خصوصا تزويدها بشبكة صواريخ تغطي كل المواقع في الجمهورية العربية المتحدة .

وبعد اعداد اهم النقاط التي سيتضمنها رد مصر على روجرز ، طلب اندريه جروميكو أن يبعث محمود رياض برده من موسكو ، ولكن وزير الخارجية صمم على أن يبعث به من القاهرة ، مع إبلاغ سفراء الدول الكبرى فيها بما تضمنه هذا الرد .

وعقب عودة رياض الى القاهرة يوم ١٨ يوليو ١٩٨٠ كانت مصر قد قررت قبول مبادرة روجرز ، وبعث وزير الخارجية يوم ٢٢ يوليو برده من القاهرة الذي جاء كما يلي :

« عزيزي السيد وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية.

« لقد تلقيت رسالتكم المؤرخة ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ التي اشرتم فيها الى خطورة الوضع ، وإلى ان مصلحتنا المشتركة تقضي بان تحتفظ الولايات المتحدة وتنمي علاقات الصداقة مع كل شعوب ودول المنطقة وابديتم إستعدادكم للقيام بدوركم في هذا الشأن ، كما طالبتم الاخرين بضرورة التحرك معكم وإغتنام هذه الفرصة .

« وقد أشرتم كذلك في رسالتكم إلى الوسيلة الأكثر فعالية للتوصل إلى تسوية وهي أن تبدأ الأطراف في العمل تحت إشراف السفير يارينج للتوصل الى الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

« وجدير بالذكر اننا كنا نطالب دائما ـ كما كان يطالب جميع اصدقاءنا وفي مقدمتهم الاتحاد السوفيتي ـ بضرورة العمل على انجاح مهمة السفير يارينج في تنفيذ قرار مجلس الأمن ، وكنا وكان جميع اصدقائنا معنا نبذل ولا زلنا نبذل كل الجهود من أجل تحقيق ذلك .

« ان خطورة الوضع في منطقة الشرق الأوسط ترجع الى قيام اسرائيل بعدوانها واحتلالها للاراضي العربية ، وان استمرار احتلال اسرائيل للأراضي العربية واصرارها على اعتداءاتها على الشعوب العربية امر يدفع الموقف الى مزيد من التدهور .

« وان انسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية التي احتلتها نتيجة لعدوانها على الدول العربية في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، أمر اساسي لتحقيق السلام في المنطقة .

« وان تحرير الاراضي العربية ليس فقط حقا طبيعيا ، بل هو واجب وطني ، وقد أكد هذا الحق ميثاق الأمم المتحدة الذي ارتبطنا به جميعا ، كما عززه قرار مجلس الأمن الذي اكد عدم شرعية ضم الاراضي عن طريق الحرب ، والذي اشار كذلك الى وجوب احترام السيادة والسلامة الاقليمية لدول المنطقة .

« وان شعب الجمهورية العربية المتحدة الذي يعمل من اجل التنمية والبناء ورفع مستوى معيشته ، يهمه في الدرجة الاولى تحقيق السلام ، اذ ان الحرب تعرقل خطوات البناء والتعمير ، هذا وإنني اود ان اؤكد لكم ان الجمهورية العربية المتحدة لا يوجد لديها اي اهداف توسعية ، وذلك على عكس إسرائيل التي تسعى للتوسع

وضم الاراضي العربية . وقد اعلن قادتها انهم جميعا يحاربون من اجل التوسع ، ولا زالوا يعلنون حتى اليوم في تصريحاتهم المتتالية عن نيتهم في ضم الاراضي العربية لاسرائيل .

« كما انه ولا شك من المهم ان يتحقق ما ذكرتموه عن رغبة الولايات المتحدة في تنمية علاقات صداقة مع كل شعوب ودول المنطقة ، ونحن نعتقد ان ذلك يساعد على توطيد السلام في المنطقة ، وكان من الممكن ان يتحقق ذلك لو ان الولايات المتحدة الامريكية اتبعت سياسة متوازنة فعلا .

« وانني لعلى يقين بانكم تدركون أن استمرار تجاهل حقوق الشعب الفلسطيني الذي شردته اسرائيل من دياره ووطنه ، لا يمكن ان يساعد على اقرار السلام في المنطقة ، وانه من الضروري الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني العادلة المشروعة وفي قرارات الأمم المتحدة حتى يمكن ان يسود السلام في منطقة الشرق الاوسط .

« وعندما اصدر مجلس الأمن بالاجماع قراره في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ اتاح للمجتمع الدولي بذلك فرصة لاحلال السلام في المنطقة ، إلا أن اسرائيل رفضت هذا القرار وحالت بذلك دون تحقيق السلام في ذلك الحين ، الأمر الذي نتج عنه استمرار الحرب حتى وقتنا هذا ، ولذا فقد كان موضوع اهتمامنا قولكم بضرورة إغتنام الفرصة المتاحة الآن وضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن ، وهو ما كنا ننادي به منذ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، وكنا نامل ان يتم اقرار السلام منذ ذلك الحين .

« وانني اود ان اؤكد لكم اننا ما زلنا نؤمن بان السلام يمكن ان يتحقق بتطبيق الحل الذي اقره مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد حرصنا دائما منذ بدا السفير يارينج مهمته في ديسمبر ١٩٦٧ ، ان نوضح ان اهمية اعلان اطراف النزاع بادىء ذي بدء قبولهم لقرار مجلس الأمن واستعدادهم لتنفيذه بكافة بنوده .

« ولقد قامت الجمهورية العربية المتحدة من جانبها بابلاغ السفير يارينج بقبولها للقرار واستعدادها لتنفيذه ، وذلك اكثر من مرة وفي اكثر من وثيقة ، كما أنها اعلنت ذلك رسميا امام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولم تترك الجمهورية العربية المتحدة اي فرصة دون ان تعلن إلتزامها بهذا الموقف .

« وقد تعاونت الجمهورية العربية المتحدة تعاونا كاملا مع السفير يارينج وبذلت كل جهد ممكن لانجاح مهمته . هذا ويهمني أن اشير الى انه في ٩ مايو ١٩٦٨ ، تسلمت من الدكتور يارينج مقترحات شبيهة بمقترحاتكم التي جاءت في رسالتكم ، وقد سلمته في نفس اليوم رسالة اعربت فيها من جديد عن قبول الجمهورية العربية المتحدة لقرار مجلس الامن وإستعدادها لتنفيذه كما انني وافقت ، تلبية لطلبه ، على إرسال التعليمات اللازمة لممثل الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الامم المتحدة بنيويورك ليجتمع بالممثل الخاص للسكرتير العام لاستئناف الاتصالات طبقا لقرار مجلس الأمن وبغرض تنفيذه ، وقد إقترحت في هذه الرسالة على السفير يارينج ان يضع جدولا زمنيا لتنفيذ القرار .

« ولقد كان من الواضح انه لكي يتمكن السفير يارينج من تنفيذ مهمته ، فانه كان على اسرائيل أن تعلن قبولها لقرار مجلس الامن وإستعدادها لتنفيذه ، وهو الأمر الذي لم يتحقق ، بل رفضت إسرائيل إبلاغ السفير يارينج إستعدادها لتنفيذ القرار مما ادى الى توقفه عن مزاولة نشاطه . ومن ذلك يتضح ان مسؤولية عدم تمكين السفير

يارينج حتى الآن من تنفيذ مهمته التي نص عليها قرار مجلس الامن تقع على عاتق اسرائيل .

« وعندما وجدت فرنسا ان الموقف يتدهور ، وان السفير يارينج لم يعد في استطاعته انجاز مهمته ، تقدمت باقتراحها الخاص باجتماع الدول الاربع الكبرى للعمل من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن ومعاونة ممثل السكرتير العام على اداء مهمته الا ان اسرائيل استمرت في معارضتها مما أدى الى عرقلة اعمال الاجتماعات الرباعية .

« اما بالنسبة لقرار وقف اطلاق النار ، الذي أصدره مجلس الأمن في يونيو ١٩٦٧ ، فقد عملنا على إحترامه منذ البداية ، إلا ان اسرائيل لم تحترم هذا القرار في اي وقت ، وواصلت اعتداءاتها على منطقة قناة السويس ، واغارت على مدنها ، ودمرت المنشآت الصناعية بها ، وبصدور قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ الذي تضمن التسوية السلمية ، اصبح قرار وقف اطلاق النار مرتبطا بتنفيذ قرار مجلس الامن وهو ما اوضحناه ، في رسائلنا الى الأمم المتحدة ، الا ان رفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ادى الى مواصلة القتال وعرقلة التسوية السلمية .

« لذلك فانه من الواضح ان قيام السفير يارينج باستئناف مهمته بنجاح يستدعي ان تعلن اسرائيل بطريقة لا لبس فيها عن قبولها لقرار مجلس الأمن واستعدادها لتنفيذه .

« كما نرى انه حتى يمكن للسفير يارينج ان يحرز تقدما سريعاً في المرحلة الأولى من عمله ، فان ذلك يستدعي قيام الدول الاربع باعطائه توجيهات محددة من أجل تنفيذ بنود قرار مجلس الأمن وخاصة بالنسبة للانسحاب وضمانات السلام .

□ « وإننا على استعداد لأن نؤكد من جديد للسفير يارينج إستعدادنا لتنفيذ كافة بنود قرار مجلس الأمن وتعيين مندوب عنا للتباحث معه لتنفيذ هذا القرار . □

□ « ولامكان تحقيق ذلك ، فاننا على استعداد لقبول وقف اطلاق النار لفترة محددة لثلاثة شهور وفق إقتراحكم ، مع إعتقادنا بأن المنهاج الصحيح الذي يجب البدء به في هذه الحالة ، هو المبادرة بوضع جدول زمني لانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة ، وقد كانت هذه هي النقطة التي توقفت عندها جهوده في محاولاته السابقة ، وكان ذلك بسبب العراقيل التي وضعتها اسرائيل امامه بعدم قبولها تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

محمود رياض

وزير الخارجية » .

القاهرة ٢٢ يوليو ١٩٧٠

عاد السيد محمود رياض وزير الخارجية الى القاهرة . ليسلم رد مصر إلى دونالد بيرجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية في القاهرة ، وأبلغه رد مصر على مبادرة روجرز وشدد أمامه على النقاط التالية[1] :

---

(١) ـ على رغم ان النقاط هذه وردت في الرد الرسمي المرسل الى روجرز الا ان محمود رياض رأى من الضروري تأكيدها.

١ ــ أن أي حل لمشكلة الشرق الأوسط لا بد وأن يكون قائماً على الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية .

٢ ــ الاعتراف الكامل بحقوق الشعب الفلسطيني .

٣ ــ إن مبادرة روجرز ــ في رأي القاهرة ــ معناها عودة السفير يارينج لاستئناف مهمته التي أيدتها مصر وجاوبته باستعدادها للتعاون معه في حدود ما نص عليه قرار مجلس الامن .

٤ ــ ان تحرير الارض العربية هو حق طبيعي ومشروع لمصر وللأمة العربية كلها .

٥ ــ إن إجراءات وقف اطلاق النار وترتيباتها تعني إعطاء السفير يارينج مهلة ثلاثة اشهر لتحقيق النجاح في مهمته .

كان هدف مصر أن تبلغ العالم كله ، بالمبادىء التي وافقت عليها ، ادراكا منها بان هذه المحاولة التي قام بها ويليام روجرز قد تؤدي إلى إساءة تفسير الموقف المصري ، وإظهاره بمظهر الدولة التي تريد وقف اطلاق النار ، والتخلي عن مسؤولياتها بالنسبة لتحرير اراضيها وتحرير الاراضي العربية الاخرى ، ولذلك ابلغ محمود رياض سفير فرنسا في القاهرة المسيو فرانسوا بيبو ، والسفير السوفيتي فيها سيرجي فينو جرادوف (توفي بعد ذلك) في نفس اليوم الذي ابلغ فيه رده المبادىء التي اوضحها لممثل الولايات المتحدة دونالد بيرجس .

وفي نفس الوقت ، وفي اللحظة التي كان بيرجس يتسلم فيها رد مصر ، كان الرئيس ريتشارد نيكسون يعلن في واشنطن « ان الولايات المتحدة تعلق اهمية كبيرة على مبادرتها السياسية الجديدة في الشرق الاوسط ومن أجل ذلك فقد قررت ان أوقف ارسال شحنات أسلحة لاسرائيل في الوقت الحاضر ، لأن الموقف خطير ، ويتزايد خطورة ، ومن الضروري تجنب كل ما يمكن ان يؤدي الى نشوب حرب في المنطقة على نطاق واسع ... كما أن أمريكا تسعى إلى تجنب المواجهة مع الاتحاد السوفيتي في أي مكان في العالم » .

أحدث قبول مصر لمبادرة روجرز دويا عالميا . فلأول مرة توافق مصر على مبادرة تتقدم بها الولايات المتحدة . ولأول مرة يقرر الرئيس الامريكي علنا ، وبكل صراحة ، وقف ارسال شحنات السلاح إلى إسرائيل . ولأول مرة يعلن ان بلاده ليست على استعداد لأي مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفيتي في أي مكان في العالم . وعلى الفور أظهرت المقاومة الفلسطينية عدم ارتياحها لهذا الموقف . فقد تضمنت المبادرة الامريكية قبول وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة اشهر . ووجهت اذاعة فلسطين من القاهرة هجومها على الحلول التصفوية ، وقبول وقف اطلاق النار .

وبدات الاستعدادات لوضع الترتيبات الخاصة بوقف اطلاق النار ، بعد ان تأكدت مصر من استكمال وضع صواريخها على طول الجبهة وعززت كل وسائل دفاعها الجوي ، وأبلغت امريكا بان قبول المبادرة الامريكية لا يعني السكوت عن حقها في تحرير اراضيها وتحرير الاراضي العربية الأخرى .

كان الرئيس عبد الناصر ، يقيم في استراحته بالمعمورة بعد اجتماعات المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي يوم ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠ يتابع الموقف الدولي والعربي ، بعد قبول المبادرة ومعه وزير الارشاد الاستاذ محمد حسنين هيكل الذي يدرس

ترتيبات وقف اطلاق النار بعد ندبه وزيرا للخارجية بالنيابة ، لسفر السيد محمود رياض وزير الخارجية يوم ٣٠ يوليو في زيارة لبلغاريا وتركيا والمجر . ومن الاسكندرية اتصل وزير الخارجية بالنيابة محمد حسنين هيكل بالوزير المفوض محمد رياض مدير مكتب الوزير لابلاغه انه بعد اتصالات دولية قامت بها مصر ، فقد وافقت على قبول وقف اطلاق النار من الساعة الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ ولمدة تسعين يوما تنتهي يوم ٧ نوفمبر من نفس العام .

ومن القاهرة اذاعت وزارة الخارجية المصرية بيان قبول وقف اطلاق النار وهذا نصه :

« تم التوصل الى ترتيبات لوقف اطلاق النار لمدة ٩٠ يوما ذلك بناء على المقترحات الامريكية التي اصبحت الآن ، وباقرار الدول الاربع الاعضاء الدائمين بمجلس الامن ، وثيقة موجهة الى السفير جونار يارينج لكي يحاول وضع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ موضع التنفيذ كمدخل لحل ازمة الشرق الاوسط .

« إن الترتيبات التي تم التوصل اليها بعد مشاورات واسعة تعتبر من وجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة ترتيبات مقبولة . وقد وضعت هذه الترتيبات في حسابها أمن الجبهة العسكرية والمصرية وضروراته . كما أخذت في إعتبارها ضرورات حماية جبهات القتال العربية أخرى ، وذلك على ضوء المواقف المبدئية والعملية التي أعلنها الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الى المؤتمر القومي العام يوم ٢٢ يوليو ١٩٧٠ ، وكذلك ما أشار اليه الرئيس في المناقشات التي جرت أمام هذا المؤتمر .

« وبمقتضى الترتيبات التي تم التوصل اليها فان وقف إطلاق النار يبدأ مفعوله في الساعة الواحدة من صباح يوم ٨ أغسطس (آب) عام ١٩٧٠ .

« وتعتبر وزارة الخارجية انه على هذا النحو فان الطريق يصبح مفتوحا امام جهود السفير جونار يارينج المبعوث الشخصي للسكرتير العام للأمم المتحدة المكلف بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

٧ اغسطس عام ١٩٧٠ »

اتخذت مصر قرارها بقبول وقف اطلاق النار في ٧ اغسطس (آب) ١٩٧٠ ، وكانت قد قبلت ذلك يوم ٨ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بقرار من مجلس الامن ، صدر لكل من مصر وسوريا واسرائيل والاردن ، والتزمت به سوريا والاردن بينما الغت مصر قبولها لهذا القرار في مايو (ايار) ١٩٦٩ بعد الغاء التزام اسرائيل بذلك ولقيامها بغاراتها المتكررة على مصر ، واستمرت العمليات العسكرية بينهما في الفترة التي امتدت من مايو عام ١٩٦٩ الى ٥ أغسطس عام ١٩٧٠ ، وهي الفترة التي سميت بمرحلة الصمود ، ثم الردع ثم الاستنزاف .

وفي واشنطن قرأ السفير روبرت ماكلوسكي المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية البيان التالي يوم ٨ اغسطس سنة ١٩٧٠ : « لقد احاطتنا للتو حكومتا الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل علما بقبولهما للاقتراح الامريكي الخاص بتنفيذ وقف اطلاق النار ابتداء من الساعة العاشرة من مساء الجمعة بتوقيت جرينتش الواحدة من فجر

يوم السبت بتوقيت القاهرة الصيفي . ونحن نرحب بهذا العمل الذي يتسم بالكياسة السياسية ، والذي اتخذه زعماء الحكومتين المعنيتين ونأمل ان يدعم هذا القرار الهام احتمالات الوصول الى سلام عادل ودائم في المنطقة » .

وفي نيويورك ، كان يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يراقب الموقف بصبر وتأمل صوفي امتاز به الدبلوماسي القادم من بورما ، والذي استطاع خلال سنوات الأزمة أن يقف موقف الحياد والاتزان والابتعاد عن التأثر بضغط الدول الكبرى خصوصا تأثير الولايات المتحدة .

كان يوثانت يتتبع الضجة التي بدأت اسرائيل تثيرها قبل مبادرة روجرز وتؤكد فيها ان مصر قد حصلت على صواريخ واسلحة متطورة من الاتحاد السوفيتي ، وان ذلك يهدد « السلام » في الشرق الاوسط . وبعد عودة يوثانت من زيارته لموسكو في يوليو (تموز) ١٩٧٠ ، سئل في مؤتمر صحفي يوم ٧ يوليو اذا كان قد بحث موضوع الصواريخ في موسكو فأجاب بالنفي ، ثم انتهز الفرصة ليقول « انني أفرق دائما ، بين الأسلحة الهجومية والأسلحة الدفاعية ولكي نكون دائما في جانب العدل فلا بد أن نفرق بين هذين النوعين من الاسلحة .

« إن الاسلحة التي يتم إستخدامها لأغراض هجومية لا تخدم الا تأجيل فرص السلام ، أما الأسلحة التي تستخدمها دولة لتحرير أراضيها فان ذلك هو حقها المشروع والمطالبة بتحقيقه . »

ونشط يوثانت ، بعد تحريك الازمة من رقدتها ، واجتمع بالرئيس نيكسون يوم ١٠ يوليو عام ١٩٧٠ ، بدعوة من الرئيس الامريكي لمناقشة المبادرة الامريكية التي تقدم بها ويليام روجرز ، وبعد انتهاء المقابلة التي استمرت ساعة كاملة اصدر الاستاذ رمسيس نصيف ، المصري ، والمتحدث الرسمي باسم يوثانت بيانا قال فيه ان السكرتير العام يعتقد ان المقترحات الامريكية الاخيرة تتضمن عناصر ايجابية وهي مساهمة مفيدة تقوم بها الولايات المتحدة ، وان المقترحات السوفيتية الاخيرة (١٧ يونيو حزيران ١٩٧٠) والمقترحات الامريكية (١٩ يونيو ١٩٧٠) تساهم في تضييق شقة الخلاف » .

وعقب وصول انباء مشجعة الى الأمم المتحدة وواشنطن باحتمال قبول المبادرة الامريكية ، قصد ويليام روجرز وزير الخارجية الى نيويورك يوم ٣ اغسطس (آب) ١٩٧٠ حيث اجتمع بيوثانت وبمساعده والسفير جونار يارينج الذي استدعاه يوثانت من اجازته التي يقضيها في جنوب السويد .

وفي خلال هذا الاجتماع قرر يوثانت ان يكف يارينج عن الاتصال بمصر واسرائيل والاردن ، واذاع البيان الآتي :

« على ضوء المعلومات المكتوبة والشفهية التي توفرت لدي حتى الآن ، خاصة بعد المحادثة المجدية للغاية التي اجريتها يوم ٣ اغسطس مع وزير الخارجية روجرز ، شجعتني التطورات الاخيرة بصدد السعي وراء تحقيق السلام في الشرق الاوسط ، واني لأشعر ان هناك اليوم فرصة حقيقية لتحقيق تقدم هام . ولا احد يدري متى يمكن ان تتاح فرصة اخرى كهذه إن حدث وظهرت فرصة اخرى على الاطلاق» .

ومع ذلك فانه ينبغي تجنب الافراط في التفاؤل . ففي مثل هذه الظروف لدى البعض ميل إلى توقع اكثر مما ينبغي بأسرع مما ينبغي .

« ويقوم السفير يارينج هنا باجراء مشاورات واسعة النطاق كما ورد في الاعلان الخاص به الذي انيع يوم الجمعة الماضي . وهو على استعداد للنهوض بكل ما يطلب منه مما يتعلق بمهمته ، كما ان الأمم المتحدة على استعداد لتقديم اي مساعدة اخرى كلما طلب اليها ذلك .

« وسيكون هناك بطبيعة الحال عديد من التساؤلات والتكهنات حول ما سيجري في المستقبل . وكثير من هذه الاسئلة اما لا يمكن الاجابة عنها في هذه المرحلة ، او أن الحذر الذي هو في صالح نجاح الجهود ، يقضي بعدم الاجابة عنها في الوقت الراهن . ولا تعرف التكهنات حول المسائل الدقيقة الحساسة حدودا ، كما انها كثيرا ما تعقد الامور وتشيع الاضطراب فيها .

« وإن الأمم المتحدة لسعيدة الحظ اذ تستفيد في هذا الوقت من خدمات السفير يارينج وهو الدبلوماسي الحكيم المخضرم ، العريق في فن الدبلوماسية الهادئة التي يمكن لها اكثر من غيرها ان تنجح اليوم في الشرق الاوسط .

« وفي نيتي ان اقوم ــ قريبا على ما آمل ــ باخطار اعضاء مجلس الامن بالجهود التي تبذل حاليا والتطورات الجارية وذلك في تقرير أرفعه الى المجلس » .

أجرى يارينج على الفور اتصالا بالدكتور عبد الله العريان رئيس وفد مصر المناوب وبالدكتور محمد الفرا رئيس وفد الاردن ويوسف تكواه رئيس الوفد الاسرائيلي ، وتلقى بمجرد اذاعة نبأ قبول وقف اطلاق النار يوم ٨ اغسطس ان نيويورك ستكون مقرا للمحادثات التي سيجريها وان الدكتور محمد حسن الزيات رئيس وفد مصر لدى الأمم المتحدة هو الذي سيمثلها في الاتصالات التي سيجريها ، وان الهدف هو استغلال الشهور الثلاثة التي اقترحتها الولايات المتحدة لوقف اطلاق النار ، في تحقيق التقدم المطلوب في تنفيذ مهمته .

ولكن اسرائيل كانت تثير ازمة اخرى ، فقد اشارت الى وجود الصواريخ المصرية على طول الجبهة ، وقال ان مصر بعد قبولها مبادرة روجرز في الفترة ما بين ٢٢ يوليو (تموز) ١٩٧٠ الى ٨ اغسطس (آب) نفس العام قد دعمت قواعد صواريخها ، ثم قامت بتحريك الصواريخ وان ذلك العمل يعد بمثابة خرق لاتفاق اطلاق النار .

كانت الولايات المتحدة قد اقترحت ترتيبات موقتة لوقف اطلاق النار تقضي بخلق « منطقة تسكين » على طول ضفتي القناة . وطالبت اسرائيل بان تقوم طائرات التجسس الامريكية بمراقبة ذلك ، ولكن مصر رفضت هذا الطلب ، واصبح من المفهوم ضرورة العمل من اجل عدم تفجير الموقف مرة اخرى .

اقترحت الولايات المتحدة ، عندما طالبت بتحديد منطقة للتسكين ، ان تلتزم مصر واسرائيل ، بعدم ادخال قوات جديدة الى منطقة يبلغ عرضها ٣٢ ميلا على الضفة الغربية من القناة ، وتكون العمليات العسكرية قاصرة على :

١ ــ دخول سيارات وقوافل تموين وعسكريين لاطعام القوات .

٢ ــ تغيير القوات .

٣ ــ القيام بأعمال الصيانة للسيارات والمدرعات والقطع الحربية الاخرى الموجودة في المنطقة .

وفي الوقت الذي التزمت مصر بقبول هذه المبادىء . على اساس التزام اسرائيل بها ، أسرعت الطائرات الاسرائيلية يوم ٣ اغسطس (١ آب) ١٩٧٠ ، (أي قبل قبول وقف اطلاق النار رسميا يوم ٨ اغسطس) بالاغارة على وحدات الجيش المصري بالقرب من الاسماعيلية لمعرفة مواقع الصواريخ وقوتها وتوزيعها ، واسقطت هذه الصواريخ طائرتي استطلاع اسرائيليتين في هذه الغارة ، بينما كانت وحدات الاستطلاع المصرية تسجل ان اسرائيل تعيد بناء خط بارليف وتقيم تحصينات جديدة على الضفة الشرقية كان من الممكن رؤيتها بالعين المجردة ، ولذلك كانت مصر وهي تقبل وقف اطلاق النار وتتعهد بقبول منطقة تسكين ان تلتزم اسرائيل بنفس الموقف .

وبمجرد قبول اسرائيل ومصر بالالتزام بعدم القيام باعمال عسكرية او بناء استحكامات جديدة ، كانت اسرائيل تسرع باعادة بناء خط بارليف ، وركزت على استطلا ، ما تقوم به مصر من ضرورة تحريك بطاريات صواريخها لمواجهة الاستحكامات الجديدة على المواقع المصرية ، والاستفادة العسكرية والسياسية من حالة وقف اطلاق النار .

كان هدف اسرائيل ان تثبت تحريك مصر للصواريخ ، لإقناع الولايات المتحدة بضرورة حصولها على صفقة طائرات الفانتوم ، وتنهي بذلك مبادرة روجرز وتمتنع عن العودة الى محادثات يارينج . وقد تحقق هدف إسرائيل السياسي والعسكري ببدء هذه الضجة التي أثارتها ، مطالبة في ١٠ اغسطس (آب) ١٩٧٠ بقيام طائرات الاستطلاع والتجسس الامريكية بتسجيل مواقع القوات المصرية للتأكد من عدم قيام مصر بخرق اتفاقية وقف اطلاق النار .

اسرعت اسرائيل ايام ١٠ و١١ و١٢ اغسطس (آب) بمجرد قبول مبادرة روجرز بتقديم صور لاستطلاع جوي قامت به فوق المواقع المصرية على ارتفاع شاهق ، للحكومة الامريكية لتثبت تحريك مصر للصواريخ .

وفي يوم ١٥ اغسطس قدم السفير صلاح جوهر وكيل الخارجية في ذلك الوقت الى دونالد بيرجس الدليل على عدم صحة هذه المعلومات ، اذ ان هذه الصور ، التي التقطت من ارتفاع شاهق تسجل مواقع للصواريخ ليس لها وجود على الطبيعة . وقد طلب جوهر من ممثل الولايات المتحدة في القاهرة ان يبلغ حكومته عدم صحة هذه المعلومات وان مصر تتحدى اثبات وجودها . [١]

ومن واشنطن اعلن روبرت ماكلوسكي يوم ١٤ اغسطس قبل ان تقدم مصر الدليل على عدم صحة هذه المعلومات ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتأكد من البيانات التي قدمتها اسرائيل وانها تعجز عن التحقق من تحريك مصر للصواريخ .

وفي يوم ٢٠ اغسطس استدعى السفير صلاح جوهر المستر دونالد بيرجس لابلاغه ،

---

(١) ــ قامت مصر بعمل بطولي رائع عندما دعمت صواريخها في المنطقة التي كان سيشملها التسكين في الفترة ما بين قبول وقف اطلاق النار، والموافقة على الترتيبات النهائية الخاصة بذلك.

بالصور والمعلومات الرسمية ، أن اسرائيل استكملت بناء استحكاماتها على الضفة الشرقية وفي مقدمتها خط بارليف وان مصر لا توافق على الطلب الذي تقدمت به اسرائيل لامريكا ، لقيام الطائرات الامريكية بتسجيل مواقع القوات المصرية وتحركاتها على الضفة الغربية للقناة ، وطلب من ممثل الولايات المتحدة ان يبلغ حكومته بالمخالفات التي قامت بها اسرائيل ، والتي تعرقل بها امكانية التمسك بقرار وقف اطلاق النار .

واوضح السفير صلاح جوهر لدونالد بيرجس في هذا اللقاء المبادىء التالية :

١ ــ ان ترتيبات وقف اطلاق النار المؤقت قد نصت على ان يتولى كل طرف من الأطراف بوسائله الخاصة التحقق من إلتزام الطرف الاخر بترتيبات وقف اطلاق النار ، ولذلك فان مصر ترفض دخول طائرات التجسس الامريكية أو الأقمار الصناعية في مجالها الجوي لتقديم ذلك لاسرائيل ، لأنها ستكشف كل مواقعها الدفاعية .

٢ ــ إن مصر وإن كانت تستطيع أن تطلب من الاتحاد السوفيتي مساعدتها في مراقبة الجانب الاسرائيلي الا انها لا تريد ادخال القوتين العظميين (الاتحاد السوفيتي ــ وامريكا) في هذه العمليات التي قد تؤدي الى مواقف بالغة التعقيد[1] بالاضافة الى الاعتراضات التي ستثيرها اسرائيل على قيام الاتحاد السوفيتي بذلك .

وفي واشنطن استدعى جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية سفير اسرائيل في العاصمة الامريكية اسحق رابين وابلغه في مقابلة بينهما استغرقت ٣٠ دقيقة وتمت يوم ١٨ اغسطس ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتأكد من شكاوي اسرائيل ، وانها تعتبر ان عمليات تحريك الصواريخ التي لم يثبت مدى صحتها ، لا تمثل كل هذه الخطورة التي تعطيها اسرائيل لهذه التحركات ، وطلبت وزارة الخارجية الامريكية الى سفيرها في تل ابيب المستر الزورث باربور بابلاغ نفس الرسالة الى أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي ، ومطالبة الحكومة الاسرائيلية بالاسراع في الاتصال مع السفير يارينج لأن هذه المخالفات التي يمكن مناقشتها ، لا يمكن اعتبارها سببا لعدم استئناف يارينج لمهمته .

رحبت مصر بهذا الموقف الامريكي الايجابي برفض الاتهامات الاسرائيلية بينما اعلن ابا ايبان في مؤتمر صحفي يوم ١٨ اغسطس « ان هذا الموقف لا يطاق ... ان اعداءنا يهددون أمننا من ناحية ، بينما اصدقاؤنا على الناحية الاخرى ، يرتابون في صحة معلوماتنا ، وفي صدقنا ونحن نطالب بتعويض عن هذه النقطة » .

لم يستمر قلق اسرائيل من الموقف الامريكي اذ اعلنت الولايات المتحدة يوم ٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ أنها استطاعت ان تجمع أدلة كافية تؤكد ان مصر قد قامت فعلا بتحريك الصواريخ ، وادخال قوات جديدة الى منطقة التسكين لا يمكن اعتبارها بمثابة تغيير واستبدال للقوات الموجودة فيها عند قبول وقف اطلاق النار ، وطلب دونالد بيرجس في

---

(١) ــ كانت مصر تعلم مقدما ان اسرائيل ستثير ازمة اذا قام الاتحاد السوفيتي بعمليات الاستطلاع، وما يترتب على ذلك من اتهام مصر بانها تكلف الاتحاد السوفيتي بعمليات التجسس لصالحها وسيؤدي ذلك الى عملية استقطاب جديدة.

مقابلة مع السيد محمود رياض وزير الخارجية يوم ٤ سبتمبر ان توافق مصر على سحب الصواريخ ، والقوات الاضافية . ورد محمود رياض قائلا لبيرجس « اعتقد ان الولايات المتحدة قد تقبلت وجهة النظر الاسرائيلية نتيجة للضغط المتزايد عليها ... ونحن نرفض طلبكم كما اننا نتهم الولايات المتحدة بالتواطؤ مع اسرائيل ، للتهرب من المبادرة التي التزمت فيها بالعمل على تنفيذ قرار مجلس الامن ، وان الولايات المتحدة بقبولها للمنطق الاسرائيلي ، قد جمدت مبادرتها التي لم يمض عليها اكثر من ثلاثة اسابيع ، واعطت لاسرائيل الفرصة لعدم الاتصال بالسفير يارينج ، واضاعت امكانيات الوصول الى حل سلمي للمشكلة ، وخلقت الاسباب والمبررات لاستمرار اسرائيل في سياستها العدوانية في المنطقة » .

اتخذت مصر هذا الموقف الحاسم بعد ان تلقت معلومات من البعثة المصرية في واشنطن عن نتائج المؤتمر الدبلوماسي الذي عقده الرئيس نيكسون يوم ٢٤ اغسطس (آب) ١٩٧٠ في « سانت كليمانت » وحضره ويليام روجرز وجوزيف سيسكو وهنري كيسنجر مستشار نيكسون لشؤون الامن القومي واتخذ فيه نيكسون قراره بتزويد اسرائيل باكبر شحنة من الصواريخ المضادة للطائرات واجهزة رادار وعربات برمائية ومدفعية ثقيلة مداها ٦٠ كيلومترا بدعوى ان هذه الاسلحة سوف تساعد اسرائيل على قبول مبادرة روجرز . واعلن ميلفين ليرد وزير الدفاع الامريكي يوم ٣١ اغسطس امام الكونجرس « انه من الخطر تاجيل الموافقة على الاعتمادات المطلوبة اللازمة لتزويد اسرائيل بما تحتاج اليه ، وبحيث لا تفقد الولايات المتحدة التوازن الضروري بين ما تحصل عليه مصر ، وما لدى اسرائيل من اسلحة » .

وفي اجتماع محمود رياض وزير الخارجية بدونالد بيرجس يوم ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ سلمه الوزير مذكرة رسمية مزودة بخريطة تحدد الاستحكامات التي قامت اسرائيل بتشييدها على طول القناة في الوقت الذي تدعي فيه بان مصر قامت بادخال صواريخ جديدة الى منطقة التسكين وقد نصت هذه المذكرة على التالي :

« لقد قامت مصر بمراقبة ما يجري في اسرائيل من تطورات ، واكدت كل المعلومات انها (اسرائيل) ترفض قبول الحل السلمي الذي تضمنه هذا القرار .

« وقد قامت مصر ايضا بتحليل الموقف الامريكي ، خصوصا ما اذا كانت سوف تتبع سياسة عادلة محايدة ، وغير منحازة خصوصا عندما كلفت نفسها بمهمة القيام بدور الوسيط ، وهل تتخذ موقف الدفاع عن اسرائيل .

« لقد اتضح لنا ان الولايات المتحدة تستجيب لوجهة النظر الاسرائيلية وتستسلم للضغوط الاسرائيلية ، بقبولها الفكرة ان ما يحدث في منطقة القناة هو خرق لترتيبات وقف اطلاق النار .

« ان مصر تؤكد مرة اخرى اننا اوضحنا للولايات المتحدة عدة مرات ، اننا نحترم هذه الترتيبات ، فيما يتعلق بعدم إدخال صواريخ جديدة ، وعدم إقامة مواقع جديدة ونحن نضع في اعتبارنا حقنا في تحريك الصواريخ من مكان لآخر في داخل هذه المنطقة ، واستبدالها باخرى من خارجها .

« لقد طلبت الولايات المتحدة معرفة الاسباب العسكرية التي دفعتنا لذلك ، ونحن نوضح ان ذلك يرجع الى ضمان سلامة مواقع هذه الصواريخ وكذلك سلامة وامن الذين يقومون بهذا العمل . إن هذه الصواريخ إن لم يتم تحريكها من مواقعها فانها ستصبح هدفا للهجوم الاسرائيلي عليها في اي لحظة طالما ان اسرائيل على علم بمواقع هذه الصواريخ ، وعلى علم ايضا بعدم تغيير مواقعها .

« وعندما تطلب الولايات المتحدة منا تجاهل هذه الاجـراءات الحيويـة الضرورية لحماية مواقعنا ضد اي هجوم اسرائيلي مفاجىء فاننا في هذه الحالة سنضطر ان نسال الولايات المتحدة سؤالا هاما وهو « هل تستطيع الولايات المتحدة ان تقدم لنا الضمانات الكافية بان اسرائيل لن تهاجم مواقعنا ... واذا تجاهلت اسرائيل هذه الضمانات ، وقامت بالهجوم الغادر الجديد ، فما هو الاجراء المحدد الذي ستتخذه الولايات المتحدة ضد اسرائيل لتؤكد احترامها لهذه التعهدات ؟» .

« وبالرغم من كل المعلومات الخاطئة التي تقدمت بها اسرائيل فاننا لم نقم بتحريك جديد للصواريخ ، في المنطقة المحددة بخمسين كيلومترا . وكنا نتوقع ان نتلقى ردا من الولايات المتحدة على المخالفات التي قامت بها اسرائيل ، وقامت بها الولايات المتحدة نفسها ، فعندما تقدمت الولايات المتحدة باقتراحاتها فقد أكدت لنا انها لن تقدم لاسرائيل طائرات جديدة اي ان الولايات المتحدة لن تقدم لاسرائيل اي معونة تزيد من تفوقها العسكري الحالي ، بما يزيد قدراتها الهجومية . وبالرغم من ذلك فان الولايات المتحدة قد قامت بتزويد اسرائيل اثناء فترة وقف اطلاق النار ، باجهزة الكترونية وصواريخ موجهة . كما ان وزير الدفاع الامريكي (ميلفن ليرد) قد اعلن ان الولايات المتحدة سوف تزود اسرائيل بطائرات من طراز فانتوم ونحن نرى ان هذه التطورات تتعارض مع تاكيدات الولايات المتحدة التي تقدمت لنا بها .

« اما بالنسبة لاسرائيل ، فان لدينا من الادلة ببناء استحكامات جديدة في خط بارليف . وهذا يؤكد بوضوح انها لا تنوي الانسحاب من سيناء تحديا لقرار مجلس الامن ، لانها ان كانت تنوي فعلا تنفيذ هذا القرار فانه من المؤكد عدم وجود اي اسباب تستدعي إعادة بناء خط بارليف او اقامة استحكامات جديدة . وتؤكد كل هذه الدلائل ان اسرائيل قد خالفت ترتيبات وقف اطلاق النار مرتين :

« مرة ببناء استحكاماتها ، والمرة الثانية برفضها الاستجابة لقرار مجلس الامن .

« وتؤكد كل هذه الحقائق ان اسرائيل ترفض السلام ، وفي نفس الوقت تمارس كل اساليب المراوغة ، للتهرب من بدء محادثات جادة وبناءة مع السفير جونار يارينج .

« ان اسرائيل تنتهز الفرصة التي اتيحت لها بوقف اطلاق النار لتعيد بناء الاستحكامات . في الوقت الذي تمارس فيه الضغط على الولايات المتحدة للحصول على مزيد من الأسلحة بالرغم من التزامنا بالتمسك بمبادىء اساسية معينة مترتبة على اجراءات وقف اطلاق النار بما في ذلك عدم ادخال صواريخ جديدة ، وعدم اقامة مواقع جديدة .

« ان طلبكم الخاص بعدم تحريك الصواريخ الى مواقع بديلة ، وعدم القيام باجراءات صيانتها يعني ان اسرائيل بمساندة امريكا تواجهنا بموقف يمنعنا من

الدفاع عن مواقعنا ضد اي هجوم اسرائيلي مفاجيء .

« اما ما يتعلق بالمعلومات التي تقدمتم بها يوم ٣ اغسطس ، والتي تدعون فيها اننا قمنا بخرق ترتيبات وقف اطلاق النار ، فاننا نود ان نعلن ان هذه المعلومات غير صادقة . ونريد ايضا ان نؤكد اننا لم نقم بادخال صواريخ جديدة الى المنطقة المذكورة . ان جميع الصواريخ الموجودة الآن كانت موجودة فعلا عندما بدأ تنفيذ ترتيبات وقف اطلاق النار وكل ما يتم الآن لا يتجاوز اجراءات الصيانة اللازمة لهذه الصواريخ ، والامن الكافي للاشخاص المشرفين عليها .

« لذلك فاننا نعتبر أن البيان الذي صدر من وزارة الخارجية الامريكية بمثابة إنحياز لوجهة النظر الاسرائيلية . فانها قد تجاهلت تماما المخالفات التي تقوم بها إسرائيل يوميا ، ونحن نجد مبررا لكي نقول ان الموقف الامريكي ـ كما يبدو لنا ـ موقف يتعذر معه ان تتخذ الولايات المتحدة سياسة متوازنة وغير متحيزة .

« ونحن نرى من الضروري ، أن الولايات المتحدة ، في الوقت الذي تقوم فيه بدور الوسيط ، يجب وان تعبر ايضا عن مدى اهتمامها بسلامتنا وامننا ، كما تقوم بذلك دائما فيما يتعلق بأمن اسرائيل وسلامتها .

« ولكي نلخص الموقف فاننا نحدده في المبادىء التالية :

١ ـ لم نقم بادخال صواريخ جديدة لمنطقة التسكين ، بعد وقف اطلاق النار ، وسوف نستمر في تنفيذ ذلك .

٢ ـ لم نقم بتحريك الصواريخ من موقع لآخر في منطقة التسكين ، الا فيما يتعلق بموقع واحد وذلك يوم ١٨ اغسطس ، ولم نحرك بعد ذلك اي صاروخ آخر .

« وبالتالي فاننا لم نقم باحتلال مواقع جديدة كما ذكرتم يوم ٣ سبتمبر ولن نقوم بتحريك صواريخ جديدة .

٣ ـ ان المواقع التي سجلتها الصور التي تقدمتم بها لا وجود لها على الطبيعة على الاطلاق » .

استغلت الولايات المتحدة ازمة الصواريخ لتبدأ حملة دبلوماسية واسعة ، خصوصا في العالم الغربي ، لتؤكد ان الصواريخ السوفيتية هي السبب المباشر في انهاء المبادرة الامريكية ، وتزويد الولايات المتحدة لاسرائيل بالسلاح . واستدعت وزارة الخارجية الامريكية خلال الفترة ما بين ٤ سبتمبر و٢٠ سبتمبر عام ١٩٧٠ ، سفراء دول غرب اوروبا لتوضيح ان مصر قد ادخلت صواريخ واسلحة سوفيتية الى منطقة التسكين .

واختار الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٤ سبتمبر ١٩٧٠ السيد محمود رياض ليرأس وفد مصر في الجمعية العامة للامم المتحدة ، التي كانت تحتفل في ذلك العام بذكرى مرور ربع قرن على قيام المنظمة الدولية ، وقرر رياض ان يطير الى مدريد وروما في طريقه الى نيويورك ليجري اتصالات مع الجنرال فرانكو في مدريد ، والدو مورو وزير خارجية ايطاليا في روما .

كان الجنرال فرانكو يستقبل السيد محمود رياض يوم ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ في قصره ومقره الرسمي خارج مدريد . وكان اول سؤال يسأله رئيس الدولة الاسبانية لوزير خارجية مصر عن مدى صحة المعلومات التي قدمتها امريكا لاسبانيا عن

« التغلغل السوفيتي في مصر » وادخال صواريخ سوفيتية في منطقة التسكين لافساد مبادرة امريكية حاولت بها الولايات المتحدة ان تمارس مسؤولياتها بالتحرك لايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط » .

وبدأ محمود رياض يروي لرئيس الدولة الاسباني كل تطورات الموقف وقصة الصواريخ ، واقامة اسرائيل لمواقع جديدة ، واعادة بناء خط بارليف وقدم له الخرائط والصور التي تؤكد ذلك ، واوضح له مدى ما حصلت عليه اسرائيل من اسلحة وذخائر امريكية . وقبل ان يغادر رياض مقر رئيس الدولة الاسباني ، كان فرانكو يطلب من وزير خارجيته لوبيز برافو ان يشترك مع الوفد المصري في نيويورك ، في توضيح وجهة النظر المصرية بعد ان ابدى فرانكو قلقه من تزايد الوجود السوفيتي في حوض البحر الابيض .

نفس الموقف وجده محمود رياض عندما وصل الى روما حيث اجتمع بالسنيور كولومبو رئيس الوزراء الايطالي (في ذلك الوقت) يوم ٢٣ سبتمبر وبالدو مورو وزير الخارجية (رئيس الوزراء حاليا)، اذ كرر له المسؤولون الايطاليون قلقهم من تزايد الوجود السوفيتي . واعاد محمود رياض نفس التفاصيل مرة اخرى وقدم صورة من المذكرة التي ابلغها للجنرال فرانكو ومعها الخرائط المرفقة بها .

كان نيكسون يستعد لزيارة يقوم بها لبريطانيا وايطاليا والفاتيكان واسبانيا ويوغوسلافيا ، بدأت يوم ٢٧ سبتمبر ، اضطر خلالها في روما ان يتنقل بطائرة هيلوكوبتر بعد المظاهرات التي واجهته فيها واضطرت الحكومة الايطالية الى الغاء المظاهرة البحرية التي كان سيقوم بها الاسطول الامريكي في ميناء نابولي بسبب الاحتجاجات التي اثارها الايطاليون على هذا العمل .

وقد تصادف موعد القيام بهذه المظاهرة ، وفاة الرئيس عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ، واعلنت امريكا الغاء هذه المظاهرة بسبب وفاة الرئيس ، وبسبب المظاهرات التي اجتاحت كل روما .

عاد محمود رياض من ايطاليا ، بعد ان تدهور الموقف بين المقاومة الفلسطينية والاردن ، هذا التدهور الذي دعا الرئيس عبد الناصر الى عقد مؤتمر قمة عربي يمنع استمرار المواجهة العسكرية بين قوات الجيش الاردني وقوات المقاومة استعدادا لسفر رياض مرة اخرى الى نيويورك .

وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر (ايلول ١٩٧٠ ، كان الرئيس جمال عبد الناصر يرقد في سريره بمنزله بمنشية البكري رقدته الاخيرة .

الجزء الثالث

السادات يبدأ
شرقا وغربا

١ ـ قرار من الامم المتحدة... بدلا من مبادرة روجرز

دق جرس التليفون في جناح ويليام روجرز وزير خارجية امريكا ، بفندق والدورف استوريا الذي ينزل فيه وزير الخارجية ، اثناء انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة، وكان على الطرف الآخر من الخط الرئيسي ريتشارد نيكسون .

قال روجرز لنيكسون : « سيادة الرئيس ، انني الآن في اجتماع مع مستر رياض وزير خارجية مصر » .

فقال نيكسون : « ارجو ان تبلغه عزائي لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، انني اعتز بمعرفتي بهذا الرجل العظيم والذي تبادلت معه الكثير من الرسائل والاحاديث ... ارجو تكرار عزائي للوزير المصري وللشعب المصري .. أريد أن اتحدث اليه شخصيا » . وقدم روجرز سماعة التليفون الى محمود رياض وهو يقول له « ان الرئيس يريد ان يكلمك » .

وجاء صوت نيكسون من واشنطن مكررا العزاء لمحمود رياض ومؤكدا مدى الصداقة التي كانت تربطه بعبد الناصر .

ورد رياض قائلا لنيكسون : « سيادة الرئيس اشكرك على هذه اللفتة الرقيقة . انني كنت اعلم ان الرئيس عبد الناصر كان يبادلك نفس المشاعر وكان يتمنى ان يحقق معك الشيء الكثير من اجل تسوية ازمة الشرق الاوسط » .

قال رياض لروجرز: « ادراكا منا لهذه المسؤولية ، وتقديرا للاوضاع الدولية ، ورغبة في تحقيق السلام فان الرئيس جمال عبد الناصر كان لديه من الشجاعة ما يسمح له بقبول مبادرتكم .. وقد قبلنا هذا الحل حتى يظل مفتاح الموقف في ايدينا .. ولكن الوضع تغير فقد اصبحت امريكا تمتلك في ايديها الان كل مفاتيح الموقف ، بواسطة قدراتها العسكرية وتزويدها لاسرائيل بالسلاح والطائرات . فاذا توقفت امريكا عن ذلك اصبحت اطماع اسرائيل مجرد احلام اما اذا زودتها بالاسلحة فان هذه المطامع تصبح حقيقة واقعة وعدوانا حقيقيا .» .

قال روجرز « إن حكومة مائير قد جاءت الى امريكا تطلب منا المزيد من السلاح ولكن تقديرا منا لخطورة الموقف ، فقد راعينا ما يمكن قبوله وما يمكن رفضه ... وعلى كل حال فنحن الآن في الامم المتحدة واقترح ان تستمر دبلوماسيتنا الهادئة بتقريب المواقف ونكتفي باتصالاتنا معكم ومع اسرائيل ومع جونار يارينج . ومن الممكن الا ننتهز فرصة اجتماع الجمعية العامة لتبادل الاتهامات » . قال رياض كنت اتمنى ذلك . ولكننا بعد ٣ سنوات (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) من صدور قرار مجلس الامن ، لا نستطيع ان ننتظر طويلا ، وما هي الفرص الباقية امامنا » .

رد روجرز « لقد وعدنا بعدم تقديم اسلحة لاسرائيل اذا لم تقم مصر بخرق ترتيبات وقف اطلاق النار .»

فقال رياض « اننا لم نخرق هذه الترتيبات ، ويبدو من هذا الكلام ان الولايات المتحدة تسعى لايجاد المبرر لتزويد اسرائيل باسلحة جديدة » .

فرد روجرز « لدينا بعض الصور التي تؤكد ذلك . وانا على استعداد لتقديمها اليكم » .

فقال رياض « لست على استعداد لتبادل الصور والاتهامات ... ويمكنني ان اكرر لك اننا لم نخرق ترتيبات وقف اطلاق النار ، ولم نحرك الصواريخ » .

اشار روجرز من طرف خفي الى انه من الممكن تهدئة اسرائيل بسحب صاروخ او اثنين وبذلك تعود الى يارينج قدرته على التحرك .

قال رياض « ان مصر سوف لا تسحب اي صاروخ ، وسوف التقي بعد الظهر بالسفير جونار يارينج » .

ودار حديث حول برامج الوزيرين فاتفقا على لقاء آخر قبل عودة روجرز الى واشنطن ، وسفر رياض الى القاهرة . وقبل ان ينتهي اللقاء كان روجرز يشير الى انه من الممكن في حالة تهدئة الموقف ان تقبل مصر مد فترة وقف اطلاق النار ٣ أشهر أخرى نظرا لاقتراب انهاء الفترة الحالي التي سوف تنتهي يوم ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ .

خرج محمود رياض من لقائه مع روجرز ليلتقي مع السفير جونار يارينج في الطابق ٢٢ بمبنى الامم المتحدة وبالسكرتير العام للمنظمة يوثانت ، ويطلب اليهما ان يتقدم يارينج والسكرتير العام بتقرير الى الامم المتحدة في دورة انعقادها الخامسة والعشرين ، وبعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار ، يعلن فيه اسباب فشله في القيام بمهمته التي كلفه بها مجلس الامن .

قال رياض ليارينج ويوثانت : « اننا طلبنا عرض القضية على الجمعية العامة وسنطلب منكما ، ان يتقدم يارينج بتقريره اليك (السكرتير العام) وتتقدم به الى الجمعية العامة .. انني اعلم منذ البداية ان نيات امريكا سيئة ، ولذلك سارعت بالتصديق على كل ما قالته اسرائيل ، ولو كانت الولايات المتحدة حسنة النية في احترام اتفاقها ، كان من الواجب ان تكلف الامم المتحدة باعتبارها محايدة وتمثل المجتمع الدولي ، ان تتولى مراقبة وقف تنفيذ اطلاق النار وتطلب منك (السفير يارينج) ان تبدأ مهمتك على الفور ... ان امريكا هي التي وضعت ترتيبات وقف اطلاق النار ، واختارت الخطة التي تناسب اسرائيل . وأسرعت امريكا ، تتهم مصر طبقا لمعلومات وإتهامات تتقدم بها اسرائيل ، باننا خرقنا وقف اطلاق النار لتجد مبررا لتزويدها بالطائرات ، وهدفها الثاني ان تقنع العالم بان مصر لا يمكن الثقة بتعهداتها وبكلمتها . وبالتالي فان اسرائيل لديها من الاسباب والمبررات ما يسمح لها بعدم الانسحاب من الاراضي العربية .

« لقد طلب مني روجرز ان نبدأ دبلوماسية هادئة ، في الوقت الذي قامت فيه امريكا واسرائيل بحملة سياسية دعائية واسعة .. وعلى كل حال فنحن على استعداد لنسمع اي اقتراحات .. اننا الآن يوم ١٦ اكتوبر ، وسوف نناقش القضية امام الجمعية العامة يوم

٢٦ اكتوبر ، ونحن على استعداد للانتظار ، وبعد ذلك لا بد أن نبدأ مناقشة القضية ونستمع الى تقرير السكرتير العام الذي سيشمل تقرير السفير يارينج » .

تحركت مصر وبدأ محمود رياض اتصالاته مع رؤساء الدول الذين وصلوا الى نيويورك ، واجتمع برؤساء الحكومات ووزراء الخارجية ، منتهزا فرصة وجود هذا الحشد ليشرح وجهة النظر المصرية . وكان في اتصال مستمر مع السيد اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي والمسيو موريس شومان وزير خارجية فرنسا .

مرة اخرى التقى رياض بوليام روجرز وزير الخارجية يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٠ وكان رأي وزير الخارجية الامريكي ان موقفه هو :

١ ـ تعتبر اميركا ان التزامها بعدم ارسال طائرات لاسرائيل قد انتهى بعد ان قامت مصر بخرق ترتيبات وقف اطلاق النار .

٢ ـ تتمسك امريكا بوقف اطلاق النار دون ترتيبات معينة (الغاء منطقة التسكين) .

٣ ـ عدم الضغط على اسرائيل الآن ، الا بعد ٣ نوفمبر عام ١٩٧٠ (أي بعد انتهاء الانتخابات الامريكية) [١] وبعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار الاولى التي تنتهي يوم ٥ نوفمبر بتوقيت القاهرة و٤ نوفمبر بتوقيت نيويورك .

٤ ـ لا ترحب الولايات المتحدة بمناقشة مشكلة الشرق الاوسط لأن ذلك يتعارض مع الدبلوماسية الهادئة .

ولكن محمود رياض ابلغه في هذه الجلسة ان مصر سوف لا تقبل وقف اطلاق النار مرة اخرى الا اذا ارتبط بتنفيذ قرار مجلس الامن وعودة الاتصال مع يارينج الذي لا بد وأن يقدم تقريره الى الامم المتحدة قبل انتهاء فترة وقف اطلاق النار الثانية ، وان مصر لن تقبل تجديدا ثالثا لوقف اطلاق النار . . وذهب روجرز لمقابلة جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل يوم ٢٣ اكتوبر وكانت قد وصلت اثناء اجتماعات الجمعية العامة لتمارس ضغطا مباشرا على الرئيس الاميركي للحصول على قرار نهائي بالنسبة للطائرات ثم لجمع التبرعات من اليهود والاسرائيليين والامريكيين ايضا .

وحددت جولدا مائر موقفها لروجرز في النقاط التالية :

١ ـ تقبل اسرائيل وقف اطلاق النار مرة اخرى ، على الا يرتبط ذلك بالعودة للاتصال بالسفير يارينج ودون التزام بتنفيذ قرار مجلس الامن .

٢ ـ تحصل على مزيد من الطائرات يسمح لها بالتفوق الجوي الذي يمنع أي محاولة عسكرية عربية لتحرير الاراضي ، مع الاصرار على ان اي مفاوضات يجب ان تتم بصورة مباشرة بين اسرائيل وكل دولة عربية على حدة .

٣ ـ ترفض الاتصال بيارينج تحت اي ظرف من الظروف .

عقد روجرز اجتماعا في نفس اليوم في نيويورك باندريه جروميكو ، وطلب الوزير السوفيتي ان تقنع امريكا اسرائيل بالعودة للاتصال بيارينج ، واكد ان مصر ترفض تحريك الصواريخ او سحبها ، ولكن روجرز رفض ان يناقش اسرائيل في موضوع العودة

---

(١) ـ انتخابات الكونجرس الامريكي.

للاتصال بيارينج « دون تصحيح للاوضاع » . وقال روجرز انه سيجتمع بالرئيس نيكسون لابلاغه بنتائج اتصالاته .

ذهب روجرز لمقابلة نيكسون يوم ٢٣ اكتوبر في واشنطن ، وقدم اليه تقريرا يقترح فيه رفض قبول الضغط السوفيتي لعودة اسرائيل للاتصال بيارينج « دون تصحيح للأوضاع الخاصة بالصواريخ » ولذلك فانه سوف يقترح في اتصالاته مع وزراء خارجية الدول الكبرى الاخرى ان يتم تجديد فترة وقف اطلاق النار لمدة ٣ اشهر اخرى دون الاشارة الى موضوع عودة الاتصال مع يارينج .

عقد رؤساء وفود الدول الكبرى اجتماعا يوم ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٠ في مقر رئيس الوفد الفرنسي بنيويورك السفير جاك موريزيه لاستئناف اتصالاتهم التي توقفت ، واقترح جاكوب ماليك رئيس الوفد السوفيتي ان تصدر الدول الاربع الكبرى بيانا تطالب فيه الاطراف المعنية (مصر والاردن واسرائيل) بسرعة الاتصال بالسفير يارينج بهدف تنفيذ قرار مجلس الامن ، وبحيث يعود الموقف الى ما كان عليه قبل هذه الازمة .. وهدد ماليك بان العالم كله سيعرف حقيقة الموقف الامريكي عند مناقشة القضية امام الجمعية العامة بعد ٣ ايام ، وسيتضح اثناء المناقشة ان امريكا تقف في وجه تحقيق حل سلمي للمشكلة ، ويعرف العالم من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه .

اراد يوثانت ان يستغل فرصة وجود وزراء خارجية الدول الكبرى ليجمعهم على مائدة عشاء يوم ٢٤ اكتوبر ، مع السفير جونار يارينج وقد اشترك في المأدبة ويليام روجرز (امريكا) وموريس شومان (فرنسا) واندريه جروميكو (الاتحاد السوفيتي) والمسيو اليك دوجلاس هيوم (بريطانيا) واقترح يوثانت ـ استكمالا لما حدث في اجتماعات سفراء هذه الدول ـ اصدار بيان باسم السكرتير العام والدول الكبرى يطالب بالعودة الى الاتصال بالسفير يارينج ، وان يتولى المبعوث الدولي مهمته بعد تجديد وقف اطلاق النار وبعد اتصال الاطراف المعنية به .

تم اعداد البيان الذي ينادي بتسهيل مهمة يارينج ومساعدته على استئناف العمل في اسرع وقت مع تجديد فترة وقف اطلاق النار لفترة محدودة ، ويكون الهدف تنفيذ قرار مجلس الامن .

حاول ويليام روجرز ان يتضمن البيان اشارة واضحة الى ان مصر قد ارتكبت مخالفات تتعلق بترتيبات وقف اطلاق النار وان يتضمن ايضا مطالبة الدول بوقف اطلاق النار ، وتجريد يارينج من مسؤولياته التي تتعلق بتنفيذ قرار مجلس الامن وتكليفه بمهمة مراقبة وقف اطلاق النار فقط مع رجال الامم المتحدة ، مع عدم الاشارة الى تجديد فترة معينة لوقف اطلاق النار .

ولكن اندريه جروميكو الذي تحدث بحزم طلب من الدول الثلاث الاخرى (فرنسا وانجلترا وامريكا) ومن السكرتير العام ويارينج ان يتولوا مسؤولياتهم ويعملوا من اجل انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية وان وقف اطلاق النار وغيره من اجراءات هدفها النهائي الوصول الى تسوية شاملة .

واشترك موريس شومان في هذه المناقشة وتكلم بحزم وعنف مطالبا ان تتولى الدول

الكبرى مسؤولياتها وتؤيد يارينج وتدفع الأطراف الى تنفيذ ما ورد في قرار مجلس الامن . وانضم إليه السير اليك دوجلاس هيوم وقال « لا بد وان نؤكد مدى فاعلية ومسؤولية الامم المتحدة ، وأهمية إحترام قراراتها والعمل المستمر الجاد من جانب الدول الكبرى لعدم إضعاف المنظمة الدولية » . وقد رفض ويليام روجرز إصدار بيان رسمي مشترك باسم السكرتير العام ويارينج ووزراء خارجية الدول الكبرى ينص على المبادىء التي اكدها الجميع ــ عدا الولايات المتحدة ــ وفعلا اكتفى يوثانت باذاعة بيان صحفي يتحدث عن مأدبة العشاء التي اقامها تكريما لوزراء الخارجية ويارينج وما دار فيها من مناقشات ، وكان من الطريف ان الصحف الامريكية نشرت في اليوم التالي بيان السكرتير العام وحذفت منه كل ما يتعلق بان وقف اطلاق النار سيكون لفترة محدودة ، وان الهدف من ذلك مساعدة يارينج على تنفيذ مهمته .

استمرت مناقشة ازمة الشرق الاوسط امام الجمعية العامة من يوم ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) حتى يوم ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ ، بالرغم من كل محاولات امريكا واسرائيل لعرقلة هذه المناقشة العلنية . بينما بعث محمود رياض الى الرئيس انور السادات بتقرير مفصل عن كل ما دار انتظارا لتعليمات الرئيس .

وفي يوم التصويت على القرار الذي صدر من الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٤ نوفمبر ١٩٧٠ ، كانت تعليمات الرئيس انور السادات كالتالي :

١ ــ ان مصر اذا قبلت وقف اطلاق النار لفترة ثانية فانها توافق على ذلك نزولا على رغبة المجتمع الدولي ولن تجدد ذلك لأي سبب من الاسباب .

٢ ــ ان وقف اطلاق النار مرتبط باستئناف مهمة يارينج وان هذه المهمة هي تنفيذ قرار مجلس الامن .

٣ ــ انه بعد ذلك سوف يتقدم يارينج بتقريره الى الامم المتحدة عن مدى نجاحه ومدى فشله .

صدر قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ٥ نوفمبر ١٩٧٠ ، وكانت اهم فقراته :

ــ يطالب القرار بسرعة تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ والذي يشتمل على الحل السلمي لمشكلة الشرق الاوسط بكل تفاصيلها .

ــ يطالب الاطراف المباشرة المعنية بابلاغ ممثليهم لاستئناف اتصالاتهم مع المبعوث الشخصي للسكرتير العام في اقرب وقت ممكن ، وذلك في حدود صلاحياته المخولة له في تنفيذ قرار مجلس الامن .

ــ يوصي الاطراف المعنية بمد فترة وقف اطلاق النار لمدة ٣ اشهر بهدف الدخول في اتصالات تحت اشراف الممثل الشخصي للسكرتير العام ، لتنفيذ قرار مجلس الامن .

ــ يطالب السكرتير العام للامم المتحدة بان يقدم تقريره الى مجلس الامن خلال فترة شهرين ، وللجمعية العامة ، عن الجهود التي قام بها ممثله الشخصي بهدف تنفيذ قرار مجلس الامن .

الجمعية العامة، الجلسة ١٨٩٦
٤ نوفمبر عام ١٩٧٠

وفي نفس يوم صدور القرار في مبنى الامم المتحدة بنيويورك كان الدكتور محمد حسن الزيات رئيس وفد مصر في الامم المتحدة يجتمع بالسفير جونار يارينج وبعد دقائق كان السفير محمد الفرا رئيس وفد الاردن في نيويورك مجتمعا بالمبعوث الدولي .

وروى لي محمد الفرا عقب مقابلته يارينج ما حدث مع المبعوث الدولي . قال : « ذهبت الى السفير جونار يارينج في مكتبه بنيويورك وفي جيبي قرار الجمعية العامة الاخير (٤ نوفمبر عام ١٩٧٠) وابلغته انني اعود كما عاد ممثل مصر للاتصال بكم . والواقع فان اتصالاتنا بك لم تنقطع حتى نقول اننا نستانفها . واخرجت القرار من جيبي وقلت « ماذا ستصنع بهذا القرار ؟ انه تفويض جديد لك ، وتكليف من الجمعية العامة بدعوة الاطراف للاجتماع بك ، وبمقتضى هذا التفويض جئت لابحث معك كيف سنحقق ذلك . انني اريد ان ابحث كيف سيتم الانسحاب وكيف سيتم الانسحاب من القدس بالذات . ان القدس لها ناحية دينية ، وناحية عسكرية واسرائيل قامت بتغيير معالمها (القدس) وسيطرت على الاماكن الدينية وعرضتها للخطر . اما من الناحية العسكرية فان هذه التغييرات ترجع ايضا لاهداف عسكرية لان القدس مرتفعة وتسيطر على اغلب المواقع في الاردن . ان القدس لا يمكن ان تكون مجال بحث او مساومة وان ما حدث فيها يشكل ما هو اخطر من خرق لقرار وقف اطلاق النار ، وانا اطلب منك رسميا ان تسأل ايبان (ابا ايبان) ان يقدم لك بيانا بكل التغييرات التي حدثت في القدس وشرم الشيخ .

« انني اطلب منك وهم يتحدثون عن تحريك صواريخ ، ان تسأل ايبان عن المعسكرات التي اقيمت في القدس وشرم الشيخ والطرق الاستراتيجية في القدس وفي الخليل واريحا ، وتوسيع القدس ، واقامة « هلال » من الطرق الاستراتيجية والمعسكرات يحيط بها ويجعل منها منطقة عسكرية . ان اسرائيل التي تتحدث عن المخالفات قد ارتكبت اخطرها ، وانها بعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار الاولى التي تنتهي اليوم ، قد اصبحت اقوى بكثير مما كانت عليه .

وفهم السفير الدكتور الفرا من السفير يارينج بانه لا يتوقع استئناف مهمته الا اذا شاركت امريكا بجهد حقيقي من اجل اقناع اسرائيل بذلك . وقد تحققت مخاوف يارينج الذي التقى في اليوم التالي بأبا ايبان الذي ابلغه انه فهم من قرار الجمعية العامة ، انه مجرد دعوة جديدة لوقف اطلاق النار ، وهذا ما تريده اسرائيل ، وان القرار لا يشتمل على اي فقرة جديدة تلزم اسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الامن .

عاد محمود رياض من نيويورك يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ ، في الوقت الذي يكلف فيه الرئيس الجديد محمد انور السادات الدكتور محمود فوزي ليرأس الحكومة الجديدة ، والذي يختار محمود رياض وزير الخارجية ، ليكون نائبا لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية .

٢ ـ مبادرة السادات . . .

تولى الرئيس انور السادات مسؤولية الحكم في مصر ، في ظل ظروف سياسية بالغة التعقيد على المستوى الداخلي ، والعربي ، والدولي.وتركت مراكز القوى اثارها على علاقات مصر العربية ، وعلى نظام الحكم في البلاد ، مع استمرار بقاء القوات الاسرائيلية في الاراضي العربية ، وتعاون امريكي اسرائيلي لم يتوقف .

وعلى المستوى الدولي ، كانت الامم المتحدة قد وافقت في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ على قرار :

١ ـ يطالب بوقف اطلاق النار ، وتنتهي فترة الامتناع عن ذلك يوم ٤ فبراير (شباط) ١٩٧١ .

٢ ـ ويطالب السكرتير العام للامم المتحدة ، والسفير جونار يارينج بتقديم تقرير الى مجلس الامن عن التقدم الذي احرزه المبعوث الدولي والمشاكل التي تواجهه . وذلك يوم ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ .

كان اقتراح وقف اطلاق النار الاول قد جاء بناء على مبادرة امريكية وافقت مصر واسرائيل على قبولها في ٧ اغسطس (آب) ١٩٧٠ ، لمدة ٣ اشهر على ان يستأنف السفير جونار يارينج مهمته خلال فترة توقف العمليات الحربية . واستغلت اسرائيل فترة وقف اطلاق النار لتجميد الموقف بدعوى تحريك مصر للصواريخ .

اصدرت الجمعية العامة قرارها الجديد في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ ، بوقف اطلاق النار ، وتكليف ممثل السكرتير العام بتنفيذ قرار مجلس الامن في الوقت الذي استمرت الولايات المتحدة من جانبها في العمل على زيادة التوتر في منطقة الشرق الاوسط ، اذ طلب الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون اعتمادا اضافيا من الكونجرس بمبلغ الف مليون دولار في نوفمبر ١٩٧٠ ، بعد صدور قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ، يضاف الى ميزانية المساعدات العسكرية الخارجية التي تقدمها الولايات المتحدة للدول الصديقة ، حصلت منها اسرائيل بمفردها على ٤٨٠ مليون دولار اي اقل من نصف الاعتماد تقريبا بينما حصلت كمبوديا على ١٥٠ مليون دولار ، والاردن ٣٠ مليون دولار ، ولبنان ٦ مليون دولار .

وكان الرئيس انور السادات في القاهرة ، يرسم استراتيجية تحركه السياسي العربي والدولي ، على اساس تصفية كل آثار الماضي ، وبحيث يستطيع ان يدخل المعركة العسكرية بكل ابعادها واحتمالاتها ، وتعقيداتها ايمانا منه بالفشل الكامل الذي يمكن ان تصل اليه جهود السلام التي فتح لها كل الابواب . فقد اعاد تنظيم علاقات مصر بالعالم العربي ، وبكل عواصم العالم ، وبحركة المقاومة الفلسطينية مع استمرار الحوار

مع الولايات المتحدة ، بالرغم من اقتناعه الكامل بان تحرير الارض هو السبيل الوحيد لتحريك القضية واستعادة الحق العربي .

تضمنت المقترحات الامريكية التي قبلتها مصر واسرائيل في ٦ اغسطس (آب) ١٩٧٠ الالتزام بالمبادى التالية :

١ ــ تلتزم كل من مصر واسرائيل بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٢٢,٠٠ بتوقيت جرينتش من يوم الجمعة ٧ اغسطس .

٢ ــ توقف مصر واسرائيل كل العمليات العسكرية واطلاق النار من الارض ، ومن الجو ، عبر خطوط وقف اطلاق النار .

٣ ــ يمتنع الجانبان عن تغيير الوضع العسكري القائم في نطاق منطقة تمتد الى ٥٠ كيلومترا ، شرق وغرب خط وقف اطلاق النار ، ويمتنع كل جانب عن ادخال او بناء اي استحكامات عسكرية في هذه المنطقة ، ويكون النشاط داخلها قاصرا على المحافظة على المنشآت القائمة ساعة قبول وقف اطلاق النار ، وعلى تبديل القوات الموجودة فيها ، وتموينها .

٤ ــ لمراقبة وقف اطلاق النار ، يلتزم كل جانب القيام بهذه الاعمال في حدود امكانياته . بما في ذلك طائرات الاستطلاع التي يكون مسموحا لها بذلك بدون تدخل من جانب الطرف الاخر في حدود ١٠ كيلومترات من خط وقف اطلاق النار على كل جانب .

٥ ــ يجوز لكل جانب استغلال جهاز الامم المتحدة الموجود في المنطقة لابلاغه بأي خرق لاتفاقية وقف اطلاق النار يمارسه احد الجانبين .

٦ ــ يلتزم الجانبان باتفاقية جنيف الصادرة عام ١٩٤٩ ، والتي تنص على اسلوب معاملة اسرى الحرب ، ويوافق الجانبان على قبول المساعدة التي يقوم بها الصليب الاحمر الدولي ، في تنفيذ الالتزامات المنصوص عليها في اتفاقية جنيف .

بدأ السفير يارينج تنفيذا لقرار الجمعية العامة الصادر في ٦ نوفمبر يمارس اتصالاته ويعث برسالة الى كل من مصر واسرائيل والاردن يطالب فيها هذه الاطراف بالاتصال به . وفي رسالته لاسرائيل يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ ، قال :

« .. انني ادعو حكومتكم لاعادة النظر في موقفها ، واستئناف اتصالاتها بي خصوصا وان حكومتي الجمهورية العربية والاردن قد وافقتا على ذلك ، واظهرتا استعدادهما لاستكمال التشاور معي . وانتظارا لوصول ردكم فقد قررت العودة الى موسكو ، املا في ان تجد حكومتكم ، انه من الممكن الرد ايجابيا على هذه الدعوة ، وفي هذه الحالة ، سوف اجد من المناسب العودة الى نيويورك في خلال ٢٤ ساعة من وصول ردكم .

« انني لاحظت بعد مقابلتي لكم (ابا ايبان وزير الخارجية) في ٥ نوفمبر عام ١٩٧٠ والتي طلبت فيها اعادة النظر في قراركم الخاص بعودة الاتصال بي .. مدى القلق الذي اظهرتموه من تاثير المناقشات التي دارت في الجمعية العامة للامم المتحدة حول قضية الشرق الاوسط وقرارها الاخير الصادر في ٤ نوفمبر عام ١٩٧٠ . وانني انتهز هذه الفرصة لكي أؤكد لكم انني ساستمر في مهمتي على اعتبار ان القرار لا يمثل

تغييرا في الصلاحيات المخولة لي بمقتضى قرار مجلس الامن ، بل ان القرار الجديد هو تاكيد للقرار المذكور .

جونار يارينج » .

وعلى اثر الابراق بهذه المذكرة الى ابا ايبان ، بعث وزير خارجية اسرائيل برده على مذكرة يارينج ، في اول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠ مؤكداً « ان اسرائيل سوف توقف اتصالاتها معكم الى حين خلق الظروف المناسبة لاجراء مفاوضات مع مصر تحت اشرافكم ، واننا على استعداد ان نجري مفاوضات مع الاردن بنفس الصورة . ونحن على استعداد ايضا لاجراء مفاوضات مع لبنان لتحقيق سلام في المنطقة » .

وبعد شهر كامل بعث ايبان برسالة اخرى ليارينج استكمالا لرسالته الاولى يشير فيها الى استعداد حكومته بناء على قرار مجلس الوزراء الاسرائيلي ، في ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠ ، لاستئناف الاتصالات به ، ودعا يارينج لزيارة اسرائيل في اقرب وقت يراه المبعوث الدولي مناسبا لذلك .

وعلى ضوء الرغبة التي ابداها ابا ايبان باستئناف اتصالاته مع يارينج ، وبعد زيارته لاسرائيل ، طلب السفير يارينج من ايبان ان يحدد موقف اسرائيل من اسس السلام التي يمكن ان تكون مقبولة من جانب حكومته .

عاد يارينج الى نيويورك يوم ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ وحاول خلال الاسبوعين الاخيرين من شهر يناير ان يحصل من اسرائيل على تحديد واضح لمفهوم السلام ، والاسس التي يمكن ان يقوم عليها ، وتلقى مذكرة من اسرائيل ، بعث بها الى كل من سفيري مصر والاردن لدى الامم المتحدة .

وفي يوم ١٤ يناير ١٩٧١ قام السيد محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية باعداد مذكرة تتضمن رأي مصر في مفهوم السلام على ضوء المذكرة التي تلقاها من السفير يارينج متضمنة مفهوم اسرائيل للسلام ، والتي اغفلت فيها توضيح الاعلان عن التزامها بالانسحاب من الاراضي العربية .

وقام الدكتور محمد حسن الزيات رئيس وفد مصر في الامم المتحدة بتسليم هذه المذكرة[١] الى السفير يارينج في نيويورك يوم ١٥ يناير عام ١٩٧١ .

كانت مذكرة اسرائيل مصرة على ان تحصل من مصر على التزامات محددة ازاء اسرائيل ، بما في ذلك استعدادها للتوقيع على اتفاقية سلام معها ، تلتزم فيها باحترام حدود اسرائيل وسيادتها ، وحقها في ان تعيش في حدود آمنة.وبعد إلتزام مصر بذلك تكون اسرائيل في وضع يسمح لها بالتفاوض على بقية الالتزامات الواردة في قرار مجلس الامن ، بما في ذلك قضية الفلسطينيين ، والانسحاب من الاراضي المحتلة التي يمكن مناقشتها بعد التزام مصر بالدخول في معاهدة سلام مع اسرائيل تسمح لها ايضا بالمرور بسفنها في قناة السويس.

بينما كان الموقف المصري الذي حددته مذكرة مصر الصادرة في ١٤ يناير (كانون

(١) ــ نص مذكرة مصر الى يارينج ضمن الفصل الخاص بوثائق الازمة ص ٤٠٧

الثاني) و٢٩ يناير ١٩٧١ يطالب باعتبار قرار مجلس الامن متضمنا كل الالتزامات التي يجب ان ينفذها كل جانب ، بمعنى استعداد مصر للوفاء بكل الالتزامات الخاصة بالدخول في اتفاقية سلام ، واحترام سيادة واستقلال وحدود كل دولة في المنطقة ، مقابل التزام اسرائيل بالانسحاب من كل الاراضي العربية بما في ذلك غزة ، ولذلك فان مصر ترى ان اسرائيل لم تلتزم بالمبادىء التي نص عليها القرار والخاصة بتسوية موضوع اللاجئين وبدون هذه الالتزامات تكون اسرائيل قد رفضت القرار[1] .

لم يفقد يوثانت الامل في امكانية قيام السفير يارينج بتحقيق بعض التقدم . وكان موعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار يقترب . وكان محددا له يوم ٤ فبراير (شباط) ١٩٧١ ، واملا في تحقيق هذا التقدم ، اسرع يوثانت راجيا مصر والاردن واسرائيل ، الالتزام بوقف اطلاق النار لفترة محدودة تسمح للسفير يارينج باستكمال مهمته .

ففي اول فبراير ١٩٧١ ، وجه يوثانت النداء الى الاطراف المعنية وقرر الرئيس انور السادات ان يحدد موقف مصر بوضوح من المطالبة بوقف اطلاق النار ، الذي ينادي به يوثانت ، واختار الرئيس يوم ٤ فبراير(شباط)وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ وتوجه الرئيس السادات الى « مجلس الامة » موجها خطابه يوم ٤ فبراير عام ١٩٧١ الى « الامة العربية والى العالم كله » ، محددا الخطوات التي تقترحها مصر .

قال الرئيس السادات :

١ ــ ان الجمهورية العربية المتحدة تعتبر نفسها ملزمة بمسؤولية واحدة لا بديل لها وهي تحرير الارض العربية المحتلة كلها .

٢ ــ مع هذا الالتزام الاكبر والاول فانها تقبل النداء الذي وجهه اخيرا ، السكرتير العام للامم المتحدة المستر يوثانت ، وتقرر الامتناع عن اطلاق النار لفترة لا تزيد عن ثلاثين يوما تنتهي يوم ٧ مارس (اذار) ١٩٧١ .

٣ ــ ان الجمهورية العربية المتحدة تضيف الى كل الجهود المبذولة من اجل السلام مبادرة مصرية جديدة تعتبر العمل بمقتضاها مقياسا حقيقيا للرغبة في تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ » . واعلن الرئيس بعد ان حدد شروطه لوقف طلاق النار ، مبادرته الجديدة كالاتي:

ــ« اننا نضيف الى كل الجهود الرامية الى حل الازمة مبادرة مصرية جديدة نعتبر العمل بمقتضاها مقياسا حقيقيا للرغبة في تنفيذ قرار مجلس الامن . اننا نطالب خلال فترة وقف اطلاق النار ، بانسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية على الشاطىء الشرقي لقناة السويس ، وذلك كمرحلة اولى على طريق جدول زمني يتم بعد ذلك وضعه لتنفيذ قرار مجلس الامن .

ــ« اذا تحقق ذلك خلال الفترة التي حددناها ، فاننا على استعداد للبدء فورا في مباشرة تطهير قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية ، ولخدمة الاقتصاد الدولي .

---

(١) ــ مذكرة محمود رياض الى السفير يارينج في ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١.

— « نحن نعتقد ان هذه المبادرة تساعد السفير يارينج في الاتفاق على اجراءات محددة لتنفيذ قرار مجلس الامن ، ونفعل ذلك بطريقة يمتد اثرها الى مصالح كل الدول التي تأثر اقتصادها باغلاق قناة السويس بسبب العدوان الاسرائيلي ونتيجة لارهابه » .

كانت مبادرة الرئيس السادات ، اول جهد سياسي مصري يقوم به الرئيس الجديد ، يحدد فيه ضرورة انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية ويطالب بانسحاب جزئي ، تلتزم فيه اسرائيل بجدول زمني ينتهي بانسحاب كامل من كل الاراضي العربية ، مع رفض مبدأ وقف اطلاق النار بصفة دائمة محددا هذه الفترة بشهر كامل اي يوم ٧ مارس (آذار) ١٩٧١

انتهز يارينج فسحة الوقت التي اتاحتها له مبادرة الرئيس السادات ليتقدم في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧١ اي بعد المبادرة بثلاثة ايام ، بمذكرة من صيغة واحدة لكل من مصر واسرائيل ويطلب فيها من الطرفين الموافقة على قبول التزامات محددة وفي وقت واحد ، تتعلق بارتباطات السلام،وتنص على ايجاد حل لمشكلة اللاجئين . وحددت ايجاد تسوية عادلة لها .

حدد يارينج في مذكرته ضرورة ان تعلن اسرائيل التزامها بالاتي :

١ ــ تلتزم اسرائيل بانسحابها من كل الاراضي التي تحتلها في الجمهورية العربية المتحدة ، وهي الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب البريطاني علما بان ذلك يترتب عليه :

أ ــ اقامة مناطق منزوعة السلاح .

ب ــ وضع ترتيبات خاصة تتعلق بحرية الملاحة عبر مضايق تيران .

ج ــ حرية الملاحة في قناة السويس .

تلتزم الجمهورية العربية بالدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل ، على اساس التزام مصر بالمبادىء التالية :

أ ــ انهاء كل دعاوى الحرب او حالات العدوان .

ب ــ الاحترام والاعترافِ بسيادة كل جانب على اراضيه واستقلاله السياسي .

جـ ــ مسؤولية كل جانب ، بممارسة كل ما لديه من جهد وطاقة لوقف حالات الحرب ، او العدوان التي تمارس من اراضي طرف على الطرف الآخر ، ضد السكان والمواطنين ، والممتلكات التي تتعلق بهذا الطرف .

د ــ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الآخر .

وعندما تسلم الدكتور محمد حسن الزيات مذكرة يارينج في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧١ في نيويورك سأله عن الوضع بالنسبة لقطاع غزة ، التي تعتبرها مصر ارضا عربية ، فأكد يارينج ان هذا هو مفهوم قرار مجلس الامن ، وان غزة ارض عربية . ولم يستغرق رد مصر على مقترحات يارينج اكثر من اسبوع واحد اذ قدمت مصر له ردها يوم ١٥ فبراير تلتزم فيه بكل ما ورد في مذكرته من مقترحات . ولكن يارينج قام بابلاغ هذا الرد لاسرائيل لاقناعها بضرورة الرد ايجابيا على مذكرته ، بنفس الصورة التي قدمت بها مصر ردها . وعلى العكس تماما فقد استغلت اسرائيل رد مصر لتضع ردها كرد على رد مصر !

كانت مصر في ردها تطالب باعلان اسرائيل عن التزامها بتنفيذ قرار مجلس الامن بما في ذلك انسحابها من سيناء وقطاع غزة بهدف الوصول الى حل سلمي وضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة بخصوص اللاجئين فاذا التزمت اسرائيل بذلك فان مصر على استعداد لتنفيذ كل الالتزامات التي حددها يارينج في مقترحاته ، والتي نص عليها قرار مجلس الامن .

وفي يوم ١٧ فبراير (شباط) ١٩٧١ قام يارينج بابلاغ المذكرة المصرية لاسرائيل ، وبعد ٩ ايام أي في يوم ٢٧ فبراير تلقى مذكرة من اسرائيل لا ترد على مقترحاته بل ترد على مذكرة مصر تقول فيها اسرائيل :

« ان المذكرة المصرية تعلن عن استعدادها للدخول في اتفاقية سلام ، ولذلك فان اسرائيل على استعداد للدخول في مفاوضات جدية مع مصر تتعلق بكل الموضوعات المرتبطة باتفاقية سلام بين الدولتين . ان اسرائيل على استعداد لان تحدد الالتزامات التي يجب ان يوافق عليها الجانبان للوصول الى اتفاقية سلام ، تتفق واحكام القانون الدولي .

« ان اسرائيل ترى انه ، بعد ان التزم الجانبان بتقديم وتحديد المواقف الأساسية ، فلا بد من بدء مفاوضات مفصلة وبطريقة محددة دون اي شروط مسبقة .

« اما فيما يتعلق بموضوع الانسحاب ، فان اسرائيل على إستعداد للتعهد بانسحاب القوات الاسرائيلية من خطوط وقف اطلاق النار الحالية الى حدود متفق عليها ومعترف بها يتم الاتفاق عليها في اتفاقية السلام .

« ان اسرائيل سوف لا تنسحب الى حدود ما قبل ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ » .

عندما ابلغ يارينج الدكتور الزيات برد اسرائيل الذي سلمه له يوم ٢٨ فبراير (شباط)١٩٧١ في نيويورك ، قال له الدكتور الزيات انه يأسف لان اسرائيل قد بعثت بردها على الرد المصري ، وليس على مذكرة المبعوث الدولي .

بعد ٤ سنوات من بذل كل الجهود الدبلوماسية للوصول الى حل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط رفضت اسرائيل رسميا الانسحاب من الاراضي العربية ، واغفلت نهائيا موضوع اللاجئين ، وركزت على ضرورة اجراء مفاوضات مع مصر بهدف الوصول الى معاهدة سلام ، تتضمن النص على الحدود الاسرائيلية الجديدة ، وبعد اجراء مفاوضات يتم التفاوض فيها على بقية المسائل المعلقة .

ولم يكن امام يوثانت يوم ٥ مارس (آذار) ١٩٧١ ، الا ان يبلغ مجلس الامن في مذكرة كتابية « ان السفير يارينج قد بذل كل جهد ممكن خلال الشهور الماضية ، وامكنه تحقيق بعض التقدم في اتجاه حل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط ، وقد امكن تحديد المشاكل التي لا بد من التغلب عليها ، والنقاط التي يمكن الاتفاق عليها .

« اني انتهز هذه الفرصة ، لكي اسجل بكل تقدير ورضا ، الرد الايجابي الذي تقدمت به مصر للسفير يارينج ردا على مبادرته . وفي نفس الوقت ، فان اسرائيل لم تستجب حتى الآن لطلب السفير يارينج بالنسبة للالتزام بالانسحاب الى الحدود الدولية .

« ولكي نعطي الفرصة امام اعادة النظر في المواقف فانني اتقدم برجاء ثان للدول المعنية بالالتزام بوقف اطلاق النار ، وضبط النفس ، واستمرار حالة الهدوء التي سادت

المنطقة منذ شهر اغسطس عام ١٩٧٠ » .

كانت الصورة واضحة تماما امام الرئيس انور السادات. فقد رفضت اسرائيل كل مبادرة لحل الازمة ، وكان تركيزها قاصرا على استمرار وقف اطلاق النار .

عواصم العالم ترقب الموقف ، وساسة الدول يريدون معرفة رد الرئيس السادات على اقتراح يوثانت ، بينما كانت الانظار تتجه الى خطوط وقف النار انتظارا لما يمكن ان يحدث بعد ان انهار امل الحل السلمي .

كان رد الرئيس السادات واضحا عندما اعلن يوم ٧ مارس (آذار) ١٩٧١ في نداء تاريخي قال فيه « اننا نقدر نداء السكرتير العام للامم المتحدة لضبط النفس ، ووقف اطلاق النار ، ومع تقديرنا لهذا النداء الا انه ليس في مقدورنا ان نوافق على مد وقف اطلاق النار اكثر مما مددنا ، وكذلك ليس في طاقتنا ان نمتنع عن اطلاق النار» . وقال الرئيس انه يتوجه بهذا النداء ، الى كل مواطن في مصر ، والى كل ابناء الامة العربية ، والى العالم كله .

ومن يوم ٧ مارس (آذار) ١٩٧١ حتى ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، كان السادات يمهد لسلام حقيقي ، وفي نفس الوقت يرسم خطته العسكرية لينهي هذا الوضع الذي اختارته اسرائيل من ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ الى ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٧١ عندما اعلنت رسميا وابلغت السكرتير العام للامم المتحدة وممثله السفير يارينج بانها ترفض الانسحاب وتصمم على التفاوض كاسلوب يؤدي الى الانسحاب الى حدود جديدة يتم الاتفاق عليها .

ولم تكن مشكلة الرئيس السادات الوحيدة هي جبهة القتال مع اسرائيل فان الجبهة الداخلية تحتاج الى اعادة النظر والتنظيم ...

٣ ـ واقعة بين السادات وبودجورني في اسوان

بدأ الاتحاد السوفيتي « يتعامل » مع الرئيس السادات ، كرئيس للدولة ، بعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، في وقت انهارت فيه كل احتمالات السلام في الشرق الاوسط ، وكانت افضل مناسبة للتعامل معه هي الاحتفال بذكرى وضع الحجر الاساسي للسد العالي . واختار القادة السوفيت الرئيس نيكولاي بودجورني رئيس مجلس السوفيات الاعلى ليقوم بزيارة مصر ودعم علاقاته مع الرئيس الجديد . وكانت القيادة السوفيتية قد كلفته القيام بالتعزية في وفاة الرئيس عبد الناصر .

جاء بودجورني الى مصر يوم ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ ، استعدادا للاحتفال بذكرى السد العالي رمز الصداقة المصرية ـ السوفيتية ، في ١٥ يناير . وفي مأدبة العشاء التي اقامها الرئيس السادات يوم وصول الرئيس السوفيتي ، اكد الرئيس بودجورني « ان هدف الاتحاد السوفيتي تعزيز قدرة مصر العسكرية لردع المعتدين الاسرائيليين » .

وبعد جلسة عمل في القاهرة يوم ١٤ يناير سافر الرئيسان المصري والسوفيتي الى اسوان وفي اليوم التالي حدثت هذه الواقعة على مرأى ومسمع من الجميع في حديقة فندق كتراكت .

كان من المقرر ان يغادر الرئيسان اسوان في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم ١٦ يناير ، وقد بكر الرئيس نيكولاي بودجورني بالنزول الى حديقة الفندق والتقى في الحديقة بالسيد علي صبري (نائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت وعضو اللجنة التنفيذية العليا) وحلمي السعيد (وزير الكهرباء السابق) وجلس الثلاثة في شرفة الحديقة بينما نزل الرئيس انور السادات ولم يكن قد مضى على توليه منصب الرئاسة اكثر من ثلاثة اشهر وتحركات بعض اعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي توحي بان علي صبري ينوي ممارسة الضغط على الرئيس الجديد . وكان السادات يشعر بذلك ويسكت على مضض .

نزل الرئيس انور السادات من غرفته في فندق كتراكت ، بينما كان الركب المؤلف من السيارات الرسمية والدراجات البخارية ينتظر امام مدخل الفندق نزول الرئيسين للتوجه الى مطار اسوان . وتلفت الرئيس السادات ليجد امامه السيد صلاح الشاهد كبير الامناء في انتظاره ، وسأله الرئيس السادات امام جميع المصورين والصحفيين عن الرئيس بودجورني ، فقال له صلاح الشاهد « انه مع السيد علي صبري في شرفة الفندق » فطلب اليه الرئيس ان يبلغه « بان الموكب سيتحرك » .

وتوجه صلاح الشاهد الى حيث يجلس بودجورني وعلي صبري وحلمي السعيد وابلغ علي صبري ان الرئيس ينتظر امام الفندق ، ولكن علي صبري طلب اليه ان يبلغ الرئيس بانهم يشربون القهوة في الشرفة . وعاد صلاح الشاهد ليقول بكل ادب للرئيس السادات ان الرئيس بودجورني مع السيد علي صبري ... وتمهل الرئيس السادات ثوان معدودة وفهم معنى التصرف الذي قام به علي صبري وقرر ان يعالج الموقف بكل هدوء ، وطلب من صلاح الشاهد ان يبلغ علي صبري بانه قادم يشرب مع الرئيس بودجورني القهوة .

وتوجه الرئيس السادات بصبر وهدوء الى حيث يجلس بودجورني وعلي صبري ولم يكن الرئيس السوفيتي على علم بما دار بين علي صبري وصلاح الشاهد وفوجىء بالرئيس السادات يتقدم اليه مادأ يده يرحب به ، ويسأله عن مدى اعجابه بحديقة الفندق ووقف علي صبري نصف وقفة ومد يده لتحية الرئيس السادات .

وجه الرئيس انور السادات حديثه الى الرئيس بودجورني ولاحظ انه يمسك بسيجارة روسية ، فقال له : هل تدخن ؟ فرد بودجورني : ان الاطباء يطلبون مني عدم التدخين ولذلك فانا امسك بالسيجارة دون اشعالها ، وعلى كل حال ، فالسجائر الروسية نصفها ورق والنصف الآخر دخان وهذا يقلل من خطرها.وتبادل الرئيسان كلمات المجاملة ، ولم يستمر الحديث اكثر من ثوان ، تأبط بعدها الرئيس السادات ذراع بودجورني وقال له : « لقد حان وقت السفر » . واصطحبه الى السيارة الرسمية التي كانت في انتظارهما وتفادى الموقف الذي كان يريد علي صبري احراجه به امام الرئيس السوفيتي .

كانت المعلومات والتقارير ، وازمات الاتحاد الاشتراكي واللجنة التنفيذية العليا كلها امام الرئيس السادات ولكنه أراد ان يؤجل المواجهة الى حين الانتهاء من معالجة الموقف الخارجي.وبالرغم من ذلك فقد اضطر الرئيس السادات في ١٥ مايو (أيار) ١٩٧١ ان يتخذ قراره بتصفية مراكز القوى .

وقبل ان يعلن الرئيس السادات في ٧ مارس (اذار) ١٩٧١ رفض قبول وقف اطلاق النار طار يوم اول مارس الى موسكو وبقي يومين في العاصمة السوفيتية ، في زيارة سرية للتشاور مع القادة السوفيت ثم اتخذ قراره برفض مد فترة وقف اطلاق النار .

بعد رفض الرئيس السادات استمرار وقف اطلاق النار أصبح الموقف لا يحتمل اكثر من انطلاق رصاصة واحدة على خطوط وقف اطلاق النار غير القائمة لكي تنفجر الحرب مرة اخرى في الشرق الاوسط .

وتقدم ويليام روجرز وزير خارجية امريكا بمذكرة جديدة في ٨ مارس (اذار) ١٩٧١ ، يطلب فيها من مصر واسرائيل الالتزام باستمرار وقف اطلاق النار . وحدد في الرسالة التي بعث بها الى السيد محمود رياض نائب رئيس الوزراء المبادىء التالية :

١ ــ تسجل الولايات المتحدة ترحيبها بمذكرة السفير جونار يارينج الصادرة في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧١ ، والتي تتفق تماما مع قرار الامم المتحدة الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ وتتفق ايضا مع المسؤوليات المكلف يارينج بتحملها .

٢ ــ تؤكد الولايات المتحدة مرة اخرى تمسكها بقرار الامم المتحدة ، وتؤيد الجهود

التي يبذلها يارينج ، وتعتقد ان الطرفين (مصر واسرائيل) تستطيعان الموافقة على مبادرة يارينج .

٣ ــ ترحب برد مصر الايجابي وتتمنى ان تتخذ اسرائيل في اقرب وقت خطوة مماثلة .

٤ ــ تعلن الولايات المتحدة عن استعدادها لمناقشة الضمانات الاضافية التي يمكن تقديمها ، وتحديد الدور الذي يمكن ان تقوم به من اجل الوصول الى سلام عن طريق التفاوض بين الطرفين .

٥ ــ ترجو ان يمتنع الطرفان عن اطلاق النار ، والاحتفاظ بالموقف على ما كان عليه منذ ٧ اغسطس (آب) ١٩٧٠ .

تضمنت التعليمات التي تلقاها دونالد بيرجس المشرف على شؤون الرعايا الامريكيين في القاهرة لابلاغها وزارة الخارجية المصرية مدى تقدير امريكا للموقف الايجابي الذي اتخذته حكومة الرئيس السادات بردها على يارينج ، ولا تخفي فيها قلقها من الموقف الاسرائيلي الذي رفض حتى الآن الاستجابة لمقترحات يارينج ، وهي تريد ان « تقنع » اسرائيل بقبول ذلك ، ولا تريد استخدام كلمة « ممارسة الضغط » على اسرائيل لان ذلك سيخلق موقفا عكسيا ، وتطالب مرة اخرى بالالتزام بوقف اطلاق النار .

بالرغم من هذا الاسلوب الذي استخدمته الولايات المتحدة في معالجة الموقف ، الا ان اسرائيل لم يعجبها تمسك روجرز بتنفيذ قرار مجلس الامن ومحاولة اقناعها بالرد ايجابيا على مذكرة يارينج وتقدمت بمذكرة الى الولايات المتحدة يوم ١٠ مارس (آذار) ١٩٧١ اطلقت عليها ما اسمته « تحديد موقف ».

حددت اسرائيل في هذه المذكرة موقفها في النقاط التالية :

١ ــ يوثانت لا يمتلك حق رسم حدود اسرائيل لانه ليس مطالبا بالتعايش مع مصر .. !!

وسوف لا تسمح اسرائيل بتكرار ما حدث عام ١٩٥٧ عندما « فرضت » الامم المتحدة حلا على اسرائيل ، بتهديد سوفيتي باستخدام القوة ، وتلويح امريكي بفرض اجراءات معينة على اسرائيل .

٢ ــ بمقتضى المبادىء التي اقرها يوثانت ويارينج فقدت اسرائيل حقها في رسم حدودها .

٣ ــ سوف تمارس اسرائيل اسلوب رفض اي ضغط عليها .

٤ ــ ستحتفظ اسرائيل بقواتها في شرم الشيخ .

٥ ــ تعتبر المبادىء التي طلبت مصر اسرائيل الالتزام بها للدخول في معاهدة سلام بمثابة انذار مصري لاسرائيل .

٦ ــ تعتقد اسرائيل بان الاستراتيجية المصرية ــ السوفيتية تهدف الى تحقيق الانتصار السياسي لمصر باخراج اسرائيل من الاراضي التي تحتلها ، وقد ساعد الاتحاد السوفيتي مصر في حرب الاستنزاف مع استمرار زيارات المصريين المتكررة للاتحاد السوفيتي ، لدعم فكرة استمرار الحرب ورفض الحلول السلمية .

٧ – تعتقد اسرائيل ان اتجاه مصر الى السعي لحل سلمي يرجع الى موقف اسرائيل المتشدد ، وتصميم الولايات المتحدة على الاحتفاظ بتوازن للقوى في المنطقة ، وهذا دفع مصر والاتحاد السوفيتي الى بذل الجهود من اجل الوصول الى حل سلمي خشية حدوث مواجهة عسكرية .

٨ – يجب استمرار الوضع على ما هو عليه ، برفض مبدا انسحاب اسرائيلي من الاراضي العربية ، وقبول التسوية على اساس الامر الواقع ، وهذا يقتضي ضرورة رفض الولايات المتحدة مبدا فرض حل سلمي تقبله دول المنطقة .

بعث الرئيس ريتشارد نيكسون – ولاول مرة منذ تولي الرئيس السادات مسؤولية الحكم – برسالة قام دونالد بيرجس بتسليمها للرئيس يوم ٣٠ مارس (آذار) ١٩٧١ ، يعيد فيها اقتراح الولايات المتحدة بضرورة الالتزام بوقف اطلاق النار.وفي المقابلة اكد الرئيس السادات لدونالد بيرجس المبادىء التالية ردا على رسالة نيكسون :

« اولا : ان المبدا الاساسي الذي تلتزم به الجمهورية العربية المتحدة وسوف تظل تلتزم به تحت كل الظروف هو انه لا يمكن ان يقوم سلام مع استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ومع وجود نزعات العدوان التوسعية وهي نزعات تتجلى بشكل سافر في كل تصرفات الساسة الاسرائيليين .

« ثانيا : ان الجمهورية العربية المتحدة فتحت كل طريق الى السلام ولا زالت تفتح كل طريق الى السلام وقد تجلى ذلك في موقفين محددين :

١ – قبول الجمهورية العربية المتحدة ، لاقتراحات السفير يارينج الاخيرة في حين ان اسرائيل رفضت مجرد الرد على اقتراحاته .

٢ – تقدم الرئيس انور السادات بمبادرة مصرية في خطابه يوم ٤ فبراير (شباط) تشير الى امكانية فتح قناة السويس للملاحة العالمية في مقابل انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية .

« ثالثا : ان المبادرة المصرية لا زالت قائمة على انه يجب ان يلاحظ وان يكون ذلك مفهوما لجميع الاطراف بان الانسحاب الجزئي المقترح ليس حلا منفصلا ولا هو حل جزئي وانما هو مجرد تحريك اجرائي يرتبط ارتباطا عضويا بالحل الكامل على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن بكل بنوده واولها الانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلت بعد الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

« رابعا : لكي تكون الامور محددة اثناء عملية تنفيذ هذا الاقتراح ، فان الجمهورية العربية المتحدة تعود فتؤكد تصورها على النحو التالي :

١ – بمجرد بدء الانسحاب الجزئي وهو المرحلة الاولى من الانسحاب الشامل فان الجمهورية العربية المتحدة على استعداد للبدء في تطهير قناة السويس .

٢ – مع التنفيذ العملي لذلك ، فان الجمهورية العربية المتحدة سوف تقبل مد وقف اطلاق النار لمدة محددة يتمكن فيها السفير جونار يارينج من وضع الجدول الزمني لتنفيذ قرار مجلس الامن .

٣ – ان القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة سوف تعبر قناة السويس لتتولى مسؤولياتها الوطنية على الضفة الشرقية للقناة .

« ولكن الجمهورية العربية المتحدة حرصا منها على السلام سوف تكون على استعداد لان تقبل ترتيبات عملية تحقق الفصل بين القوات المتحاربة وذلك خلال فترة وقف اطلاق النار المحددة وهي الفترة التي ستعطي للسفير يارينج لكي يتولى فيها وضع جميع بنود حل الازمة وجدول تنفيذها الزمني واولها الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية في سوريا والاردن وغزة وسيناء .

« فاذا انتهت هذه الفترة دون تقدم ملموس فان القوات المسلحة المصرية يكون لها الحق في الاحتفاظ بحرية العمل على اساس من الالتزام الكامل المبدئي والقانوني بضرورة التحرير الشامل لكل الاراضي العربية المحتلة .

« خامسا : ان الجمهورية العربية المتحدة ترفض رفضا كاملا اية مناقشة حول نزع سلاح سيناء ولكنها وفق قرار مجلس الامن على استعداد لقبول مناطق منزوعة السلاح بشرط ان تكون على جانبي الخطوط .

« سادسا : ان الجمهورية العربية المتحدة لا تسمح لأي طرف من الاطراف ان يتحدث معها في شان اي وجود اسرائيلي في شرم الشيخ مهما كانت صورته وهي تعتبر الاقتراحات المريبة التي روجت لها بعض الاطراف عن تاجير شرم الشيخ لاسرائيل لمدة محددة ، او عن اشتراك قوات اسرائيل ضمن قوة طوارىء دولية في شرم الشيخ نوعا من الهذر لا يجوز ولا يليق ان يناقش على مستوى ازمة لها خطورة ازمة الشرق الاوسط ، ولا على مستوى وطن كالجمهورية العربية المتحدة مارس النضال الوطني بصلابة على امتداد تاريخ طويل .

« واذا كانت اسرائيل في ذلك تراودها احلام يقظة فجدير بكل من يعرفون حقائق الامور ان يساعدوا على تنبيهها قبل ان يفوت اوان ذلك » .

استمرت محاولات الولايات المتحدة لاقناع الرئيس السادات بانها تعمل لايجاد تسوية سلمية ، في الوقت الذي تأكدت فيه حقيقة المعونات العسكرية التي قدمتها لاسرائيل . فقد بعث الرئيس نيكسون بوليام روجرز وزير خارجيته في رحلة الى الشرق الاوسط بدأت بزيارة قام بها للسعودية في اول مايو (ايار) ١٩٧١ ثم للاردن في اليوم التالي ، وزار بيروت يوم ٢ مايو ووصل الى القاهرة يوم ٤ مايو في الساعة السادسة وعشر دقائق من بعد الظهر ليعلن انه يحمل رسالة من الرئيس نيكسون الى الرئيس السادات ، تستهدف التوصل الى اقرار سلام عادل في المنطقة .

وفي يوم ٦ مايو ١٩٧١ كان الرئيس السادات يبلغ روجرز المبادىء التالية :

١ ـ ان مصر تصر على تنفيذ قرار مجلس الامن بكل بنوده .

٢ ـ ان الحل الوحيد الذي تقبله مصر هو الحل الكامل للمشكلة .

قال روجرز للرئيس السادات « ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تطلب منك اكثر مما قمتم به ، ولكننا نود ان يستمر وقف اطلاق النار وسوف نمارس اسلوب الاقناع لكي توافق اسرائيل على العودة للاتصال بالسفير يارينج » .

ولكن روجرز لم يقرر ان يقوم بهذه الزيارة الا ليتقدم باقتراح لا يتعدى استمرار

وقف اطلاق النار ، وانسحاب اسرائيل بضعة كيلومترات شرقي القناة مع عدم عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية ، وبدء اعداد القناة للملاحة وسوف يمهد هذا الخلق جو مناسب لاجراء مفاوضات لحل الموضوعات الاساسية الاخرى المتعلقة بالازمة .

وكانت امام الرئيس السادات مبادرته التي تقدم بها في ٤ فبراير (شباط) ١٩٧١ ، ويقترح فيها انسحاب اسرائيل ، وعبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية ، والالتزام بجدول زمني هدفه تحقيق الانسحاب الكامل وبنفس الترحيب الذي استقبل به الرئيس السادات وليام روجرز ، قام بتوديعه محتفظا بحقه في استمرار الحوار ، مع رفض اي حل جزئي يجمد الموقف عند انسحاب شكلي ، دون وجود عسكري مصري على الضفة الشرقية والالتزام بجدول زمني يتضمن الحل الشامل للمشكلة .

٤ ـ تحرك امريكي بعد المعاهدة

بعد حركة التصحيح في ١٥ مايو (ايار) ١٩٧١ ، وعقب زيارات روجرز للمنطقة ، تلقى الرئيس السادات يوم ٢٣ مايو من نفس العام رسالة من قادة الاتحاد السوفيتي تشير الى رغبتهم في ايفاد الرئيس بودجورني لزيارة مصر . ورحب الرئيس السادات بذلك على الفور ، وبعث ببرقية يعلن فيها عن سروره باستقبال الرئيس السوفيتي في القاهرة .

نزلت طائرة الرئيس بودجورني الى مطار القاهرة في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ٢٥ مايو ١٩٧١ ، وكان الرئيس السادات في انتظاره في المطار ورافقه الى قصر القبة ، وبعد تبادل كلمات الترحيب والتحية ، طلب الرئيس بودجورني من احد مساعديه ان يعطيه ملفا خاصا حمله معه من موسكو . وقدم مساعد بودجورني للرئيس السوفيتي نصا مكتوبا على الآلة الكاتبة همس بعدها الرئيس السوفيتي ببضع كلمات في اذن الرئيس السادات .

وعلى الفور دعا الرئيس السادات محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، والدكتور مراد غالب سفير مصر في موسكو للاجتماع في قصر الطاهرة الذي يقع على بعد نصف كيلومتر من قصر القبة حيث ينزل الرئيس بودجورني . ولم تكن المذكرة التي حملها بودجورني معه الا مشروعا لمعاهدة بين مصر والاتحاد السوفيتي .

وعلى اثر الانتهاء من مراسم استقبال بودجورني ، عقد الرئيس السادات اجتماعه برياض والدكتور غالب في قصر الطاهرة لدراسة نصوص المعاهدة المقترحة ، وفي اليوم التالي (٢٦ مايو ١٩٧١) ابلغ الرئيس السادات ترحيبه بهذه النصوص وحدد يوم ٢٧ مايو لتوقيع المعاهدة غادر بعدها الرئيس السوفيتي القاهرة يوم ٢٨ مايو عائدا الى موسكو ومعه توقيع الرئيس السادات عليها ، على ان يتم تبادل الوثائق الخاصة بها في موسكو يوم اول يوليو (تموز) ١٩٧١ ، وهو بدء سريان تنفيذها . وقد وصل محمود رياض الى موسكو يوم ٢٩ يونيو (حزيران) ليتبادل وثائق التصديق على المعاهدة يوم ٣٠ يونيو بحيث تصبح سارية المفعول من اول يوليو .

كانت الولايات المتحدة ترقب تطور العلاقات المصرية ـ السوفيتية بقلق متزايد ، وقبل ان تبدأ زيارة بودجورني للقاهرة ، تقدم دونالد بيرجس رئيس بعثة رعاية المصالح الامريكية بمذكرة الى السيد محمود رياض يوم ٢٣ مايو (ايار) ١٩٧١ يقول فيها ان ويليام روجرز وزير خارجيته قد استدعاه للسفر الى باريس والاجتماع به في العاصمة الفرنسية ، على ان يحمل معه رأي مصر في المبادىء التالية :

١ ـ انسحاب اسرائيل الى نصف سيناء مع نزع سلاح الاراضي التي تنسحب منها القوات الاسرائيلية .

٢ ـ البدء في تنفيذ تطهير القناة واعدادها للملاحة .

٣ ـ قبول مد فترة وقف اطلاق النار مدة معقولة تسمح بالتقدم في المحادثات التي ستتم بعد ذلك .

٤ ـ لا تعبر القوات المصرية الى الضفة الشرقية .

٥ ـ يجوز في حالة اعادة فتح القناة للملاحة تواجد مصريين للاشراف على كل الامور المدنية والفنية المتعلقة بالقناة .

٦ ـ بالرغم من ان هذه المبادىء لا تمثل الحل النهائي للمشكلة ، فان استمرار وقف اطلاق النار وسريان حالة اشبه بحالة الهدنة المؤقتة سوف يساعد على التقدم نحو الحل الشامل للمشكلة .

واشار بيرجس انه من الممكن التفاهم على حل وسط يتعلق بالوجود المصري على الضفة الشرقية .

وقبل ان يطير الى باريس يوم ٤ يونيو (حزيران) تسلم من السيد محمود رياض رد مصر على هذه المقترحات والتي اكدت مصر فيها ضرورة عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية ، وسيادة مصر الكاملة على كل قطعة ارض تجلو عنها اسرائيل ، والسيطرة الكاملة لمصر على القناة والملاحة فيها ، وارتباط وقف اطلاق النار ، بالتقدم على طريق الحل النهائي للمشكلة لا فيما يتعلق بمصر بل بكل الاراضي العربية .

طار بيرجس الى باريس سعيدا بان مصر لم ترفض بحث امكانية فتح القناة مقابل التزام الولايات المتحدة بحمل اسرائيل على الانسحاب من نصف سيناء مع عدم التخلي عن مهمة يارينج الذي يستطيع ان يمارس نشاطه في ظل جو سياسي وعسكري مناسب ، اذا استمر وقف اطلاق النار ، والذي حددت مصر انها تستطيع ان توافق على ذلك بشرط الا يستمر ذلك بعد ١٥ اغسطس (آب) ١٩٧١ .

وفي نفس اليوم كان محمود رياض يلتقي بجوزيف كرافت مراسل جريدة واشنطن بوست الامريكية ويروي له تطورات الموقف وحقيقة العلاقات المصرية ـ الامريكية . وبعث كرافت برسالته الى جريدته في واشنطن ، وما كادت الصفحة الاولى تحمل نبأ المذكرة الامريكية التي تقدم بها بيرجس الى مصر ، ورد القاهرة عليها ، حتى اسرعت وزارة الخارجية الامريكية تكذب علمها بمذكرة امريكية تقدم بها بيرجس الى محمود رياض .

وحملت الصحيفة في اليوم التالي مقالا لجوزيف كرافت يصف فيها هذه المذكرة التي انكرتها الخارجية الامريكية بانها « مذكرة فانتوم » باعتبار ان كلمة فانتوم في الانجليزية تعني « الشبح » وتصبح مذكرة امريكا بمثابة « المذكرة الشبح » .

عادت الولايات المتحدة لتؤكد ان بيرجس لم يكلف بتقديم مذكرة باسم ويليام روجرز ، وانه كتب مذكرته على ورق ابيض لا يحمل شعار السفارة الاسبانية التي كانت ترعى مصالح الولايات المتحدة في القاهرة وعقب محمود رياض بعد ذلك على هذا الموقف قائلا : « وكأن بيرجس لا يعمل في القاهرة ممثلا للولايات المتحدة ، وانما يعمل لحسابه الخاص ودون علم حكومته » .

وفي اوائل يوليو (تموز) ١٩٧٢ ، اجرى الرئيس ريتشارد نيكسون اتصالا بالرئيس انور السادات ليعرف حقيقة ابعاد المعاهدة المصرية ـ السوفيتية ومدى استعداد

الرئيس المصري لقبول استمرار الولايات المتحدة بجهود اخرى من اجل احتمال تحقيق بعض التقدم ، بتقريب وجهتي النظر المصرية والاسرائيلية ، فاسرائيل تريد ان تكون هناك اتفاقية هدنة توقع عليها مصر ، مع اعادة فتح القناة دون وجود مصري على الضفة الشرقية ، بينما حدد الرئيس السادات لنيكسون ان المعاهدة المصرية ـ السوفيتية لم تغير شيئا في الموقف المصري باعتبار ان المعاهدة هي دعم لقدراتها الدفاعية ، ولا تمثل قيدا على حركتها ، مع استعداد مصر ـ دون معارضة من الاتحاد السوفيتي بل بتأييد منه ـ لقبول اية مقترحات تتضمن النص على التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن ، وان لدى الولايات المتحدة ، المبادرة المصرية التي تقدم بها الرئيس السادات شخصيا والتي نص فيها على المبادىء التي يراها مناسبة للبدء في تنفيذ حل سلمي للمشكلة .

حل يوم ١٥ اغسطس (آب) ١٩٧١ ، الذي اقترحته الولايات المتحدة موعدا للتقدم بافكار جديدة تمهد لهذا الحل السلمي ، ومضت ايام واسابيع دون ان تقدم امريكا هذه الافكار ، واكتفت بالاشارة الى الجهود التي يمارسها جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية من اجل حمل اسرائيل على قبول مبدأ الانسحاب من سيناء ، واكدت انه سيستمر في هذا الجهد ويتمنى ان يحقق بعض التقدم قبل اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة في سبتمبر (ايلول) ١٩٧١ وهي المناسبة التي ستسمح بوصول وزراء خارجية الدول العربية واسرائيل الى نيويورك ، والتي ستتيح لروجرز فرصة الاجتماع بهم والتقدم بافكار محددة بعد الحصول على رأي نهائي من اسرائيل يفتح الطريق امام امريكا للمضي في المساعي التي حددت .

طار محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الى الامم المتحدة يوم ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٧١ . ويوم ٢٩ سبتمبر انتقل الى واشنطن ليتناول الغداء بدعوة من روجرز وكانت المرة الاولى منذ قرار قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وامريكا التي يحدث فيها مثل هذا النوع من اللقاء الذي اشار روجرز خلاله الى قبول الولايات المتحدة اعادة جدولة الديون المستحقة على مصر ، وطالب باعادة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ثم حدد بوضوح الهدف الذي تسعى اليه الولايات المتحدة لحل المشكلة .

وقال روجرز انه يستطيع ان يحدد موقف بلاده في ست نقاط اساسية هي :

١ ـ العلاقة بين الحل الجزئي والحل الكامل:

أ ـ ان الاتفاقية الخاصة باعادة فتح القناة هي مجرد خطوة اولى على طريق التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ وان هذه الاتفاقية تستمر لفترة معقولة ، وليست في ذاتها نهاية للحل المطلوب .

ب ـ ان الطرفين (مصر واسرائيل) لا بد وان يدركا ان هذه الاتفاقية ليست هي الحل النهائي للمشكلة وان هذا الحل سيتم عن طريق السفير جونار يارينج الذي سيتولى مناقشة جميع الوسائل الاخرى الواردة في قرار مجلس الامن .

٢ ـ وقف اطلاق النار :

ان استمرار وقف اطلاق النار هو اجراء لصالح كل الاطراف المعنية ، وان الهدف هو انهاء جميع دعاوي الحرب ، كاساس للوصول الى اتفاقية سلام ، تلتزم بها هذه الاطراف ، وان وقف اطلاق النار ليس هو المضمون الاساسي الذي

يهدف اليه الحل الجزئي المقترح ، كما ان وقف اطلاق النار لفترة قصيرة سوف لا يسمح بتسوية جميع الخلافات .

٣ ـ مدى الانسحاب:

يرتبط موضوع الانسحاب باعتبارات استراتيجية هامة تتعلق بالطرفين (مصر واسرائيل) . ومن الممكن التوفيق بين مطالب الطرفين بحيث يكون مبدأ الانسحاب كخطوة عملية ضرورية واقعية وليست نظرية ، في سبيل الحل النهائي ، ولذلك فان البدء بالانسحاب كاساس ضروري لتحقيق الحل الجزئي سوف يجعل من الانسحاب حقيقة واقعة للوصول الى حل كامل ، ويمهد له .

٤ ـ ضمان تنفيذ الاتفاق:

لتوفير اسباب الثقة لدى الطرفين في مراقبة تنفيذ اتفاق الحل الجزئي ، لا بد من دعم الجهاز المشرف على ذلك حاليا بصورة تسمح بتوفير هذه الثقة .

٥ ـ الوجود المصري على الضفة الشرقية:

ان اعادة فتح القناة واستخدامها يقتضي وجودا مصريا على الضفة الشرقية مع السماح للاشخاص المصريين الموجودين على هذه الضفة بممارسة النشاط العادي المطلوب في المناطق التي يتم الانسحاب منها .

اما بالنسبة للوجود العسكري المصري على الضفة الشرقية فان هذه النقطة لا زالت تمثل عقبة نظرا لتعارض وجهة نظر مصر مع وجهة النظر الاسرائيلية حولها ، ومع امكانية التوفيق بينهما .

٦ ـ استخدام القناة

ان الولايات المتحدة تشجع اعادة فتح القناة وحرية الملاحة فيها دون اي تمييز ، وهذا واضح في قرار مجلس الأمن . والولايات المتحدة تبحث الان لتحديد الموعد المناسب لممارسة هذا الحق . ويرتبط هذا بالاتفاق الجزئي الذي تسعى لتحقيقه بين الطرفين .

وتطبيقا لهذه المبادىء فان الولايات المتحدة تسعى الى :

١ ـ استخدام القناة كممر مائي للسفن من جميع الجنسيات .
٢ ـ حق مصر في السيادة على هذا المصدر القومي لها .
٣ ـ الفصل بين القوات المتحاربة .
٤ ـ تحقيق اول انسحاب اسرائيلي .
٦ ـ استبعاد خطر مواجهة بين الدولتين العظميين .
٧ ـ تحقيق اول خطوة على طريق التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن .

إستمر الحوار بين روجرز ورياض على أساس أن مصر يهمها ليس فقط التركيز على الحل الجزئي بل الانتقال من مرحلة وقف إطلاق النار التي أدت إلى تجميد الموقف الراهن إلى مرحلة تنفيذ قرار مجلس الأمن ، ومع ترحيب مصر بكل جهود امريكية في هذا الاتجاه فانها لا تستطيع ان تنكر وجود قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ بعودة الاتصالات مع يارينج بهذا الهدف . ولا تستطيع ان تنكر وجود مبادرة امريكية تقدم بها روجرز بنفسه الى الأطراف المعنية . ولا تستطيع أن تنكر وجود مبادرة للرئيس السادات تعطي للولايات المتحدة فرصة تحقيق هذه المبادىء ، على أساس

عبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية والالتزام بالتنفيذ الكامل لكل ما ورد في قرار مجلس الامن . أمام مصر فرصة طرح القضية باكملها امام المجتمع الدولي في الجمعية العامة تحتكم اليه وتطلب منه المشاركة في مسؤولية تنفيذ القرارات الصادرة منها .

وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه هذه المباحثات بين رياض وروجرز كانت وزارة الخارجية الامريكية تعلن يوم ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ عن التوصل الى اتفاق من ناحية المبدأ مع الحكومة المصرية على اعادة جدولة الديون المستحقة على مصر ، والتي ناقشها روجرز اثناء زيارته في شهر مايو من (ايار) نفس العام للقاهرة . ووقع السيد عبد الله مرزبان وزير الاقتصاد المصري في ذلك الوقت هذا الاتفاق المبدئي في واشنطن الذي ينص على اعادة جدولة دفع الديون المستحقة على مصر وقدرها ١٤٥ مليون دولار على سبع سنوات . واحتمال تقديم الولايات المتحدة تسهيلات ائتمانية لمصر ، واستئناف العلاقات التجارية بين مصر والولايات المتحدة .

وفي يوم ٥ اكتوبر (تشرين الاول) كان روجرز يعلن في الامم المتحدة في نيويورك عن المبادىء التي تلتزم بها الولايات المتحدة بالنسبة لاقتراحها الخاص بالحل الجزئي تفاديا للاحتمالات المرتقبة لمناقشة كاملة لقضية الشرق الاوسط امام الجمعية العامة للامم المتحدة .

قبل ان تتخذ مصر قرارها النهائي بعرض القضية على الجمعية العامة طار الرئيس انور السادات الى موسكو يوم ١١ اكتوبر ، بعد ان استدعى محمود رياض من نيويورك ، والذي انضم الى الوفد المصري لاستعراض كل تطورات الموقف مع القادة السوفيت ، وكان الرئيس السادات قد زار في طريقه الى موسكو الكويت وايران ، واجتمع بأمير الكويت وشاه ايران .

٥ ـ عام الحسم... ومواجهة مع موسكو

طار الرئيس انور السادات الى موسكو يوم ١١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ واستقبله في المطار ليونيد برجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والرئيس نيكولاي بوبجورني رئيس مجلس السوفيات الاعلى الكسي كوسيجين رئيس الوزراء واندريه جروميكو وزير الخارجية والماريشال جريتشكو وزير الدفاع .

نزل الرئيس السادات من طائرته يرافقه وزير حربيته الجديد الفريق اول محمد احمد صادق ، والذي اختاره الرئيس خلفا للفريق أول محمد فوزي بعد احداث ١٥ مايو ١٩٧١ وحركة التصحيح . وكان واضحا من اللحظة الاولى مدى اهتمام الاتحاد السوفيتي بمعرفة وزير الحربية الجديد وبحث الموقف بكل ابعاده مع الرئيس السادات . وكان الرئيس السادات من جانبه يريد ان يعرف اسلوب امكانية استمرار التعاون مع الاتحاد السوفيتي .

روى الرئيس أنور السادات في لقاء شاركت فيه مع عدد من الزملاء تفاصيل هذه الزيارة التاريخية للاتحاد السوفيتي . ومما قاله : « .. بعد عام ١٩٦٧ اتخذنا قرارا بان نتعاون مباشرة (١٩٦٧) مع الاتحاد السوفيتي ، لأن الولايات المتحدة تسعى دائما للوقيعة بيننا وبينه. وكان الاتحاد السوفيتي قد اقام جسرا جويا بعد الحرب مباشرة لنقل السلاح الذي نحتاج اليه والذي بلغت خسارتنا فيه ما يعادل ٨٠٪ من الاسلحة التي كانت لدينا . واستطعنا بهذه المعونة ان نقف على اقدامنا .

« اتفقنا ــ عبد الناصر وانا ــ على ان يتولى الاتحاد السوفيتي الاتصال بامريكا بالنيابة عنا ، واتفقنا على ان نعرض على الاتحاد السوفيتي نتائج اتصالاتنا مع امريكا ، ونشترك معه في تحديد المواقف . وكنا نراعي في هذا الموقف انه وقف معنا في وقت الشدة ، ولم نكن في حاجة لمعارك سياسية وكلامية في وقت نحتاج فيه للاعداد للمعركة الحربية .

« شاركت عبد الناصر قبل وفاته ، ومنذ بداية الثورة ، في اتخاذ هذه القرارات ولذلك فانا شريك في كل ذلك ، وطلبنا من الاتحاد السوفيتي بعد حرب عام ١٩٦٧ ان يختار قائدا من قواده ليصبح قائدا لسلاح الطيران لدينا ، بل طلبنا قائدا للدفاع الجوي .

« وكان هدفنا ان نتفرغ لاعداد الجيش للمعركة ، وتدريب قواتنا بأسرع وقت ، ونعطي للاتحاد السوفيتي مسؤولية قيادة الدفاع الجوي الى ان يتم بناء خط دفاعنا على الارض ، وبحيث لا نترك الاجواء المصرية مفتوحة لأي هجوم اسرائيلي . ورفض الاتحاد السوفيتي وقالوا نتعاون معكم ، ولكن لا نتولى مسؤولية قيادة سلاح الطيران والدفاع الجوي .

واسفرت امريكا عن وجهها بتعاون جونسون مع اسرائيل ، وكان من الضروري ان

نتعاون مع الاتحاد السوفيتي الذي قدم لنا كل هذه المساعدات الى لحظة وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وكنت قد ابلغت الاتحاد السوفيتي بان عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، وذهبت الى موسكو يوم ١و٢ مارس (آذار) ١٩٧١ .

« في زيارتي الاولى ، كان كلامي في الاتحاد السوفيتي اتصالا واستمرارا للخط المصري الذي شاركت عبد الناصر في رسمه وتنفيذه وقلت للقادة السوفيت اننا نحتاج الى السلاح لانني حددت هذا العام لحسم المعركة .

« طلبت من الاتحاد السوفيتي تنفيذ العقود التي ارتبط بها عبد الناصر ، وقلت للقادة السوفيت انا جاهز للمعركة وحصلت على وعود باستئناف تصدير السلاح .

« ووقعت احداث ثورة التصحيح (مايو ١٩٧١) واعتبر الاتحاد السوفيتي ان ما حدث يؤثر على علاقاتهم بنا ، واكدت لهم العكس ووقعت معاهدة صداقة مصرية ـ سوفيتية .

« ووقعت احداث السودان واتخذت موقفاً لتأييد جعفر نميري ، وذهبت الى موسكو في ١١و١٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ وشرحت لقادة الاتحاد السوفيتي موقفي ورايي ، وقلت انني مؤمن بضرورة حسم المعركة وانني ابلغتكم بان عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، وقلت لهم انه في فبراير (شباط) ١٩٧١ عرض روجرز مبادرته في مايو (ايار ١٩٧١). واكد لي انه يريد ان يستمر في جهوده من اجل تنفيذها ولكنه كان ضعيفا والبيت الابيض لا يسانده ولذلك هاجمت امريكا ، وقلت انها كاذبة لا تفي بالوعود وفي يوليو (تموز) ١٩٧١ زارني مندوب من روجرز وقال ان الرئيس الامريكي سوف يتدخل بكل ثقله ولكنه يريد ان يعرف حدود معاهدة الصداقة المصرية ـ السوفيتية ونحن الآن في اكتوبر (١٩٧١) وقد اجريت اتصالاتي معكم ، وانتم على اتصال بالامريكان وما تريدون الاتفاق عليه بالنسبة للحل السلمي ، فسأوافق عليه .

وبدأ القادة السوفيت مناقشتي في المعركة ومعنى عام الحسم . وشرحت لهم ان القضية لا يمكن تحريكها سلميا وانه لا بد من اثبات وجودنا عسكريا في معركة محدودة لكي نثبت للعالم ان اسرائيل تكذب ، وتحاول اقناع الدنيا بان العرب غير قادرين على تحرير اراضيهم ولذلك كان لا بد من عدم استمرار هذا الوضع . وقلت لهم نحن الآن في اكتوبر ١٩٧١ ، ولم يبق في عام الحسم الا شهران « نوفمبر وديسمبر » ، وارجو ان احصل على كل ما طلب خلال الفترة الباقية من العام وقد اعلنت والتزمت امام شعبي، وامام العالم ، بان عام ١٩٧١ هو عام الحسم » .

غادر الرئيس انور السادات موسكو يوم ١٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ ، وطلب الى وزير خارجيته السيد محمود رياض الذي استدعاه من نيويورك ان يطير مرة اخرى الى نيويورك لعرض القضية في الامم المتحدة وليمارس جهده الدبلوماسي في الجمعية العامة ، ومع وزراء خارجية العالم .

وطار رياض الى نيويورك يوم ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) على اساس ان تبدأ المناقشة امام الجمعية العامة يوم الخميس ٢ ديسمبر (كانون الاول) لكنها تأجلت الى يوم ٣ ديسمبر .

كان يوثانت قد قضى اسبوعا في المستشفى بنيويورك بعد اصابته بنزيف في المعدة وغادرها يوم ٢ ديسمبر ، وقبل ان تبدأ المناقشة بعث السكرتير العام ببرقية عاجلة الى يارينج يستدعيه من موسكو للاشتراك في المناقشات التي ستبدأ في جو سيطرت فيه الحرب الهندية ـ الباكستانية على قاعة مجلس الامن والجمعية العامة وأروقة المنظمة الدولية كلها .

دخلت الصين في هذه الدورة في عضوية الامم المتحدة ، واصبحت عضوا دائما في مجلس الامن ، ولكن ازمة الحرب الهندية ـ الباكستانية وتأييد الصين لباكستان وتأييد الاتحاد السوفيتي للهند ، لم يمنع الصين من ان تمارس جهدها في التنديد بالموقف الاسرائيلي ، وادانة استمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية ، ومهاجمة الاتحاد السوفيتي في كل مناسبة . وكانت الصين ترفض قبول قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) . وترفض دور الدولتين العظميين (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) في معالجة مشكلة الشرق الاوسط ، وقد اكد وفد الصين في الامم المتحدة انه تلقى تعليمات من بكين تؤكد ضرورة اتخاذ جميع المواقف التي تؤيد مصر والتي لا تتعارض مع ما تطالب به .

اختارت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل في ذلك الوقت فرصة مناقشة قضية الشرق الاوسط امام الامم المتحدة لتعلن عن زيارة تقوم بها للولايات المتحدة وتجتمع خلالها بالرئيس ريتشارد نيكسون الذي كان سيواجه انتخابات الرئاسة في عام ١٩٧٢ واعلنت انها ستصل الى نيويورك يوم اول ديسمبر (كانون الاول) وتجتمع بالرئيس الامريكي يوم الخميس ٢ ديسمبر ، يرافقها ابا ايبان وزير خارجيتها . وكان يعد لهذه الزيارة سفيرها في واشنطن اسحق رابين الذي تولى بعدها رئاسة الحكومة الاسرائيلية .

وفي الساعات التي سبقت وصول جولدا مائير الى امريكا ، طلب السيد محمود رياض عقد اجتماع مع السفير جورج بوش رئيس وفد الولايات المتحدة في الامم المتحدة وابلغه يوم ٢٠ نوفمبر تشرين الثاني عندما اجتمعا في نيويورك ان مصر تتمنى بعد اجتماع رياض بروجرز في واشنطن الذي تم خلال (اكتوبر) (تشرين الاول) ان تشارك الولايات المتحدة بطريقة ايجابية في المناقشات التي ستبدأ بعد ثلاثة ايام في الأمم المتحدة ، لقضية الشرق الاوسط .

واكد رياض لبوش ان الولايات المتحدة شاركت في اعداد القرار الصادر من مجلس الامن في نوفمبر ١٩٦٧ وتحملت مسؤولية تنفيذه وشاركت في محادثات الدول الاربع الكبرى وتقدمت بمبادرة لوزير خارجيتها ويليام روجرز في يوليو (تموز) ١٩٧٠ ، وعجزت حتى الآن بعد مرور ٤ سنوات على صدور قرار مجلس الامن عن حمل اسرائيل على تنفيذ القرار . وان كل ما تطلبه مصر ان تشارك الولايات المتحدة بصورة ايجابية للعمل على تنفيذ ذلك .

ولكن رأي الولايات المتحدة كان مختلفا . فقد ارتبط وصول جولدامائير الى امريكا بحملة صهيونية ضخمة تهدف الى ممارسة كل ضغط ممكن على الكونجرس الامريكي وعلى الرئيس نيكسون وعلى روجرز شخصيا لعرقلة مناقشة قضية الشرق الاوسط ، ولجمع تبرعات من الامريكيين لصالح اسرائيل ، وحمل الكونجرس الامريكي على تخصيص

المعونة المالية التي قررها وقدرها ٥٠٠ مليون دولار لاسرائيل لشراء طائرات فانتوم واسلحة الكترونية حديثة .

اكتفى جورج بوش بالتلويح بان امريكا لا تعارض اجراء هذه المناقشة ولكنها في نفس الوقت تخشى من المواجهة العلنية التي ستحدث في الجمعية العامة بين العرب وامريكا ، والتي يشارك الاتحاد السوفيتي خلالها في تأييد العرب ، وبذلك تضيع كل احتمالات التقارب الامريكي ـ المصري ، كما ان هذه المناقشة ستقضي على اسلوب « الدبلوماسية الهادئة » التي يمارسها روجرز بهدف الوصول الى تسوية تبدأ بحل جزئي بالصورة التي اقترحها وزير الخارجية الامريكي .

بدأت مناقشة قضية الشرق الاوسط في ٣ ديسمبر (كانون الاول) بخطاب لمحمود رياض طالب فيه بتوقيع العقوبات على اسرائيل وبضرورة استصدار قرار يعكس ثقل ووزن المجتمع الدولي الذي يجب ان يمارس كل الصلاحيات الممنوحة له في ميثاق الامم المتحدة لحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية والرد ايجابيا على السفير جونار يارينج . وكان السكرتير العام للامم المتحدة قد اذاع تقريره يوم ٢ ديسمبر ويشير فيه الى « اهمية التعجيل بايجاد حل للمشكلة ، ولذلك فانه يبدو من الضروري ان تعيد الاجهزة المناسبة في الامم المتحدة النظر في الموقف مرة اخرى لتجد الوسائل والسبل التي تدفع بمهمة يارينج الى الامام » .

اجتمعت جولدا مائير يوم ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١ بالرئيس نيكسون واسرعت بعد المقابلة بالاجتماع يوم ٣ ديسمبر باعضاء الكونجرس الامريكي ، وكان المرشح الديمقراطي للرئاسة السناتور هنري جاكسون يتزعم حركة تاييد جولدا مائير والسماح لها بحضور اجتماع داخل مبنى الكونجرس حضره ٤٩ عضوا من مجلس الشيوخ والنواب ، وحضره ايضا السناتور الامريكي وليام فولبرايت رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الذي عارض علنا وصراحة تصرف رئيسة وزراء اسرائيل .

كانت المعلومات التي جمعها الوفد المصري في نيويورك والدكتور اشرف غربال رئيس بعثة رعاية المصالح المصرية في واشنطن سفيرها الحالي هناك تشير الى ان جولدا مائير حاولت اقناع الرئيس نيكسون بان تزويدها بطائرات الفانتوم يمثل « **ضرورة نفسية** » لدى اسرائيل ، اكثر من « **ضرورتها العسكرية** » ، حتى لا تبدو وكأن الولايات المتحدة قد نفضت يدها عن اسرائيل . بالاضافة الى ان الفانتوم سيعطي لاسرائيل سندا للتفاوض من موقع القوة ، وليس من موقف الضعف !

واكدت هذه المعلومات ان نيكسون وكذلك روجرز لم يقتنعا بوجهة نظر جولدا مائير ، باعتبار ان نيكسون كان يعتقد بان الاسراع باعطاء اسرائيل ما تطلبه من طائرات سيظهره بمظهر المرشح للرئاسة ، الذي يحتاج الى تأييد اسرائيل لضعف موقفه الداخلي واما نجاحه فسيكون مرهونا بالتأييد الصهيوني له مع فقدان كل قدراته على استمرار الحوار مع العرب ، ومع مصر بالذات .

كان نيكسون يستعد لرحلته الى موسكو وبكين ولم يكن يرحب بان يكون ارتباطه الواضح والعلني بالمعسكر الصهيوني سببا في عرقلة حواره المقبل مع عملاقي العالم الشيوعي (الصين والاتحاد السوفيتي) في اول زيارة يقوم بها رئيس امريكي لبكين

وموسكو لمناقشة احتمالات قيام وفاق دولي لا يمكن ان يتحقق باتخاذ مواقف تتعارض اساسا مع المواقف السوفيتية الرافضة للعدوان الصهيوني على الدول العربية .

وقد استغلت جولدا مائير هذا الموقف فابلغت اعضاء الكونجرس الذين اجتمعت بهم « بان اسرائيل تنتظر من الرئيس نيكسون الا يصل الى اتفاق مع الاتحاد السوفيتي ومع الصين ، فيما يتعلق بالشرق الاوسط الا من خلال نظرته الى الأمن الاسرائيلي كما تراه اسرائيل لا كما تراه امريكا » .

واتخذ فولبرايت موقفا علنيا خارج اجتماعات الكونجرس معلنا في نفس اليوم الذي تم فيه لقاء جولدا مائير مع اعضاء الكونجرس بانه « رغم التوقعات والتهديدات الا ان هذا الضغط لا يشكل التزاما بالنسبة لقرار الحكومة والكونجرس .. وان الصهيونية في الولايات المتحدة قد اصبحت اكثر عنفا وضغطا خاصة هذه السنة وهــي سنــة الانتخابات » .

حاول وليليام روجرز ان يخفف من تأثير الضغط الصهيوني على الرئيس نيكسون فاعلن عشية لقاء نيكسون بجولدا مائير « ان الولايات المتحدة تتبع سياسة نابعة من مصالحها الوطنية .. وان معلوماتنا التي تلقيناها من كل المصادر تفيد ان ميزان التسلح في صالح اسرائيل » .

طلب نيكسون من روجرز ان يتحدث الى الشعب الامريكي والى الجماعات الصهيونية بعد اللقاء الذي تم بينه وبين جولدا مائير . واعلن روجرز « ان نيكسون قد ساعد اليهود اكبر مساعدة ممكنة وان نيكسون قد اعلن ان امريكا صديقة لاسرائيل وانها لا تسمح بأي تهديد لأمنها وسيادتها ، وان الولايات المتحدة قد قدمت لاسرائيل كل تسليح ثقيل .. ونحن نراجع الموقف ونأخذ في إعتبارنا الحقائق التي تقضي إتخاذ قرار تزويدها بمزيد من السلاح ، لاننا لا نتخذ هذا القرار جزافا . ويجب أن يعرف العالم أننا أصدقاء لاسرائيل كما يجب أن يعرف أننا نريد تحقيق السلام في الشرق الاوسط .. إن أي قرار سنتخذه يجب أن نتخذه بمنتهى الحذر ، وبغض النظر عن أي ضغط خارجي .. ونحن في اتصال مستمر مع الدول العربية ، ومن المهم لنا ان نستمر في اتصالاتنا بهم .. انهم يشككون في نوايانا ونحن نعرف ذلك ، ونعرف الاخطار . ومن اجل هذا لا بد وان نكون حريصين في اتخاذ قراراتنا ، وبدقة لاننا مهدنا الطريق لوقف اطلاق النار الذي ظل قائما لمدة ١٧ شهرا ، ومن المفيد استمرار ذلك ، وسوف نتحمل اي مجازفة تهدد حالة وقف اطلاق النار القائمة الآن » .

كان تفسير الوفد المصري في نيويورك لخطاب روجرز ان الولايات المتحدة اتخذت قرارها فعلا بتزويد اسرائيل بمطالبها من الفانتوم وان القرار اصبح معدأ فعلا ولكن اعلانه يرتبط بموقف مصر من مناقشات الجمعية العامة ، وتأثير الاعلان عنه على الحملة الانتخابية التي سيخوضها الرئيس نيكسون عام ١٩٧٢ ، وعلى زيارته المقبلة لبكين وموسكو . وقررت مصر ان تخوض المعركة . وتعرض كل وثائق الازمة على الامم المتحدة .

اقترب موعد التصويت على مشروعات القرارات المقدمة الى الجمعية العامة للامم المتحدة ، واسرائيل تخوض معركة ضارية للتأثير على مجموعة الدول الافريقية التي

اختارت خمسة من وزراء خارجيتها لعرض تقرير اللجنة الافريقية التي تشكلت من ١٠ رؤساء دول افريقية اختاروا رؤساء اربع دول منها لاعداد تقرير عن نتائج جهودهم التي قاموا بها لتنفيذ قرار مجلس الامن ، باتصالاتهم التي اجروها مع مصر واسرائيل . وكان تقرير الدول الافريقية السري ينص على ان اسرائيل رفضت الانسحاب من الاراضي التي تحتلها ، وان انسحابها يتم الى حدود جديدة يتم التفاوض عليها .

كان امام الجمعية العامة عشرون قرارا تبنته ٢٢ دولة تضم مجموعة دول عدم الانحياز ، ومن بينها الدول الافريقية ودول اوروبية وباكستان يطالب اسرائيل بالرد ايجابيا على يارينج ويهدد باتخاذ الاجراءات المنصوص عليها في الميثاق لحمل اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة وعدم الاشارة مرة اخرى الى استمرار مد فترة وقف اطلاق النار . وكان هناك مشروع قرار آخر تتبناه كوستاريكا وبربادوس والاورجواي تؤيده امريكا واسرائيل .. ولا يحدد هذه المبادىء الواضحة التي تضمنها مشروع قرار دول عدم الانحياز .

وبعد جهود اسرائيلية امريكية مكثفة سقط المشروع الذي تتبناه ٣ دول من امريكا اللاتينية وتؤيدها امريكا واسرائيل بحصوله على ٦ اصوات وحصل مشروع القرار الذي تبنته دول عدم الانحياز وكذلك دول من اوروبا الغربية على ٧٩ صوتا .

ونص قرار الجمعية العامة الجديد الذي صدر في ١٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١ على المبادىء التالية ــ بعد المقدمة :

١ ــ تؤكد الجمعية العامة من جديد عدم شرعية احتلال الاراضي بالقوة وبالتالي استعادة جميع الاراضي التي تم احتلالها .

٢ ــ تؤكدان قيام سلام دائم وعادل في منطقة الشرق الاوسط يقتضي توفر المبادىء التالية :

أ ــ انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في الصراع الاخير .
ب ــ انهاء كل دعاوي الحرب بالاحترام والاعتراف بالسيادة ، والاستقلال السياسي لكل دولة من دول المنطقة وحقها ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، وبعيدة عن كل التهديدات او اعمال القوة .

٣ ــ تطالب السكرتير العام باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنشيط مهمة المبعوث الشخصي للسكرتير العام للامم المتحدة في الشرق الاوسط بهدف الوصول الى اتفاق ، والمساعدة بجهوده للوصول الى اتفاقية سلام كما ورد في مذكرة ممثل السكرتير العام الصادرة في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧١ .

٤ ــ تعبر عن تاييدها الكامل لكل الجهود التي يقوم بها ممثل السكرتير العام لتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

٥ ــ تسجل بالتقدير الرد الايجابي الذي تقدمت به مصر على مبادرة ممثل السكرتير العام بهدف تحقيق سلام دائم وعادل في المنطقة .

٦ ــ تطالب اسرائيل بالرد ايجابيا على مبادرة ممثل السكرتير العام الصادرة في ٨ فبراير عام ١٩٧١ .

٧ ــ تطالب الاطراف المعنية مرة اخرى والمشتركة في الصراع القائم في الشرق الاوسط بالتعاون الكامل مع ممثل السكرتير العام بهدف الوصول الى اجراءات عملية ترمي الى :

ا ــ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية .

ب ــ الوصول الى حل عادل لمشكلة اللاجئين .

جـ ــ ضمان السيادة على الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة من دول المنطقة .

٨ ــ تطالب السكرتير العام للامم المتحدة بتقديم تقريره الى مجلس الامن والجمعية العامة في الوقت المناسب ، عن التقدم الذي امكن احرازه في تنفيذ قرار مجلس الامن ، وهذا القرار بواسطة ممثله الشخصي .

٩ ــ تطالب مجلس الامن باتخاذ ما يراه ضروريا للاتفاق على اجراءات تنص عليها المواد الخاصة بذلك في ميثاق الامم المتحدة ، والتي تتعلق بتنفيذ قرارات المنظمة .

وعندما صدر القرار ، وكانت انظارنا جميعا في قاعة الجمعية العامة معلقة بالاشارة الضوئية التي تنطلق من لوحة كهربائية عليها اسماء الدول ، قال رياض « اعتقد ان هذا هو القرار الاخير الذي يمكن ان نحصل عليه من الامم المتحدة في هذا الصدد » .

وكان مجموع الاصوات ٧٩ ، وكان مؤيدو اسرائيل ستة اعضاء .

... وكانت هناك برقية من الرئيس السادات تهنىء محمود رياض لمهمته ، وانتهت بهذا القرار مبادرة روجرز كما ان محاولات فرض وقف اطلاق النار قد انهارت ، ولم يبق امام مصر الا ان تتخذ قرارها بتحرير اراضيها .

٦ ـ قضية سو آن هاريس

في منتصف شهر اغسطس (آب) ١٩٧١ ، كانت الحسناء الامريكية الرشيقة ، سوآن هاريس ، تنزل من سيارتها التي تحمل ارقاما دبلوماسية للسفارة الاسبانية التي ترعى مصالح امريكا في القاهرة . وتقدم اثنان بملابس مدنية يطلبان منها مرافقتهما بناء على تعليمات من المخابرات العامة .

وادركت سوآن هاريس ، بالرغم من انها كانت تعمل كسكرتيرة ادارية في السفارة الامريكية ، ان المخابرات قررت القبض عليها داخل الجراج الذي عادت اليه في المساء ، لتصعد الى شقتها التي تتمتع بحصانة دبلوماسية في افخم عمارات الدقي .

لم تحاول « سو » ان ترفض مرافقة مندوبي المخابرات الى ادارتهم ، بعد ان تأكدت لديها في لحظات ان قصة قيامها باعمال التجسس قد انكشفت تماما .

كانت « سو » الحسناء المدربة على اعمال التجسس ، تعمل كموظفة ادارية في السفارة ، ولكنها كانت حديث المجتمع الدبلوماسي في القاهرة . فهي جميلة ورشيقة وراقصة ممتازة ، ومحدثة بارعة ، استطاعت خلال عملها في السفارة ان تتعرف برجل مصري من اصل يوناني كان يمتلك مزارع للعنب في جاناكليس والتي اصبحت بعد ذلك منطقة حربية هامة ومركزا للصواريخ الدفاعية عن منطقة غرب الدلتا ، واستطاعت برشاقتها وجمالها ان تزور مزارع العنب وتلتقي بعدد من الخبراء السوفيت ، وبمجموعة من المصريين الذين ادهشهم جمالها ، وسحرها ، وتحررها . وظلت المخابرات تتبع هذه القصة الى ان صدرت التعليمات بالقبض عليها ، ومواجهتها بكل اعمال التجسس التي قامت بها ، وكان الهدف الذي ترمي اليه الجاسوسة حصر انواع الصواريخ ومواقعها ، ومستودعات الاسلحة ، وتحديد عدد الخبراء وغيرها من المعلومات التي قد تفيد امريكا ، ولكنها تفيد اسرائيل في المقام الاول .

في صباح اليوم التالي ، بعد القبض عليها اتصل « اللواء » احمد اسماعيل مدير المخابرات (المرحوم المشير احمد اسماعيل وزير الحربية) بالسيد محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وابلغه ان المخابرات العامة بناء على معلومات وتقارير اكيدة توالي التحقيق الان مع امريكية تعمل في السفارة ، وانه يتوقع ان يكون رئيس البعثة الامريكية على اتصال بالخارجية المصرية لهذا السبب .

وحدث ما توقعه احمد اسماعيل ، اذ اتصل محمود رياض بمدير مكتبه السفير محمد رياض الذي كان مكلفا بان يكون على اتصال بالبعثة الامريكية طوال فترة قطع العلاقات ، وابلغه بموضوع سوآن هاريس . وبعد دقائق كان بيرجس يتصل تليفونيا بمحمود رياض ويطلب الاجتماع به لأمر بالغ الخطورة والاهمية ، وابتسم محمد رياض وطلب اليه

الحضور فورا الى مكتبه في وزارة الخارجية . ودخل بيرجس بقامته الضخمة الى مكتب محمد رياض مكفهر الوجه وابلغه ان احدى فتيات السفارة لم تأت الى عملها في البعثة الدبلوماسية ، ولم تقض الليل في منزلها ، وانه يعتقد انها تعرضت لمشكلة مع البوليس او أي جهة اخرى .

سجل محمد رياض كل ما قاله بيرجس في محضر رسمي ، وابلغه انه الى ان يتلقى معلومات رسمية من جانب الحكومة المصرية ، فانه ليس في وضع يسمح له بتوضيح ما حدث ، وانه سيبلغه بهذه المعلومات عندما تأذن السلطات المسؤولة بذلك .

دق جرس التليفون مرة اخرى في منزل محمد رياض في السابعة مساء نفس اليوم ، وكان في ذلك الوقت ينتظر وصول مدعويه الى عشاء وبينهم محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وقرينته ، وسفراء مصر ووكلاء وزارة الخارجية الدكاترة محمد حسن الزيات ومراد غالب واشرف غربال ، واسماعيل فهمي وزوجاتهم . وابلغه محمود رياض هاتفيا انه ليس لديه مانع من ابلاغ بيرجس بان المخابرات قد قبضت على السكرتيرة وانها تجري تحقيقا معها الآن .

ابلغ محمد رياض دونالد بيرجس واقعة القبض على سوآن هاريس واوضح له ان الموضوع اكبر واخطر من مجرد اجراءات عادية ، وانه لسلامة التصرف يطلب منه ان يلتزم الهدوء لأن القضية لا تحتاج الى هذا الانفعال نظرا للملابسات والدلائل التي لدى المخابرات .

وعلى الطرف الاخر من التليفون كان دونالد بيرجس يرغي ويزيد ويؤكد انه اذا لم يتم الافراج عن السكرتيرة قبل منتصف الليل فسيعقد مؤتمرا صحفيا ليعلن فيه انه لا امان للاجانب خصوصا الامريكان في مصر فرد عليه محمد رياض طالبا اليه الهدوء والتزام العقل لأن القضية الآن هي قضية تجسس ضد امن الدولة وسيبلغه اولا باول بكل التفاصيل .

دق جرس التليفون مرة اخرى في منزل محمد رياض وكان المتحدث هذه المرة اللواء احمد اسماعيل الذي ابلغ وزير الخارجية محمود رياض ان موظفا مسؤولا من السفارة الامريكية وهو السكرتير الثاني يوجين ترون المدرج على القائمة الدبلوماسية باعتباره مسؤول عن الشؤون القنصلية موجود فعلا في مبنى المخابرات وان الادارة تبلغه فعلا بالتهم المنسوبة الى السكرتيرة وان الامر ليس مجرد اجراء روتيني لان التهم تقتضي اتخاذ هذه الاجراءات .

حاول بيرجس ان يستمر في تهديداته التليفونية مع محمد رياض الذي ابلغه في نفس المكالمة التي تمت بعد مكالمة احمد اسماعيل ، انه من الممكن اذاعة ان موظفة في السفارة الامريكية تعمل في التجسس لصالح امريكا وفي المقام الاول اسرائيل ، وأن مصر ليس لديها مانع في ان يعلن بيرجس ذلك . وهدأت ثائرة بيرجس وشعر أن الأمر اصبح اخطر بمراحل مما يتصور خصوصا وانه بوصفه رئيسا للبعثة لم يكن يعلم بقيامها بهذه الاعمال وشعر ان مستقبله الشخصي اصبح في حرج بعد ان تم القبض على السكرتيرة بعد جمع كل المعلومات الرسمية التي تؤكد مدى خطورة الاعمال التي قامت بها ، بما في ذلك طلبها ان

تقوم برحلة جوية للنزهة فوق المنطقة التي تقع فيها الصواريخ ، بوساطة هيلوكوبتر يحلق فوقها .

وبدأ بيرجس يتكلم عن الاجراءات الادارية التي يجب اتباعها وافهمه محمد رياض انه يستطيع في الصباح الباكر ان يرسل لها ملابسها التي قد تحتاج اليها . وكذلك اي اغنية وسجائر . وهدأت ثائرة بيرجس ، وظلت سوآن هاريس ١٢ يوما الى ان انتهى التحقيق ووضعتها السلطات المصرية على طائرة تابعة لشركة خطوط الطيران العالمية عائدة الى الولايات المتحدة وتم اغلاق ملف سوآن هاريس ، بما فيه من تهديدات بيرجس بعد ان تأكدت جميع المعلومات التي جمعتها السلطات المصرية وظلت القصة مطوية حتى الآن .

٧ ـ من قمة موسكو الى ازمة الخبراء

صدرت قرارات الامم المتحدة في ١٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١ والرئيس انور السادات يدرس تطورات الموقف الدولي والعربي ، والسوفيتي والامريكي بصفة خاصة .

بدأت المعارك الحربية بين الهند وباكستان في ٨ ديسمبر وطلب الاتحاد السوفيتي الحصول على اذن بمرور الطائرات الى الهند عبر الاجواء المصرية .

وكان امام الرئيس السادات ان يتخذ القرار الصعب . فالاتحاد السوفيتي يرتبط مع مصر بمعاهدة صداقة ويتعاون معها عسكريا . ومصر ترتبط باقوى العلاقات مع الهند وبصداقات على مستوى القمة بين الرئيس السادات والسيدة انديرا غاندي . والدولتان من كتلة عدم الانحياز ، والهند تؤيد الحق العربي ، وباكستان تقف مع مصر ومع العرب ومن قضية القدس موقفا لم يتغير منذ قيام دولة باكستان ، التي لم تعترف باسرائيل.

والرئيس السادات يرى السلاح الذي يريده يمر في الاجواء المصرية الى الهند بعد ان وافق على اتخاذ قراره بالسماح للاسلحة والطائرات بعبور هذه الاجواء في طريقها الى شبه القارة الهندية وكان يقول بكل أسى « كأن الماء يمر على العطشان . كنت انتظر وصول الاسلحة السوفيتية التي توقعت الحصول عليها قبل نهاية العام ولكن بعد قيام الحرب في شبه القارة الهندية اقتنعت تماما بان عام الحسم قد انتهى ولذلك استدعيت السفير السوفيتي في القاهرة يوم ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١ وقلت له ارجوك ابلاغ القادة السوفيت ان عام الحسم قد انتهى ولا بد ان ازورهم قبل بداية عام ١٩٧٢ لكي نعرف كيف سنستطيع ان نواجه الموقف . وقد سبق ان ابلغتهم في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ بانني سوف احتاج الى السلاح ولا بد من الحصول عليه . وانا مدرك ان ازمة الحرب في شبه القارة الهندية قد فرضت اوضاعا معينة على القيادة السوفيتية ولذلك لا بد من ان نلتقي قبل بداية العام الجديد ، ونحن الآن في ١٠ ديسمبر ١٩٧١ ولا بد من ان احدد موقفي واعرف موعد وصول الاسلحة التي اريدها لأن بعد وصولها لا بد وان نبدأ مرحلة التدريب عليها وتكوين الاطقم اللازمة لها ونحن الآن في شهر ديسمبر وليس امامنا الكثير من الوقت » .

وفي واشنطن اختار الرئيس نيكسون ليلة رأس السنة ليعلن في ٣١ ديسمبر ١٩٧١ ان الولايات المتحدة قد قررت تنفيذ الاتفاق الذي عقدته مع جولدا مائير بتزويدها بشحنات اضافية من طائرات الفانتوم ، على ان يبدأ تسليم الصفقة الجديدة قبل شهر ابريل (نيسان) ، اي قبل بداية رحلة نيكسون الى موسكو في اول زيارة يقوم بها رئيس امريكي لعاصمة الاتحاد السوفيتي بدعوى ان الولايات المتحدة ـ بهذا القرار ـ تساعد اسرائيل على قبول مبدأ استئناف اتصالاتها مع السفير جونار يارينج وكانت الصفقة تشتمل على

تزويدها باربعين طائرة من طراز « فانتوم٣ » و٨٠ سكايهوك المعدلة بالاضافة الى ٨٦ فانتوم و١٢٥ سكاي هوك قامت امريكا بتسليمها فعلا لاسرائيل في يوليو (تموز) ١٩٧١ .

بعد مشاورات اجراها اسحق رابين في تل ابيب وكان في ذلك الوقت سفيرا لها في الولايات المتحدة ، طار رابين الى واشنطن يوم ٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ ليبدأ مشاوراته مع الحكومة الامريكية لتحديد مواعيد تسليم الصفقة الجديدة والتعجيل بالتسليم لكي تكون اسرائيل في وضع يسمح لها بالاتصال بالسفير يارينج .

سعت اسرائيل للحصول على الصفقة المطلوبة من مخازن سلاح الطيران الامريكي ، بدلا من الانتظار حتى شهر ابريل وهو الموعد المقترح لبدء التسليم . ونجح اسحاق رابين في حمل الولايات المتحدة على تسليمها الشحنات الاولى في شهر مارس (آذار) وليس في ابريل (نيسان) بمعدل ٨ طائرات كل شهر (٣من طراز فانتوم ، ٥ من طراز سكاي هوك) . واسرع موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي بالسفر الى واشنطن في يوم ٦ فبراير (شباط) يجتمع بوزير الدفاع الامريكي في ذلك الوقت ميلفن ليرد ، وبوزير الخارجية ويليام روجرز ، وجوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط . وكان هدف الولايات المتحدة بالاعلان عن هذه الصفقة واتمامها ، منع تجدد القتال من جانب مصر على الاقل ، بعد رفض الرئيس السادات فترة وقف اطلاق النار ، وابعاد الاتحاد السوفيتي عن المنطقة بأي ثمن[١] .

كان الرئيس انور السادات يتتبع موقف الرئيس نيكسون الذي اعلن عن صفقة السلاح الجديدة لاسرائيل ، وينتظر رد الاتحاد السوفيتي على طلبه باتمام زيارة عاجلة لموسكو ، وتلقى الرئيس الدعوة للقيام بهذه الزيارة في اول و٢ فبراير (شباط) ١٩٧٢ .

طار الرئيس السادات الى موسكو يوم اول فبراير وفاتح القادة السوفيت بصراحته المعهودة في موقفهم الذي ادى الى اضطراره لتأجيل المعركة ورفضهم تزويده بالسلاح ، وسأل الرئيس السادات الرفيق بريجنيف سؤالا صريحا قائلا له « من المسؤول عن تأخير اتمام العقود التي اتفقنا عليها في اكتوبر عام ١٩٧١ » .

رد بريجنيف قائلا « أنا السبب في تأخير هذه الصفقة » .

واندهش الرئيس السادات من هذا الرد وقال « ولكن لماذا تقف ضد تزويدنا بها ؟» .

وضحك بريجنيف وقال « .. الحقيقة ان المسؤول عن التعطيل هو الروتين » .

بالرغم من غضب ودهشة الرئيس السادات من هذه التصرفات فانه استمر في حواره مع القادة السوفيت . وقال « لنبدأ من جديد ... انا اعرف انكم كنتم مشغولين بالحرب في شبه القارة الهندية واريد بعد ان انتهت هذه المشكلة ان ننتقل الى مناقشة مشكلتنا » .

وحصل الرئيس السادات على وعود جديدة باتمام الصفقات السابقة وغادر موسكو يوم ٣ فبراير (شباط) واجتمع بالرئيس جوزيب بروز في بريوني وزار دمشق وعمان وعاد

---

(١) ـ بصراحة : محمد حسنين هيكل ـ الاهرام ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢.

الى القاهرة بعد اسبوع وهو في قمة الغضب من الموقف السوفيتي . ولكنه وقف امام المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي يوم ١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٢ واعلن انه قام بزيارة سرية للاتحاد السوفيتي وقال :

« ان محادثاتي مع القادة السوفيت قد حققت نجاحا كبيرا ساعد على الفهم المشترك للمواقف والتحليل المشترك لمعنى التطورات التي حدثت . وعدت من موسكو الى دمشق ثم الى بنغازي لمحادثات مع الرئيس حافظ الاسد ومعمر القذافي وكان ذلك ضروريا ، فسوريا هي قلب الحركة العربية . كما انها ارض الجبهة الشمالية وليبيا هي العمق الكبير وراء الجبهة المصرية . وقد وقفت في بريوني لحديث هام مع الرئيس تيتو » .

وفي تحليل الرئيس السادات للاسباب التي دعت الرئيس نيكسون لاعلان قرار تنفيذ صفقة الطائرات لاسرائيل ، قال للمؤتمر القومي « .. لقد حدث ما توقعناه بالفعل متمثلا في اعلان الرئيس نيكسون عن صفقة فانتوم وسكاي هوك جديدة لاسرائيل . وهذه الصفقة قد اضافت الى السلاح الجوي للعدو ــ وهو اداته الرئيسية في الصراع القادم ــ ما يساوي ثلث قوات هذا السلاح ، وبصرف النظر عن القوة المضافة الى العدو فلقد كان هناك ما هو اخطر من ذلك وهو الاحساس الامريكي بالهزيمة في شبه القارة الهندية ومن ثم الاستعداد للتهور والحماقة كانت قوة النيران الجديدة لدى العدو تحتاج الى اضافات اخرى اوضاع استعدادنا نحن.. وكان المزاج الامريكي السائد بعد هزيمة شبه القارة الهندية [1] مزاجا يستدعي اضافة من الحذر. وارجو ان يكون واضحا ان الحذر شيء والتردد شيء آخر.

«كان متوقعا اذن بالاضافة الى اوضاع استعدادنا وليس قبول منطق الارهاب وكان موقفنا هو الحذر وليس التردد، لقد كنا نعلم اننا سوف نضطر لقبول هذه المواجهة وسوف يكلفنا ذلك الكثير وقد تحملناه وسوف نتحمله. ولقد بدأت الولايات المتحدة في تعزيز اسطولها السادس في البحر الابيض بعد هزيمتها في شبه القارة الهندية وحصل هذا الاسطول على قواعد جديدة في ميناء بيريه باليونان .. انهم يريدون ان يزيحوا مكاريوس من طريقهم لكي يحصلوا على قاعدة في قبرص بالاضافة الى اليونان لكي يتأكد وجودهم في شرق البحر الابيض المتوسط.

استمر الرئيس السادات في اتصالاته مع الاتحاد السوفيتي مطالبا بسرعة تزويده بطائرات الميج ٢٣ ، بهدف مواجهة الموقف المتدهور الذي يترتب على زيادة تسليح امريكا لاسرائيل . وبعث الاتحاد السوفيتي بالمرشال جريتشكو وزير الدفاع الى القاهرة يوم ١٨ فبراير (شباط) ١٩٧٢ ولمدة ثلاثة ايام لمناقشة هذه المطالب وطار عائدا الى موسكو بهدف ابلاغ القيادة السوفيتية بنتائج محادثاته

كان الرئيس السادات يضع في اعتباره اقتراب موعد لقاء القمة السوفيتي الامريكي في مايو (ايار) من ذلك العام وما سيسفر عنه من نتائج قد تؤثر على مدى استعداد الاتحاد السوفيتي لتوفير ما تحتاج اليه مصر بعد تزايد المعونة الامريكية لاسرائيل . وقرر الرئيس السادات ان يشرك الدول العربية في هذه المرحلة الهامة التي تتعرض لها القضية ، ولذلك طار الى جدة يوم ٨ مارس (آذار) للاجتماع بالملك فيصل ثم طار الى الخرطوم ثم الى ليبيا

---

(١) ــ انفصال بنجلاديش عن باكستان التي كانت تدعمها الولايات المتحده امام القوات الهندية والثورة المسلحة التي قادها شعب بنجلاديش.

واجتمع بالرئيس معمر القذافي في ٢٢ مارس .

في ابريل (نيسان) ١٩٧٢ تلقى الرئيس السادات دعوة من قادة الاتحاد السوفيتي بالسفر الى موسكو لمدة يومين فقط . واكد الزعماء السوفيت انهم يريدون ان يلتقوا به قبل لقاء القمة مع نيكسون ليعرفوا منه آخر التطورات لمناقشة الرئيس الامريكي في هذه المشكلة . وكان هدف الاتحاد السوفيتي اشعار نيكسون باهمية الوجود السوفيتي في الشرق الاوسط وكورقة رابحة للقيادة السوفيتية على مائدة المفاوضات .

قرر الرئيس السادات ان يطير الى موسكو يوم ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٢ للمرة الرابعة منذ ان تولى رئاسة الجمهورية .

وقال للقادة السوفيت عندما التقى بهم : « ان قضية الشرق الاوسط لن تتحرك بدون تحريكها عسكريا ، وفي اوائل هذا العام (١٩٧٢) بدأ الهجوم على فيتنام . وبالرغم من تأييد الاتحاد السوفيتي لفيتنام وعنف المواجهة التي قوبلت بها امريكا هناك فانها تحت ضغط الحرب الدائرة اضطرت الى ان تعود لاستئناف المحادثات في مؤتمر باريس الخاص بمشكلة فيتنام . وبالرغم من كل هذا فان الرئيس نيكسون سوف يقوم بزيارة للاتحاد السوفيتي وهذا ما يؤكد انه بدون تحرك عسكري لن يكون هناك اي تحرك سياسي » ، ووافق الاتحاد السوفيتي على هذا التحليل .

وقال الرئيس السادات للقادة السوفيت ايضا « ... ان ما تتفقون عليه مع امريكا بالنسبة للشرق الاوسط سوف توافق عليه مصر ، ونفس السياسة التي سرنا عليها منذ بدء تطوير علاقاتنا بكم سوف نسير عليها باستمرار .. نحن الآن في شهر ابريل وسيبقى امامنا حتى معركة انتخابات الرئاسة الامريكية ، اشهر ، ولذلك فانني اعتقد ان الفرصة امامي للقيام بعمل عسكري لا بد وان تتحقق الآن ، وهذه مطالبي اركزها في ٧ بنود » .

وقدم الرئيس السادات كشفا يتضمن ٧ بنود رئيسية تحدد المطالب التي يريدها من الاتحاد السوفيتي وقال للقادة السوفيت قبل ان يغادر موسكو « انني اريد هذه المطالب في خلال ٥ شهور بحيث يبدأ الشحن الآن وارجوكم ان تريحوا مصر مرة واحدة في حياتي ، وبعد وفاة عبد الناصر » .

بعد تحليل دقيق للموقف ، اتفق الرئيس السادات مع القادة السوفيت على ضرورة ابلاغه بنتائج محادثات موسكو ووافق بريجنيف وبودجورني وكوسيجين على كل النتائج التي انتهت اليها هذه الاجتماعات واتفقوا على انهم سيعجلون بارسال المطالب السبعة . وطلب الرئيس السادات ان يسجلوا معه في محاضر الاجتماعات بان مصر والاتحاد السوفيتي لا يتوقعان تغييرا في الموقف الامريكي وان عليهما مواصلة التشاور .

وتنفيذا لمحادثات موسكو اوفد الاتحاد السوفيتي المريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتي الى القاهرة يوم ١٥ مايو (ايار) ١٩٧٢ اي قبل مؤتمر قمة موسكو باسبوع واحد وسلمه الرئيس السادات مرة اخرى كشفا تفصيليا بمطالب مصر العسكرية التي حددها بسبعة بنود ، واكد في رسالة بعث بها الى القادة السوفيت ان مصر وهي تطلب منهم ان يبحثوا مع الرئيس نيكسون ازمة الشرق الاوسط، فانه يحدد ٣ مواقف لمصر من هذه المحادثات وهي :

١ ـ رفض مصر للحد من الاسلحة خلال هذه الفترة لأن ذلك يخدم اسرائيل اذ لديها الاكوام من الاسلحة وهي مستمرة في احتلال اراضينا .

٢ ـ رفض مصر لاي اتفاق بين الدولتين العظميين يؤدي الى استمرار حالة اللاسلم واللاحرب لأن هذا معناه ان اسرائيل تكسب على المدى البعيد .

٣ ـ رفض مصر لأي تفريط في اية اراض عربية .

وقبل ان يطير جريتشكو الى موسكو قال له الرئيس السادات « انني اريد استجابة لجميع مطالبي وانا على استعداد لادفع ثمنها بالعملة الصعبة وسوف لا اسمح بوجود وحدات سوفيتية في مصر لا تخضع للقيادة العسكرية المصرية ، خصوصا عند بدء المعـركة » .

تم لقاء القمة في موسكو بين الرئيس نيكسون والقادة السوفيت . وبـدأت الاجتماعات يوم ١٩ مايو (ايار) ١٩٧٢ وانتهت يوم ٢٢ مايو . وتلقى الرئيس السادات يوم ٦ يونيو (حزيران) رسالة من القادة السوفيت حملها السفير السوفيتي فلاديمير فينوجرادوف . ودعا الرئيس مستشاره للامن القومي السفير حافظ اسماعيل لحضور هذا اللقاء الذي استمر اربع ساعات ونصفا . ولم تتضمن هذه الرسالة الا تأكيدا بان الاتحاد السوفيتي يوافق في تحليله للموقف على تحليل الرئيس السادات وان القادة السوفيت سيذهبون للراحة في القرم وانهم سيرسلون نتائج تحليلهم للموقف بعد ذلك .

واضطر الرئيس السادات الى ان يبلغ السفير السوفيتي مرة اخرى انه لم يتلق اي معلومات تفيد رأيهم في مناقشات قمة موسكو . وانه ينتظر ايضا الرد على مطالبه العسكرية . وسلمه صورة اخرى من البنود العسكرية التي سلمها للقادة في موسكو ولجريتشكو في القاهرة .

وسأل الرئيس السفير السوفيتي : « ولماذا لم اتلق ردا على اقتراحي بضرورة اشراف القيادة المصرية على الوحدات الموجودة في مصر ؟» .

ووعد السفير السوفيتي بان يبعث بهذه المعلومات فورا الى موسكو ولكنه لا يتوقع ردا في اقرب وقت لأن القيادة السوفيتية تقضي اجازتها السنوية في القرم بعد عناء مؤتمر القمة في موسكو .

قبل ان يتلقى الرئيس السادات توضيحات من الجانب السوفيتي كان الرئيس يقوم بتحليل وثيقتين هامتين صدرتا عن مؤتمر موسكو . الوثيقة الاولى : هي البيان المشترك الذي نص على الموضوعات السياسية والاقتصادية التي بحثها نيكسون وبريجنيف والوثيقة الثانية : هي اعلان المبادىء التي تتضمن ١٢ بندا ترسم اطار اتجاه العلاقات بين امريكا والاتحاد السوفيتي .

جاء البيان المشترك الامريكي السوفياتي متضمنا مقدمة طويلة وتناول في بنده الاول العلاقات الثنائية بين البلدين وفي مقدمتها تحديد الاسلحة الاستراتيجية ثم العلاقات التجارية والاقتصادية والتعاون في مجال الصحة والعلوم والتكنولوجيا والتعليم والثقافة والتعاون في القضـاء .

وتناول البند الثاني القضايا الدولية ، والتي يتدرج تحتها طبقا لترتيب الاولويات :

اوروبا ، الهند الصينية . الشرق الاوسط .

اما الفقرة التي تناولت الشرق الاوسط فقد نصت على التالي :

« بسط الجانبان موقفهما من هذه القضية وهما يؤكدان تأييدهما لتسوية سلمية في الشرق الاوسط طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ويؤكد الجانبان وهما يلحظان اهمية التعاون البناء للأطراف المعنية مع السفير يارينج ، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة رغبتهما في الاسهام في نجاح مهمته .

ويعلنان كذلك استعدادهما لأن يلعبا دورهما في تحقيق تسوية سلمية في الشرق الاوسط .

ان تحقيق مثل هذه التسوية في نظر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من شأنه فتح آفاق لاعادة الموقف في الشرق الاوسط لحالته الطبيعية والسماح بوجه خاص ببحث خطوات اخرى لتحقيق استرخاء عسكري في المنطقة .

وبعد الشرق الاوسط وردت فقرة عن نزع السلاح واخرى عن دعم الأمم المتحدة ... وكان ذلك آخر ما ورد في البيان المشترك .

جاءت عبارة « **الاسترخاء العسكري** » في المنطقة تأكيدا لكل توقعات الرئيس السادات من رغبة الدولتين العظميين في استمرار حالة اللاسلم واللاحرب من منطقة الشرق الاوسط والاكتفاء بالدعوة الى التعاون مع السفير يارينج في الوقت الذي تسلمت فيه اسرائيل من الولايات المتحدة كل المساعدات التي طلبتها .

يوم الخميس ٦ يوليو (تموز) ١٩٧٢ تلقى الرئيس السادات رسالة عاجلة من الملك فيصل تبلغه ان الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي وصل الى القاهرة يحمل رسالة شفوية من الرئيس نيكسون عن نتائج مؤتمر قمة موسكو تتلخص في النقاط التالية :

١ ــ ان الولايات المتحدة بعد لقاء القمة في موسكو لا زالت تعتقد ان مفتاح حل ازمة الشرق الاوسط في يد امريكا وفي يدها وحدها .

٢ ــ في ظل الظروف الراهنة فان الولايات المتحدة تعتقد ان الوضع الحاضر لا يسمح بأكثر من الاستمرار في ممارسة الجهد من اجل تحقيق انسحاب جزئي على اساس الصيغ والمقترحات التي تقدم بها ويليام روجرز وجوزيف سيسكو .

٣ ــ ان أمام مصر الآن ان تعود الى قبول مبدأ اعادة فتح القناة وانسحاب اسرائيل الجزئي من سيناء . وهذا العرض يصلح لمواجهة الموقف في الوضع الراهن املا في خلق ظروف اكثر مناسبة لمناقشة القضية بكامل تفاصيلها . وان انشغال الرئيس الامريكي بانتخابات الرئاسة سوف لا يعرقل مساعيه من اجل تنفيذ تعهداته السابقة .

٤ ــ ازاء هذا الموقف فان حكومة الرئيس نيكسون تقترح وقف الحملات ضد السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، وترى أن الاوضاع تقتضي ممارسة ضبط النفس على

ضوء ما اسفر عنه لقاء القمة في موسكو .

طلب السفير السوفيتي فلاديمير فينوجرادوف يوم السبت ٨ يوليو (تموز) ١٩٧٢ الاجتماع بالرئيس انور السادات لابلاغه الرسالة الهامة التي كان الرئيس ينتظرها من القيادة السوفيتية وحدد له الرئيس الموعد في نفس اليوم .

جاء رد القيادة السوفيتية في رسالة تقع في صفحتين ونصف . وتبدأ الرسالة بهذه الجملة « تلقينا خطابكم الذي بعثتم به بعد زيارتكم لموسكو » وتستمر الرسالة في سرد نتائج مؤتمر القمة وتؤكد في صفحتين وربع ان الاتحاد السوفيتي نجح في اقناع الرئيس نيكسون بضرورة قبول قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وان القادة السوفيت استطاعوا تغيير الموقف الامريكي . وفي السطور الخمسة الاخيرة جاء هذا النص « ... اما بخصوص المعركة فلقد سبق للاتحاد السوفيتي ان دخل عدة حروب » . وتشير هذه السطور الى خطورة الحروب وضرورة الاستعداد لها وخلق الظروف المناسبة دوليا وداخليا للدخول فيها .

وكما قال لي الرئيس انور السادات بعد ذلك : « كنت اريد ان اكتب ردا على هذه الرسالة ولكنني اتخذت قراري الخطير الذي ظهرت نتائجه بعد ذلك . وكان من شقين . الاول هو ان أي اتصال بين مصر وامريكا يجب ان يتم بينهما مباشرة ... وان اتصال الاتحاد السوفيتي بامريكا للحديث باسم مصر قد انتهى الى الابد ، وان من يريد الاتصال بمصر فعليه الاتصال بها في القاهرة وعبر القاهرة ومن القاهرة .

اما الثاني فكان انهاء خدمة الخبراء السوفيت بعد طول انتظاري للاسلحة السوفيتية .

التفت الرئيس انور السادات للسفير السوفيتي فلاديمير فينوجرادفوف الذي كان مترجمه يتولى ترجمة كل ما يقوله الرئيس بدقة بالغة وقال : « هل انتهت الرسالة » .

واجاب فينوجرادوف : « نعـــم » .

وهنا قال الرئيس السادات : « ارجو ان تبلغ القيادة السوفيتية ان مصر قررت انهاء وجود الخبراء السوفيت وانني ساوفد رئيس وزرائي الى موسكو ، يوم ١٤ يوليو (تموز) ١٩٧٢ لبحث كيفية تنفيذ هذا القرار » .

وخرج السفير السوفيتي يجري الى السفارة السوفيتية لابلاغ هذا القرار لبريجنيف شخصيا بينما كان الدكتور عزيز صدقي يتلقى تعليمات الرئيس السادات بالسفر الى موسكو .

وفي يوم الاحد ٩ يوليو وصل الرئيس حافظ الاسد لاجراء محادثات مع الرئيس السادات بعد ان اجرى محادثاته مع القادة السوفيت واجتمع بالزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف في مدينة سوتشي على البحر الاسود وابلغ الرئيس المصري انه حصل على معونات عسكرية بلغت قيمتها ٧٠٠ مليون دولار . واستمرت محادثات الرئيسين حتى يوم ١٠ يوليو .

وقبل ان يطير الدكتور عزيز صدقي الى موسكو عقد اجتماعين يوم الاثنين ١٠ يوليو مع السفير فلاديمير فينوجرادوف لبحث ترتيبات زيارته لموسكو . وعقب الاجتماع الاول

الذي بدأ في الساعة العاشرة والربع من صباح يوم ١٤ يوليو واستمر ساعتين عاد السفير الى سفارته وبعث بتقرير عاجل تلقى ردا عليه من القادة السوفيت يطلبون حضور الدكتور عزيز صدقي . واسرع فينوجرادوف الى مقر رئاسة الوزراء عند الظهر وابلغه ترحيب القيادة السوفيتية به . وطار عزيز صدقي الى موسكو يوم الخميس ١٣ يوليو على رأس وفد كبير يضم محمد عبد الله مرزيان نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد وممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والدكتور مراد غالب وزير الخارجية تلبية لدعوة من السيد الكسي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي .

طار الدكتور عزيز صدقي الى موسكو يوم ١٤ يوليو (تموز) ليحصل على موافقة برجنيف على صيغة بيان مشترك يصدر عن الدولتين يعلن ان مصر والاتحاد السوفيتي قد اتفقتا على انهاء وجود الخبراء السوفيت في مصر مع اعداد صيغة مناسبة لا تعكس رد فعل اصدار بيان من جانب واحد .

ورد بريجنيف قائلا لعزيز صدقي « اذا اردتم ان تصدروا هذا القرار فهذا من حقكم ولذلك فمن الممكن ان تصدروا هذا البيان من جانبكم » .

عاد الدكتور عزيز صدقي من موسكو يوم ١٥ يوليو يحمل بيانا يؤكد ان الاتحاد السوفيتي شارك مصر والدول العربية الاخرى وجهة نظرها في انه في ظروف اصرار اسرائيل على رفض تسوية سياسية عادلة وقائمة على اساس قرار مجلس الامن فانه يحق للدول العربية ان تستخدم كل الوسائل التي في متناولها لتحرير اراضيها التي تحتلها اسرائيل .

بعد جلسة عمل يوم السبت ١٥ يوليو استمرت ٣ ساعات استمع خلالها الرئيس انور السادات الى تقرير عزيز صدقي قرر الرئيس التمسك بقراره بانهاء مهمة الخبراء السوفيت كما اعلن بعد ذلك امام اللجنة المركزية يوم الثلاثاء ١٨ يوليو مع تمسكه بمعاهدة الصداقة المصرية السوفيتية .

وفي يوم الاحد ١٦ يوليو استدعى الرئيس السادات الفريق اول محمد احمد صادق وزير الحربية في ذلك الوقت وابلغه بقراره وطلب اليه ابلاغ ذلك الى كبير الخبراء السوفيت على ان يجتمع الفريق صادق باعضاء القيادة المصرية لتنفيذ القرار يوم الاثنين ١٧ يوليو وطلب الى صادق ان يتولى ابلاغ السفير السوفيتي بذلك .

وبمجرد ان احيط كبير الخبراء السوفيت علما يوم الاحد ١٦ يوليو اسرع بابلاغ السفير قبل ان يتم ابلاغه رسميا بقرار انهاء خدمة الخبراء في الوقت الذي استدعى فيه الرئيس السادات حافظ اسماعيل (مستشاره لشؤون الامن القومي) ، والمهندس سيد مرعي (بوصفه الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي) والفريق محمد احمد صادق بوصفه وزيرا للحربية ، وممدوح سالم بوصفه مسؤول عن الدفاع المدني [1] .

في هذا الاجتماع قال الرئيس ان « قرارات انهاء خدمات السوفيت سوف تكون لا قيمة لها في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢ لأن الادارة الامريكية سوف تبدأ ممارسة

(١) ـ اصبح حافظ اسماعيل سفيرا لمصر في موسكو، وتولى المهندس سيد مرعي رئاسة مجلس الشعب واعفي الفريق محمد احمد صادق من منصبه واحتفظ ممدوح سالم بعمله كنائب رئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ثم تولى رئاسة الحكومة.

مسؤولياتها ولذلك يجب ان نكون مستعدين سياسيا وعسكريا . لقد اطمأنت الدول الكبرى الى حالة وقف اطلاق النار ولا بد ان نثبت وجودنا . والاتصال السياسي لا جدوى منه الا اذا اعتمد على استعداد عسكري جاد .. ماذا يطلب مني وانا ضعيف الا الاستسلام » .

وقال للفريق صادق « ان القوات المسلحة يجب ان تكون جاهزة في ١٥ نوفمبر لاننا اذا لم نكن جاهزين عسكريا لاثبات ارادتنا فسيبقى الشرق والغرب يتفرجوا علينا . الانتخابات الامريكية سوف تنتهي في ٦ نوفمبر ولا فائدة في اي اتصال سياسي بدون ان يتغير موقفنا العسكري وهذه هي نقطة حواري وخلافي مع الاتحاد السوفيتي في رحلاتي الاربع الى موسكو » .

وقف الرئيس انور السادات امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي يوم ١٨ يوليو (تموز) ١٩٧٢ يعلن :

« قررت مصر انهاء مهمة المستشارين والخبراء العسكريين السوفيت في مصر ابتداء من يوم ١٧ يوليو على ان يحل محلهم رجال القوات المصرية في كافة ما يقومون به من اعمال وقد تم تنفيذ هذه الخطوة فعلا[1] .

« تكون كافة المعدات والمنشآت التي اقيمت داخل الاراضي المصرية خلال فترة ما بعد عدوان يونيو عام ١٩٦٧ ملكا لجمهورية مصر العربية وتحت ادارة قواتها المسلحة . كذلك تم فعلا تنفيذ هذه الخطوة بالكامل أمس .

« الدعوة في اطار معاهدة التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفيتي الى اجتماع مع القادة السوفيت لاجراء مشاورات بالنسبة للمرحلة القادمة » .

أزمة اخرى حدثت في القاهرة ، كان سببها تحليل موقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة الشرق الاوسط .

والقصة بدأت في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية لمؤسسة « الاهرام » عندما دعا الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس مجلس الادارة ورئيس تحرير « الاهرام » في ذلك الوقت يوم ٥ مايو (أيار) ١٩٧٢ ، لعقد ندوة علمية لمناقشة الاحتمالات المتوقعة لمؤتمر قمة موسكو ، وكان الدكتور مراد غالب وزير الخارجية الجديد[2] الذي خلف السيد محمود رياض مدعوا لحضور الندوة ، وبسبب سفره الى تونس والمغرب فقد كلف وكيل وزارته السفير اسماعيل فهمي حضور الندوة التي حضرها السفير السابق محمد عوض القوني سفير مصر في موسكو ورئيس وفدها السابق في نيويورك والمستشار تحسين بشير والدكتور اسامة الباز واحمد بهاء الدين والدكتور عبد الملك عودة وحاتم صادق وجميل مطر . وتولى محمد حسنين هيكل ادارة الندوة .

(١) امتنعت سيارات الاوتوبيس التابعة للجيش المصري عن التوجه الى منازل الخبراء السوفييت لنقلهم الى وحدات الجيش اعتبارا من يوم ١٦ يوليو .

(٢) خرج السيد محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية من الحكومة عندما قام الدكتور عزيز صدقي بتشكيل حكومته الجديدة في ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ واختار الدكتور مراد غالب وزيرا للخارجية .

وكان الحوار في مجموعة محاولة لاستكشاف ما سيتضمنه جدول اعمال مؤتمر القمة واولويات الموضوعات الواردة فيه والارصدة السياسية لكل من المفاوض الامريكي والمفاوض السوفيتي في هذا المؤتمر ، وكان محور البحث في هذه الندوة هو « الشرق الاوسط » .

وفي هذه الندوة حدد اسماعيل فهمي ، وكيل وزارة الخارجية في ذلك الوقت ، اسبقية الموضوعات المطروحة في اجتماع القمة بالنسبة للاتحاد السوفيتي من ناحية المصالح القومية وقال ان الصين لها الاولوية لخطورتها على الامن القومي السوفيتي على المدى البعيد ، وفيتنام ، ثم مؤتمر الامن الاوروبي وبعد ذلك الشرق الاوسط .

وقال اسماعيل فهمي « قد يرى البعض ان نتحرك في الشرق الاوسط سياسياً عن طريق الأمم المتحدة وهذا غير سليم في الوقت الحاضر وافضل ما يمكن عمله الآن هو ان يكون واضحا للقادة السوفيت ان توضع فيتنام والشرق الاوسط في نفس المستوى ... ومعنى ذلك انه اذا كان هناك دور للاتحاد السوفيتي يمكن ان يلعبه في فيتنام ليساعد امريكا فلا بد ان تقوم امريكا بدور لمساعدة السوفيت في الشرق الاوسط .. ولذلك فلا بد من ان تتمكن من الربط التام بين فيتنام والشرق الاوسط في اجتماع موسكو ... ووسيلتي في الاقناع هي ان نؤكد ذلك للاتحاد السوفيتي ان حالة اللاسلم واللاحرب التي وصلت اليها ازمة الشرق الاوسط والطريق المسدود الذي وصلنا اليه هو نتيجة لتواجد الاتحاد السوفيتي وامريكا في الشرق الاوسط .. ولا بد ان نقنع الاتحاد السوفيتي بان يضع للشرق الاوسط الاولوية التي يعطيها لفيتنام على الاقل من جانبنا ومن جانبه والا نكون قد جانبنا التوفيق سياسيا ... ووسيلتي ان تكون لدي الشجاعة السياسية الكافية ان اقول للسوفيت هذا الكلام ... وفيتنام على « رأسي » ولكن الشرق الاوسط هو حياتي ومماتي واذا لم يتم الربط في اجتماع موسكو بين الشرق الاوسط وفيتنام فلا بد وان نعيد تقييم الخط الاساسي الذي نسير عليه .... وعدم تحرك الازمة سببه الدولتان العظميان ... ولن نتحرك الا بهما، فاذا لم يكن في التقدير السوفيتي اليوم ان مصر اولا والعالم العربي من بعدها ، سنصل الى مرحلة مواجهة ورفض لسياسة اللاحرب واللاسلم فانه يفعل بذلك اكبر خطأ في حساباته ... واعتقد انهم يعرفون هذا بعد تجربتهم الطويلة مع مصر ومع العالم العربي » .

نشرت « الاهرام » ندوتها وكان للنشر اصداء بعيدة في كل عواصم العالم خصوصا وان المتحدث كان وكيلا لوزارة الخارجية ومسؤولا بعد الدكتور مراد غالب وزير الخارجية عن سياسة مصر وعلاقاتها بالاتحاد السوفيتي .

عاد الدكتور مراد غالب وزير الخارجية ــ في ذلك الوقت ــ يوم ٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٢) الى القاهرة قادما من باريس وتوجه الى مكتب السفير اسماعيل فهمي وكيل الخارجية ، وتحدث معه عن ندوة « الاهرام » وبعد ساعة من وصول الدكتور مراد غالب الى مكتبه في وزارة الخارجية ، في نفس مبنى الوزارة بالجيزة حيث يقع مكتب الوزير والوكيل ، طلب السفير الدكتور محمود العمروسي وكيل الخارجية الى زميله السفير الوكيل اسماعيل فهمي ان يحصل على اجازة قصيرة للراحة !

رفض اسماعيل فهمي قبول قيامه بالاجازة ، اذ ان قانون السلكين الدبلوماسي والقنصلي لا يعطي لوزير الخارجية حق منح اجازة لسفير الا بقرار من لجنة شؤون

السلكين ونتيجة لتحقيق واجراءات معقدة ولذلك رفض اسماعيل فهمي ان يقبل باختياره القيام باجازة ، وقرر ان يستمر في ممارسة عمله الا اذا استطاع وزير الخارجية ان يستصدر قرارا يخالف ذلك .

وبعد ساعات صدر قرار وزاري « بتوزيع » مسؤوليات وكيل الخارجية اسماعيل فهمي مناصفة بين السفيرين حسن بلبل وكيل الوزارة ومحمد رياض مدير مكتب الوزير . وازاء هذا الاجراء قرر اسماعيل فهمي ان يبقى في منزله الى ان يتم اسناد مسؤوليات اليه .

وفي نفس الوقت اعد الدكتور مراد غالب وزير الخارجية مشروع قرار جمهوري بتعيين السفير الوكيل اسماعيل فهمي سفيرا في الخارجية ولكن الرئيس انور رفض توقيع هذا القرار وبقي اسماعيل فهمي في منزله حتى ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ عندما قرر الرئيس انور السادات اعادته الى عمله كوكيل الخارجية ثم رشحه سفيرا له في بون خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢ ، واختاره بعد ذلك وزيرا للسياحة في الحكومة التي شكلها الرئيس السادات في مارس (آذار)١٩٧٣ .

نعود إلى مسالة انهاء مهمة الخبراء . لقد تجمد الموقف بعد قرار الرئيس السادات بابعاد الخبراء السوفيت انتظارا لرد فعل الاتحاد السوفيتي الذي قرر قادته استدعاء السفير فلاديمير فينوجرادوف من القاهرة . وطار (السفير) الى سوتشي على ساحل البحر الاسود في القرم حيث اجتمع ببريجنيف وعاد يوم ٣١ يوليو (تموز) ١٩٧٢ يحمل رسالة الى الرئيس السادات قال عنها الرئيس « تجاهلت الرسالة تجاهلا تاما لانني لو ناقشتها لأدى ذلك الى اثارة مناقشات طويلة ولذلك قرأت الرسالة وبعد قراءتها طلبت استدعاء السفير المصري في موسكو السيد يحي عبد القادر » .

واعلن الدكتور محمد حسن الزيات وزير الاعلام يوم الاحد ٦ اغسطس (اب) ان الرئيس السادات قرر استدعاء السفير المصري من موسكو للتشاور لأن رسالة الزعيم السوفيتي وهي رسالة من دولة عظمى وصديقة تستحق اعمق دراسة واكبر اهتمام .

وامضى الرئيس السادات شهرا كاملا قبل ان يبعث برده على بريجنيف وقال ان القادة السوفيت يقضون عطلتهم في القرم وسوف احتفظ بحقي في الحصول على اجازتي في الاسكندرية على ساحل البحر الابيض . وكتب رده على الزعيم السوفيتي يوم ٣١ اغسطس (آب) ١٩٧٢ . وتضمن هذا الرد عشر نقاط ، تحدد موقف مصر وتؤكد رغبتها في التعاون مع الاتحاد السوفيتي على اساس المبادىء التي كررها الرئيس في رسائله السابقة وفي اللقاءات التي عقدها مع القادة السوفيت في القاهرة وموسكو وبعث بصورة من هذه الرسالة الى الرئيس السوري حافظ الاسد .

اتصل القادة السوفيت بعد تدهور العلاقات بهذه الصورة بالرئيس حافظ الاسد في دمشق وطلبوا قبوله دعوتهم لزيارة موسكو في زيارة سرية لم يعلم بها الرئيس السادات الا عندما تسلم رسالة من الرئيس السوري ابلغه بها السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس المصري لشؤون الامن القومي يوم ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ ، وابلغ الرئيس السوري السادات انه في موسكو وانه سيطير الى القاهرة يحمل رسالة هامة من القادة السوفيت .

ووصل الاسد الى القاهرة يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر وابلغه ان القيادة السوفيتية لا تناقش قراره بانهاء خدمة الخبراء ولكنهم يناقشون طريقة التنفيذ . واوضح له الرئيس السادات انه حاول ان يكون اعلان القرار بصورة اخرى ولكن اصرار السوفيت على رفض اصدار البيان بعد زيارة عزيز صدقي لموسكو اضطره الى الاعلان عن ذلك من جانب واحد .

وبحث الرئيسان الاسد والسادات خطوات العمل المقبلة وضرورة استئناف الحوار مع السوفيت وقرر الرئيس السادات على الفور ايفاد الدكتور عزيز صدقي الى موسكو للمرة الثانية يوم ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) وعاد صدقي الى القاهرة يوم ١٨ اكتوبر ومعه تأكيدات بان القادة السوفيت بريجنيف وبودجورني وكوسيجين سيزورون مصر في وقت قريب وان الجانب السوفيتي قد أكد الآتي :

١ ـ حق مصر الكامل في كفاحها لتحرير الاراضي المحتلة .
٢ ـ لا اتفاق بين السوفيت والامريكان على حساب الحق العربي .
٣ ـ الاتحاد السوفيتي يدرك تماما طبيعة الموقف في الشرق الاوسط .
٤ ـ الاتحاد السوفيتي سوف يتخذ خطوات عملية بدأ اتخاذها لدعم قدرة مصر العسكرية .

عقد الرئيس السادات يوم ٢٤ اكتوبر عام ١٩٧٢ اجتماعه التاريخي في مكتبه بالجيزة للمجلس الاعلى للقوات المسلحة . بدأ الاجتماع في التاسعة مساء وانتهى بعد منتصف الليل بنصف ساعة . وبعد مناقشات طويلة تضمنتها الوثائق التي اذيعت في كتاب « وثائق حرب اكتوبر » الذي كتبه الاستاذ موسى صبري قرر الرئيس اعفاء الفريق محمد احمد صادق من منصبه كوزير للحربية وتعيين الفريق اول احمد اسماعيل علي خلفا له ، وتعيين المهندس احمد كامل البدري وزيرا للانتاج الحربي وتعيين الفريق بحري فؤاد محمد زكري قائدا للقوات البحرية خلفا للواء بحري محمود عبد الرحمن فهمي . وكان الرئيس السادات قد اصدر قرارا جمهوريا في ٨ سبتمبر بتعيين الدكتور محمد حسن الزيات وزرا للخارجية خلفا للدكتور مراد غالب والدكتور احمد كمال ابو المجد وزيرا للدولة لشؤون الشباب .

وفي يوم الاربعاء ٨ نوفمبر تشرين الثاني) ١٩٧٢ اعيد انتخاب الرئيس نيكسون رئيسا للولايات المتحدة واعلن في اول تصريح له بعد اعادة انتخابه « ان الشرق الاوسط سوف تكون له الاولوية الكبرى بين المشاكل الدولية التي تواجهنا » .

الجزء الرابع

السادات
ووقف اطلاق النار

١ ـ الاعداد للحرب

بعد التغييرات الجوهرية التي حدثت في القيادة العسكرية المصرية طلب الرئيس انور السادات من الفريق اول احمد اسماعيل وزير الحربية الجديد ان يضع في تقديره ان يكون مستعدا للمعركة في اول يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ وطلب في نفس الوقت من اللواء محمد عبد الغني الجمسي رئيس العمليات في ذلك الوقت (الفريق اول محمد عبد الغني الجمسي وزير الحربية الآن) ان يضع تقديراته بالنسبة للموعد المقترح للهجوم ، على اساس حركة الكواكب والتقلبات الجوية والعلوم العسكرية الحديثة .

وكتب الجمسي في تقريره الذي سجله في كراسة صغيرة بخط يده انه يقترح ٣ تواريخ :

١ ــ النصف الثاني من شهر مايو (ايار) ١٩٧٣ .
٢ ــ شهر سبتمبر (ايلول) من نفس العام .
٣ ــ شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ .

واتفق الرئيسان على ان يطير الفريق احمد اسماعيل الى موسكو في شهر فبراير (شباط) ١٩٧٣ ليحصل على صفقة جديدة من السلاح لمواجهة المعركة التي تقررت وبدأ الاتحاد السوفيتي في تسليم الصفقة على دفعات .

وطار الرئيس السادات يوم الخميس ٢٣ اغسطس (آب) ١٩٧٣ الى السعودية وسوريا وقطر . وفي دمشق اجتمع بالرئيس حافظ الاسد بحضور وزيري الحربية الفريق احمد اسماعيل واللواء مصطفى طلاس وزير الحربية السوري واتفقا على تحديد ساعة الصفر يوم ٦ (اكتوبر) تشرين الاول ١٩٧٣ .

وعاد الرئيس الى القاهرة يوم ٢٧ اغسطس بعد زيارته للسعودية وقطر ليجد ان الرئيس معمر القذافي قد وصل اليها في منتصف ليل يوم ٢٦ اغسطس ، عقدا جلسة عمل كان البحث بينهما مركزا بصفة عامة حول استخدام الطاقات العربية في خدمة الصراع ضد العدو الاسرائيلي . ووقع الرئيس السادات مع الرئيس معمر القذافي يوم ٢٩ اغسطس بيانا سياسيا باعلان قيام دولة الوحدة .

وفي نفس الوقت وخلال شهر اغسطس كان الفريق احمد اسماعيل يضع خطة العمل العسكري ومواجهة المشاكل التي يتعرض لها بينما كان الرئيس السادات مستمرا في اللقاءات مع القادة العرب اذ اجتمع يوم ٢ سبتمبر (ايلول) في القاهرة بأمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح . وفي اليوم التالي استقبل السيد سالم ربيع علي رئيس مجلس الرئاسة في اليمن الديموقراطية الشعبية . وفي يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر غادر الرئيس السادات القاهرة الى الجزائر لحضور مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذي بدأ اعماله يوم

٣ سبتمبر على مستوى الوزراء للاعداد للقاء القمة .

وفي الجزائر لم يشترك الرئيس السادات في اجتماعات المؤتمر واكتفى بحضور جلستين بينما اتخذ من الفيلا التي خصصت له في نادي الصنوبر على ساحل البحر الابيض مقرا للاجتماع مع قادة دول عدم الانحياز وبالذات مع قادة الدول العربية ، لدرجة انه التقى في يوم واحد بثلاثة عشر حاكما ولم يشر الرئيس الى قرار الحرب الذي ظل سرا مكتوما بينه وبين الرئيس الاسد وان كان قد اشار اليه في احاديثه مع السيد ياسر عرفات .

وعاد الرئيس السادات الى القاهرة يوم السبت ٩ سبتمبر بعد ان رتب لقاء قمة لدول المواجهة اجتمع في قصر القبة يوم الاثنين ١٠ سبتمبر حضره الرئيس حافظ الاسد والملك حسين ، لبحث بعض المسائل المعلقة ، ومن بينها قرار الملك حسين بان تظل القوات الاردنية في حالة استعداد . وبعد ٣ ايام من الاجتماعات المستمرة اكتفى الرؤساء باصدار بيان قصير قالوا فيه « تم بحث المسائل المعلقة بين الدول الثلاث والقضايا والتقديرات المتعلقة بمعركة المصير » .

وفي يوم الاربعاء ١٢ سبتمبر بعد انتهاء الاجتماعات تقرر استئناف العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وعمان والتي كانت قد قطعت يوم ٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٢

ودعا الرئيس السادات مجلس الامن القومي للاجتماع يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ وحضر الاجتماع نائبا رئيس الجمهورية الدكتور محمود فوزي وحسين الشافعي ورئيس الوزراء الدكتور عزيز صدقي وعدد من الوزراء من بينهم وزير البترول . وناقشهم في احتمالات الحرب ولم يشر الى قرار المعركة . بينما كانت اجتماعاته مستمرة مع المجلس الاعلى للقوات المسلحة ، وعقد الاجتماع الاخير يوم اول اكتوبر ١٩٧٣ لمراجعة الخطة العسكرية بالكامل وتحديد مسؤوليات القادة ومناقشة كل التفصيلات .

بعد مناقشات طويلة قال الرئيس السادات في هذه الجلسة التاريخية للقادة العسكريين : « الآن وبعد ان ناقشنا كل شيء ارجوكم ان تتركوا هذه الخطط والتعليمات جانبا واحذروا من محاولات اسرائيل القيام بحركات عسكرية بهلوانية واستعراضية . اثبتوا وادخلوا المعركة وامامكم هدف واحد لا تحيدوا عنه ... اسرائيل ستحاول ان تشل تفكيركم بعمليات مريبة استعراضية . ليعرف كل قائد دوره ومسؤولياته ويتمسك بالخطة المكلف بتنفيذها وليحتفظ دائما ببرود الاعصاب والقدرة على التفكير الهادىء ... سيروا على بركة الله » .

ووقع الرئيس قرار المعركة وسلمه للفريق اول احمد اسماعيل علي . وتضمن نص امر القتال قول الرئيس : « .... واذا استطعنا بنجاح ان نتحدى نظرية الامن الاسرائيلي ، فان ذلك سوف يؤدي الى نتائج محققة في المدى القريب وفي المدى البعيد » .

وفي ليلة ٦ اكتوبر [1] اختار الرئيس السادات قصر الطاهرة مقرا لاقامته بعد ان تم

---

(١) ــ ابلغ الرئيس السادات يوم ٤ اكتوبر السفير السوفيتي في القاهرة السيد فلاديمير فينوجرادوف رسالة الى القادة السوفيت تؤكد ان مصر قد اتخذت قرارها ببدء المعركة وان موعدها يتبين خلال ساعات محدودة. ولم يذكر الرئيس بالدقة، وان كان قد ابلغ الرئيس حافظ الاسد في نفس اليوم (٤ اكتوبر) رسالة يطلب فيها ابلاغ السوفيت بان المعركة ستكون خلال يومين.

اعداد غرفة للعمليات العسكرية فيه . وتقع غرفة العمليات الاساسية على بعد خطوات من القصر .

ادى الرئيس السادات صلاة الجمعة يوم ٥ اكتوبر في زاوية صغيرة في كوبري القبة تعلم فيها الصلاة في صغره وعاد الى قصر الطاهرة وطلب من الفريق اول احمد اسماعيل ان « يمر عليه » في الساعة الواحدة ، ونام في القصر حتى الساعة الثامنة من صباح يوم السبت ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

وفي الساعة الواحدة والربع بعد ظهر يوم ٦ اكتوبر مر الفريق احمد اسماعيل على الرئيس السادات وذهبا معا الى غرفة العمليات ..

وبعد ١٥ دقيقة أي في الساعة الواحدة والنصف صدر بيان مصري يقول :

« قام العدو في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم بمهاجمة قواتنا بمنطقتي الزعفرانه والسخنة في خليج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض زوارقه البحرية تقترب من الساحل العربي من الخليج . وتقوم قواتنا حاليا بالتصدي للقوات المغيرة » .

وصدر بيان ثان في الساعة الثانية و٣٥ دقيقة اي بعد ساعة الصفر بـ ٣٥ دقيقة يقول :

« ردا على العدوان الغادر الذي قام به العدو وضد قواتنا في كل من مصر وسوريا ، تقوم حاليا بعض من تشكيلاتنا الجوية بقصف قواعد العدو واهدافه العسكرية في الاراضي المحتلة » .

وبعد ساعة واحدة أي في الساعة الثالثة بعد الظهر انيع البيان الثالث الذي يقول :

« الحاقا بالبيان رقم « ٢ » نفذت القوات الجوية مهامها بنجاح واصابت مواقع العدو باصابات مباشرة وعادت جميع طائراتنا الى قواعدها سالمة عدا طائرة واحدة » .

وبعد ساعتين وست دقائق اي في الساعة الرابعة و٦ دقائق انيع البيان رقم ٥ يقول :

« نجحت قواتنا في اقتحام قناة السويس في قطاعات عديدة واستولت على نقط العدو القوية بها ورفع العلم المصري على الضفة الشرقية للقناة . كما قامت القوات المسلحة السورية باقتحام مواقع العدو في مواجهتها وحققت نجاحا مماثلا في قطاعات مختلفة .

وقبل ان ينتصف الليل كان الرئيس السادات يتلقى مكالمات تليفونية وبرقيات من الرئيس الجزائري هواري بومدين ، والشيخ صباح السالم صباح والرئيس اللبناني سليمان فرنجية والرئيس السوداني جعفر نميري والملك حسين والرئيس العراقي احمد حسن البكر والقاضي عبد الرحمن الايرياني رئيس مجلس السيادة في اليمن الشمالية والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني حاكم قطر . وتبادل الرئيس السادات البرقيات مع الملك فيصل .

وكانت هنالك قصة اخرى تجري في فيينا عاصمة النمسا ، ثم في بنغازي كذلك . وكانت هناك قصة ثانية تجرى في واشنطن وفي موسكو .

٢ ـ مهمة في النمسا

يوم ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣ قامت منظمة اطلقت على نفسها اسم « نسور الثورة الفلسطينية » بمهاجمة قطار نمساوي بالقرب من فينا قادما من الاتحاد السوفيتي في طريقه الى فيينا لتهجير اليهود وهو معسكر شوناو في النمسا واختطف اعضاء المنظمة خمسة من اليهود السوفيت وواحدا من رجال الجمارك النمساويين وطلبوا اغلاق معسكر شوناو مقابل الافراج عن الرهائن . ووافق المستشار النمساوي برونو كرايسكي على مطالب المنظمة واعلن يوم ٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ عن اغلاق المعسكر . واجتمع مجلس الوزراء الاسرائيلي يوم ٣ اكتوبر لمناقشة التقرير الذي عادت به رئيسة وزراء اسرائيل من فيينا بعد ان فشلت في اقناع المستشار كرايسكي بالعدول عن قراره .

بالرغم من انشغال الرئيس السادات بالاعداد للمعركة التي كانت ساعة الصفر تقترب من موعدها ، فانه اتصل يوم ٢ اكتوبر بالوزير اسماعيل فهمي وزير السياحة في ذلك الوقت والذي اختاره الرئيس لهذا المنصب في الحكومة التي شكلها برئاسته في ٢٢ مارس (آذار) ١٩٧٣ ، بالسفر فورا الى النمسا يحمل رسالة منه الى المستشار برونو كرايسكي .

قبل ان يطير اسماعيل فهمي وزير السياحة الى فيينا دعا سفيرها في القاهرة المستر سبتادنات يوم ٢ اكتوبر وطلب اليه ابلاغ حكومته بقرار الرئيس السادات وجاء رد مستشار النمسا بالترحيب بالمبعوث المصري ومقابلته فور وصوله .

وقد رافقت الوزير في هذه المهمة ، وغادرنا القاهرة صباح يوم ٣ اكتوبر (تشرين الاول) الى فيينا .

وفي نفس اليوم ، بعد وصول اسماعيل فهمي الى فيينا كان المستشار النمساوي برونو كرايسكي يستقبله في مقر المستشارية اقدم قصور النمسا ، بينما كانت الجماعات الصهيونية تحيط بمقر المستشارية وتحمل المشاعل مع هبوط الليل وتهتف مطالبة المستشار بالعدول عن قراره . وفتح برونو كرايسكي النافذة وقال « تعالوا لتشاهدوا المظاهرات التي اواجهها ولكن قراري هو قرار اتخذته محافظة على مصالح بلادي بالرغم من التهديدات التي اتلقاها » .

وفي اثناء اللقاء مع اسماعيل فهمي اصدر برونو كرايسكي قراره باستبعاد جميع رجال الامن الاسرائيليين الذين كانوا يعملون في حماية معسكر شوناو واستبدالهم بالحرس النمساوي بعد اغلاقه .

قال كرايسكي لاسماعيل فهمي : « انني بهذا القرار قد اتخذت اسلوبا جديدا في معالجة العنف ، لأن العنف اصبح الآن ظاهرة تجتاح كل مناطق التوتر في العالم ، بما في

نلك الشرق الاوسط وايرلندا وفيتنام وامريكا اللاتينية والقارة الاوروبية . وعدم حل المشاكل القائمة ، ومقاومة العنف بالعنف ادى الى الظاهرة الجديدة التي تجتاح العالم ، والتي ادت الى خطف اليهود السوفيت ورجل الجمرك النمساوي ، ولو قاومنا العنف بالعنف لاستمرت هذه الاعمال وفي مناطق مختلفة ، ولنلك قررت امتصاص العنف بطرق سلمية ، وتصحيح الاوضاع القائمة . انني لا اجد علاقة بين قراري باغلاق المعسكر ، وحركة المقاومة التي قام بها اعضاء المنظمة ، لانه قد آن الاوان لاغلاق هذا المعسكر بعد ان اتخذت قراري بتنظيم معالجة مشكلة المهاجرين التي لا بد وان تخضع لرقابة النمسا ، وتتم تحت اشرافها. اما وجود معسكر يشرف عليه رجال الامن الاسرائيلي ، ولا اعرف ما يجرى فيه فأمر مرفوض من اساسه » .

وقال كرايكسي « انني لا اعالج مشكلة تتعلق بالمهاجرين اليهود ، لأن حق الهجرة واللجوء الى النمسا نرحب به دائما ، بشرط عدم ممارسة اي نشاط سياسي او تخريبي ، بالاضافة الى حق المرور في الاراضي النمسوية للمهاجرين ، وبشرط ان يتم نلك بموافقة السلطات النمساوية . انني لا اعرف بوجود مشكلة اسمها مشكلة المهاجرين الاسرائيليين ، الا في اطار القواعد والمبادىء التي تقرها الامم المتحدة في معالجة مشاكل عديمي الجنسية . لقد كنت شخصيا لاجئا سياسيا وهربت من النمسا الى السويد وبقيت فيها اربعة اعوام، اثناء الاحتلال النازي ، وعانيت شخصيا من مشكلة الهجرة واللجوء السياسي ، ولنلك فانني اعرف حدود هذه المشكلة ، ولا يمكن ان اتنازل عن سيادة النمسا لحل مشكلة يسمونها الهجرة الاسرائيلية .»

وقد احيط كرايسكي علما بما يحدث داخل المعسكر وكان امامه تقرير يؤكد ان المنظمات الاسرائيلية هي التي كانت تحدد فترة بقاء المهاجر في المعسكر وترغمه على السفر الى اسرائيل . في حين ان البعض منهم كان يفضل ان يلجأ الى دول اوروبية اخرى او يبقى في النمسا .

حرص كرايسكي على ان يحضر اللقاء مع اسماعيل فهمي المستر روش وزير الداخلية واقوى المؤيدين للمستشار النمساوي وقدم روش كافة البيانات عما يحدث داخل معسكر شوناو . واوضح مستشار النمسا انه يدرس منذ مدة موضوع استخدام هذا المعسكر لايواء اليهود ثم ترحيلهم الى اسرائيل لنلك قرر حماية لمصالح النمسا وانقاذ اليهود الذين احتجزهم اعضاء المنظمة اغلاق المعسكر وعدم مواجهة العنف بالعنف .

انتهز برونو كرايسكي هذه الفرصة لكي يشرح مدى الضغوط التي واجهها خلال الساعات الاخيرة، فقد وقفت جولدا مائير في اجتماع المؤتمر البرلماني الاوروبي في ستراسبورج لتهاجم كرايسكي يوم ٢ اكتوبر وقامت بزيارة للنمسا في اليوم التالي دون ان تخطر المستشار كرايسكي بنلك . ولرفضه التنازل عن قراره باغلاق المعسكر اظهرت جولدا مائير غضبها واصطحبت معها على طائرتها الخاصة ٩٠ مهاجرا يهوديا كانوا في النمسا .

قال لي برونو كرايسكي في مقابلة خاصة بعد انتهاء اللقاء مع اسماعيل فهمي ان ابنه يساري وزار اسرائيل وأن جولدا مائير تستخدم نلك ضده ، ولكنها لا تعلم ان ابن كرايسكي ناقد لكل ما يحدث في اسرائيل .

ومن اطرف ما قاله كرايسكي عن جولدا مائير انها تعطيني الاحساس بانها سيدة مليئة بالنوايا الطيبة ولكنها صلبة ولا تقبل تعديل رأيها . وهي عجوز جدا ولا تستطيع تغيير افكارها بصورة تتفق والاتجاهات الجديدة في اسرائيل . اما موشي دايان فانا شخصيا غير معجب به وهو يفكر في المنطقة التي يعيش فيها بينما تفكر جولدا مائير كروسية وامريكية ولا تنتمي لمنطقتكم وانا لا اتصور كيف يمكن ايجاد حل للمشكلة فاسرائيل لا تقبل ان يعيش العرب واليهود فيها كشعب واحد » .

قبل ان يغادر اسماعيل فهمي النمسا يوم ٦ اكتوبر (تشرين الاول) استقبله في الصباح المستشار برونو كرايسكي الذي سلمه ردا على رسالة الرئيس السادات وتناول البحث موضوع الشرق الاوسط . وكانت آخر جملة قالها اسماعيل فهمي لبرونو كرايسكي : « ان الحل الوحيد الذي اعتقده للمشكلة هو الحرب وقد تسمع بذلك في وقت قريب جدا » .

غادر اسماعيل فهمي فيينا الى القاهرة عند الظهر يوم ٦ اكتوبر وتوقف في مطار روما ليستقل الطائرة الايطالية . وكان في استقباله السفير المصري الجديد في روما صلاح الدين حسن والسيد نهاد محرم مدير شركة مصر للطيران ، وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر . وتعجل اسماعيل فهمي السفر للحاق بالطائرة الايطالية المتجهة الى القاهرة . وتولى نهاد محرم ابلاغه بكل هدوء ان تعليمات صدرت الى مطار روما بعدم سفر الطائرات الى مطارات الشرق الاوسط اذ يبدو ان احداثا هامة ربما الحرب تجري بين مصر واسرائيل وقد انيع بيان رسمي عن الاشتباكات بينهما .

ودعانا السفير المصري لقضاء الليلة في السفارة وكان الدكتور محمود رياض وزير النقل قد وصل الى روما قادما من مدريد بعد ان تلقى اشارة تفيد ضرورة عودته للقاهرة ، ووصلت ايضا السيدة حرم الفريق اول احمد اسماعيل التي كانت في لندن . وبدأت الاستماع الى نشرات الاخبار والتليفزيون . وقبل ان ينتصف الليل تلقى اسماعيل فهمي مكالمة عاجلة من القاهرة بتعيينه وزيرا للخارجية بالنيابة وكان الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية في نيويورك .

فشلت كل المحاولات للعودة بالطائرة الى القاهرة ، وفي يوم ٨ اكتوبر ، وصل الوزير اسماعيل فهمي الى بنغازي ليجد الصحف الليبية تشير الى حدوث معارك بين مصر واسرائيل بينما كانت العناوين الرئيسية تشير الى خطاب هام القاه الرئيس القذافي ، والى زيارة يقوم بها زعيم افريقي لطرابلس . واستقل الوزير السيارة من بنغازي الى طبرق .. ثم الى القاهرة

٣ ـ ظروف قرار وقف اطلاق النار

بعد ٦ ساعات من بدء القتال يوم ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ كان الرئيس السادات في غرفة العمليات بالقيادة العامة بالقبة عندما تلقى مكالمة من السفير السوفيتي فلاديمير فينوجرادوف تبلغه بان القادة السوفيت قد بعثوا اليه برسالة عاجلة لا تستطيع الانتظار ، فطلب اليه الرئيس ان يحضر فورا الى قصر الطاهرة . وغادر الرئيس غرفة العمليات الى القصر في الطابق الاول ليستمع الى رسالة القادة السوفيت التي تشير الى ان الرئيس حافظ الاسد قد اتصل بموسكو وطلب اليها ان يتولى الزعماء الثلاثة المطالبة بوقف اطلاق النار ، وان يتصلوا بالرئيس السادات لمعرفة وجهة نظره ، وكانت الطلائع الاولى للجيش المصري قد عبرت القناة .

أبدى الرئيس دهشته من هذه الرسالة وابلغ السفير السوفيتي انه على اتصال دائم مع الرئيس الاسد وانه من غير المعقول ان يطلب ذلك عن طريق موسكو ، في الوقت الذي تشترك فيه القاهرة ودمشق في قيادة عسكرية واحدة ، وانه في خلال اتصالاته مع الرئيس السوري سوف يتأكد من هذه المطالب .

ولم يمض اكثر من ٢٤ ساعة ، اي في اليوم التالي على بدء القتال ، يوم ٧ اكتوبر حتى كان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قد طلبتا دعوة مجلس الامن للاجتماع للمطالبة بوقف اطلاق النار . واتصل القادة السوفييت بالرئيس السادات لمعرفة رأيه اذ اقترحت الدولتان العظميان وقف اطلاق النار ورد السادات بانه يرفض قبول ذلك ، الا اذا ارتبط وقف اطلاق النار بالبدء فورا في تنفيذ قرار مجلس الامن بكامله . وقامت القوات المصرية بتحقيق المهام القتالية الموكول اليها تنفيذها .

لم تمض ساعات على وصول هذه الرسالة ، حتى تلقى السير فيليب آدامز سفير بريطانيا في القاهرة مكالمة عاجلة من قصر الطاهرة يدعو فيها الرئيس السادات السفير البريطاني لمقابلته فورا ، وكانت الساعة قد بلغت الواحدة من بعد ظهر يوم الاحد ٧ اكتوبر ، وكان الرئيس يريد معرفة حقيقة الموقف البريطاني ، بعدما كان قد انهى مقابلة مع السفير السوفيتي فلاديمير فينوجرادوف رفض خلالها طلبا ثانيا من الاتحاد السوفيتي بوقف اطلاق النار .

قال الرئيس السادات للسفير البريطاني : اريد أن أعرف موقف بريطانيا .

ورد السير فيليب آدامز : انني اتعجب لماذا لم يجتمع مجلس الامن حتى الآن ، بالرغم من استمرار المعارك لاكثر من ٢٤ ساعة .

وفهم السفير البريطاني من الرئيس السادات ان مصر ترفض دعوة مجلس الامن للاجتماع ، وترفض وقف اطلاق النار ، الا اذا ارتبط ذلك بقرار محدد يطالب بتنفيذ قرار

مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

ومضى السفير البريطاني يقول للرئيس السادات « انني لن اتلق معلومات من حكومتي فهل لدى سيادتكم رسالة معينة تريد ابلاغها للحكومة البريطانية » .

قال الرئيس السادات « اننا لم نطلب دعوة مجلس الامن للاجتماع لان هدفنا من الحرب هو الوصول الى حل شامل ونهائي للمشكلة ولذلك دعوتكم لكي استمع منك عن حقيقة الموقف البريطاني » .

سكت السير فيليب ادامز لحظة وقال « سيادة الرئيس ، بالرغم من انني لا احمل تعليمات معينة من حكومتي فسأتولى ابلاغ رسالتك الى الحكومة البريطانية والتي تعارض فيها دعوة مجلس الامن للاجتماع الآن ، وساوضح للحكومة انكم تريدون حلا شاملا للمشكلة ، اما موقف حكومتي فهو التمسك بالقرار رقم ٢٤٢ بالاضافة الى ان اللورد كارادون رئيس الوفد البريطاني في مجلس الامن في ذلك الوقت هو الذي تولى صياغة هذا القرار وقد اكدت بريطانيا تمسكها به في البيان الذي ادلى به السير اليك دوجلاس هيوم في هاروجيت .. وستكون حكومتي مهمتة بمعرفة الموقف العالمي خصوصا الموقف الامريكي من هذه الحرب الدائرة الآن ، ومدى امكانية الربط بين هذه الحرب والتسوية النهائية ، وهل ستساعد الحرب على تحقيق ذلك . نحن في بريطانيا – حكومة وشعبا – بالاضافة الى الكوارث الانسانية التي تترتب على الحرب ، لا نريد حروبا جديدة ونخشى من اندلاعها في المنطقة بحيث تتحول الى حرب كبيرة ، وحكومتي ستكون منزعجة اذا اشتركت اطراف اخرى فيها الى اندلاع الحرب في كل منطقة الشرق الاوسط . واعتقد ان حكومتي سوف تطالب بوقف اطلاق النار ، مع ربط ذلك بالوصول الى تسوية نهائية وهذا هو رأيي الخاص كسفير لبريطانيا في مصر ، وسوف اتصل بحكومتي واعتقد انها ستطلب مني تنفيذ ذلك » .

خرج السفير البريطاني من المقابلة التي تمت في قصر الطاهرة ، وعاد الى مكتبه في جاردن سيتي وبعث بتقرير مفصل الى السير دوجلاس هيوم وزير الخارجية انتظارا لتعليمات حكومته .

بعد اسبوع كامل ، وفي الساعة الثانية صباحا بعد منتصف ليل يوم ١٢ اكتوبر اي فجر يوم السبت ١٣ اكتوبر تلقى السير فيليب ادامز رسالة عاجلة من المستر ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا يبلغه فيها ان الرئيس ريتشارد نيكسون عن طريق وزير خارجيته الدكتور هنري كيسنجر قد طلب الى الحكومة البريطانية ان تكلف سفيرها في القاهرة الاتصال بالرئيس السادات نظرا لعدم وجود سفير امريكي فيها، لابلاغه ان الحكومة الاميريكية قد فهمت من الحكومة السوفيتية الان (١٢ اكتوبر وفجر ١٣ اكتوبر) ان الرئيس السادات سيكون على استعداد لقبول وقف اطلاق النار في المواقع الحالية التي تحتلها قوات الجانبين (الاسرائيلية والمصرية) وان الحكومة الامريكية على استعداد لدعوة مجلس الامن فورا بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي لاصدار قرار بوقف اطلاق النار اذا وافق الرئيس السادات على ذلك .

وقبل ان يطلب السير فيليب ادامز مقابلة الرئيس رد على حكومته فورا مؤكدا انه لا يعتقد ان الرئيس سيوافق على ذلك الا اذا ارتبط وقف اطلاق النار بالحل النهائي . ولكن

وزارة الخارجية البريطانية ردت على هذه الرسالة في نفس اللحظة لتقول له « فهمنا من الحكومة الامريكية عكس ذلك ... وهذا يعارض المعلومات التي بعثت بها الينا ... ان الذي يخاطبك الآن هو السير اليك دوجلاس هيوم .... ويطلب منك يا سير فيليب ادامز ان تحمل هذه الرسالة الى الرئيس وتبعث بردك فورا لأن الحكومة الامريكية تتوقع ردا ايجابياً منه يسمح لها بدعوة مجلس الأمن للاجتماع » .

نظر السير فيليب ادامز الى ساعة معصمه ، وكان في غرفة نومه ، فوجد ان عقارب الساعة تشير الى الثالثة صباحا ، واتصل بقصر الطاهرة ، وكان المهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة على الطرف الآخر من التليفون . وابلغه ان لديه رسالة عاجلة للرئيس السادات . وطلب منه الوزير المصري ان ينتظر لحظة وعاد الى التليفون ليبلغه بان الرئيس سوف يقابله فورا . واسرع السفير البريطاني الى الموظف النوبتجي في السفارة ووجد معه سيارة ، وعاد ليتصل بالمهندس عبد الفتاح عبد الله ليبلغه بارقام السيارة نظرا لعدم وجود سيارة السفير الرسمية وحتى يسمحوا له بالدخول .

قطعت السيارة المسافة بين السفارة البريطانية في الجيزة وقصر الطاهرة في مصر الجديدة في دقائق. ودخل السير فيليب ادامز الى غرفة نوم الرئيس وكان الرئيس السادات يرتدي البيجاما ويضع فوقها « روب دي شامبر » . وبدأ السفير يعتذر عن اقتحامه لغرفة نوم الرئيس في هذه اللحظة ولكن السادات قال له مبتسما : « انك اعطيتني فرصة لكي ادخن غليونا آخر قبل مدفع الرفع » . وبدأ السفير يقرأ رسالة الحكومة الامريكية وابتسم وهو يقول للرئيس : « لقد بعثت بردي قبل ان اسمع رأيكم فهل اخطأت في ذلك » رد الرئيس قائلا : « ان مصر سوف لا توافق على ايقاف القتال الا بعد ان يحقق الجيش المصري مهامه القتالية المكلف بها ، طبقا للخطة التي تكفل المجلس الاعلى للقوات المسلحة بتنفيذها وعندما يرتبط وقف اطلاق النار بالحل النهائي للمشكلة » .

عاد السير فيليب آدمز الى السفارة قبل الساعة الخامسة صباحا مع مدفع الرفع ، وبعث ببرقية بهذا المعنى الى السير أليك دوجلاس هيوم الذي أبلغ الدكتور كيسنجر أن مصر ترفض وقف اطلاق النار إلا بالشروط التي حددها الرئيس .

كانت أمريكا تسعى الى « إحراج » بريطانيا للاشتراك معها ومع الاتحاد السوفيتي في دعوة مجلس الامن للاجتماع ولكن ادوارد هيث اصدر تعليماته بعدم اقحام بريطانيا في ذلك الا بموافقة الرئيس السادات . ولم تتوقف الولايات المتحدة عن استمرار ممارسة الضغط على بريطانيا ، اذ أرسلت بعد ساعات الى إدوارد هيث « نصا » تقترحه لدعوة مجلس الامن للاجتماع ، وطلب هيث من السفير البريطاني ان يذهب لمقابلة الرئيس يوم السبت ١٣ اكتوبر لعرض المشروع عليه .

كانت الساعة تقترب من الثالثة من بعد ظهر يوم السبت ١٣ اكتوبر عندما دخل السفير البريطاني على الرئيس السادات قبل مدفع الافطار . وكان الرئيس في ملابسه الداخلية يمارس العابه الرياضية . وضحك السادات عندما قرأ مشروع القرار ، وقال : « انت تعرف ردي طبعا » وقال السير فيليب انني أعرفه وكنت أستطيع الرد عليه دون ان اطلب المقابلة . ولكنني آثرت ان اقابلكم لكي ابعث بردي .

عاد السفير في الرابعة بعد الظهر ، وأرسل رده على التليكس وقبل أن ينتهي من

إرسال الردْ كان التليفون يرن في مكتبه ، وّالمتحدث من لندن يسأله عن الرد ، فقال له السفير لو نظرت على مكتبك في وزارة الخارجية البريطانية لوجدت الرد عليه . واعتذر المتحدث وقال له : آسف ان السير دوجلاس هيوم كان يستعد الآن لركوب سيارته ليقابل ادوارد هيث في قرية تشيكر[1] . وقد قرر هيث وهيوم عدم الاشتراك في تقديم القرار الى مجلس الامن .

لم يكن أسلوب الضغط على الرئيس السادات لقبول وقف اطلاق النار قاصرا على هذه المحاولات التي قامت بها الدولتان العظميان ، اذ تلقى الرئيس عدة تقارير تفيد ان القادة السوفيت خلال اتصالاتهم بالرئيس تيتو والرئيس الصومالي محمد زياد برى ، والرئيس هواري بومدين قد اكدوا خوفهم من ان مصر ستواجه موقفا صعبا اذا لم توقف اطلاق النار فوراً ، ولكن رد فعل الرؤساء تيتو وبومدين ومحمد زياد برى كان مختلفا .

عندما استمع الرئيس بومدين الى البيان العسكري الاول ببدء القتال على جبهتي سيناء والجولان دعا مجلس الثورة الجزائري لمراقبة تطور المعارك الدائرة وظل المجلس مجتمعا لمدة اربعة ايام وكان أغلب أعضاء المجلس – كما روى بعد ذلك الرئيس هواري بومدين – لا يتوقع أن يحقق الجيشان المصري والسوري هذه الانتصارات . وظل المجلس مترددا في قبول المعلومات الى أن اتضح في اليوم الرابع ان القوات المصرية والسورية تخوض فعلا حربا رهيبة ضد القوات الاسرائيلية التي تدعمها الولايات المتحدة . وتحقق انتصارات لم تعرفها منذ بدء الصراع العربي الاسرائيلي .

وبدون ان يبلغ الرئيس بومدين الرئيسين السادات وحافظ الاسد غادر الجزائر الى موسكو وطلب الاجتماع بالزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف بعد أن أدرك الرئيس الجزائري أن القوات المصرية والسورية سوف تحتاج لمعونات عسكرية عاجلة أمام الدعم الامريكي لاسرائيل .

طلب الرئيس بومدين الاجتماع بالزعماء الثلاثة بريجنيف وبودجورني وكوسيجين ، وتم الاجتماع يوم ١٢ اكتوبر وفوجىء الرئيس الجزائري بكلام القادة السوفيت الذين اجمعوا على ان المعركة الدائرة معركة خاسرة وحذروا من خطر انهيار انظمة الحكم التقدمية في العالم العربي .

استمع هواري بومدين بكل هدوء لتعليقات القادة السوفيت ثم قال : « لقد حضرت لشراء اسلحة .. وانتم تبيعون السلاح فهل انتم على استعداد لبيع الاسلحة التي ساطلبها وسأدفع ثمنها نقدا على ان يتم شحنها فور التوقيع على الشيك » .

واتخذ الحديث مع القادة السوفيت طابعا مختلفا فقد طلب الرئيس هواري بومدين ان يحددوا له سعر الصفقة المطلوبة لكل من سوريا ومصر واتفقوا على مائتي مليون دولار نصفها لمصر ونصفها لسوريا ووافق الاتحاد السوفيتي على ان يتم الشحن فورا واثناء سير المعارك الدائرة في المنطقة والتزم فعلا الاتحاد السوفيتي بذلك وبدأ جسر جوي لنقل الاسلحة والمعدات الى مصر وسوريا .

---

(١) – تشيكر هي مقر رئيس الوزراء البريطاني لقضاء عطلة نهاية الاسبوع.

عاد الرئيس بومدين الى الجزائر في نفس اليوم الذي وقع فيه على صفقة شراء الاسلحة في موسكو وتلقى تقريرا في الجزائر من الرئيس السادات ان الجيش المصري قام بتدمير اللواء الاسرائيلي المدرع رقم ١٩٠ والذي يتألف من ١٢٠ مصفحة في اقل من عشرين دقيقة . وكان من بين الاسرى الكولونيل عساف ياجوري قائد اللواء المدرع الذي فوجيء بنفسه اسيرا في ايدي القوات المصرية .

في واشنطن كانت الصورة تختلف تماما .

ففي مقعد وزير الخارجية الامريكية كان يجلس الدكتور هنري كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي في البيت الابيض يمارس مهام منصبه الجديد كوزير الخارجية للحكومة الامريكية ويطبق نظرياته التي كان يقوم بتدريسها كأستاذ في هارفارد ، ومستشار لهنري روكفلر نائب رئيس الجمهورية الامريكي الحالي .

بعد نجاح هنري كيسنجر في محادثات فيتنام ، ولقاءات القمة والاتحاد السوفيتي والصين قرر الرئيس الامريكي ترشيح مستشاره للامن القومي في ٢٢ اغسطس (آب) ١٩٧٣ وزيرا لخارجيته خلفا لويليام روجرز الذي لم يكن يتمتع بثقة الرئيس الامريكي . ووافق الكونجرس على الترشيح يوم ١٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣ .

حتى يوم ٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، لم يكن هنري كيسنجر يتوقع حربا في الشرق الاوسط ، بعد أن حصلت جولدا مائير على كل الضمانات العسكرية والسياسية التي تؤكد لها ان إستمرار الاوضاع العسكرية في المنطقة سوف يسمح لها باستمرار احتلال الاراضي العربية وبعد زيارة قامت بها لواشنطن يوم اول مارس (آذار) ١٩٧٣ وحصلت على تعهد من الرئيس نيكسون بتزويدها بـ ٤٨ طائرة فانتوم . وكان الرئيس الامريكي قد استقبل السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي ، قبل زيارة جولدا مائير باسبوع واحد ، بعد ان قرر الرئيس المصري ان يوفد مستشاره لمقابلة نيكسون يوم ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٧٣ في آخر محاولة لمعرفة حقيقة نوايا الرئيس الامريكي . وكان السؤال المحدد الذي طلب الرئيس السادات ان يقدم نيكسون ردا عليه يتلخص في كلمات « هل ستمارس ضغطا على اسرائيل للانسحاب من الاراضي العربية » وكان رد الرئيس نيكسون التقليدي ان امريكا ستمارس كل جهودها لايجاد حل للمشكلة . وبعد اسبوع كان الرد العملي على هذا السؤال هو قرار بتزويد جولدا مائير بـ ٤٨ طائرة فانتوم .

يقول برنارد مارتن كالب مؤلف كتاب « كيسنجر » عن الموقف الذي اتخذه الرئيس نيكسون واعلنه رسميا في منتصف مارس (آذار) ١٩٧٣ « .... كان قرار الرئيس نيكسون تأكيدا لوجهة نظر الرئيس السادات التي تقول ان الحرب هي السبيل الوحيد لحمل امريكا على تغيير مواقفها من اسرائيل » .

خلال (تشرين الاول) ١٩٧٣ كان كيسنجر يؤكد ان العرب يواجهون انقساما في صفوفهم وانهم عاجزون عن القيام بعمل عسكري ضد اسرائيل . وكانت هذه الثقة في عجز العرب نتيجة لعدة لقاءات تمت بين كيسنجر كوزير للخارجية وعدد من الوزراء العرب في نيويورك وواشنطن ولذلك نصحهم باجراء مفاوضات مع اسرائيل بهدف تحقيق حل سلمي للمشكلة .

اجتمع كيسنجر يوم ٤ اكتوبر في نيويورك بالسيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية ولم يرد ذكر الحرب او فرض حظر على البترول . واجتمع كيسنجر بأبا إيبان وزير خارجية اسرائيل واقترح عليه ما اسماه « محادثات الأروقة » التي يمكن ان يتولاها كيسنجر او مساعده جوزيف سيسكو في الامم المتحدة لاجراء وساطة تقوم بها امريكا بين العرب واسرائيل . ورحب ايبان بالفكرة وبدأ يمارس كيسنجر هذا الاسلوب .

التقطت اجهزة التجسس الامريكية في جنوب إيران اشارات تؤكد تحركات عسكرية في جبهة القناة ، كما سجلت تحركا للدبابات السورية من طراز ت ٦٢ في الجولان . وفي نفس الوقت كان هنري كيسنجر يقترح على الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية الذي كان موجودا في نيويورك في ذلك الوقت إجراء محادثات الاروقة .

وعلى مكتب هنري كيسنجر في مبنى وزارة الخارجية الامريكية بواشنطن كانت هناك برقية تنتظره من سفيره في اسرائيل مستر كينت تقول ان جولدا مائير اجتمعت به في تل ابيب في العاشرة من صباح ٥ اكتوبر واكد له ان لديها معلومات تفيد ان القوات المصرية والسورية تستعد لهجوم عبر قناة السويس وفي الجولان .

كان هنري كيسنجر قد استدعى القائم باعمال السفارة الاسرائيلية في واشنطن وحذره من قيام اسرائيل بهجوم وقائي ، وان كان قد تلقى في الساعة الثامنة من صباح ٦ اكتوبر معلومات رسمية (الثانية بعد الظهر بتوقيت القاهرة) تؤكد ان القوات المصرية تعبر القناة . واضطر كيسنجر الى استدعاء اناتولي دوبرنين السفير السوفيتي في واشنطن واللورد كرومر سفير بريطانيا لمعرفة مدى استعداد الحكومتين لدعوة مجلس الامن للانعقاد ، مع ثقة كيسنجر في عدم جدوى واهمية اجتماعات الامم المتحدة .

وفي يوم الاحد ٧ اكتوبر بعث الرئيس نيكسون برسالة شخصية الى الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف يطلب اليه التدخل لدى مصر وسوريا لوقف الهجوم العسكري واحتواء القتال مذكرا الزعيم السوفيتي بالبيان الرسمي واعلان المبادىء الذي تم التوقيع عليهما من الرئيس نيكسون وليونيد بريجنيف في مايو (ايار) ١٩٧٢ في موسكو وفي يونيو (حزيران)٠ ١٩٧٢ في واشنطن مؤكدا ما ورد في هذه البيانات من بذل كل الامكانيات الممكنة بحيث لا تتحول الصراعات والمنازعات القائمة الى اسباب تؤدي الى زيادة التوتر الدولي .

وقد بعث بريجنيف بهذه الرسالة الى الرئيس السادات ورد عليه الرئيس مؤكدا انه لا يوافق على وقف اطلاق النار ، ويبعث بريجنيف برده في نفس اليوم على نيكسون يشير فيه الى ان الاتحاد السوفيتي لا يعارض في دعوة مجلس الامن للاجتماع لمناقشة الموقف .

وعلى هذا الاساس طلبت الولايات المتحدة دعوة مجلس الامن للاجتماع لبحث وقف القتال الدائر في الشرق الاوسط . واجتمع المجلس فعلا يوم الاثنين ٨ اكتوبر ، ولكن لمدة ٨٧ دقيقة ، اذ طلبت امريكا من المجلس ان يصدر قرارا بوقف القتال ، والعودة الى ما قبل خطوط ٦ اكتوبر .

رد جاكوب ماليك رئيس الوفد السوفيتي برفض الاقتراح الامريكي اذ انه لا يمكن

إصدار قرار بهذا المعنى ما دامت إسرائيل لم تتعهد بوضوح بالجلاء عن الأراضي العربية المحتلة .

واضطر مجلس الامن لعقد جلسة ثانية في الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر بتوقيت القاهرة ، وانتهت بتأجيل الاجتماع دون تحديد موعد للجلسة التالية . بعد ان انسحب جاكوب ماليك من الاجتماع عندما بدأ يوسف تيكواه رئيس وفد اسرائيل في تعزية الدول والاسر التي فقدت رعاياها في الحرب الدائرة في الشرق الاوسط .

وكان القرار الامريكي ايضا ان الولايات المتحدة ترفض ان تتعرض اسرائيل لهزيمة عسكرية ساحقة من العرب .

وقد نشطت اجهزة المخابرات والتنصت الامريكية لتسجيل الاسباب والمبررات والشواهد ، التي تعجل باتخاذ الولايات المتحدة لقرارها بتعويض اسرائيل ما فقدته واغراقها بالسلاح .

سجلت اجهزة التجسس يوم ٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ اشارات ومعلومات تفيد ان الاسلحة السوفيتية بدأت تتدفق بغزارة على مصر وسوريا ، وان هذه الاسلحة تصل بكثافة الى القاهرة ودمشق واللاذقية عبر جسر جوي من اوروبا الشرقية . وعلى قطع الاسطول السوفيتي تصل الى مصر الشحنات تنفيذا لعقود سابقة التزم الاتحاد السوفيتي بها قبل ٦ اكتوبر وقيمتها ٤٥٠ مليون روبل ، بالاضافة الى الصفقة التي تعاقد عليها الرئيس بومدين في موسكو .

قبل ان تلتقط اجهزة التجسس الامريكي هذه المعلومات ومن الساعات الاولى للحرب كان السفير الاسرائيلي والقائم باعماله في واشنطن بل وجولدا مائير على اتصال مستمر بالدكتور هنري كيسنجر الذي استدعى يوم ٩ اكتوبر السفير سيمحا دينتز الاسرائيلي لـ « يزف » اليه خبر موافقة الرئيس الامريكي على تزويد اسرائيل باكثر مما تحتاجه بالاضافة الى تعويضها عما خسرته في الايام الثلاثة الاولى من الحرب بما في ذلك الدبابات وصواريخ جو ــ جو وأبلغه ان الطائرات المدنية الاسرائيلية من طراز بوينج ٧٠٧ تستطيع أن تهبط في قاعدة فرجينيا الجوية بولاية فرجينيا لتحمل كل ما تريده من صواريخ من طراز سابرو واسايد ويندر بالاضافة الى اجهزة التشويش والاستماع والتجسس .

بعد تدهور الموقف العسكري الاسرائيلي على جبهة القناة أعلن الرئيس الامريكي يوم ١١ اكتوبر (تشرين الاول) ان الولايات المتحدة تقوم فعلا بشحن الطائرات والصواريخ والقنابل ، من قاعدة ويسيانا الجوية في فرجينيا ، وانها شحنت فعلا ٤٨ طائرة فانتوم وارسلتها الى مطار اللد ، ثم اعلنت الولايات المتحدة انها شحنت ذخائر للمدفعية الثقيلة والخفيفة والمدفعية المضادة للطائرات بالاضافة الى احدث طراز من الصواريخ الباحثة عن الحرارة .

تدفقت الدبابات والطائرات والصواريخ الامريكية على مطاري اللد والعريش والمطارات الميدانية الأخرى في سيناء إعتبارا من يوم ١٠ اكتوبر بعد أن رفضت مصر قبول وقف إطلاق النار ورفضت تدخل الاتحاد السوفيتي مرتين لقبول ذلك ، وقررت الولايات المتحدة ان تخوض المعـركة الى جانب اسرائيل لانزال اكبر هزيمة عسكرية بمصر .

واستطاعت القوات الاسرائيلية مساء يوم ١٥ اكتوبر ان تعبر قناة السويس بوحدات صغيرة شمال البحيرات المرة الى الضفة الغربية للقناة .

هبطت طائرة سوفيتية خاصة الى مطار القاهرة بعد ان حصلت على اذن هبوط من القيادة العسكرية يوم ١٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ تحمل الكسي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي الذي جاء يحمل مقترحات سوفيتية تطالب بوقف اطلاق النار في المواقع التي وصلت اليها القوات المصرية والاسرائيلية ، ثم انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ وضمان من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بتحقيق حل كامل للمشكلة بما في ذلك ضمان وقف اطلاق النار . وناقش الرئيس السادات معه الموقف الامريكي وحقيقة الاوضاع الى الجبهة وخطورة قبول مصر لوقف اطلاق النار لان اسرائيل سوف لا تحترم هذا القرار مهما اكدته امريكا والاتحاد السوفيتي ، وما هي الضمانات التي يمكن ان تحصل عليها مصر اذا قبلت وقف اطلاق النار ورفضت اسرائيل ذلك ، او قبلته واستمرت في العدوان .

وفي خطاب الرئيس السادات امام الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب يوم ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ أعلن بعد ان اشاد ببطولات الجيشين المصري والسوري والمواقف العربية والدولية ان موقف مصر من الحرب هو :

« اننا لم نحارب لكي نعتدي على ارض غيرنا واننا حاربنا ونحارب وسوف نواصل الحرب لهدفين : الهدف الاول استعادة اراضينا المحتلة . والهدف الثاني ايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » .

بعد ان استعرض الرئيس الموقف الامريكي والتواطؤ الذي قامت به الولايات المتحدة ، قال انه كان ينوي ان يكتب للرئيس نيكسون ولكنه اختار هذا المنبر ليعلن امام العالم ان مصر التي تريد تحرير اراضيها واستعادة حقوقها تعرض في قمة انتصاراتها شروطها لتحقيق السلام وهي :

١ ــ نحن على استعداد لقبول وقف اطلاق النار على اساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية فورا وتحت اشراف دولي الى خطوط ما قبل ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧.

٢ ــ اننا على استعداد فور إتمام الانسحاب من كل هذه الأراضي أن نحضر مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة .

٣ ــ اننا على إستعداد هذه الساعة بل هذه الدقيقة أن نبدأ في تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية .

طار رئيس الوزراء السوفيتي الى موسكو عائدا من القاهرة يوم ١٨ اكتوبر وابلغ بريجنيف بقرار الرئيس السادات ومقترحاته الخاصة بمؤتمر السلام وإصرار مصر على انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية . وبعد اجتماعه ببرجنيف كان الزعيم السوفيتي يبلغ سفيره في واشنطن اناتولي دوبرنين دعوة هنري كيسنجر للاجتماع به في موسكو « لمناقشة سريعة وهامة تتناول موضوع الشرق الاوسط » .

وفي الساعة الواحدة من فجر يوم السبت ٢٠ اكتوبر (بعد منتصف الليل يوم الجمعة ١٩ اكتوبر) عقد الرئيس السادات اجتماعا عسكريا ضم (الفريق اول) احمد

اسماعيل و"اللواء" محمد عبد الغني الجمسي وسعد الشاذلي ، واستعرض الموقف العسكري بعد حدوث الثغرة وتدفق الدبابات الامريكية التي بعثت بها الى اسرائيل في مطار العريش ، وقرر السادات ان يبلغ الاتحاد السوفيتي بقبوله لقرار وقف اطلاق النار ، بعد ان بعث برسالة في الساعة الثانية من صباح يوم السبت ٢٠ اكتوبر الى الرئيس الاسد يقول فيها :

« اخي الرئيس حافظ الأسد ....

« لقد حاربنا اسرائيل الى اليوم الخامس عشر وفي الايام الاربعة الاولى كانت اسرائيل وحدها ، فكشفنا موقفها في الجبهتين المصرية والسورية وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة ، على الجبهتين واكثر من مائتي طائرة . اما في الايام العشرة الاخيرة فانني على الجبهة المصرية احارب امريكا باحدث ما لديها من اسلحة .

« انني ببساطة لا استطيع ان احارب امريكا أو أتحمل المسؤولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة اخرى ، لذلك فانني أخطرت الاتحاد السوفيتي بانني أقبل وقف اطلاق النار بالشروط التالية :

١ ــ ضمان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، بانسحاب اسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتي .

٢ ــ بدء مؤتمر سلام في الامم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتي .

ان قلبي ليقطر دما وانا أخطرك بهذا ، ولكنني احس ان مسؤوليتي تحتم علي اتخاذ هذا القرار ، ولسوف اواجه شعبنا ، وامتنا في الوقت المناسب لكي يحاسبني الشعب .

مع اطيب تمنياتي

انور السادات » .

قصر الطاهرة الساعة ٢,٠٠ يوم ١٩٧٣/١/٢٠

وفي الوقت الذي كان فيه كيسنجر يعد لزيارته لموسكو ، كان الرئيس نيكسون يطلب من الكونجرس الامريكي الموافقة على معونة عسكرية لاسرائيل تبلغ قيمتها ٢,٢ بليون (الف مليون) دولار . وعند وصول كيسنجر الى موسكو يوم السبت ٢٠ اكتوبر وجد رسالة تنتظره من الرئيس نيكسون تبلغه ان الدول العربية المنتجة للبترول قد قررت خفض تصدير البترول اعتبارا من يوم ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ الى الولايات المتحدة بنسبة ٥٪ وكان نص القرار الذي صدر عن هذا الاجتماع كالآتي ، بعد المقدمة :

« ان المجتمعين يقررون ان يتناقص الانتاج البترولي لكل دولة عربية مصدرة للبترول فورا بنسبة شهرية متكررة لا تقل عن ٥٪ ابتداء من الشهر الاول (اكتوبر) من رقم الانتاج الفعلي لشهر سبتمبر عام ١٩٧٣ ، ثم تبدأ من الشهور التالية منسوبة الى رقم الانتاج المخفض من الشهر السابق وهكذا حتى تفرض المجموعة الدولية على اسرائيل التخلي عن ارضنا المحتلة او يصل الانتاج المخفض لكل دولة على حدة الى الحد الادنى الذي لا يسمح معه اقتصادها بمزيد من التخفيض دون اخلال بواجباتها المحلية والعربية .

ومع ذلك فان الدول التي تساند العرب مساندة عملية فعالة او تتخذ اجراءات هامة ضد اسرائيل لحملها على الانسحاب فانها لن تضار من تخفيض الانتاج وسوف يستمر تزويدها بالبترول كما كان قبل التخفيض .

« وعلى الرغم من نسبة التخفيض من الانتاج الواحد لكل دولة فان ما ينال الدول المستهلكة منها قد يتزايد بمدى تعاطفها وتعاونها مع العدو الاسرائيلي .

« ويوصي المجتمعون الدول المنفذة لهذا القرار ان تنال أمريكا أكبر تخفيض وذلك حسب إستيرادها من كل دولة على حدة من البترول الخام ومشتقاته والمواد الهيدروكربونية ونسبة ما تستورده مقارنة بنسبة التخفيض .

« توقيع وزراء بترول : أبو ظبي ، البحرين ، الجزائر ، السعودية ، سوريا ، قطر ، الكويت ، ليبيا » .

وبمجرد اذاعة هذا البيان أعلن مانع سعيد العتيبة وزير بترول دولة الامارات العربية أن بلاده قررت ان تبدأ فورا (يوم ١٧ اكتوبر) وقف جميع صادراتها البترولية الى امريكا وهذا يعادل ١٢ ٪ من انتاج ابو ظبي وليس ٥٪ واعلنت السعودية يوم ١٨ اكتوبر خفض انتاجها بنسبة ١٠٪ اعتبارا من ذلك التاريخ حتى آخر نوفمبر وكان قرارها بخفض الانتاج وليس بوقف التصدير ولكنها في يوم السبت ٢٠ اكتوبر صدر بيان من الرياض بوقف التصدير الى امريكا ، واتخذت الجزائر نفس القرار وفي نفس الوقت الغاء الاتفاق المعقود بين البحرين وبين حكومة امريكا بمنحها تسهيلات خاصة في ميناء البحرين وكانت مصر وسوريا قد اوقفتا تصدير البترول اعتبارا من ٦ اكتوبر[١]

كانت رسالة نيكسون لكيسنجر في موسكو بمثابة مفاجأة لم يتخيلها وزير الخارجية الامريكي ولا تقل عن نبأ عبور القوات المصرية للقناة واقتحام سوريا للخطوط الاسرائيلية في الجولان ، ولذلك اسرع خلال اجتماعه بالرفيق بريجنيف يوم الاحد ٢١ اكتوبر بالموافقة على صيغة مشروع سوفيتي ـ امريكي مشترك يصدر من مجلس الامن يطالب بوقف اطلاق النار فورا والبدء في تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ .

قبل ان يطير كيسنجر من موسكو ، حصل على موافقة انجلترا وفرنسا واستراليا عن طريق سفراء هذه الدول في العاصمة السوفيتية على دعوة مجلس الامن للاجتماع فورا لاقرار صيغة مشروع القرار المقترح .

تبادل كيسنجر البرقيات مع جولدا مائير خلال فترة اقامته في الاتحاد السوفيتي ، وعندما توصل الى صيغة مشروع تتقدم به الدولتان العظميان لوقف اطلاق النار ، طلب من جولدا مائير في عدة برقيات عاجلة ان توافق على هذا القرار بعد ان يقره مجلس الامن ثم قرر ان يطير الى تل ابيب يوم ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) للحصول على هذه الموافقة . واجتمع كيسنجر فور وصوله بجولدا مائير وكان هذا اللقاء تاريخيا وحافلا بالمواقف .

كانت هناك دموع تنسال من عيني مائير وهي تستعطف كيسنجر ان يتمهل في

---

(١) ـ حرب البترول الاولى : صلاح منتصر ـ فبراير ١٩٧٥.

المطالبة بوقف اطلاق النار . وكانت رئيسة وزراء اسرائيل تستحلفه بذكرى الملايين من اليهود الذين ماتوا في معسكرات الغاز في معتقلات هتلر ، ان يؤجل هذا القرار ، وتذكره بتاريخه كألماني يهودي هاجر بلاده لاعطائها الفرصة لكي تحقق انتصارا عسكريا على القوات المصرية والسورية وكانت جولدا مائير تجتمع يوم ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣ بكورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة الذي كان يزورها في اسرائيل ويقترح عليها ان تعدل عن موقفها ، وتسعى لقبول حل سلمي للمشكلة ، وربتت جولدا مائير على يد كورت فالدهايم بكل حنان وامومة وقالت له :

« لا تنزعج يا مستر فالدهايم اننا نستطيع ان نبقى على هذا الوضع دون ان يؤثر ذلك على السلام العالمي لأن العرب لن يتحركوا قبل ١٠ سنوات .

طار كيسنجر من اسرائيل الى لندن ، يوم ٢٢ اكتوبر واجتمع بالسير اليك دوجلاس هيوم وزير خارجية بريطانيا ، وفتح الصحف البريطانية الصادرة في المساء ليجد ان مجلس الامن قد اصدر قراره بوقف اطلاق النار (قرار ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٣) وغادر لندن عائدا الى واشنطن .

وعقد مجلس الامن جلسته يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، وبحث مشروع قرار تقدمت به كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي وافقت عليه جميع الدول الاعضاء في المجلس عدا الصين الشعبية التي امتنعت عن الاشتراك في التصويت وصدر القرار الاول رقم ٣٣٨ وهذا نصه :

قرار رقم ٣٣٨

١ ـ يدعو مجلس الأمن الأطراف في القتال الحالي (في الشرق الأوسط) لوقف اطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكري فورا في فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة منذ لحظة الموافقة على هذا القرار في المواقع التي يحتلونها الآن .

٢ ـ يدعو مجلس الأمن الاطراف المعنية لأن تبدأ فورا بعد وقف إطلاق النار في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل بنوده .

٣ ـ يقرر مجلس الأمن أن تبدأ فورا وفي نفس الوقت مع وقف إطلاق النار المحادثات بين الاطراف المعنية تحت الاشراف المناسب بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

وفي القاهرة اذاعت رئاسة الجمهورية يوم ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر البيان التالي :

« اصدر الرئيس انور السادات بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة امره الى القيادة العامة بوقف إطلاق النار في الموعد الذي حدده مجلس الامن شريطة أن يلتزم العدو بقرار مجلس الامن في نفس اللحظة .»

قبل ان يعلن الرئيس السادات عن قبوله لوقف اطلاق النار ، اتصل بالرئيس حافظ الاسد ، وابلغه انه من ١٠ ايام اي من يوم ١٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ وهو لا

يواجه اسرائيل عسكريا بل يواجه الولايات المتحدة . فالدبابات والطائرات والصواريخ الامريكية تشترك في المعركة . واتفق الرئيسان على قبول نداء مجلس الامن بوقف اطلاق النار والدخول فورا في مباحثات لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ طبقا للقرار الجديد .

وبعد ساعتين من قبول الرئيس السادات وقف اطلاق النار ، نقضت اسرائيل هذا الاتفاق ، وحاولت ان تستولي على مدينة السويس والاسماعيلية لكي يكون الاستيلاء على مدينة هامة كالسويس والاسماعيلية بالاضافة الى إنتشارها على الارض في الضفة الغربية بمثابة نقطة مساومة للحصول على أفضل تسوية سياسية . ولانقاذ وضعها العسكري الحرج على طول خطوط وقف اطلاق النار التي كان من المفروض ان تكون واضحة طبقا للمعلومات التي لدى كل من الاتحاد السوفيتي وامريكا بل هيئة الرقابة الدولية . وكانت الدولتان العظميان تسجلان بالاقمار الصناعية جبهة القتال كل لحظة واعلن الاتحاد السوفيتي انه على استعداد لأن يقدم الخرائط التي لديه ولكن الولايات المتحدة أخفت هذه الوقائع .

ازاء استمرار العمليات العسكرية على طول الجبهة وبعد نقض اسرائيل لقرار وقف اطلاق النار وتجاهلها خطوط ٢٢ اكتوبر طلب الرئيس انور السادات من اسماعيل فهمي وزير الخارجية بالنيابة (نظراً لوجود الدكتور محمد حسن الزيات في نيويورك) ان يتولى مهمة الاتصال بالدولتين العظميين وبكورت فالدهايم يومي ٢٣ و٢٤ اكتوبر لابلاغهم بتدهور الموقف . وكان اسماعيل فهمي في اتصالاته مع وزراء خارجية الدول يقول انه وزير الخارجية بالنيابة ، ولكن الرئيس السادات كان يقول له ، وهو يجري اتصالاته امامه من قصر الطاهرة « قل لهم وزير الخارجية » . وكان اسماعيل فهمي يقول « كيف اقول هذا ووزير الخارجية في نيويورك » ؟ ورد الرئيس قائلا : « ليس المهم الشكليات الآن ، نحن نريد اختصار الوقت » .

طلبت مصر من الدولتين العظميين والسكرتير العام يوم ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) إرسال قوات من الاتحاد السوفيتي وامريكا لاعادة اسرائيل الى خطوط وقف اطلاق النار وتحديد هذه الخطوط والا فان مصر سوف لا تلتزم بقرارها بقبول ذلك وتستأنف اطلاق النار وان كانت المعارك لم تتوقف لحظة واحدة منذ صدور القرار .

اعتبرت الولايات المتحدة هذا الطلب بمثابة دعوة للاتحاد السوفيتي لانزال قواته في الضفة الغربية للقناة ، نظرا لوجود الاسلحة والمعدات والذخائر الامريكية في الضفة الشرقية ، وتوقعت الولايات المتحدة ان القوات السوفيتية سوف تقف على الضفة الغربية لتواجه القوات الاسرائيلية بالاضافة الى قرار حظر تصدير البترول لامريكا والهزيمة العسكرية لاسرائيل ، كل هذه العوامل دفعت الرئيس نيكسون لممارسة سياسة حافة الهاوية مستندا الى معلومات قالت المخابرات الامريكية انها سجلتها عن اعلان حالة الاستعداد القصوى في ثلاث فرق سوفيتية محمولة جوا يوم ٢٨ اكتوبر في اوروبا الشرقية . وكانت المعلومات تفيد ان وحدات عسكرية سوفيتية تستعد للسفر الا انها كانت مبررا لاعلان حالة الاستعداد النووي في الجيش والطيران والبحرية الامريكية . والمعلومات مستقاة من مصادر دولة من الدول الشرقية ابلغت الولايات المتحدة بهذه التحركات التي تمت في اراضيها .

دخل اناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن الى مكتب الدكتور هنري كيسنجر في وزارة الخارجية الامريكية يوم ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) بعد عودته من موسكو وبعد ان تلقى الوزير الامريكي نداء الرئيس السادات وابلغ كيسنجر ان السفير جاكوب ماليك رئيس الوفد السوفيتي في نيويورك قد تلقى تعليمات من موسكو بتأييد اقتراح قيام قوة دولية من الاتحاد السوفيتي وامريكا للاشراف على وقف اطلاق النار . ولكن كيسنجر إعترض على هذا الاقتراح وطلب إبلاغ موسكو أن واشنطن ترفضه وسوف تعارضه بكل قوة .

عاد دوبرنين في مساء نفس اليوم ليبلغه بانه يحمل رسالة عاجلة من الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف . ويبدأ في املاء الرسالة على كيسنجر وكانت لهجة الرسالة جافة اذ انها لم تبدأ بالجملة المألوفة . « عزيزي الرئيس » بل بدأها بريجنيف بقوله « سيادة الرئيس . لا بد وان نبدأ في تشكيل قوة دولية من دولتينا (الاتحاد السوفيتي وامريكا) ونقوم بارسال هذه القوة فورا الى المنطقة للمحافظة على احترام وقف اطلاق النار ولمواجهة التحدي الاسرائيلي لقرار الدولتين الذي تقدمنا به لمجلس الامن ولحملها على احترامه . واذا وجدتم ذلك مستحيلا فان الاتحاد السوفيتي سوف يتخذ ما يراه من خطوات مناسبة ومن جانب واحد حتى لا نسمح لاسرائيل بالاستمرار في خرقها لقرار وقف اطلاق النار » .

وكان رد فعل الولايات المتحدة لهذه الرسالة هو :

١ ـ اعلان حالة الاستنفار العسكري لمواجهة احتمالات إرسال قوات سوفيتية لمصر ، على أن يكون هذا الاستنفار وإعلان حالة التعبئة والاستعداد القصوى لجميع وحدات القوات المسلحة الامريكية البرية والجوية والبحرية التقليدية والنووية الموجودة في امريكا ، ومنها البحر الابيض والمتوسط وقاعدة جوام ، وشمال كارولينا واسطول الغواصات الذي يحمل صواريخ نووية من طراز بولاريس .

٢ ـ محاولة الولايات المتحدة اقناع الاتحاد السوفيتي برسالة بعث بها نيكسون لبريجنيف يقترح فيها إصدار قرار من مجلس الامن بانشاء هيئة رقابة دولية وقوة طوارىء دولية تتألف من وحدات عسكرية من دول ليست من الدول الكبرى او الدول النووية .

اما المصادر المصرية في القاهرة فكان تحليلها لهذا الموقف كان يؤكد ان الولايات المتحدة اعتقدت بان الاتحاد السوفيتي ـ بناء على طلب الرئيس السادات بارسال قوات دولية الى المنطقة ـ سوف يقوم بانزال قواته على الضفة الغربية للقناة وبذلك فان الولايات المتحدة سوف تقوم بانزال قواتها على الضفة الشرقية للقناة وتقف قوات الدولتين العظميين على جانبي قناة السويس للفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ونسيت الولايات المتحدة ان الضفة الشرقية والغربية للقناة وسيناء كلها ارض مصرية ، وان مصر لم تطلب قوات سوفيتية او أمريكية لانزالها بين القوات المتحاربة بل أرادت اشتراك الدولتين العظميين في مواجهة الموقف الذي ترتب على تدخل الولايات المتحدة في المعركة لصالح اسرائيل واستمرار القوات الاسرائيلية في خرق قرار وقف اطلاق النار ودعوة الدولتين العظميين لتحمل مسؤولية ذلك وباعتبار ان الدولتين طلبتا وقف اطلاق النار وتقدمتا بمشروع قرار يوم ٢٢

اكتوبر الى مجلس الامن بهذا المعنى .

كانت مصر تدرك ان الوفاق الدولي سوف لا يسمح للدولتين العظميين بالاستمرار في هذه المواجهة ، وفي خلال هذه الساعات الحاسمة من التاريخ ، طلبت مصر يوم ٢٣ اكتوبر دعوة مجلس الامن للاجتماع واجتمع المجلس لبحث حالة استمرار القتال على طول الجبهة المصرية الاسرائيلية وتقدم الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بمشروع قرار وافقت عليه جميع الدول الاعضاء في مجلس الامن عدا الصين التي لم تشترك في التصويت [1] ونص القرار الذي صدر يوم الثلاثاء ٢٣ اكتوبر والذي حمل رقم القرار ٣٣٩ على التالي :

« مجلس الامن اذ يشير الى قراره رقم ٣٣٨ (١٨٧٣) الصادر بتاريخ ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

١ ــ يؤكد قراره بشأن الوقف الفوري لجميع أشكال إطلاق النار وكل الأعمال العسكرية ويحث قوات الجانبين الى العودة الى المراكز التي كانت تحتلها لحظة سريان وقف اطلاق النار .

٢ ــ يطلب الى السكرتير العام اتخاذ التدابير اللازمة لارسال مراقبي الامم المتحدة فورا للاشراف على مراعاة وقف اطلاق النار بين قوات اسرائيل وجمهورية مصر العربية مستخدما لهذا الغرض أفراد الامم المتحدة الموجودين الآن في الشرق الاوسط ، وأولهم الأفراد الموجودون بالقاهرة .

عندما اتخذ مجلس الامن قراره في الساعة العاشرة وثلاث دقائق بتوقيت جرينتش مساء يوم ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ كانت ازمة الرسائل المتبادلة بين الاتحاد السوفيتي وامريكا لا تسمح باتخاذ قرار بانشاء قوة للطوارىء الدولية بعد ان اقترحت مصر ووافق الاتحاد السوفيتي ومجموعة دول عدم الانحياز على إشراك امريكا والاتحاد السوفيتي في هذه القوة ، وعجزت الدول الاعضاء في مجلس الامن عن استصدار قرار بانشاء قوة للطوارىء ، في الوقت الذي استمرت الاعمال العسكرية على طول جبهة القناة ، وكانت اسرائيل خلال الساعات التي أعقبت صدور قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار ، الصادر في ٢٢ اكتوبر تسعى إلى دعم مواقعها ، وسرعة انتشارها بحيث يكون تنفيذ القرار متعذرا بالنسبة للانسحاب الى مواقع ٢٢ اكتوبر . مع عرقلة جهود الامم المتحدة الرامية لقيام قوات هيئة الرقابة بمراقبة وقف اطلاق النار واحترامه ، لتنفيذ القرار الجديد الذي صدر يوم ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) ويحمل رقم ٣٣٩ .

إزاء هذا الموقف المعقد وفي ظل رفض الولايات المتحدة لاتخاذ إجراء دولي يرغم إسرائيل على الانسحاب إلى مواقع ٢٢ اكتوبر . اضطر المستر كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة أن يبلغ مجلس الامن ليلة اجتماع المجلس يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣ انه سيسعى الى زيادة عدد المراقبين الدوليين الموجودين في المنطقة لكي يمارسوا مسؤولياتهم واختار لهذه المهمة الجنرال الفنلندي انزيو سيلاسفو رئيس هيئة المراقبة الدولية في الشرق الاوسط لممارسة هذه المسؤوليات فورا على ان يقوم بتوزيع مراقبيه على طول جبهة القتال . وقام الجنرال سيلاسفو بموافقة السلطات المصرية على توزيع المراقبين الدوليين في ثلاث

---

(١) ــ الدول الاعضاء في مجلس الامن ١٥ دولة.

مجموعات على القطاع الشمالي والاوسط والجنوبي لمنطقة قناة السويس بينما رفضت اسرائيل قيام المراقبين الدوليين بالانتشار على الضفة الشرقية ، مع تحذيرهم من التوجه إلى منطقة المعارك قبل ان يتوقف القتال فعلا .

اجتمع مجلس الامن مرة اخرى مساء يوم الاربعاء ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ بناء على طلب مصر ، وفشل المجلس في اتخاذ قرار بانشاء قوة دولية للطوارىء ، وكان جوزيف اوبيرو جوى مندوب كينيا قد تقدم بمشروع قرار تبناه وفد بلاده بالاشتراك مع كل من غينيا والهند واندونيسيا وبنما وبيرو والسودان ويوغوسلافيا بانشاء هذه القوة .

وبعد تبادل الرسائل بين بريجنيف ونيكسون ، وبعد تبادل التهديدات وإعلان حالة الاستنفار ، إستطاع مجلس الامن يوم ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، بموافقة جميع الدول الاعضاء (امتنعت الصين عن الاشتراك في التصويت) ان يوافق على قرار بانشاء قوة طوارىء دولية لا تشترك فيها الدول الكبرى والدول النووية ، وطلبت فرنسا اضافة تعديل يقضي بعدم اشراك الدول الاعضاء الدائمين في مجلس الامن في تشكيل هذه القوة[1] .

صدر القرار الثالث من مجلس الامن ، والذي اصبح يحمل رقم ٣٤٠ في ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ والذي ينص بعد الديباجة على الفقرات التالية :

١ ــ يطالب مجلس الأمن بوقف اطلاق النار الكامل والفوري ومراعاة ذلك ، وعودة الأطراف إلى مواقعها التي كانت تحتلها في الساعة ١٦,٥٠ بتوقيت جرينتش يوم ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٢ .

٢ ــ يدعو السكرتير العام للامم المتحدة ، كخطوة فورية ، لزيادة عدد المراقبين التابعين للامم المتحدة على الجانبين .

٣ ــ يقرر فورا إنشاء قوة طوارىء دولية ــ تحت سلطة مجلس الامن ــ تتألف من أفراد يتبعون لدول أعضاء في الامم المتحدة عدا الدول الاعضاء في مجلس الامن . ويطالب المجلس السكرتير العام بتقديم تقرير في خلال ٢٤ ساعة عن الخطوات التي اتخذها لتنفيذ هذه المهمة .

٤ ــ يطالب السكرتير العام بان يقدم تقريره لمجلس الامن بصفة عاجلة ومستمرة عن مدى تنفيذ هذا القرار بالاضافة الى القرارين رقم ٣٣٨ و٣٣٩ (عام ١٩٧٣) .

٥ ــ يدعو جميع الدول الاعضاء لتقديم تعاونها الكامل مع الامم المتحدة لتنفيذ هذا القرار والقرارين رقم ٣٣٨ و٣٣٩ .

وبعد إصدار القرار أعلن السكرتير العام كورت فالدهايم بأنه تبادل رسائل مع رئيس الوفد الاسرائيلي في الامم المتحدة يوسف تيكواه وان هذه الرسائل أكدت استعداد اسرائيل لقبول التعاون مع المراقبين الدوليين على الجبهة السورية، وكانت اسرائيل قد رفضت قيام المراقبين الدوليين بممارسة مسؤولياتهم في الجبهتين السورية والمصرية .

(١) ــ الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن هي : الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، والصين.

ساد مطار القاهرة ظلام دامس مساء يوم السبت ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، ووقفت مجموعة من الصحفيين في ظل اجراءات امن وترتيبات عسكرية ينتظرون هبوط طائرات الامم المتحدة تحمل طلائع القوات الدولية التي قرر مجلس الامن تشكيلها من وحدات لها في قبرص ، لتطير فورا الى القاهرة وتشق طريقها الى ميدان القتال ، لوقف المعارك الدائرة والتي استمرت دون توقف ، بل زادت حدتها منذ صدور قرار مجلس الامن .

وفي ركن مظلم من المطار ، الذي اصبح منطقة عسكرية محرمة ، تحرسه قوات الجيش المصري ، وقف الجنرال انزيوسيلاسفو الفنلندي رئيس هيئة الرقابة في الشرق الاوسط يستقبل الدفعة الاولى من القوات الدولية التي قرر كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة ان يكلفه بقيادتها ، ويطلب اليه ان يقوم « بأخطر وأدق عملية عسكرية » بتشكيل وحدة من القوات الدولية تقف بين القوات المتحاربة في سيناء والقناة ، وعلى أن تكون مسؤولية سيلاسفو محددة في ثلاث نقاط :

١ ــ وصول الامدادات الضرورية للجيش الثالث بطريقة منظمة .
٢ ــ الوضع الخاص بخمسمائة جندي وضابط في كبريت .
٣ ــ وصول الامدادات والأدوية والاسعافات الأولية الضرورية إلى السويس ، خصوصًا إلى الجرحى من المدنيين بعد فرض حصار على الطريق المؤدي لها .

٤ - السادات ونيكسون : الحوار الاول

من مطار القاهرة توجه الجنرال انزيو سيلاسفو مباشرة الى مكتب السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية بالنيابة مساء يوم ٢٦ اوكتوبر ١٩٧٣ الذي ابلغه رسالة عاجلة من مصر في ضوء اتصالات اجراها الوزير مع الولايات المتحدة، تطلب منه التوجه على الفور الى منطقة القنال دون انتظار، لانشاء مراكز ثابتة للقوات الدولية في القاهرة والاسماعيلية كما كان متوقعا، ولتنظيم وصول امدادات للعسكريين والمدنيين المصريين.

وفي هذه الليلة تم ترتيب اول اجتماع تحت اشراف الامم المتحدة ، يضم ممثلين عن مصر واسرائيل لبحث تنفيذ قرار وقف اطلاق النار ، والقيام بالاجراءات العاجلة التي تتعلق بالجرحى وتوصيل الامدادات وحل المشاكل الميدانية العاجلة ، وتم الاجتماع مساء يوم ٢٧ اكتوبر ، ولم يعلن عنه في ذلك الوقت . ورأس الاجتماع نائب عن الجنرال سيلاسفو الذي كان يمارس جهوده في مناطق اخرى ومن الجانب المصري « اللواء » محمد عبد الغني الجمسي ومعه الوزير المفوض (السفير الآن) عمر سري ، والمستشار فوزي الابراشي (وزير مفوض الان)، ومن الجانب الاسرائيلي الجنرال هارون ياربيف . وتم الاجتماع عند الكيلو ١٠٩ وتم الاتفاق على السماح لأول قافلة من قوافل الامم المتحدة بعبور الخطوط الاسرائيلية الى السويس وكبريت والجيش الثالث . وكان هنري كيسنجر على اتصال بجولدامائير من واشنطن لتسهيل عمل قوات الطوارىء الدولية .

كان إتصال مصر بالولايات المتحدة قد تم عقب ارسال قوة الطوارىء الدولية واقترح الرئيس ريتشارد نيكسون على الرئيس السادات ان يوفد وزير خارجيته هنري كيسنجر للاجتماع بالرئيس واقترح نيكسون يوم ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) موعدا لهذه الزيارة . ولكن الرئيس كان قد اتخذ قراره بايفاد مبعوث خاص للاجتماع بالرئيس نيكسون ، وقرر أن يكون اسماعيل فهمي وزير الخارجية بالنيابة مبعوثه في هذه المهمة الحرجة والدقيقة في اول لقاء مباشر بين مصر وامريكا بعد حرب ٦ اكتوبر .

اتخذ الرئيس السادات قراره بايفاد اسماعيل فهمي الى واشنطن . وفي يوم الاحد ٢٨ اكتوبر ، بعد ان قرر الرئيس ان مصر سوف لا تستمر في خوض معركة عسكرية ضد الولايات المتحدة ، دعا الرئيس انور السادات الى اجتماع طارىء في قصر القاهرة .

وصف الرئيس السادات لحظة قراره ببدء حوار جاد مع امريكا قائلا (١): « خضنا المعركة ، وقمنا بتغيير وجه التاريخ وخرجت الامة العربية محترمة ومهابة امام الدنيا كلها .. ضربنا نظرية الامن الاسرائيلي ، واستطعنا ان نكبد اسرائيل خسائر جيل كامل

---

(١) ــ حديث الرئيس السادات مع الصحفيين المصريين في اسوان يوم ١٠ مارس ١٩٧٥.

ضربنا اسرائيل في معركة واحدة وحققنا انتقامنا لخمس وعشرين سنة مضت ، وحققنا استقلال ارادتنا واستقلال القرار ، وادركت أن أمامي أحد إختيارين إما أن استمر في المعركة ضد امريكا فاخسر كل جيشي رجالا وسلاحا واما ان اتوقف بعد تحقيق هذا الانتصار ، لأبدأ حوارا مع امريكا وهو ما اسميه « محاولة فض الاشتباك معها » .

قرر الرئيس السادات ان يوفد مبعوثا خاصا الى امريكا يبدأ الحوار مع الرئيس نيكسون ، من موقع القوة او كما قال احد المعلقين الامريكيين يصف هذا القرار « جاءت مصر تحمل في يدها سلاح النصر ، جاءت بمدفعها وانتصارها ، تدعو امريكا لحوار عاقل موزون ، ولم تأت تمد يدها لتطلب معونة الرئيس نيكسون » .

دق جرس التليفون في مكتب اسماعيل فهمي وزير الخارجية بالنيابة يوم الاحد ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ (لوجود الوزير الاصيل الدكتور الزيات في نيويورك) في الطابق السادس من مبنى وزارة الخارجية ، وكانت امامه قائمة من المقابلات العاجلة السريعة مع الجنرال انزيو سيلاسفو ، الذي ابلغه اسماعيل فهمي انه اتصل بالمستر كورت فالدهايم في نيويورك ، (وكان يعرفه من فيينا معرفة جيدة) وان السكرتير العام وافق على تعيينه قائدا مؤقتا لقوة الطوارىء .

كان اسماعيل فهمي على موعد مع عدد من السفراء لمناقشة الوضع السياسي والعسكري بعد استمرار المعارك على طول الجبهة . لكن رئاسة الجمهورية طلبت منه الحضور فورا الى قصر الطاهرة ليشترك في اجتماع يرأسه الرئيس انور السادات .ودخل اسماعيل فهمي الى قاعة الاجتماع ليشترك في جلسة عمل ضمت السادة حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية [1] وحافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي ، والفريق اول احمد اسماعيل وزير الحربية و « اللـــواء » محمد عبد الغني الجمسي رئيس العمليات . وجلس اسماعيل فهمي على مقعد جانبي ، ولكن الرئيس دعاه ليجلس امامه على طاولة الاجتماع . ثم بدأ الرئيس يتحدث عن خطة للفصل بين القوات وفك الارتباط وطلب الرئيس من المجتمعين مناقشة هذا المشروع وتكلم الفريق اول احمد اسماعيل وشرح وجهة نظره ، وتكلم « اللواء » محمد عبد الغني الجمسي ، وتكلم الرئيس في النهاية ، لاملاء الافكار التي تبلورت عن هذا الاجتماع ، واخذ جميع الحاضرين يكتبون على الورق المبادىء التي قررها الرئيس .

قال الرئيس انور السادات « إن قراري هو بحث هذا الموضوع مع الولايات المتحدة ، والموضوع هو مناقشة مشروع فك الارتباط الذي اعددته وناقشته معكم ، ويتبع هذا المشروع الخاص بفك الارتباط البدء في انسحاب اسرائيل على مراحل ، بنفس الصورة التي اقترحناها في المبادىء التي اعلنتها في فبراير (شباط) ١٩٧١ . ولذلك فقد قررت ايفاد اسماعيل فهمي الى واشنطن الآن لمقابلة نيكسون وسوف أملي عليك الآن النقاط الاساسية التي يجب ان تدرسها معه وتعود فورا من انتهاء المباحثات لاطلاعي على النتائج ».

ونظر الرئيس في ساعته وقال « الساعة الآن الثالثة بعد الظهر ... الساعة

(١) ـ اقصي السيد حسين الشافعي من منصبه في ابريل (نيسان) ١٩٧٥.

السادسة تكون واخد طيارة بوينج خاصة وتكون بكرة الصبح في امريكا » .

وقبل ان يستوعب اسماعيل فهمي هذه المفاجأة قال له الرئيس «مبروك يا اسماعيل... اخترتك وزيراً لخارجيتي » .

خرج اسماعيل فهمي عائدا الى مكتبه في الجيزة للاعداد لهذه الرحلة الخاطفة والحاسمة ، واستطاع ان يحصل على تاشيرات لدخول امريكا من بعثة رعاية المصالح الامريكية . وطلب من الوزير المفوض عمر سري (السفير الان) الاعداد لكل الاجراءات والاتفاقات مع شركة مصر للطيران للسفر فورا لان مطار القاهرة كان مغلقا ، ولا زال يخضع للاشراف العسكري ، وطلب حضور الدكتور عبد الله العريان الموجود في القاهرة وسفير مصر السابق في باريس والذي عين بعد ذلك سفيرا في برن للسفر معه كمستشار قانوني له في هذه المهمة الخطيرة .

وكان الوزير المفوض عمر سري قد اشترك في اول اجتماع عسكري في الكيلو ١٠٩ ثم استدعي الى قصر الطاهرة مع اسماعيل فهمي وعاد معه الى مكتبه في الجيزة للاعداد للرحلة المفاجئة الى واشنطن .

قبل الساعة الثامنة من مساء الاحد ٢٨ اكتوبر ، كانت الطائرة البوينج الخاصة تغادر مطار القاهرة المظلم وعليها اسماعيل فهمي وزير الخارجية الذي تولى هذا المنصب منذ دقائق والسفير الدكتور عبد الله العريان والوزير المفوض عمر سري ، ولم تكن معهم عملات اجنبية ، وحملتهم الطائرة الخاصة الى باريس ، ومن باريس استقلوا طائرة اخرى ليهبطوا في واشنطن ، يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر .

في اثناء رحلة الطائرة من باريس الى واشنطن كان اسماعيل فهمي يتذكر السنوات التى قضاها في نيويورك حيث انجب ابنه الاكبر حامد (٢٣ سنة) وابنه الثاني نبيل. وعندما جاء الى الامم المتحدة في بداية عمله الدبلوماسي اراد ان يزور واشنطن وترك نيويورك في عطلة نهاية الاسبوع وتوجه الى واشنطن ليجدها «قرية صغيرة لم تعجبه» وعاد الى الامم المتحدة وبقي فيها ١٨ عاما لم يزر خلالها واشنطن الا بعد تكليف الرئيس السادات له القيام بهذه المهمة.

اسند اسماعيل فهمي رأسه إلى زجاج نافذة الطائرة وهي تهبط به في مطار واشنطن يفكر في هذا اللقاء التاريخي الذي اذا حقق اهدافه فسيكون تطورا هاما في العلاقات المصرية ـ الامريكية، واذا فشل فان ذلك سيؤدي الى تعقيدات وتطورات خطيرة . واخرج من حقيبته للمرة الاخيرة التعليمات التي حملها معه لمقابلة نيكسون الذي لم يلتق به من قبل ، والدكتور هنري كيسنجر وزير خارجيته الذي يتمتع بهذه السمعة العالمية والذي لم يعرفه ايضا

ويروي هنري كيسنجر ـ كما قال لي ـ انه قرر فعلا بناء على تعليمات نيكسون السفر الى القاهرة ، بعد ان ينتهي من محادثاته مع جولدامائير رئيسة وزراء اسرائيل التي كانت ستصل الى واشنطن يوم ٣١ اكتوبر ، عندما تلقى برقية من بعثة رعاية المصالح الامريكية في القاهرة تبلغه ان اسماعيل فهمي وزير السياحة المصري في طريقه الى واشنطن . فقد كان الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية موجودا في نيويورك ولم تتم اذاعة انباء

استدعاء الزيات وعودته الى القاهرة لوفاة والد قرينته الدكتور طه حسين ، ولم تكن انباء تعيين اسماعيل فهمي وزيرا للخارجية قد انيعت فعلا ، وارسل كيسنجر يطلب تأجيل زيارة وزير السياحة المصري ولكن القاهرة كانت قد ابلغت واشنطن مباشرة بان اسماعيل فهمي سوف يصل بين لحظة واخرى الى العاصمة الامريكية .

ويصمم الدكتور هنري كيسنجر على تكرار هذه القصة في كل مناسبة وينتهز فرصة الترحيب باسماعيل فهمي في الخطب التي يلقيها في مآدب الغداء والعشاء فيروي هذه القصة ليؤكد انه لم يعرف اسماعيل فهمي من قبل، بل لم يكن يريد إتمام هذا اللقاء لعدم معرفته به من قبل ثم ينتقل ليؤكد انه بعد اول لقاء بينهما توطدت الصداقة . ولتكرار هذه القصة اضطر اسماعيل فهمي في مادبة غداء ان يرد على هذه المجاملة مؤكدا ان كيسنجر هو الذي طلب زيارة القاهرة ، وان مصر هي التي قررت تاجيل زيارته لها . وقال فهمي ان كيسنجر كرر قصة عدم ترحيبه بزيارته لواشنطن لدرجة ان اسماعيل فهمي وجميع الدبلوماسيين قد سمعوا هذه القصة عدة مرات واصبحوا لا يطيقون سماعها مرة اخرى . ومنذ ذلك الحين قرر كيسنجر الامتناع عن تكرارها .

وصل إسماعيل فهمي وزير الخارجية الجديد في مهمته الدقيقة إلى واشنطن ، يوم ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) واستقبله الرئيس الامريكي في مكتبه البيضاوي في البيت الابيض يوم ٣١ اكتوبر وابتدره نيكسون قائلا « انني سعيد بان أكون اول رئيس دولة يرحب بك كوزير للخارجية بعد ان سمعت من الاذاعات ان الرئيس انور السادات قد إختارك لهذا المنصب ».وشكر اسماعيل فهمي الرئيس الامريكي على هذه المجاملة ، ولكنه قال ضاحكا « كان الرئيس انور السادات هو اول رئيس دولة يقوم بتهنئتي على هذا المنصب ، لانه بعد ان ابلغني بنبأ اختياري للسفر الى واشنطن ، ابلغني ايضا باختياري وزيرا للخارجية وهنأني على هذا المنصب .»

قال نيكسون لاسماعيل فهمي « انني لست فقط كرئيس جمهورية الولايات المتحدة ، وكرئيس امريكي بل كريتشارد نيكسون ، اسجل اشد اعجابي بالذين يحاربون ويناضلون جيدا .. لقد حاربتم وضحيتم ونحن كامريكيين نحب الذين يناضلون . ويقدر اعجابي بموقفكم فانني على استعداد لممارسة اي جهد مطلوب من اجل اظهار مشاعري نحوكم » .

استمر الحوار بين الرئيس نيكسون واسماعيل فهمي ، واكد الوزير المصري في حديثه مع الرئيس « ان مصر تريد ان تبدأ علاقات جديدة مع الولايات المتحدة . فقد ارتكبت في حقنا الكثير من الاخطاء ومنذ ٢٥ سنة ونحن نعاني من اخطاء السياسة الامريكية في المنطقة ، ولقد ارتكبنا نحن (المصريون) بعض الاخطاء ، ولكن اخطاء الدول الكبرى لا يمكن أن تقاس بأخطاء الدول الصغرى ، والطريق مفتوح امامنا للتعاون . إن الدول العربية التي قررت قطع البترول عن امريكا ، لم تتخذ قرارها بضغط مارسته مصر عليها . ولكن هذه الدول اتخذت هذا القرار إستنادا إلى موقف مصر العسكري وتأييدا لانتصارها ، وقد حان الوقت لنبدأ رسم علاقاتنا على اسس جديدة » .

ومع إستمرار الحوار مع اسماعيل فهمي شعر وزير الخارجية المصري ان نيكسون كان واقعا تحت تأثير معلومات خاطئة عن العرب ، وعن مصر بالذات ، وان الدعاية

الاسرائيلية والاجهزة الامريكية المختلفة كانت تقنع صانعـي القرار في امريكا ، ومن بينهم الرئيسي الامريكي ، بان العرب لا يستطيعون عمل شيء ، وانهم عاجزون عن تحرير اراضيهم ، وان مشكلة الشرق الاوسط مشكلة من الدرجة الرابعة ، ولا تمثل اي تهديد للوفاق الدولي او المصالح الامريكية .

اشترك هنري كيسنجر في هذا اللقاء الذي تم بين الرئيس نيكسون واسماعيل فهمي واستمع الى هذا الحوار بين الرئيس الامريكي ووزير الخارجية المصري ، وفوجيء كيسنجر وهو يستمع الى نيكسون الذي قال :

« .. انني لست ضد الاقليات ، ولا يمكن ان اتهم بانني معاد للسامية ، وقد قابلت جولدامائير ، واعطيتها فرصة مقابلة رجال الكونجرس ، وزعماء الصهيونية في الولايات المتحدة ، ولكني سوف اتخذ الآن عدة قرارات ، وفي الوقت المناسب ، وسوف تجد جولدامائير نفسها امام نيكسون آخر » .

وقال نيكســــون :

« ... ان كل المعلومات التي كانت لدي ، كانت تؤكد ان شيئا لن يحدث في الشرق الاوسط ، ولذلك كانت الولايات المتحدة لا تعطي لهذه المشكلة اهمية »

وأشار نيكسون الى اهمية عودة العلاقات بين مصر وامريكا ، والى ضرورة بدء حوار حقيقي بين أصدقاء لا بين أعداء لوضع اساس ثابت لعلاقات قوية .. وكان رد اسماعيل فهمي ان مصر لا تستطيع ان تناقش شيئا الآن الا بعد وصول الامدادات للجيش الثالث بصفة منتظمة .

واقترح اسماعيل فهمي على الرئيس نيكسون ما سبق ان املاه الرئيس السادات على وزير خارجيته الجديد ، من انسحاب اسرائيل الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، واوضح اسماعيل فهمي للرئيس نيكسون ان مصر تريد « فك الاشتباك »[1] الحالي وكانت مصر تستخدم لاول مرة كلمة « فض الاشتباك » بعد ان بحث المختصون في القاهرة عن الترجمة الحرفية لها بالانجليزية والتي استخدمها اسماعيل فهمي اثناء مناقشاته مع الرئيس نيكسون وهي كلمة DISENGAGEMENT واستعان اسماعيل فهمي بورقة رابحة وهي ان اتمام فك الاشتباك سوف يعطي لامريكا فرصة مناقشة موضوع تبادل الاسرى الذي جاءت جولدامائير من اجله الى واشنطن .

هرعت جولدامائير الى واشنطن يوم ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) واستقبلها الرئيس نيكسون يوم اول نوفمبر (تشرين الثاني) بعد ان اجتمع في اليوم السابق باسماعيل فهمي ، وبحث معها موضوع الانسحاب الى خطوط ٢٢ اكتوبر ، ولكن جولدا مائير قالت انه لا توجد قوة تستطيع ان تحدد هذه الخطوط وانها لا تمانع في فك اشتباك في سيناء اذا وافقت مصر على تبادل الاسرى « اما موضوع العودة الى خطوط ٢٢ اكتوبر فهذا امر مستحيل » .

---

(١) طلب اسماعيل فهمي البحث عن مرادف لكلمة فك الاشتباك بالانجليزية واقترح السفير عمر سري ان انسب كلمة بالانجليزية هي DISENGAGEMENT ووافق عليها اسماعيل فهمي ودخلت القاموس السياسي منذ ذلك الوقت.

وصل الى واشنطن ايضا في نفس الوقت ، يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٣ السيد محمد زين الدين اسماعيل وكيل الخارجية السورية قادما من نيويورك وبدأت أول محاولة من جانب هنري كيسنجر لممارسة أسلوبه الذي ابتكره والذي اصبح معروفا بعد ذلك باسلوب « المكوك » متنقلا بين فنادق اسماعيل فهمي وجولدامائير ومحمد زين الدين اسماعيل في واشنطن لوقف القتال الدائر من ناحية ، وايجاد صيغة معقولة ومقبولة لابعاد القوات المتحاربة ، والبدء في تنفيذ قرارات مجلس الامن الاخيرة . وكانت جولدا مائير تشير لاول مرة الى ان إغلاق مصر لباب المندب قد اصاب اسرائيل بالاختناق ، وان مرور المعونات والضروريات للجيش الثالث والمدنيين في السويس مرتبط برفع الحصار عن باب المندب .

اقترحت مصر في هذه المحادثات التي كان يقوم بها كيسنجر في واشنطن ان تنسحب اسرائيل الى الضفة الشرقية شرقي المواقع المصرية التي احتلتها القوات المسلحة المصرية ، ويبدأ التحرك نحو تنفيذ قرار مجلس الامن ، عن طريق مؤتمر دولي كما اعلن الرئيس انور السادات،ولكن جولدا مائير قالت ان مصر هي التي شنت الحرب على اسرائيل فكيف تكافأ مصر على هذا العمل ، بانسحاب القوّات الاسرائيلية من الضفة الغربية ، وان كانت اسرائيل تعرف مدى خطورة الوضع العسكري والتمويني لوحداتها الموجودة في منطقة السويس والاسماعيلية والتي تجمعت القوات المصرية للقضاء عليها في مواقعها . وبكل خبث اقترحت جولدامائير ان تنسحب القوات المصرية الى الضفة الغربية مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية من هذه الضفة الى الضفة الشرقية ..

في الوقت الذي كان اسماعيل فهمي يستمر في محادثاته مع الرئيس نيكسون والدكتور هنري كيسنجر في واشنطن ، كان الرئيس السادات يتلقى يوم ٣١ اكتوبر رسالة عاجلة اخرى من المستر ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا يعرض فيها وساطته لرفع حصار مصر عن باب المندب ، مقابل « رفع الحصار » عن الجيش الثالث ، وتبادل الاسرى بين مصر واسرائيل .

ورد الرئيس السادات على هذه الرسالة مؤكدا ان التركيز الآن يجب ان ينصب على احترام وقف اطلاق النار ، وانسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ اكتوبر ، وبعد تحقيق ذلك يتم تبادل الاسرى ، اما رفع الحصار عن باب المندب فهو مرتبط بانسحاب اسرائيل الى الضفة الشرقية في اطار اتفاق للفصل بين القوات .

قبل ان يغادر اسماعيل فهمي واشنطن ، كان قد حصل من نيكسون على التزام من الرئيس الامريكي بالاستمرار في بذل الجهود من اجل تحقيق السلام في المنطقة ، وايفاد الدكتور هنري كيسنجر في اول زيارة له لمصر ، مع وعد من جانب اسماعيل فهمي بعودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وامريكا ، بعد ان يتم وقف اطلاق النار ، وتنسحب اسرائيل الى مواقعها يوم ٢٢ اكتوبر ، او الى ما هو أبعد من ذلك ، اذا امكن التوصل الى اتفاقية لفك الاشتباك ، مع بحث رفع الحصار عن باب المندب عندما تنسحب اسرائيل الى الضفة الشرقية وتبادل الاسرى بين البلدين . وكانت اسرائيل مصممة على اجراء مباحثات مباشرة مع مصر وتم الاتفاق في واشنطن على اتمام هذه المباحثات تحت اشراف الامم المتحدة ، وفي النقطة التي تتواجد فيها القوات المصرية والاسرائيلية وجها لوجه عند الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس ، وبحضور العسكريين من الجانبين على ان يمثل الامم

المتحدة الجنرال انزيو سيلاسفو ، وتتناول المحادثات ترتيبات عسكرية لفض الاشتباك ووقف إطلاق النار ودعم هذا الاتفاق ، بصورة تسمح بالتقدم نحو السلام .

كان واضحا قبل أن يغادر اسماعيل فهمي واشنطن يوم اول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ ان نيكسون يهمه في المقام الاول رفع الحظر المفروض على تصدير البترول واستئناف العلاقات الدبلوماسية العربية ، وقد نشرت الصحف العالمية ، خصوصا الامريكية صورة لاسماعيل فهمي ونيكسون يودعه حتى باب سيارته داخل حديقة البيت الابيض . وقبل ان يركب اسماعيل فهمي سيارته وقف يتحدث لحظات مع هنري كيسنجر ، وقد لف كل واحد منهما ذراعه حول خصر الاخر ، وطار فهمي الى نيويورك للاجتماع بكورت فالدهايم سكرتير عام الامم المتحدة ، لبحث ترتيبات وقف اطلاق النار ، بينما كان الرئيس انور السادات يتشاور مع الزعماء العرب ويبلغهم بالمعلومات المبدئية التي حصل عليها من وزير خارجيته الذي انهى محادثاته في واشنطن . طار الرئيس انور السادات يوم اول نوفمبر الى الكويت في زيارة لم تستغرق اكثر من ٣٠ ساعة حيث عقد مع الرئيس حافظ الاسد اجتماعا استغرق ٦ ساعات في استراحة كبار الزوار في مطار الكويت ، وعاد الاسد الى دمشق في نفس اليوم ، بينما استكمل الرئيس السادات محادثاته في الكويت مع الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت ، وغادرها في نفس اليوم الى الرياض للاجتماع بالملك (الراحل) فيصل ، ثم عاد الى القاهرة يوم ٢ نوفمبر ليجتمع بالرئيس هواري بومدين ، الذي غادرها يوم ٣ نوفمبر بعد محادثات استمرت يوما مع الرئيس السادات . وكان الهدف الالتزام بخط عربي موحد ازاء الولايات المتحدة وقبل زيارة كيسنجر وابلاغ الزعماء العرب ، باحتمال عودة العلاقات مع الولايات المتحدة اذا نجحت مهمة كيسنجر الاولى ، وبحث احتمال رفع الحظر عن تصدير البترول لامريكا على المدى البعيد اذا تحركت بالقدر الكافي الذي يمكن ان يقنع الدول العربية بان هذا السلاح قد حقق هدفه في الضغط على امريكا .

٥ - السادات وكيسنجر ... ولقاء القاهرة

مارس الدكتور هنري كيسنجر سياسة الخطوات القصيرة ، او حل المشكلة خطوة خطوة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، عندما قام بالتنقل بين فنادق واشنطن للاجتماع بجولدا مائير ثم باسماعيل فهمي ، ثم بمحمد اسماعيل وكيل الخارجية السورية ، خلال ٤ ايام متتالية اعتبارا من ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) الى ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ ، قبل ان يطير الى الشرق الاوسط في اول جولة يقوم بها بعد توليه منصب وزير الخارجية . وكان يضع في إعتباره ــ كما قال لي بعد زيارته الاولى التي بدأت للقاهرة بعد منتصف الليل يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر ــ ان زيارته الاولى سوف تكون مقدمة لزيارات متكررة ومتلاحقة يمارس خلالها سياسة الخطوات القصيرة لمواجهة أخطر مشكلة متفجرة ، وهي الحرب الدائرة في الشرق الاوسط ، بين اسرائيل ومصر في المقام الاول ، وبين اسرائيل وسوريا في نفس الوقت .

مارس هنري كيسنجر اسلوبه في مواجهة مشكلة الشرق الاوسط ، كما مارس مواجهة المشاكل الاخرى ، على اساس ان حل الازمات لا يتحقق عن طريق الوعظ والتوجيه ، ولا يتم عن طريق فرض اوضاع معينة على الآخرين بالقوة .

نبتت فكرة الخطوات الصغيرة المتتالية من إيمان هنري كيسنجر بان الاستقرار والنظام يمكن ان يتحققا عالميا ، وبالتدريج ، مع وضوح في الهدف ، ومرونة في الوسيلة . لذلك سعى كيسنجر منذ زيارته الأولى للقاهرة ، وبعد ذلك زياراته التي وصلت إلى عشر الى ممارسة اسلوب معالجة المشاكل على حدة ، وعلى جبهة واحدة ، مع وضوح الهدف ، ومرونة الوسيلة ، واساسا بالتدريج .

ان الحكم على اسلوب هنري كيسنجر من خلال ممارسة السياسة الخارجية سوف يأتي الوقت المناسب لتحديده ، وكان كيسنجر نفسه مؤمنا بأن الحكم على أسلوبه لا يمكن ان يتم نتجة لانتصارات سريعة او فشل عاجل ، بل نتيجة لمراجعة الموقف الدولي ، بجملته ، وتقدير مدى تأثير نجاحه في مهمة معينة ومحددة على الصورة العامة للعلاقات الدولية ككل وهو ما يقول عنه كيسنجر :

« ان امريكا يجب أن تضع في الاعتبار ليس فقط تحقيق النتائج المرغوبة ولكن ايضا كافة الاثار الجانبية التي يمكن ان تترتب عليها » .

وفلسفة كيسنجر عندما جاء الى المنطقة ، ولاول مرة ، كانت تتلخص في ضرورة العمل على وقف إطلاق النار المتبادل ، وبناء الظروف المناسبة للتقدم نحو السلام على أن يكون نصيب الولايات المتحدة من ذلك استعادة العلاقات الدبلوماسية مع الدول العربية ، ورفع الحظر المفروض على البترول ، وضمان وجود دولة اسرائيل ، بموافقة الدول العربية.

نتيجة لتطبيق قرارات الامم المتحدة. والهدف الاول والاساسي والرئيسي دون شك ان تكون الولايات المتحدة هي التي سعت لتحقيق الحل المطلوب للمشكلة ، بمشاركة ظاهرية من جانب الاتحاد السوفيتي ، وبدون معارضة قوية من جانب موسكو . وهذا ما عبر عنه كيسنجر في حديثه امام لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الامريكي يوم ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ عندما وصل اسماعيل فهمي الى واشنطن وسأل اعضاء اللجنة هنري كيسنجر عن اسباب هذه الزيارة التي كان من المفروض ان تكون لموسكو التي تتعاون مع العرب فقال على حد تعبيره :

« انه (اي اسماعيل فهمي) يستطيع ان يحصل على الاسلحة من الاتحاد السوفيتي ، ولكنه يستطيع ان يستعيد أراضيه بواسطتنا نحن فقط » .

هذا هو رأي كيسنجر في أهمية الدور الذي تستطيع أن تقوم به امريكا وهذا الدور يقتضي أن تكون الدول العربية على علاقة طيبة بها .

بددت اضواء كاميرات السينما والتليفزيون وفلاشات عدسات التصوير الظلام الدامس الذي سيطر على مطار القاهرة طوال فترة الحرب وما بعدها لاستمرار القتال على جبهة القناة ، ونزلت طائرة تحمل علم الولايات المتحدة ، لاول مرة منذ سنوات، في الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد منتصف ليل الثلاثاء ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ، ونزل رجل قصير القامة ، ممتلىء الجسم ، ضاع في زحام المصورين والرسميين ورجال الامن الامريكي والمصري وانطلق صوت ضخم جهوري يتحدث الى اسماعيل فهمي ويقول « أين انت يا صديقي فهمي ... » ؟.

وتبادل كيسنجر واسماعيل فهمي القبلات ، وتدافع المصورون يسجلون هذا اللقاء ، بينما تدخل رجال الامن ليزجوا بالوزيرين في سيارة رسمية ، كانت في الانتظار . وانتشر الدبلوماسيون الامريكيون المرافقون لكيسنجر والصحفيون الذين يغطون زيارته وجولاته في ارض المطار يبحثون عن سياراتهم التي انطلقت تتبع سيارة كيسنجر وفهمي التي توقفت امام فندق هيلتون الذي حل فيه كيسنجر في زيارته الاولى .

وفي قصر الطاهرة كان الرئيس انور السادات صباح يوم الاربعاء ٧ نوفمبر بعد شهر كامل من حرب طويلة لم تتوقف ، يرحب بالدكتور هنري كيسنجر ، ويقول له وكأنهما اصدقاء من مدة طويلة :

« كيف قضيت ليلتك يا مستر كيسنجر » . ورد كيسنجر بصوته الباريتوني « ذهبت من المطار الى فندق هيلتون ونمت » .

وسأل كيسنجر الرئيس السادات « هل استمعت الى تقرير زميلي وصديقي اسماعيل .. (اسماعيل فهمي) عن زيارته لواشنطن؟». ورد السادات قائلا : « فور عودته استمعت الى تقريره » (كان اسماعيل فهمي قد وصل الى القاهرة يوم ٥ نوفمبر) .

كان هذا الحوار يجري في قاعة الاستقبال في قصر الطاهرة ، والرئيس السادات يرتدي الزي العسكري ويتحدث مع كيسنجر امام الصحفيين والمصورين الذين تدفقوا ليسجلوا اول لقاء بين الرئيس ووزير خارجية امريكا بعد حرب شاركت امريكا فيها بعتادها وسلاحها مع اسرائيل ضد مصر . ولكن السادات كان يتكلم من موقع الثقة ،

ويعرف ان كيسنجر قد جاء الى القاهرة نتيجة لحرب ٦ اكتوبر ، وبعد فرض حظر على البترول ولتحقيق « فض اشتباك » طالت مدته ، واستغرق اكثر من ١٧ سنة بين مصر وامريكا .

ابتسم كيسنجر وهو يتأمل زيادة عدد المصورين والصحفيين وقال للرئيس السادات: « ... ان والدي يهتم جدا بجمع الصور التي تنشرها لي الصحف . واعتقد انه سيكون سعيدا اذا سيجد صورة لي معكم يا سيادة الرئيس ، وفي اماكن مختلفة من العالم » .

وقام هنري كيسنجر بتقديم اعضاء وفده الى الرئيس السادات ، وكان اقدمهم واعلاهم درجة المستر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الذي احتل اسمه الصفحات الاولى من الصحف خلال فترة تولي ويليام روجرز وزارة الخارجية الامريكية ، وكان سيسكو يتنقل بين العواصم العربية واسرائيل في مهمة مشابهة لمهمة كيسنجر ولكن بكفاءة اقل . وضحك الرئيس وهو يصافح جوزيف سيسكو ، وقال له « هالو .. جو » وكان الرئيس السادات قد اجتمع به عدة مرات وهاجم مواقفه في عدة خطب ومناسبات .

بقي الرئيس السادات وهنري كيسنجر في قاعة الاستقبال الرائعة التي تضم افخم واقدم قطع الاثاث في قصر الطاهرة ، وخرج المصريون والامريكيون الى حديقة القصر ، ينتظرون نهاية اول لقاء تاريخي بين السادات وكيسنجر تحت شمس شهر نوفمبر الرائعة .

كان اسماعيل فهمي قد ابلغ الرئيس السادات تأكيدات الرئيس نيكسون بالنسبة لالتزام امريكا بالاستمرار في الحل النهائي للمشكلة .

وبدأ كيسنجر بتدعيم نفس التأكيدات ولكن الرئيس السادات بدأ حديثه قائلا لهنري كيسنجر :

« لقد حضرت لتتكلم معي عن انسحاب اسرائيلي الى خطوط ٢٢ اكتوبر وكيفية تحقيق ذلك . وهذا امر طبيعي ومطلوب . ولكنني أريد ان أتحدث بصورة أشمل وأوفى ، وأريد ان اتحدث عن السلام في الشرق الاوسط ، وعن الدور الذي تستطيع ان تقوم به امريكا في المنطقة ، في دعم هذا السلام . نريد ان نتكلم عن تأثير السلام في الشرق الاوسط على السلام العالمي . نريد أن نعرف كيف تستطيع امريكا ان تمارس جهودها من أجل الاستمرار في الحل . نريد مناقشة المبادىء والاسس ثم نناقش التفصيلات . دعنا نتكلم عن مستقبل العالم ومستقبل البشرية واحتمالات الحرب والسلام . ولنناقش الاستراتيجية العالمية ، ولنبتعد قليلا عن رؤية المشاكل الصغيرة ، ولنناقشها في اطار بحث المشاكل العامة ، والتصورات الجديدة بالنسبة للبشرية كلها » .

دخل الرئيس السادات في حوار ممتع عميق مع كيسنجر السياسي الامريكي والاستاذ الجامعي الذي جاء ليناقش تحديد خط الانسحاب ، ليجد نفسه امام سياسي عالمي مصري يبحث في مصير الانسانية ، ومستقبل البشرية والعلاقات العربية ـ الامريكية ومستقبل العلاقات المصرية ـ الامريكية .

وعندما جاء ذكر النقاط التي حملها كيسنجر معه والتي تتعلق بمهمته الاساسية قال الرئيس السادات : « انني اوافق على فك الارتباط بالصورة التي تقترحها ولكنني اولا

احب ان اوضح انني اريد ان تحتفظ قواتي بحجم انتصارها العسكري واذا تم الفصل بين القوات على الجبهة المصرية فلا بد من ان يتم كذلك على الجبهة السورية » .

سأل الدكتور كيسنجر الرئيس السادات عن كيفية تحقيق الفصل على الجبهة السورية فقال الرئيس « سوف أناقش هذا مع الرئيس الاسد ، وان كانت المبادىء التي سوف نراعيها بالنسبة لمصر ، سوف نراعيها بالنسبة لسوريا » .

واوضح الرئيس السادات انه يتصور ان يكون خط الفصل بالنسبة لسوريا ، يشمل الانسحاب من بعض مواقع من الجولان (بالصورة التي تم بها الانسحاب فعلا بالاضافة الى مدينة القنيطرة .)

دار حديث طويل بعد ذلك عن التقدم نحو السلام ، واشار كيسنجر الى اقتراح الرئيس بعقد مؤتمر دولي للسلام ، وأن امريكا تشارك مصر في أنه بعد وقف القتال الدائر فلا بد من دعوة مؤتمر للسلام تشترك فيه الدولتان العظميان .

وبدأت بعد ذلك مناقشة إمكانية رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بين البلدين الى درجة سفارة وارتبط ذلك بتحقيق التالي :

١ ـ عودة اسرائيل الى مواقع ٢٢ اكتوبر في اطار الفصل بين القوات .
٢ ـ وصول الامدادات غير العسكرية للضفة الشرقية .
٣ ـ تتولى الامم المتحدة الاشراف على نقط المراقبة على طريق القاهرة السويس .
٤ ـ تبادل الاسرى والجرحى .

وقرر الرئيس السادات إبقاء موضوع رفع الحظر على باب المندب الى حين موافقة اسرائيل على إنسحاب قواتها من الضفة الشرقية والضفة الغربية وتقدم القوات المصرية على الضفة الشرقية ، وهو ما اسماه الرئيس بفك الارتباط بين القوات . وكان هدف كيسنجر أن يسعى الى ايجاد أرضية جديدة للتعاون الامريكي مع مصر برفع التمثيل الدبلوماسي إلى مستوى السفارات ، وإبقاء موضوع رفع الحظر المفروض على البترول مرتبطا بمدى الجهد الذي تبذله الولايات المتحدة والذي يؤكد حسن نواياها من ناحية القضية ويتجسد في وقف تدفق الاسلحة الامريكية الى اسرائيل .

اتفق الرئيس السادات مع هنري كيسنجر ان يتولى السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية مع وزير الخارجية الامريكي اذاعة بيان في الساعة السابعة من مساء يوم الاربعاء ٧ نوفمبر ينص على موافقة الدولتين على رفع مستوى رئاسة بعثة رعاية المصالح الى درجة سفير تمهيدا لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بعد ذلك على مستوى السفراء . كما تقرر ان يطير جوزيف سيسكو مساعد كيسنجر الى اسرائيل على طائرة مصرية تنقله من القاهرة الى قبرص ويستقل طائرة حربية من قبرص الى اسرائيل ليبلغها بنتائج مباحثات كيسنجر في القاهرة والمبادىء التي تقرر تطبيقها لوقف اطلاق النار وتبادل الاسرى بحيث يذاع بيان عودة العلاقات بعد التزام الولايات المتحدة بما وعدت به من انسحاب اسرائيل الى مواقعها يوم ٢٢ اكتوبر تمهيدا لانسحابها من الضفتين الشرقية والغربية . وطار سيسكو بعد انتهاء الاجتماع الى قبرص يرافقه هارولد سوندرز مساعد كيسنجر لشؤون الامن القومي وقال كيسنجر ضاحكا « جو .. انني اخشى الا نراك مرة اخرى » اذ كانت

الاعمال الحربية مستمرة على طول الجبهة وكان كيسنجر ينتهز كل فرصة لمداعبة سيسكو امام الجميع حتى يحتفظ كيسنجر باهميته ووضعه كرجل الدبلوماسية الاول في امريكا .

بعد انتهاء الاجتماع التاريخي الاول بين الرئيس السادات وكيسنجر والذي استمر من العاشرة صباحا حتى الواحدة والنصف بعد الظهر ، خرج الرئيس وكيسنجر الى حديقة القصر وبدأت ممارسة اول تقاليد بعقد مؤتمرات صحفية مشتركة يتبارى فيها الصحفيون المصريون والامريكان في توجيه الاسئلة فيها . وكان من أطرف هذه الاسئلة السؤال الذي وجهه صحفي امريكي الى الرئيس السادات قائلا : « هل ستوقف الولايات المتحدة شحن الاسلحة الى اسرائيل ؟ » . فرد الرئيس السادات مبتسما « الانسب ان توجه هذا السؤال الى كيسنجر » ، وتوقف الصحفي الامريكي عن توجيه السؤال فانتهزت الفرصة لأسأل كيسنجر : « هل تتوقع ان توقف امريكا تصدير الاسلحة لاسرائيل » وتطلع الرئيس السادات الى وجه كيسنجر منتظرا ان يستمع الى رده ولكنه اكتفى بالصمت فكررت السؤال مرة اخرى واضطر كيسنجر الى أن يقول : « لحسن حظي لم أسمع السؤال » .

وفي الساعة السابعة من مساء يوم الاربعاء ٧ نوفمبر بعد الاتفاق على صيغة البيان ، اذاع السفير روبرت ماكلوسكي المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الامريكية في مؤتمر صحفي عقده في فندق هيلتون وحضره اكثر من مائتي صحفي وصحفية ان امريكا ومصر اتفقتا من ناحية المبدأ على تبادل العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفراء . وهذا نص البيان :

« اتفقت حكومتا مصر والولايات المتحدة من حيث المبدأ على استئناف العلاقات الدبلوماسية في موعد مبكر ، كذلك اتفقت الحكومتان على ان يتم رفع قسمي رعاية المصالح لكل من البلدين الى مرتبة سفارة ، وقد عينت حكومة مصر السفير اشرف غربال ليتولى هذا المنصب ، وعينت الولايات المتحدة السفير هيرمان ايلتس لهذا المنصب في القاهرة وسيتسلمان منصبيهما في الحال[1] » .

في الوقت الذي كان جوزيف سيسكو وهارولد سوندرز يطيران الى قبرص في طريقهما الى اسرائيل كان كيسنجر على ثقة بان النقاط الست التي اقترحها لوقف اطلاق النار وتبادل الاسرى ، وانسحاب اسرائيل من نقط المراقبة على طريق القاهرة السويس والتي طار بها سيسكو وسوندرز الى تل ابيب ، سوف توافق عليها اسرائيل ، ذلك انه بحث هذه الموضوعات مع جولدا مائير في واشنطن ، وتأكد من انها ستوافق عليها ولذلك مارس كل جهوده لكي ينجح في مسألة استعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر ، ويدء كما يقول « صفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين امريكا ومصر ، وبين امريكا والعالم العربي » . وانتظارا لانتهاء مهمة سيسكو ذهب كيسنجر الى منطقة الاهرامات وزار الهرم الاكبر في يوم ٧ نوفمبر وقال انه يود ان يشيد بناء مماثلا للهرم في الخارجية الامريكية لعقد المؤتمرات الصحفية ، والتفت الى ابو الهول وقال « ايهما اكثر صمتا ، أبو الهول أم أنا . » وشاهد رقصا عربيا على الخيول وتلقى هدية من سجاد الحرانية ، وتناول العشاء في منزل اسماعيل فهمي ، وطار صباح يوم الخميس ٨ نوفمبر الى عمان ، والرياض ، واتفق مع سيسحو على ان يطير الى العاصمة الاردنية بعد انتهاء محادثاته في اسرائيل ليتم اذاعة

(١) - كان القرار اذيع قاصرا على مبدأ عودة العلاقات مع رفع درجة رئيس بعثة رعاية المصالح الى درجة سفير دون تبادل العلاقات فعلا .

بيان النقاط الست .

كان هدف كيسنجر من زيارته للسعودية ان يقنع الملك (الراحل) فيصل بحسن نيات الولايات المتحدة ليحصل منه على وعد برفع الحظر عن تصدير البترول ، وكان ينتظر ايضا وصول جوزيف سيسكو بموافقة اسرائيل على النقاط الست ، ووصل سيسكو فعلا الى الرياض[1] ليلة ٨ نوفمبر ومعه موافقة مبدئية من اسرائيل على هذه النقاط ، وان كان سيسكو قد ابلغه ان مجلس الوزراء الاسرائيلي سوف يصدر قراره بالموافقة ، ولم ينتظر كيسنجر قرار مجلس الوزراء وابرق في ساعة مبكرة من فجر يوم ٨ نوفمبر الى كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة والى اسماعيل فهمي في القاهرة والى اندريه جروميكو في موسكو لابلاغهم بالموافقة على النقاط الست والاسراع ببدء مباحثات عند الكيلو ١٠١ لتنفيذها .

وقد تسرب نبأ الموافقة على هذه النقاط ونصوصها من اسلام اباد عاصمة باكستان اذ استقل كيسنجر طائرته من السعودية يوم ٩ نوفبمر في طريقه الى طهران التي قضى فيها ساعات قليلة غادر بعدها الى اسلام اباد ، ليتوقف ساعات يطير بعدها الى الصين . وكانت عبارة عن رسالة موجهة من كيسنجر الى فالدهايم متضمنة النقاط الاساسية التالية :

١ ــ توافق مصر واسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف إطلاق النار الذي أمر به مجلس الامن .

٢ ــ يوافق الطرفان على مناقشة موضوع العودة إلى مواقع ٢٢ اكتوبر فورا في إطار الموافقة على الفصل بين القوات المتحاربة وذلك تحت إشراف الامم المتحدة .

٣ ــ تتلقى مدينة السويس يوميا إمدادات من الغذاء والماء والدواء . جميع الجرحى المدنيين في مدينة السويس يتم ترحيلهم .

٤ ــ يجب ألا تكون هناك اي عقبات امام وصول الامدادات غير العسكرية للضفة الشرقية .

٥ ــ نقط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة ــ السويس تستبدل بنقط مراقبة من الامم المتحدة . في نهاية طريق السويس يمكن لضباط اسرائيليين الاشتراك مع الامم المتحدة في الاشراف على الامدادات التي تصل القناة وتكون ذات طبيعة غير عسكرية .

٦ ــ بمجرد تولي الامم المتحدة نقاط المراقبة على طريق القاهرة ــ السويس يتم تبادل جميع الاسرى ومنهم الجرحى .

أذاع اسماعيل فهمي وزير الخارجية في القاهرة بيانا بالنقاط الست ، يوم الجمعة ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ واعقبه ببيان اكد فيه على المبادىء التالية :

١ ــ ان هذا البيان يعد تطبيقا لقرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار والعودة الى خطوط ٢٢ اكتوبر كما ينص القراران ٣٣٨ و٣٣٩ .

٢ ــ ان جميع الخطوات التي تضمنها اتفاق النقاط الست تتم تحت اشراف الامم المتحدة ، وبناء على تعليمات من سكرتيرها العام .

٣ ــ ان هذه الخطوات هي تنفيذ لالتزام الاطراف بتعهداتها طبقا لاتفاقيات جنيف الخاصة بالاسرى والمدنيين اثناء الحرب .

(١) ــ كان المفروض ان توافق اسرائيل بحيث يلتقي كيسنجر وسيسكو في عمان، ونظرا لتردد اسرائيل فان سيسكو لم يحصل على الموافقة: الا بعد وصول كيسنجر للسعودية.

٦ - ازمة في خيمة الكيلو ١٠١

لعبت خيمة الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس ، دورا هاما في الكشف عن نوايا اسرائيل بعدم الالتزام بتنفيذ اي اتفاق او تعهدات وتأجيل التقدم نحو الحل السلمي بكل الصور الممكنة ، وكانت خيمة الكيلو ١٠١ هي اول شاهد ودليل على هذا التلاعب .

طبقا لنصوص اتفاقية النقاط الست التي توصل اليها هنري كيسنجر بعد جهود مستمرة بدأت في واشنطن اثناء زيارة اسماعيل فهمي الاولى وانتهت بزيارة كيسنجر للقاهرة في ٧،٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ اصبح من المؤكد ان الاتفاقية تلزم مصر واسرائيل بوقف اطلاق النار والعودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، في اطار الفصل بين القوات المتحاربة ووضع قوات دولية بدلا من القوات الاسرائيلية على نقاط المراقبة ، وتبادل الاسرى بين مصر واسرائيل .

وكان هدف اسرائيل الأول والأساسي ، وهو الهدف الذي ستسعى دائما الى تحقيقه هو تأجيل أي إنسحاب بكل صورة ممكنة مع الاستفادة من الترتيبات الاخرى التي تحقق لها مصالحها . فقد كانت عملية تبادل الاسرى بالنسبة لاسرائيل جوهرية واساسية بعد هزيمة اكتوبر، اذ ان المجتمع الاسرائيلي لم يعد يتحمل الخسائر في الارواح والهزيمة العسكرية من جانب ، ووجود اسرى بالمئات لدى السلطات المصرية والسورية .

لذلك كان قبول اسرائيل لاتفاقية النقاط الست مجرد مناورة لتحقيق تبادل الاسرى مع استمرار تمسكها بالاراضي التي تحتلها لأطول مدة ممكنة .

اسرعت سيارات مصلحة الاستعلامات المصرية تشق طريقها الى الكيلو ١٠١ ، ظهر يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ ، وقد حملت السيارات ما يزيد عن مائتي صحفي ومصور وتليفزيوني ، ووصلت السيارات الى منطقة عسكرية تتواجد فيها القوات المصرية منتشرة على الطريق في صحراء السويس وعتاقة ، وامامها القوات الاسرائيلية ترفع علمها ، وتحشد جنودها من العرب اليهود القادمين من اليمن والمغرب وتونس ، الى جانب عدد من الجنود الاسرائيليين الروس والجميع في ملابس عسكرية قذرة وقد اطلقوا لحاهم وتظاهروا بعدم الاكتراث عندما اقتربت منهم قوافل الصحفيين القادمين من القاهرة لتغطية اول لقاء يتم تحت اشراف الامم المتحدة عند الكيلو ١٠١ الذي لم يكن الا منطقة صحراوية ترتفع عليها لافتة تقول بالعربية «سيروا على الطريق الاسفلتي ، والمناطق الاخرى المحددة ، لان الارض مغطاة بالالغام » . وبعد ذلك لم يكن هناك الا وحدات اسرائيلية ووحدات مصرية ومجموعة من جنود القوة الفنلندية يصنعون بأجسادهم حاجزا بشريا يفصل بين المصريين والاسرائيليين . ولا تتسلح القوة الدولية الا باسلحة اوتوماتيكية خفيفة ، وقبعات زرقاء تحمل شعار الامم المتحدة .

لم تكن هناك الخيمة المشهورة بعد ، ولم تكن هناك الا اثار قتال رهيب لا زالت المدرعات التي اشتركت فيه تحترق وتتحول الى كتلة سوداء ، وشواهد قبور ، وقصص بطولة للقوات المصرية التي وقفت امام الزحف الاسرائيلي الذي كان هدفه احتلال اكبر رقعة من الارض على الضفة الغربية مهما كانت الاضرار العسكرية التي تتعرض لها القوة الاسرائيلية ... ويهدف دعائي وصفه الرئيس السادات بانه « هدف تلفزيوني » .

اسرع الجنود الفنلنديون يقيمون خيمة يرفعون عليها علم الامم المتحدة ويضعون بداخلها طاولات حديدية مغطاة ببطاطين الجنود ، ومقاعد حديدية . وحمل جنود الجيش المصري اكبر علم من الاعلام ، ووضعوه على اعلى سارية ليرتفع العلم المصري قبل وصول « اللواء » محمد عبد الغني الجمسي رئيس الجانب العسكري المصري في مفاوضات الكيلو ١٠١ .

وفي الساعة الثانية والربع بعد ظهر يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ وصل الجنرال سيلاسفو قائد قوة الطوارىء المؤقت ، في زيه العسكري الرسمي الكامل ومعه مستشاره القانوني المسيو ريميه جورجيه السويسري . وبعد دقائق وفي الثانية و٤٥ دقيقة بعد الظهر ، وصل اللواء الجمسي ومعه مساعدوه المستشار (الوزير المفوض الان) محمد فوزي الابراشي ، والسكرتير الثالث محمد اسماعيل ودخلوا الى الخيمة من الجانب الذي تتواجد فيه مواقع القوات المصرية . ودخل الجنرال اهارون ياريف رئيس الجانب الاسرائيلي من الجانب الاخر . ووقف البوليس الدولي بوحداته يشكل مربعا يحيط بالخيمة ، وقد وضع الجنود اصابعهم على الزناد استعدادا لاطلاق النار في أي لحظة . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تماما ، رفعوا جوانب الخيمة لارتفاع درجة الحرارة ، ودعوا المصورين والصحفيين لمشاهدة اول توقيع على وثيقة من وثائق الامم المتحدة ، يوقع عليها الجانبان المصري والاسرائيلي تتعلق بتنفيذ النقاط الست .

قدمت سكرتارية الامم المتحدة الوثيقة من ٣ نسخ وقع عليها الجنرال سيلاسفو بوصفه ممثل الامم المتحدة بعد توقيع الجنرال اهارون ياريف واللواء الجمسي ، وكتب تحت توقيعه: « الموقعان على هذه الوثيقة والتي تتألف من اتفاقية لتنفيذ قراري مجلس الامن ٣٣٨ و ٣٣٩ ، الممثلان العسكريان لكل من مصر واسرائيل ، في حضور قائد قوة الطوارىء الموقت للامم المتحدة ، وبتوقيعهما يصبح هذا الاتفاق ساري المفعول » . وتتضمن الاتفاقية النص على ان الممثلين العسكريين لمصر واسرائيل بوصفهم ممثلين لبلادهم ، في تنفيذ قراري مجلس الامن الصادرين في ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٢ و ٢٤ اكتوبر عام ١٩٧٣ يلتقون لتمثيل بلادهم ، ولتنفيذ الفقرة الاولى من القرار رقم ٣٣٨ والفقرة الاولى من القرار رقم ٣٣٩ والتي تنص على وقف اطلاق النار . وبعد هذه الديباجة تأتي رسالة هنري كيسنجر التي تتضمن النقاط الست التي تم التوصل اليها .

بعد توقيع اتفاقية النقاط الست التي كان من الضروري ان يتم تنفيذها فور التوقيع ، نزل العلم الاسرائيلي من هذا الموقع عند الكيلو ١٠١ ، وارتفع علم الامم المتحدة ، وبدأت مناقشات تحت اشراف الجنرال سيلاسفو لتنفيذ النقاط الواردة في الاتفاقية ، وكان كل جانب يتحدث الى الجنرال سيلاسفو ، ولم يجر أي حديث مباشر بين الجانب الاسرائيلي والجانب المصري .

استمرت محادثات الكيلو ١٠١ حتى يوم ١٥ نوفمبر دون ان يحقق الجنرال سيلاسفو اي تقدم الا فيما يتعلق ببحث موضوع تبادل الاسرى ومرور القوافل الى السويس والجيش الثالث . وكانت اسرائيل تضع العراقيل امام مرورها وتقوم بسكب البلازما اللازمة للجرحى المدنيين في السويس . ثم اثارت اسرائيل موضوع مرور البترول والكيروسين ورفضت مرور هذه الشحنات لانها تمثل شحنات استراتيجية ، بالرغم من احتياج المدنيين والجرحى للكيروسين كوقود لغلي الماء اللازم للتطهير والتعقيم .

كانت مصر تعلم مقدما بفشل كل جهود ممكنة لحمل اسرائيل على تنفيذ ما التزمت وتلتزم به ، لذلك استمرت المعارك على طول جبهة القتال ، وتدخلت الطائرات الاسرائيلية محاولة الهجوم على المواقع المصرية بطائرات الفانتوم يوم ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ ، وتقدمت القوات المصرية من مواقعها على الضفة الشرقية للقناة وبدأت مصر حرب استنزاف لم تتوقف الا يوم ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ في الوقت الذي استمرت الاتصالات الدولية لحمل اسرائيل على تنفيذ قرارات مجلس الامن .

كان من رأي الجنرال سيلاسفو بناء على اتصالاته التي اجراها مع اسماعيل فهمي في القاهرة ومع كورت فالدهايم في نيويورك استحالة تحقيق اي تقدم في محادثات الكيلو ١٠١ الا بتدخل الدول الكبرى ، وبالذات الولايات المتحدة لحمل اسرائيل على تنفيذ اتفاقية النقاط الست .

طار الرئيس انور السادات الى دمشق يوم ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ واجتمع بالرئيس حافظ الاسد ، واتفق الرئيسان بعد مشاورات مع الرئيس الجزائري هواري بومدين على ضرورة توجيه الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربي لمواجهة الموقف العسكري والسياسي المترتب على استمرار المعارك العسكرية على جبهتي مصر وسوريا ، وبحث احتمالات عقد مؤتمر للسلام يجتمع في جنيف وهدفه مناقشة تنفيذ قراري مجلس الامن ٢٣٨ و ٣٣٩ بعد فشل كل المحاولات لحمل اسرائيل على ذلك داخل خيمة الكيلو ١٠١ ، واستقر الرأي على أن يجتمع وزراء خارجية الدول العربية في القاهرة يوم ٢٤ نوفمبر على ان يعقد مؤتمر القمة في الجزائر يوم ٢٦ نوفمبر ثم تقرر بصفة نهائية ان يتم اجتماع وزراء الخارجية في الجزائر يوم ٢٤ نوفمبر ، ويعقبه اجتماع القمة .

تطور الموقف في السويس يوم ١٣ نوفمبر ، عندما رفضت اسرائيل الانسحاب وتسليم مواقعها للقوات الدولية ، واصدر الجنرال سيلاسفو تعليماته باقتحام الموقع الاسرائيلي عند الكيلو ١٣٠ وتبادل جنود قوة الطوارىء اللكمات مع القوات الاسرائيلية وتشابكوا بالأيدي واستولت القوة الدولية على المواقع الاسرائيلية ورفعت علم الامم المتحدة .

وكان سيلاسفو يحتفل في اليوم السابق بنبأ تعيينه قائدا لقوة الطوارىء الدولية وكانت هناك محاولات لحمل فالدهايم على تعيين قائد سويدي ليتولى هذه المهمة ، ولكن اتصالات تمت بين اسماعيل فهمي وفالدهايم في نيويورك اسفرت عن اختيار سيلاسفو قائدا لهذه القوة ، نظرا لامانته وحياده التام وعسكريته الدقيقة التي يمزجها في اوقات الفراغ برواية اطرف القصص واظرف الحوادث .

وفي الوقت الذي كانت احدى طائرات الطيران السويسري المؤجرة للصليب الاحمر تغادر مطار القاهرة في الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) تحمل اول دفعة من الاسرى الاسرائيليين كانت طائرة سويسرية اخرى تهبط مطار القاهرة تحمل اول دفعة من الاسرى المصريين .

بالرغم من تبادل الإسرى ، وتنفيذ ٤ بنود من اتفاقية النقاط الست الا ان اسرائيل رفضت البند الخاص بالانسحاب في جلسة مباحثات الكيلو ١٠١ التي دعا اليها الجنرال انزيو سيلاسفو الذي اعلن في نفس اليوم بعد جلسة استمرت ٥ ساعات ان الجانبين لم ينجحا في الوصول الى اتفاق ولذلك قرر تأجيل هذه الاجتماعات الى أجل غير مسمى .

ازاء هذا الموقف المتدهور عقد الرئيس انور السادات اجتماعا طويلا للمجلس الاعلى للقوات المسلحة استمر ٤ ساعات كاملة ، بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة،بمقر القيادة العامة ، واتخذ الرئيس قراره بضرورة وضع خطة لقيام الجيش المصري بمسؤولياته وتصفية الجيب الاسرائيلي . وكان هذا القرار هو الذي وقعه الرئيس يوم ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ بعد مؤتمر القمة في الجزائر نتيجة فشل كل الجهود الدولية المبذولة للفصل بين القوات ووقف القتال الدائر .

وقد استطاع الجنرال سيلاسفو ، بعد رحلات متكررة الى تل ابيب واجتماعات مع موشي ديان وكبار السياسيين والعسكريين في اسرائيل ، عقد اجتماع يوم الخميس ٢٢ نوفمبر عند الكيلو ١٠١ وتبلور الموقف خلال هذه المباحثات في النقاط التالية وهي تلخيص لكل ما حدث في الجلسات السابقة التي بدأت يوم ١١ نوفمبر واستمرت حتى يوم ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ .

عندما بدأت المباحثات يوم ١١ نوفمبر اعلن الجنرال اهارون ياريف انه « تلقى تفويضا كاملا ببحث كل المقترحات وتنفيذها». وفي آخر الجلسة التي ترتب عليها تأجيل الاجتماعات الى اجل غير مسمى قال الجنرال ياريف :

« إنني غير مفوض من حكومتي باتخاذ قرارات يكون لها طابعها السياسي والعسكري في نفس الوقت » .

وفي خلال فترة المباحثات التي كانت تدور عند الكيلو ١٠١ ، زار الجنرال سيلاسفو موشي ديان (وزير الدفاع الاسرائيلي في ذلك الوقت) خلال شهري نوفمبر وديسمبر وقال له موشي ديان بعد اجتماع عاصف لمجلس الوزراء الاسرائيلي لبحث موضوع الانسحاب :

« انني لا استطيع ان أناقش معك مسائل سياسية ، كما انني لا استطيع مناقشة ترتيبات الانسحاب فقد ننسحب كيلومترا واحدا ، او عشرة كيلومترات، ولكن هذه الموضوعات كلها مسائل سياسية وجوهرية لا تتعلق بمدى الانسحاب بل بالاوضاع السياسية المترتبة عليها » .

عندما بدأت المباحثات عند الكيلو ١٠١ اتفق المشتركون فيها من الامم المتحدة ومصر واسرائيل على ان موضوع البحث يجب ان يتناول :

١ ــ عمق الانسحاب الاسرائيلي : ليصل الى ١٠ كيلومترات او ٥٠ كيلومترا او ٦٠ كيلومترا .

٢ ـ ما هي الفترة التي تبقى فيها القوات الاسرائيلية في المواقع التي تحتلها ، ومتى يبدأ الانسحاب .

أثارت اسرائيل ان انسحاب قواتها يقتضي انقاص عدد القوات المصرية على الضفة الشرقية ، وان كانت اسرائيل تفضل عدم وجودهم على الاطلاق . وقد بحث الجنرال سيلاسفو هذا الموضوع مع موشي ديان وسأله كيف تطالب اسرائيل بانسحاب مصر من الضفة الشرقية فقال ديان « نريد ان نقنع الشعب الاسرائيلي باننا انتصرنا في حرب ٦ اكتوبر ، ولذلك فان القوات الاسرائيلية تنسحب من « افريقيا » لتعود الى الضفة الشرقية وتنسحب مصر من الضفة الشرقية لتعود الى «أفريقيا» . وتستمر الاوضاع على ما كانت عليه منذ عام ١٩٦٧ الى حرب يوم الغفران » .

تقدم « اللواء » الجمسي بخرائط وبيانات تطلب فيها مصر انسحاب اسرائيل الى خط عسكري يمتد من العريش الى رأس محمد ، وتقدمت اسرائيل باقتراحين :

١ ـ انسحاب القوات المصرية من الضفة الشرقية على ان تحل مكانها قوات الامم المتحدة .

٢ ـ تنسحب اسرائيل من الضفة الغربية ، وتتواجد القوات الدولية على ضفتي القناة ، بعد انسحاب القوات المصرية من الضفة الشرقية[١] .

واقترح الجنرال ياريف ان تنسحب اسرائيل ١٢ كيلومترا شرقي القناة ورد اللواء الجمسي قائلا : « ليس معنى ذلك تحقيق الفصل بين القوات ، بل هو التحام للقوات ، نظرا لوجود القوات المصرية والاسرائيلية ، في هذه المواقع بصورة متداخلة » .

كان الاقتراح العملي الوحيد لتحقيق مبدأ الفصل بين القوات ، هو انسحاب اسرائيل الى شرقي المرات ، ووجود منطقة عازلة تقف فيها القوات المصرية على طول سيناء في المنطقة الواقعة غرب مواقع القوات الدولية ، وتقف القوات الاسرائيلية شرقي المرات . وكان هذا هو اول اقتراح جدي للفصل بين القوات . ولكن اسرائيل رفضته وترتب على ذلك وقف محادثات الكيلو ١٠١ في الوقت الذي كان الرئيس السادات يجتمع فيه مع الرئيس حافظ الاسد في القاهرة يوم ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ وهما يستعدان للسفر فورا الى الجزائر للاشتراك في مؤتمر القمة العربي . واطلع الرئيس السادات الرئيس الاسد على كل التطورات وابلغه بكل نتائج مباحثاته مع كيسنجر ، ومحاولات الفصل بين القوات واستمرار المعارك على جبهة سيناء . وفي الجزائر اشار الرئيس الاسد الى ما سماه « الحلول المنفردة » وتضايق الرئيس السادات من هذا التعبير وروى تفاصيل الخلاف للرئيس هواري بومدين واكد له أنه يسعى لتحقيق فصل بين القوات على الجبهة السورية بنفس الصورة عندما يعود كيسنجر الى المنطقة . واكد الرئيس السادات للرئيس هواري بومدين انه في الوقت الذي يسعى فيه لتحقيق الفصل بين القوات فانه سوف يوقع قرارا بتصفية الجيش فور عودته من الجزائر ، مع استمرار جهوده من اجل ترتيب انعقاد مؤتمر

---

(١) - هنا الاقتراح هو تكرار للوضع الذي تتمناه اسرائيل دائما، وهو النموذج الذي ارادت تطبيقه في حرب ١٩٥٦ عندما اتفقت مع انجلترا وفرنسا للنزول بقواتهما على ضفتي القناة مع احتلال اسرائيل لكل سيناء.

للسلام الذي يقترح الرئيس السادات ان يكون في جنيف وليس في نيويورك ، كما كان مقترحا .

قبل ان يطير اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصرية يوم ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ الى الجزائر ليرأس وفد مصر في مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية ، وفي خلال الاتصالات التي اجراها مع سفيري الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، لبحث الموقف المتدهور على خطوط القتال ، اثار وزير الخارجية المصرية مع فلاديمير فينوجرادوف السفير السوفيتي عدة نقاط كان من الضروري مناقشتها معه ، بعد ان أبدى الجانب السوفيتي بعض القلق نتيجة لقرار مصر تبادل الاسرى مع الاسرائيليين ، ورفع التمثيل الدبلوماسي بين الولايات المتحدة ومصر إلى مستوى السفراء . وكان من الضروري إجراء هذه المصارحة مع الاتحاد السوفيتي . واوحى اسماعيل فهمي يوم ٢٢ نوفمبر للسفير السوفيتي ان مصر رفعت درجة رئيس بعثة تمثيلها في واشنطن الى درجة سفير ، وقامت امريكا بالمثل . وقد تم ابلاغ الاتحاد السوفيتي بذلك ، كما ابلغت مصر كل الدول . انتهز اسماعيل فهمي الفرصة ليزيل كل اسباب سوء الفهم وقال للسفير السوفيتي ان اناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن طار يوم ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ الى موسكو مع الدكتور هنري كيسنجر لمقابلة بريجنيف ، وان الزعيم السوفيتي قد طلب ان تجري الولايات المتحدة اتصالاتها مع القاهرة ، ولم يقم الاتحاد السوفيتي بابلاغ مصر بذلك ، وقد علمت مصر بضرورة الاتصال بامريكا عن طريق دولة ثالثة وانه بناء على هذا الترتيب السابق قرر الرئيس ايفاده الى واشنطن يوم ٢٨ اكتوبر .

وقال اسماعيل فهمي للسفير السوفيتي ، انه لا يعرف سبب القلق الذي يعاني منه الاتحاد السوفيتي مع علمه بكل التطورات . وقد اكد المستر جون سكالي رئيس الوفد الامريكي في الامم المتحدة ، ان الاتحاد السوفيتي وامريكا قد رحبتا بفكرة تبادل الاسرى بين مصر واسرائيل بمجرد صدور قرار وقف اطلاق النار .

طار الرئيس انور السادات الى الجزائر يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ وبقي الى يوم ٢٨ نوفمبر وهو يتتبع بقلق متزايد استمرار القتال على طول جبهة سيناء ، ورفض اسرائيل الانسحاب من مواقعها الى ما كانت عليه يوم ٢٢ اكتوبر والتعاون مع الجنرال سيلاسفو في اجتماعات الكيلو ١٠١ . وقبل ان يعود الرئيس السادات يوم ٢٨ نوفمبر الى القاهرة قابلت الرئيس في استراحة مطار الجزائر وقال لي:« الى الآن لم يطبق قرار وقف اطلاق النار ، بل استمرت المعارك دون توقف على طول خطوط القتال ، وبمجرد عودتي الى القاهرة سوف أخطر الدولتين العظميين بذلك ، وسوف أبلغهما كيف نستطيع مناقشة دعوة مؤتمر السلام وطلقات المدافع تدوي في الجبهة وكان من المفروض ان يتوقف اطلاق النار ولذا فلا جدوى من إجراء مفاوضات للسلام مع اناس لا يحترمون قرارا وقعوا عليه باتفاقية النقاط الست » .

وقال الرئيس السادات انه يتوقع اذا تم التوصل الى اتفاق للفصل بين القوات بعد وقف القتال الدائر ، فلا بد من دعوة مؤتمر السلام للانعقاد ، وانه يتوقع ان تشترك فيه الدولتان العظميان وتحت اشراف الامم المتحدة ، واضاف : « ونحن نرحب باشتراك انجلترا وفرنسا » .

وقال الرئيس « لقد أوفت مصر بكل التزاماتها التي نصت عليها اتفاقية النقاط الست ولكن اسرائيل مارست اسلوب المراوغة بطريقة فضحت نواياها بالنسبة لمحادثات الكيلو ١٠١ ، وبالنسبة لاي محادثات مقبلة » .

عاد الرئيس السادات الى القاهرة يوم ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ ليبدأ الاستعداد لمعركة السلام التي ستخوضها مصر في مؤتمر جنيف ، او الاستمرار في الحرب التي لم تتوقف لحظة واحدة .

الجزء الخامس

السادات والسلام

١ ـ مؤتمر للسلام في جنيف

بعد عودة الرئيس أنور السادات من الجزائر في نهاية شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ وبعد فشل كل المحاولات لحمل اسرائيل على الانسحاب طبقا لاتفاقية النقاط الست وقع الرئيس في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ قراره بتصفية الجيب الاسرائيلي بالقوة . مع استمرار ممارسة جهوده من أجل دعوة مؤتمر سلام للانعقاد في جنيف لتنفيذ ما عجزت محادثات الكيلو ١٠١ عن تحقيقه .

استدعى الفريق اول احمد اسماعيل يوم ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ الجنرال سيلاسفو قائد قوة الطوارىء وطلب اليه معرفة الوضع النهائي بالنسبة لمحادثات الكيلو ١٠١ . وهل ستقوم اسرائيل بتنفيذ البند ٢ من الاتفاقية الخاصة بالانسحاب الى خطوط ٢٢ اكتوبر ، في اطار الفصل بين القوات . وطار الجنرال سيلاسفو الى تل ابيب واجتمع في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٣ ديسمبر بالجنرال موشي ديان الذي كان وزيرا للدفاع، في فندق الملك داوود ، وكان رأي ديان واضحا ومحددا اذا ابلغ سيلاسفو « ان اسرائيل ترفض الانسحاب ، وانها سوف لا تشارك في اجتماعات الكيلو ١٠١ وان مجلس الوزراء الاسرائيلي بعد جلسة عاصفة قرر انهاء هذه المباحثات ، على اعتبار ان الانتخابات الاسرائيلية مقبلة ولا داعي لاتخاذ قرار بالانسحاب إلى مواقع ٢٢ اكتوبر لان ذلك يقتضي إنسحابا الى الضفة الشرقية ، ويترتب عليه بقاء وحدات اسرائيلية صغيرة محاصرة بصفة تامة . وان اسرائيل على علم بان هناك اتصالات تجرى الان لاجتماع مؤتمر سلام في جنيف ولذلك فانها ترى تأجيل البت في هذا الموضوع إلى حين إجتماع هذا المؤتمر، بحيث تبقى اطول مدة ممكنة في المواقع التي تحتلها » .

عاد الجنرال سيلاسفو الى القاهرة في نفس اليوم ، وقابل الفريق اول احمد اسماعيل وزير الحربية وكذلك السيد اسماعيل فهمي وابلغهما بان الرد الاسرائيلي يتالف من ٣ كلمات هي « لا .. لا ..لا .. ». وعلى الفور كان الدكتور عصمت عبد المجيد رئيس وفد مصر لدى الامم المتحدة بنيويورك يقوم بتسليم رسالة من السيد اسماعيل فهمي الى المستر كورت فالدهايم يطلب اليه التدخل لتنفيذ اتفاقية النقاط الست التي صدرت كوثيقة من الامم المتحدة في صورة رسالة موجهة من الدكتور كيسنجر الى السكرتير العام . وفور تلقي فالدهايم الرسالة اجتمع بممثلي امريكا والاتحاد السوفيتي واسرائيل لابلاغهم بان مصر تطلب تنفيذ البند الثاني الباقي من الاتفاقية الخاص بانسحاب اسرائيل ، وفي نفس الوقت بعث فالدهايم بتعليمات الى سيلاسفو للعمل على تنفيذ ذلك .

تلقى الدكتور هنري كيسنجر رسالة مماثلة من مصر ، قرر بعدها ان يستانف اتصالاته فورا حتى لا تضيع فرص التقدم بمبادرة اخرى تنفذ اتفاقية النقاط الست من ناحية ــ والتي قام بوضعها ــ وفي نفس الوقت تنقذ الموقف باستمرار تحريك القضية املا

في الغاء قرار حظر تصدير البترول لامريكا ولذلك اعلن كيسنجر يوم ٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ وهو في طريقه الى حضور اجتماعات حلف الناتو في بروكسل انه سيزور الجزائر والقاهرة والرياض واسرائيل وسوريا ، وفي نفس الوقت كان يمهد لعقد مؤتمر السلام في جنيف تحت الرئاسة المشتركة لكل من الاتحاد السوفيتي وامريكا ، مع اعطاء الامم المتحدة حق الاشراف على اعمال المؤتمر ، واستخدام مقرها وتحت الرئاسة الشرفية للسكرتير العام ، ودعوة الدول المتحاربة فقط دون غيرها من الدول العربية ، للاشتراك فيه ، وهذه الدول هي : مصر وسوريا واسرائيل والاردن .

وصل الدكتور كيسنجر الى الجزائر في اول زيارة له ، يوم ١٣ ديسمبر وحصل على موافقة الرئيس هواري بومدين على عقد مؤتمر للسلام في جنيف وطار الى القاهرة في نفس اليوم ، حيث استقبله الرئيس السادات في التاسعة من مساء يوم ١٣ ديسمبر في استراحة القناطر وبعد منتصف الليل عاد الى فندق هيلتون .

قبل ان تتم اذاعة تفاصيل الاتفاق الذي توصل اليه الرئيس السادات مع كيسنجر ، وبعد الجلسة التي استمرت حتى منتصف الليل ، كان كيسنجر على اتصال بسفارته في اسرائيل ، كما اتصل بكورت فالدهايم لمقابلته في جنيف ، واتصل بالرئيس نيكسون في واشنطن ليحصل منه على وعد بان الفلسطينيين سوف يشاركون في مؤتمر جنيف في مرحلة لاحقة ، وتأكيدات بأن امريكا ستستمر في ممارسة جهودها من اجل تنفيذ التزامها بالتوصل الى حل شامل وعادل للمشكلة .

عاد كيسنجر الى استراحة القناطر الخيرية في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ليستكمل مع الرئيس السادات بحث ترتيبات انعقاد المؤتمر ، على اساس ان يكون الفصل بين القوات هو الموضوع الاول الذي سيعالجه المؤتمر في اطار بحث المشاكل الاخرى . واقترح كيسنجر ان يوفد جوزيف سيسكو لاسرائيل للانتهاء من مناقشة كل تفاصيل موضوع الفصل بين القوات وترتيبات انعقاد مؤتمر جنيف ، وقال الرئيس ضاحكا « يا جو انني على استعداد لتزويدك بطائرة هيليكوبتر ولكن اخشى ان تتعرض لنيران مدفعية اسرائيل » .

وقد امكن في خلال هذه الجلسة الهامة التي امتدت حتى بعد الظهر ، في الوقت الذي طار فيه جوزيف سيسكو الى اسرائيل ، مناقشة هذه الموضوعات :

١ ـ قال الدكتور كيسنجر للرئيس السادات ، ان اجهزة استطلاعهم قد سجلت حشودا لدبابات مصرية تحيط بالثغرة على الضفة الغربية وان امام كل مصفحة اسرائيلية مصفحتين من مصر ، وان معلومات امريكا تؤكد ان الرئيس السادات سوف يصدر تعليماته بالقضاء على الثغرة وستدور معركة رهيبة يروح ضحيتها الآلاف وان كيسنجر يوافق الرئيس على ضرورة انهاء هذا الوضع ولذلك فانه يعد الرئيس بانه سيعمل من اجل عودة كل وحدات الجيش الثالث ، وتصفية الجيب الاسرائيلي دون اي خسائر في الارواح . وذلك في اتفاق للفصل بين القوات تتم مناقشته في جنيف .

٢ ـ قال كيسنجر انه لا يتوقع ان تكون الولايات المتحدة الآن ـ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ في وضع يسمح لها بالاتصال بالفلسطينيين او دعوتهم الى مؤتمر جنيف في المرحلة الحالية ، وسوف يأتي الوقت الذي يمكن فيه تحقيق ذلك .

٣ ـ قال كيسنجر ان الحكومة الاسرائيلية تخوض معركة الانتخابات الآن ولذلك تجد صعوبة في قبول الانسحاب ، وانه سينجح في تحقيق ذلك ، في اجتماعات مؤتمر جنيف .

٤ ـ ان كيسنجر يعلم تماما انه لم يتم تنفيذ النقطة الثانية في اتفاقية النقاط الست حتى الآن والتي تتعلق بوقف اطلاق النار ، وبالانسحاب الى خطوط ٢٢ اكتوبر ، وفي اطار الفصل بين القوات ، وانه يهمه جدا ويعد بانه سيحقق ذلك في اقرب فرصة .

وقبل ان يغادر كيسنجر القاهرة في نفس اليوم الى الرياض كان واضحا ان الوزير الامريكي قد جاء الى المنطقة خلال شهر واحد مرتين ليمنع حدوث اشتباك عسكري جديد تتعرض فيه اسرائيل لهزيمة اخرى ، وتنهار فيه احتمالات رفع الحظر عن البترول ، وتفقد فيه امريكا ما كسبته من عودة العلاقات الدبلوماسية مع مصر . وكان الرئيس السادات قد وافق خلال هذه الزيارة على زيادة عدد الدبلوماسيين في بعثتي مصر في امريكا ، وامريكا في مصر الى ٧ دبلوماسيين بعد اتمام الفصل بين القوات .

وقبل أن يطير كيسنجر الى الرياض حصل على وعد من الرئيس بانه سيؤجل تنفيذ قراره بازالة الثغرة عسكريا في معركة جديدة . وتفادى كيسنجر بذلك حدوث انتصار عسكري مصري جديد بسلاح سوفيتي يتفوق على السلاح الامريكي .

أبرق هنري كيسنجر بنتائج محادثاته في القاهرة للرئيس نيكسون وتلقى في نفس اللحظة تأييدا . لما اتفق عليه في القناطر . وكان كيسنجر قد اجتمع بسفراء انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي في فندق الهيلتون عند الفجر قبل اجتماعه بالرئيس السادات واتصل السفراء بحكوماتهم وتلقى السفير الروسي موافقة موسكو على صيغة الدعوات التي سيرسلها الاتحاد السوفيتي وامريكا للدول المتحاربة لحضور مؤتمر جنيف .

وكان قبل ان يغادر كيسنجر استراحة القناطر ويخرج الرئيس السادات ليودعه دار حوار طويل بين الصحفيين والرئيس وكيسنجر .

قال كيسنجر :

لقد اجريت محادثات مثمرة جدا مع الرئيس السادات ، وتكلمنا عن تدابير مؤتمر جنيف والترتيبات الخاصة به ، واتفقنا على ضرورة الفصل بين القوات في اول مراحل من مراحل المباحثات في جنيف .

وسألت كيسنجر : هل سيشترك الفلسطينيون في المؤتمر ؟

ورد قائلا : يجب ان يبدأ المؤتمر في الاطار الذي اتفقنا عليه (مصر وسوريا والاردن واسرائيل) .

سؤال : هل تتوقع يا دكتور كيسنجر انسحابا اسرائيليا ؟

كيسنجر : يمكن ان نحقق هذا التقدم في مؤتمر السلام في جنيف ونريد ان يكون ذلك قبل عيد الميلاد .

سؤال : هل تعتقد يا سيادة الرئيس ان اسرائيل سوف تنسحب قبل الانتخابات التي ستواجهها ؟

الرئيس : الانتخابات الاسرائيلية ليست مشكلتنا ونحن نذهب للمؤتمر مستعدين لحل كل المشاكل ونرجو ان يذهبوا بروح السلام .

سؤال : سيادة الرئيس هل تتوقع ان يتم تبادل الاسرى بين سوريا واسرائيل ؟

الرئيس : هذا الموضوع يتعلق بالرئيس حافظ الاسد .

سؤال : هل تتوقع ان يلتقي العرب والاسرائيليون في مباحثات سلام ؟

الرئيس : اننا نجتمع في جنيف ، في مؤتمر سلام ، تحت علم الامم المتحدة وفي مبناها ، اما فكرة لقاء بين العرب واسرائيل او بين مصر واسرائيل فالرد على هذا السؤال هو « لا » .

سؤال : هل تتوقع رفع الحظر على تصدير البترول ؟

الرئيس : هذا قرار يتعلق بدول عربية اخرى .

وعقب توديع الرئيس للدكتور كيسنجر ، تحدث الرئيس السادات الى مجموعة الصحفيين المصريين الذين كانوا يقومون بتغطية هذه المحادثات ــ وكنت واحدا منهم ــ وقال الرئيس « النقطة الاساسية التي اثارها كيسنجر في المرحلة القادمة ، هي مرحلة الفصل بين القوات ، وانعقاد مؤتمر جنيف ، وقد اجتمعنا ٥ ساعات ومناقشاتنا كانت بناءة » .

وقال الرئيس : « سوف يذهب اسماعيل فهمي وزير الخارجية الى جنيف ، وفي خطابه سيحدد كل النقط » .

وتابع الرئيس كلامه قائلا : « ان دور الامم المتحدة في مؤتمر جنيف واضح ومحدد ، فسكرتير عام الامم المتحدة يرأس الجلسات الى جانب الرئاسة المشتركة للاتحاد السوفيتي وامريكا ، والاجتماع يتم في مبنى الامم وتحت اعلامها ولتنفيذ قراراتها سواء الصادرة من مجلس الامن او الصادرة من الجمعية العامة » .

قبل ان يغادر كيسنجر القاهرة الى الرياض ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ كان الرئيس السادات قد اوضح له ان ترتيب الاولويات بالنسبة لمؤتمر جنيف يقتضي الانتهاء من تنفيذ اتفاقية النقاط الست ، والبدء في مناقشة القضية بكامل تفاصيلها وبحيث يكون الانسحاب الاسرائيلي المقدمة الطبيعية لتحقيق تقدم في مؤتمر السلام ، وكان كيسنجر يسعى الى الآتي :

١ ــ ارضاء الاسرائيليين بحصوله على كشف للاسرى الاسرائيليين الموجودين لدى سوريا مما يشجع اسرائيل على التحرك في جنيف بصورة ايجابية

٢ ــ تحقيق تقدم في مباحثات جنيف سوف يعطي للعرب مبررا لرفع الحظر عن تصدير البترول .

وكان الدكتور كيسنجر قد اجتمع يوم ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ في واشنطن بالشيخ احمد زكي اليماني وزير البترول السعودي وبلعيد عبد السلام وزير الصناعة والطاقة الجزائري واكد لهما انه سيعمل كل ما في طاقته من اجل تحقيق تقدم املا في ممارسة السعودية ومصر جهودهما لرفع قرار الحظر ، وذلك قبل ان يطير كيسنجر

الى الشرق الاوسط ، ويسعى لعقد مؤتمر جنيف وتحقيق فصل بين القوات .

وقد حاول الرئيس السادات قبل محادثات كيسنجر في القناطر الخيرية ان ينسق بين المواقف المصرية والسورية بالنسبة لموضوع مؤتمر جنيف وتبادل الاسرى ورفع الحظر ودعوة الفلسطينيين الى المؤتمر ، فعقد اجتماعا يوم ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ بالرئيس السوري حافظ الاسد الذي جاء الى القاهرة من ليبيا ، واجتمع بالرئيس السادات في قصر القبة . وعلى اثر هذا الاجتماع دعا اسماعيل فهمي وزير الخارجية سفير الاتحاد السوفيتي فلاديمير فينوجرادوف وسفير امريكا هيرومان ايلتس للاجتماع به ، في جلسة عمل مشتركة وقام باملاء صيغة الدعوة التي تقترحها مصر لانعقاد مؤتمر جنيف .

وكان الرئيس السادات قد اتفق خلال اجتماعاته مع هنري كيسنجر على الاجراءات الخاصة بانعقاد المؤتمر بينما بعثت مصر بتعليماتها الى الدكتور عصمت عبد المجيد وفدها في الامم المتحدة بنيويورك بالاتفاق مع دول عدم الانحياز على تخويل السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم صلاحيات الاشراف على المؤتمر وتخويل مجلس الامن مسؤوليات متابعة اعماله .

وفي نيويورك ، اجتمعت دول عدم الانحياز يوم ١٥ ديسمبر (كانون الاول) وقررت ان تتقدم بقرار الى مجلس الامن لتحديد دور مسؤوليات السكرتير العام كورت فالدهايم بالنسبة لمؤتمر السلام المزمع انعقاده في ١٨ ديسمبر ونص مشروع قرار دول عدم الانحياز على النقاط التالية :

١ ـ احيط مجلس الامن بخطاب السكرتير العام للامم المتحدة الذي بعث به الى مجلس الامن .

٢ ـ يعرب عن امله في ان يحقق المؤتمر تقدما سريعا نحو اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

٣ ـ يعرب عن ثقته في ان السكرتير العام سوف يقوم بدور كامل وفعال في المؤتمر تنفيذا لقرارات المجلس ، وفي ان يرأس اجتماعات المؤتمر اذا رغبت الاطراف .

٤ ـ يطالب السكرتير العام بان يبقى مجلس الامن على علم بتطور المناقشات في المؤتمر حتى يتمكن المجلس من متابعة المشاكل اولا باول .

٥ ـ يطالب السكرتير العام بان يقدم كل المساعدات والتسهيلات اللازمة للمؤتمر .

اصرت دول عدم الانحياز عندما تقدمت بهذا المشروع على ضرورة اعطاء السكرتير العام الرئاسة الكاملة لمؤتمر جنيف وتخويل مجلس الامن حق الاشراف على اعماله وتتبع مناقشاته ، وكانت الدول التي تقدمت بهذا المشروع هي استراليا والنمسا وغينيا والهند واندونيسيا وكينيا وبنما وبيرو والسودان ويوغوسلافيا ، وباتفاق سابق مع مصر .

عندما تقدمت مجموعة هذه الدول بقرارها الى مجلس الامن شعرت الدولتان العظميان بضآلة الدور الذي يمكن ان تقومان به ، وتعاظم دور السكرتير العام . واسرعت الدولتان بالاتصال بالعواصم المعنية لعدم تأييد هذا المشروع . وبالرغم من كل الجهود فقد وافق المجلس على مشروع القرار يوم ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ مع امتناع الدول الكبرى عن التصويت عليه . وكانت الدول التي امتنعت هي : امريكا والاتحاد السوفيتي

وانجلترا وفرنسا ، ورفضت الصين الاشتراك في التصويت واصبح هذا القرار معروفا بالقرار رقم ٣٤٤ لعام ١٩٧٣ ، واصبح ساري المفعول ولكنه غير ملزم طالما ان الدولتين العظميين لم توافقا عليه . وسعت امريكا والاتحاد السوفيتي الى اعداد صيغة لتوجيه الدعوات للدول المعنية بصورة لا تتجاهل بها قرار دول عدم الانحياز دون المبالغة في اهمية الدور الذي يقوم به السكرتير العام . ووصلت الدولتان الى صيغة تخول لهما حق الرئاسة المشتركة للمؤتمر على ان يرأس السكرتير العام جلسة الافتتاح ثم يتبادل الاتحاد السوفيتي وامريكا الرئاسة . وترتب على هذا التغيير تأجيل اجتماع المؤتمر من يوم ١٨ ديسمبر الى ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ .

بعد الاتصالات التي تمت بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لانقاذ الموقف ، تم الاتفاق بينهما على ان يرسل وزيرا خارجية الدولتين رسالة متطابقة للسكرتير العام كورت فالدهايم يتولى بمقتضاها اصدار بيان يوجهه الى مجلس الامن ويكون بمثابة دعوة للاطراف . ونظرا لاهمية وخطورة هذه الرسائل ، فانني اورد نصها :

رسالة من السكرتير العام للامم المتحدة في ١٨ ديسمبر الى رئيس مجلس الامن

لقد تلقيت من الممثل الدائم للاتحاد السوفيتي في الامم المتحدة والممثل الدائم للولايات المتحدة فيها رسالتين ارفقهما بهذه الرسالة . وتتعلق رسالتاهما بالمؤتمر المقترح الخاص بالشرق الاوسط . وسوف اكون شاكرا اذا تفضلتم بابلاغ هذه الرسائل الى الدول الاعضاء في مجلس الامن .

انني انوي ان اتحرك على اساس هذه الرسائل التي اعتبرها متفقة مع قرار مجلس الامن رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٧٣ الصادر في ١٥ ديسمبر عام ١٩٧٣ .

امضاء

كورت فالدهايم

رسالة من الاتحاد السوفيتي بتاريخ ١٨ ديسمبر عام ١٩٧٣ الى السكرتير العام للامم المتحدة

« وافق مجلس الامن في ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٣ على القرار رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) الذي قام الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بتقديمه للمجلس ، وهو القرار الذي ينص على بدء مفاوضات بين الاطراف المعنية ، وتحت الاشراف المناسب بهدف اقامة سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط .

« ان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية قد احيطا علما اليوم بواسطة الاطراف المعنية بأنها مستعدة الآن للاشتراك في مؤتمر للسلام ، يجتمع في جنيف ، ويبدأ اجتماعاته في ٢١ ديسمبر من هذا العام . وسوف يجتمع هذا المؤتمر تحت اشراف الامم المتحدة .

« ان الاطراف المعنية قد وافقت على انعقاد المؤتمر تحت الرئاسة المشتركة للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية كما وافقت هذه الاطراف على ان موضوع اشتراك

اعضاء آخرين من الشرق الاوسط سوف تتم مناقشته خلال المرحلة الاولى من هذا المؤتمر .

« ونحن نأمل انكم ستجدون انه من الممكن اشتراككم في افتتاح هذا المؤتمر . والذي نأمل ان تشترك فيه الحكومات المعنية بوزراء خارجيتها ثم بعد ذلك يشترك فيه ممثلو هذه الدول الذين يتم تعيينهم على مستوى السفراء لهذا المؤتمر بالذات .

« ونحن نأمل ايضا انكم سوف تكلفون ممثلا عنكم ، يتولى ابلاغكم بكل تفاصيل اعمال المؤتمر ، كما أننا نكون شاكرين اذا قامت الامم المتحدة بتقديم التسهيلات الضرورية اللازمة لانعقاده .

« واذا وجدتم ـ ونحن نتمنى ذلك ـ أنه من الممكن ان تشاركوا في المؤتمر فان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة باعتبارهما يتوليان الرئاسة المشتركة له ، يكونان شاكرين اذا وافقتم على ان تقوم سيادتكم بالدعوة للمؤتمر ، وترأس جلسة افتتاحية .

« ونحن نلتمس ان تقوم بتوزيع هذا الرسالة على الدول الاعضاء في مجلس الامن لابلاغهم بها .

ونحن نعتقد أنه من المناسب أن يقوم رئيس مجلس الامن بمشاورات غير رسمية مع الدول الاعضاء في المجلس للحصول على اتفاق رأيهم بالنسبة لذلك .

توقيع جاكوب ماليك
« ممثل الاتحاد السوفيتي الدائم
في الامم المتحدة » .

وكان نص الرسالة الثانية موجهة من المستر تابلاي بينيت الرئيس المناوب للوفد الامريكي الدائم لدى الامم المتحدة الى السكرتير العام للمنظمة بنفس التاريخ (١٨ ديسمبر ١٩٧٣) ويبدأ النص بالديباجة التالية :

« يشرفني ان انقل اليكم الرسالة التالية التي تلقيتها من وزير خارجيتي هنري كيسنجر ».

وجاءت صيغة رسالة كيسنجر مطابقة تماما في الكلمات والعبارات لرسالة الاتحاد السوفيتي وبنفس ترتيب فقراتها .

كانت اسرائيل تثير ضجة اخرى لتعطيل اعمال المؤتمر ، باصرارها على ضرورة تسليمها الكشف الخاص بأسماء الأسرى الموجودين لدى سوريا ، وقد حاول كيسنجر أن يحقق ذلك خلال زيارته الاولى لدمشق يوم ١٥ ديسمبر ، (كانون الاول) وحاول ان يحصل على وعد من سوريا بالاشتراك في المؤتمر ، ولكن الرئيس حافظ الاسد أبلغ كيسنجر ان سوريا قد احيطت علما بالدعوة وللمؤتمر ولكنها لن تشترك فيه . وكان الرئيس السادات قد اوفد سكرتيره لشؤون المعلومات الدكتور اشرف مروان يوم ١٤ ديسمبر الى دمشق لاقناع الرئيس الاسد ، وفشلت كل المحاولات لحمل سوريا على الاشتراك في المؤتمر وطلب كيسنجر من جوزيف سيسكو من دمشق ان يتصل بالرئيس السادات تليفونيا لابلاغه بهذا الرفض .

وصف متحدث رسمي سوري في بيان مكتوب صدر يوم ١٨ ديسمبر مؤتمر جنيف بانه « .. سيفضي الى مناقشات لا نهاية لها . وسيضعف المسالة الرئيسية وهي مسالة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ وسيلقى بهذه المسألة الى الخلف . واضاف البيان الرسمي السوري : « ان محادثات جنيف ستحقق في حل مسالة حقوق الفلسطينيين وتحول انتباهها الى مسائل جانبية » .

وفي القاهرة ، تلقى السيد اسماعيل فهمي يوم ١٨ ديسمبر الدعوة للمؤتمر واعلن على الفور ان مصر ستشترك فيه مؤكدا في بيان رسمي موقف مصر .

وتضمن هذا البيان الذي انيع في نفس اليوم « ان سياستنا القائمة على مواجهة العدوان ، تضطرنا الى مواجهته بكافة الطرق وفي جميع المجالات كشفا للعدوان وردعا له .. ان تقديرنا للمخاوف والشكوك التي دفعت سوريا لعدم الاشتراك في المؤتمر . يدفعنا الى الذهاب اليه مدركين لمسؤولياتنا التاريخية ، ومطالب شعوبنا العربية ، حتى نختبر حسن نية الاطراف المسؤولة ، في تطبيق قرارات الامم المتحدة . فاذا تحقق التقدم المطلوب فان ذلك يفتح الباب للشقيقة سوريا والاطراف العربية الاخرى للمشاركة الايجابية فيه ، واذا سادت اساليب المراوغة والمماطلة فاننا سنواصل مع بقية الامة العربية الكفاح لتحقيق الحقوق المشروعة ، مؤيدين من الرأي العام العالمي » .

وفي الوقت الذي اتخذت فيه مصر قرارها التاريخي بالذهاب الى المؤتمر كانت اسرائيل تواجه أزمة داخلية ، بعد أن رفضت سوريا تسليمها قوائم الاسرى ، بالاضافة إلى اضطرار إسرائيل للاشتراك في مؤتمر جنيف وقبول الجلوس في مؤتمر دولي تحت اشراف الامم المتحدة لمناقشة الحل السلمي . وواجهت اسرائيل موقفا يضطرها لحضور المؤتمر الذي تدعو اليه امريكا والاتحاد السوفيتي وتتبادلان رئاسته ، وتشترك فيه ثلاث دول عربية هي مصر وسوريا والاردن ، على ان ينضم اليه بعد ذلك وفدان يمثلان فلسطين ولبنان في مرحلة لاحقة . ولم تكن اسرائيل في وضع يسمح لها بتقبل هزيمة حرب الغفران ، بكل ابعادها السياسية والعسكرية والاقليمية ، ثم الموافقة على الانضمام لمؤتمر دولي يناقش انسحابها من الاراضي العربية التي تحتلها بالاضافة الى احتمال مناقشة قيام دولة للشعب الفلسطيني . سارع مجلس الوزراء الاسرائيلي بعقد اجتماع يوم ١٦ ديسمبر في مطبخ جولدا مائير لمناقشة عدة اعتراضات اثارتها رئيسة وزراء اسرائيل في ذلك الوقت في مباحثاتها مع هنري كيسنجر الذي وصل الى تل ابيب في اليوم السابق ليبلغها بضرورة اشتراك اسرائيل في مؤتمر جنيف بالرغم من فشله في الحصول على كشف باسماء الاسرى من سوريا . ووضعت جولدا مائير مشاكلها في ٤ نقاط :

١ ــ من الذي يشرف على المؤتمر .. الامم المتحدة ام الدولتان العظميان .
٢ ــ هل سيشترك وفد فلسطيني في المؤتمر ، وما هو موقف اسرائيل في هذه الحالة .
٣ ــ تقترح اسرائيل الا يجتمع المؤتمر يوم السبت ٢٢ ديسمبر وان كانت اسرائيل تفضل عدم انعقاده الا مع بداية العام الجديد .
٤ ــ ما هو جدول اعمال المؤتمر المقترح .

واجاب كيسنجر على هذه الاسئلة مؤكدا ان المؤتمر سيجتمع في موعده وان اسرائيل لا بد وان تشترك في أعماله .

ومن نيويورك استدعى كورت فالدهايم ـ بعد ان اعد الدعوات للمؤتمر ، والتي بعث بها الى مصر وسوريا واسرائيل والارين ـ مستشاره المختص في الشؤون السياسية جيمس جونا (سيراليون) ، وريميه جورجيه (سويسري) المختص في الشـؤون القانونية ، والجنرال انزيو سيلاسفو قائد قوات الطوارىء في الشرق الاوسط ، للسفر الى جنيف فورا حيث يعقد السكرتير العام ومساعدوه السياسيون والعسكريون اجتماعاتهم قبل بدء مؤتمر جنيف يوم ٢١ ديسمبر .

أصدر الرئيس السادات قراره يوم ١٨ ديسمبر بتشكيل الوفد المصري برئاسة السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية ، ورأس الوفد الاردني السيد زيد الرفاعي رئيس الوزراء ، والوفد الاسرائيلي ابا ايبان ، ولم تعلن سوريا عن تأليف وفد او اشتراكها في المؤتمر .

وقبل ان يغادر كيسنجر اسرائيل يوم ١٨ ديسمبر في طريقه الى مدريد ثم باريس بعد اجتماعه بالرئيس (الراحل) جورج بومبيدو ليعود منها الى جنيف قال « ان مؤتمر جنيف سوف يبدأ اجتماعاته يوم ٢١ ديسمبر ، وسوف يكون موضوع الفصل بين القوات على جبهة السويس في مقدمة الموضوعات التي سيناقشها المؤتمر » .

على الطائرة السويسرية ، غادر اسماعيل فهمي وزير الخارجية القاهرة الى جنيف يوم الاربعاء ١٩ ديسمبر ليرأس الوفد السياسي والعسكري الذي يمثل مصر في مؤتمر السلام ، وكان الوفد العسكري يتألف من العميد طه المجدوب[1] والعقيد فؤاد هويدي . وحطت الطائرة في مطار كونتران (مطار جنيف) الذي تحول الى ثكنة عسكرية اختلط فيها رجال الامن المصريون بالحرس السويسري ، وامتزج الصحفيون القادمون مع اسماعيل فهمي من القاهرة (كنت واحدا منهم) بالصحفيين الذين بلغ عددهم اكثر من الف ، والذين تجمعوا في المطار وفندق انتركونتيننتال لتغطية اول مؤتمر يلتقي فيه العرب والاسرائيليون ، تحت علم الامم المتحدة وفي مبناها ، لمناقشة احتمالات قيام سلام في المنطقة .

كانت مدينة جنيف تستعد للاحتفال بعيد الميلاد ورأس السنة الجديدة وقد تساقطت الثلوج البيضاء تغطي المدينة الجميلة التي تحولت الى ثكنة عسكرية ذكرتني بمدينة ايفيان الفرنسية المطلة على البحر الابيض عام ١٩٦١ ، عندما جاء الفرنسيون والثـوار الجزائريون لاجراء مباحثات سميت بعد ذلك بـ « محادثات ايفيان » والتي اسفرت عن اتفاقية « ايفيان » . وقد اخليت ايفيان خلال المباحثات من جميع سكانها بعد اغتيال عمدتها الذي وافق على اتمام هذا اللقاء بين الحكومة الفرنسية وثوار الجزائر .

وفي مطار كونتران اكد اسماعيل فهمي في الساعة الخامسة والنصف من بعد ظهر الاربعاء يوم ١٩ ديسمبر باللغة الانجليزية المبادىء التي جاء من أجلها الى مؤتمر جنيف وهي :

١ ـ ان الوفد المصري جاء الى جنيف بدعوة من السكرتير العام للامم المتحدة ، ويهدف العمل الجاد والصعب من اجل ايجاد سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط .

---

(١) - رقي العميد طه المجدوب اثناء محادثات السلام في جنيف الى لواء .

٢ ـ ان اجتماع جنيف سيتم تحت اشراف الامم المتحدة ولتنفيذ قراراتها .

٣ ـ ان وقف اطلاق النار لا يمثل الحل النهائي للمشكلة بل هو بداية مناسبة لخلق الظروف التي تسمح بمناقشة الحل النهائي ، واذا فشلت هذه الجهود فان وقف اطلاق النار سيصبح هشا .

٤ ـ سوف تشترك مصر في المؤتمر لاستعادة كل الحقوق العربية ، ويهدف تحقيق انسحاب اسرائيلي كامل من كل الاراضي العربية واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني بما في ذلك اقامة وطن لهم .

٥ ـ ان مصر تبدي التفاؤل لانها تجتمع في جنيف ، المدينة الدولية التي تستضيف المؤتمرات في مبنى الامم المتحدة بهدف تحقيق السلام .

وفي الوقت الذي كان موكب سيارات الوفد المصري يتجه الى فندق انتركونتننتال القريب من المطار ، كانت طائرة اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفياتية تهبط في نفس المكان الذي هبطت فيه طائرة اسماعيل فهمي ويؤكد في بيان قصير ان الاتحاد السوفيتي يشترك في هذا المؤتمر الذي يهدف الى تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط ، وان موقفه هو التأييد الكامل للنضال العربي ، وتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، ولتحقيق ذلك فان الاتحاد السوفيتي سوف يبذل كل جهوده من اجل انجاح هذا المؤتمر .

عقب وصول اسماعيل فهمي واندريه جروميكو الى جنيف ، التقى الوزيران في جناح اسماعيل فهمي في الفندق مساء يوم الاربعاء لمواجهة المشكلة التي اثارتها اسرائيل وبدأت تتفجر صباح اليوم التالي (الخميس ٢٠ ديسمبر ١٩٧٣) بوصول كورت فالدهايم في الساعة السابعة صباحا قادما من نيويورك .

اثارت اسرائيل مشكلة ترتيب الجلوس في قاعة المؤتمر ، الذي تحددت له الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢١ ديسمبر . وقد انشغل جميع رؤساء الوفود والسكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم ، وهنري كيسنجر ـ الذي وصل ظهر يوم الخميس ٢٠ ديسمبر ـ بحل مشكلة الجلوس في المؤتمر .

اصرت مصر على بقاء منضدة مستقلة لسوريا تظل خالية الى حين اشتراكها واصرت على ان تكون المنصة الرئيسية لكورت فالدهايم وتم الاتفاق على ان تكون هناك ٧ مناضد منفصلة ، الرئيسية ويجلس فيها السكرتير العام ، وعلى يمينه وفد مصر ، وعلى يساره وفد اسرائيل ، وعلى يمين وفد مصر ، وفد الولايات المتحدة ، ثم الاردن ثم سوريا ثم الاتحاد السوفيتي . وقد حاولت اسرائيل ان يكون ترتيب الجلوس طبقا للحروف الابجدية وكان سيترتب عليه جلوس مصر الى جانب اسرائيل بينما رفضت اسرائيل ان تجلس الى المنضدة المجاورة للوفد السوري ، الذي ظل مقعده خاليا ، بحيث لا تبدو اسرائيل معزولة ، وتوصل رؤساء الوفود الى ان يجلس الوفد المصري الى يمين السكرتير العام ، والوفد الاسرائيلي على يساره (يسار السكرتير العام).

لم تكن هذه المشكلة الفرعية هي المشكلة الوحيدة التي اثارتها اسرائيل اذ بدات حملات ضخمة داخل اروقة المؤتمر ، وقبل انعقاده للضغط على الدول العربية بوسائل الاعلام الدولية بالمطالبة بالافراج عن اسرى الحرب في سوريا ، واذاع التليفزيون

السويسري احاديث لزوجات الاسرى الاسرائيليين ونقلت وسائل الاعلام ورددت هذه الاحاديث للتاثير على الوفود العربية المشتركة في المؤتمر (مصر والاردن) . أقتراح آخر تقدم به كورت فالدهايم ، رفضته مصر فورا ، وكان الهدف من اقتراحه اقامة « حفل استقبال» لجميع الوفود وبالتالي اشتراك اسرائيل في هذا الحفل الذي يتبادل فيه رؤساء الوفود كلمات المجاملة ، وقد رفض اسماعيل فهمي بعنف هذا الاقتراح قائلا « لقد جئنا لنناقش مشاكل سياسية وعسكرية محددة ولم نصل الى الحل النهائي » .

ارادت اسرائيل ان تستغل مؤتمر جنيف لاقناع الرأي العام العالمي والاوروبي بالذات لاظهار ان المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل هي الحل الذي كانت تنادي به منذ بدء الصراع العربي الاسرائيلي ، ورد اسماعيل فهمي موضحا ان هذا المؤتمر قد انعقد كنتيجة فعلية لحرب ٦ اكتوبر ولتنفيذ قرارات الامم المتحدة التي رفضت اسرائيل تنفيذها منذ عام ١٩٦٧ ، وان المؤتمر يجتمع تحت اشراف الامم المتحدة ، وفي مبناها ، وتحت اعلامها في محاولة لتحقيق ذلك .

كانت هناك مشاكل اخرى ادت الى تأجيل افتتاح المؤتمر اربعين دقيقة ، في ظل جو من التوتر والقلق ساد جميع الوفود المشتركة في اول محاولة لانعقاد مؤتمر يبحث تحقيق السلام ، اذ اقترحت اسرائيل ان تلتقي جميع الوفود في قاعة واحدة يدخلون منها الى قاعة الاجتماع ، ورفض اسماعيل فهمي ، وهدد بالانسحاب من المؤتمر ، وتدخل كورت فالدهايم لانقاذ الموقف ووافق على اقتراح اسماعيل فهمي بتجميع الوفدين المصري والاردني في قاعة تقود الى مكان الاجتماع ، ودخول الوفد الاسرائيلي من قاعة اخرى ، وتم انقاذ الموقف بعد اربعين دقيقة حبس الصحفيون والعالم كله انفاسه انتظارا لانعقاد المؤتمر التاريخي .

في الساعة العاشرة واربعين دقيقة دخل كورت فالدهايم قاعة المؤتمر ودخل الوفدان المصري والاردني من قاعة على يمين مكان الاجتماع ، ودخل الوفد الاسرائيلي من مدخل على يساره ، ولم يتبادل رؤساء الوفود التحية وتوالي دخول الاعضاء ، وجلس الجميع في مقاعدهم بعد ان تم الاتفاق على ان يتولى كورت فالدهايم كما كان مقررا رئاسة الجلسة الاولى ، التي يلقي فيها كلمة الافتتاح ، ثم يعقبه اندريه جروميكو وهنري كيسنجر وبعدهم وفد مصر ثم وفد الاردن وتاتي كلمة وفد اسرائيل في الجلسة المسائية ، ويتم القاء كلمات رؤساء الوفود في جلسة علنية يحضرها ١٧٠ صحفيا من ١٧٥٠ نظرا لضيق المكان ولدواعي الأمن .

وقال فالدهايم في كلمته القصيرة « ان وقف اطلاق النار وترتيبات حفظ السلام من جانب الامم المتحدة ستبقى هشة مع خطر مماثل دائما بتجدد القتال ، وان مصر واسرائيل لم يتوصلا بعد الى اتفاق بالرغم من المناقشات الاستطلاعية التي تمت بشان عودة القوات الى المواقع التي احتلتها وقت وقف اطلاق النار . في ٢٢ اكتوبر (١٩٧٣) وانني امل ان

---

(١) ــ كان الاقتراح المطروح للبحث هو ان يلقي فالدهايم وجروميكو وكيسنجر كلمات الافتتاح ثم يتم تأجيل الجلسة، ويلقي اسماعيل فهمي بيانه بعد ذلك. وقد رفض فهمي ذلك وقال اننا اصحاب القضية ولا بد وان نلقي ببيان مصر والاردن فور الانتهاء من كلمات فالدهايم وجروميكو وكيسنجر، وتتكلم اسرائيل في المساء.

يحرز المؤتمر من خلال مداولاته تقدما بشان هذه المسالة الهامة وبشان تنفيذ قرارات الامم المتحدة لاقامة سلام دائم وعادل » .

واعقب بيان فالدهايم خطاب اندريه جروميكو الذي تحدث بالروسية واكد ضرورة انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية ، وان حل مشكلة الشرق الاوسط سوف يخلق الجو الصحي المناسب لتحسين الجو الدولي .

وتحدث هنري كيسنجر مؤكدا ان اول عمل للمؤتمر يجب ان يكون تحقيق الاتفاق في وقت مبكر على الفصل بين القوات العسكرية وقال « انني اعتقد ان مثل هذا الاتفاق ممكن » . واضاف كيسنجر قائلا « ان الفصل بين القوات هو خطوة أولى ضرورية لدعم وقف اطلاق النار وان الهدف النهائي للمؤتمر هو تنفيذ القرار ٢٤٢ »

وحدد كيسنجر في بيانه النقاط الاساسية لتسوية الازمة وهي :

١ ـ الالتزام الدقيق بوقف اطلاق النار .

٢ ـ الفصل بين القوات العسكرية لا بد وان يشمل سوريا التي لا زالت تقاطع المؤتمر .

٣ ـ تنفيذ كل ما جاء في القرار ٢٤٢ الذي دعا اسرائيل للانسحاب من الاراضي العربية المحتلة .

٤ ـ اجراء مفاوضات واقعية بين الجانبين هدفها الانسحاب ، والحدود المعترف بها وتدابير الامن ، وضمانات السلام ، واقرار المصالح المشروعة للفلسطينيين ، والاعتراف بان القدس تضم اماكن تعد مقدسة للاديان الثلاثة الكبرى .

بعد القاء بيانات السكرتير العام ، واندريه جروميكو ، وهنري كيسنجر ظهرت محاولات لرفع الجلسة ، ولكن اسماعيل فهمي اصر على إلقاء بيان مصر وبيان الاردن اذ ان المؤتمر قد انعقد لحل مشكلة تتعلق بالدول المعنية .

قال اسماعيل فهمي في بيانه « اننا نامل نتيجة لاحداث ٦ اكتوبر ان يكون الاسرائيليون قد اتخذوا قرارهم بالتخلي عن شريعة التوسع والعدوان » ووصف المؤتمر « بانه حدث تاريخي تنعقد عليه جميع امال العالم ، لانتهاز هذه الفرصة الفريدة لمواجهة الموضوعات الرئيسية الاساسية التي ينطوي عليها النزاع » . واكد ان مؤتمر جنيف فريد في نوعه . ولا مثيل له في التاريخ اذ يجتمع المؤتمر لمعالجة هذه المشكلة الخطيرة ويشارك فيه الاتحاد السوفيتي وامريكا . وحدد ضرورات السلام بانها :

١ ـ الانسحاب الاسرائيلي الشامل من كل الاراضي العربية .

٢ ـ تحرير مدينة القدس العربية ، ورفض اي موقف من شانه المساس بالسيادة العربية الكاملة على المدينة المقدسة .

٣ ـ ممارسة الفلسطينيين لحقهم في تقرير المصير والعيش في كرامة وفي سلام .

٤ ـ حق كل دولة في المنطقة أن تنعم بسلامة اراضيها واستقلالها السياسي .

٥ ـ توافر ضمانات دولية تقدمها الدول الكبرى او الامم المتحدة او كلها معا كصمام أمن اضافي لحفظ السلام والأمن للدول في المنطقة .

بعد انتهاء رئيس وفد الأردن السيد زيد الرفاعي رئيس الوزراء ووزير الخارجية من بيانه تأجلت الجلسة الى بعد الظهر ، واعلن ابا ايبان في بيانه ان اسرائيل « لن تتخلى عن

كل الاراضي العربية المحتلة في مصر وسوريا والاردن لانها تحتاج الى بعض هذه الاراضي من اجل ضمان حدودها الآمنة ، اما بشان الفلسطينيين فان دولتهم ينبغي ان تقام في الأردن بعد تسوية مشكلة الاراضي ، ورفض اعادة القدس مؤكدا ان اسرائيل لا تعارض في السماح للعرب بالسيادة على الاماكن المقدسة في القدس ».

اكد ايبان في بيانه « ان اسرائيل مستعدة لبحث الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية كأولوية أولى عندما يستأنف المؤتمر جلساته بعد بداية العام الجديد» . وهاجم سوريا لانها لم تقدم قوائم الاسرى .

بعد القاء بيان اسرائيل طلب اسماعيل فهمي التعقيب على ايبان مهاجما الموقف الاسرائيلي الرافض للانسحاب ثم اكد ان اسرائيل لم تستوعب بعد نتائج حرب اكتوبر وذكر المؤتمر الذي يثير فيه ايبان موضوع الاسرى بالجرائم الوحشية التي مارستها اسرائيل بحرب عصاباتها ضد الشعب الفلسطيني قبل قيام دولتهم وسرد جميع الفظائع التي مارستها اسرائيل في قبية وغزة والسلط والكرامة ، وعدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ثم عدوانها في عام ١٩٦٧ وتمسكها بالاراضي التي تحتلها والتي ترفض رسميا امام المؤتمر الانسحاب منها .

بعد هذا البيان العنيف قرر فالدهايم رفع الجلسة على الفور ، على ان يعقد المؤتمر جلسته الثانية صباح يوم السبت ٢٢ ديسمبر بالرغم من معارضة اسرائيل لعقد جلسات في يوم السبت الذي تعتبره يوما مقدسا لا يجوز العمل فيه .

وفي الوقت الذي كانت مصر تمارس فيه كل جهودها من اجل استمرار عمل المؤتمر ، سعى ابا ايبان الى انتهاز فرصة انعقاده لكي يستغل اكبر جمهور صحفي ودولي لشرح ما اسماه وجهة نظر اسرائيل ، واحضر معه سبعة متحدثين رسميين ، يتحدثون باللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية والعبرية والعربية والايطالية والاسبانية وكان كل متحدث رسمي يتولى تلخيص نتائج الاجتماعات وعرض وجهة النظر الاسرائيلية لكل مجموعة من المجموعات المتحدثة بهذه اللغات وحرص ابا ايبان على ان يلتقي باندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي واشاع الوفد الاسرائيلي ان الوزيرين (الاسرائيلي والسوفيتي) قد بحثا موضوع استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما ، بينما صرح الوفد السوفيتي بان هذا اللقاء قد تم باعتبار ان اندريه جروميكو هو أحد رئيسي المؤتمر ، وانتهز أبا ايبان فرصة التقاء الوفود فيقاعة الاجتماع ليتحدث مع اندريه جروميكو للايحاء بان العلاقات بينهما تسمح بهذا الحديث وان كان هذا اللقاء لم يسفر الا عن تحديد موعد لمقابلة تتم بين ايبان وجروميكو في اطار ما وصفه الوفد السوفيتي « بالتشاور » مع وزير الخارجية السوفيتي باعتباره احد رئيسي المؤتمر .

لم تكن هذه المحاولة التي قام بها ابا ايبان تتفق مع حقيقة المؤامرة التي كان يسعى من ورائها الى ابعاد الاتحاد السوفيتي عن اجتماعات اللجنة العسكرية التي صممت مصر على ضرورة انعقادها في جنيف خلال انعقاد جلسات مؤتمر السلام . ومارست اسرائيل كل اساليب الضغط على الولايات المتحدة لابعاد الاتحاد السوفيتي ووافقت امريكا على ذلك وتمت اتصالات بين اندريه جروميكو واسماعيل فهمي لمواجهة هذا الموقف وايدت مصر ترحيبها باشتراك الاتحاد السوفيتي الا ان كيسنجر اقتنع بان انعقاد اللجنة العسكري لا

بد وان يتم دون حضور ممثل الاتحاد السوفيتي . وقد عارضت مصر في ذلك وابلغت الاتحاد السوفيتي وامريكا بانها ترحب بحضوره وبعد مشاورات مارست فيها مصر كل الجهود تم الاتفاق على ان يتم الاجتماع العسكري تحت رئاسة الجنرال سيلاسفو ، وبحضور الوفد العسكري المصري والوفد العسكري الاسرائيلي وبملابسهم العسكرية لبحث مشكلة عسكرية هي الفصل بين القوات على الجبهة المصرية وعدم حضور الوفدين الامريكي والسوفيتي باعتبار ان اختصاص اللجنة هو عمل عسكري محض .

عقد مؤتمر جنيف جلسته الثانية في الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة من صباح يوم السبت ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ وتم الاتفاق على ان تكون الجلسة سرية لمناقشة ترتيبات سير اعمال المؤتمر . وفي هذه الجلسة السرية التي كانت اقصر وآخر جلسة للمؤتمر القى اندريه جروميكو كلمة سريعة اشار فيها الى أهمية مراعاة عنصر الوقت والبدء في اعمال المؤتمر ، وايد هنري كيسنجر الموقف السوفيتي ، وقام كورت فالدهايم ليؤكد في الجلسة السرية أهمية وضرورة البدء في مباحثات الفصل بين القوات ، ثم قرأ بيانا مكتوبا يحدد سير اعمال المؤتمر نص على التالي :

١ ــ تاليف لجنة عسكرية تجتمع فورا تحت رئاسة الجنرال انزيو سيلاسفو يحضرها الوفدان العسكريان المصري والاسرائيلي لبحث موضوع الفصل بين القوات .

٢ ــ تاليف لجان سياسية لمناقشة القضايا الرئيسية .

٣ ــ اعتبار مؤتمر جنيف منعقدا مع تعطيل جلساته بسبب الاعياد ، وبقاء الوفود المشتركة في المؤتمر في جنيف (مصر والاردن واسرائيل وامريكا والاتحاد السوفيتي والامم المتحدة) .

٤ ــ دعوة وزراء خارجية هذه الدول للاجتماع عندما تظهر ضرورة لذلك .

وقبل ان يعلن فالدهايم رفع الجلسة قال انه تلقى طلبا من الاردن بتشكيل لجنة عسكرية أخرى تحت رئاسة الجنرال سيلاسفو وبحضور العسكريين الاردنيين والاسرائيليين لبحث موضوع الفصل بين القوات على الجبهة الاردنية ، ولم يوافق المؤتمر على هذا الاقتراح . ولم ترحب مصر خارج جلسات المؤتمر بتاليف لجنة عسكرية مصرية اردنية لتنسيق المواقف .

بعد انتهاء الجلسة التي لم تدم اكثر من اربعين دقيقة ، اذاعت الامم المتحدة بيانا قالت فيه :

« بعد المناقشات الرسمية وغير الرسمية التي تمت في مؤتمر السلام بجنيف يومي ٢١و٢٢ ديسمبر (١٩٧٣) فقد وصل المؤتمر الى اتفاق الرأي حول استمرار عمل المؤتمر ، وبانشاء لجنة عمل عسكرية الى جانب لجان العمل الاخرى التي يحددها المؤتمر ، ويتفق عليها في موعد مقبل . وستبدأ اللجنة العسكرية في مناقشة موضوع الفصل بين القوات على جبهة سيناء ، وسوف تقدم اللجان المختلفة تقاريرها ونتائج مناقشاتها الى المؤتمر الذي سيستمر في حالة انعقاد على مستوى السفراء على الاقل » .

عقب انتهاء هذه الجلسة الثانية والاخيرة للمؤتمر، اطفئت الانوار في قاعة الاجتماع ، وبدأ النشاط السياسي يأخذ مجراه خارج القاعة بمؤتمر صحفي عقده ابا

ايبان بعد ظهر يوم ٢٢ ديسمبر بعد ان وزعت اسرائيل خرائط للمناطق المحتلة سجلت فيها ان سيناء جزء من اسرائيل ، والجولان كذلك .

حضرت المؤتمر الصحفي الذي عقده ابا ايبان في مبنى الامم المتحدة ، واخذت معي الخرائط التي وزعتها اسرائيل ، وبعد ان استعرض ايبان كل قدراته الخطابية واللغوية لاثبات ان اسرائيل تريد السلام وجهت اليه سؤالا محددا قلت فيه « وزعت اسرائيل في مؤتمر السلام ، وفي مبنى الامم المتحدة وتحت سمع وبصر جميع الاعضاء والصحفيين ، خرائط اعترفت فيها بان سيناء والجولان هما اجزاء من اسرائيل ، فكيف تأتي الى مؤتمر سلام وتوزع خرائط رسمية تثبت هذا » .

قال ايبان « انني لا اعرف شيئا من هذه الخرائط ، ولم يوافق الكنيست على ضم هذه الاراضي لاسرائيل وان كانت هناك مقترحات بذلك ، ونحن نفرق بين الاراضي التي تقع تحت سيادة اسرائيل والاراضي التي تخضع للادارة الاسرائيلية » .

تحولت انظار الصحافة العالمية الى الخرائط التي حملتها معي ورفعتها في المؤتمر الصحفي وتركزت كل الكاميرات واجهزة التليفزيون على هذه الوثائق التي قال عنها ايبان « بان مصلحة الاستعلامات الاسرائيلية قد تكون هي المسؤولة عن توزيع الخرائط ، والقانون الاسرائيلي لا يطبق على هذه الاراضي ، وان الحرب هي التي دفعت اسرائيل لاحتلال هذه الاراضي ، وهذه الحرب خاضتها اسرائيل وترتب عليها هذا الاحتلال » .

وتحدث ايبان عن عزلة الدول العربية . وسألته مرة اخرى في المؤتمر الصحفي كيف تقول ان مصر في عزلة ، والدول الافريقية كلها قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل ، وكذلك دول اوروبا الاشتراكية ، ولم تعترف الصين واسبانيا وعدد من الدول بكم » .

ورد ايبان قائلا « ان الدول الافريقية قد قامت بهذا الاجراء لمساندة مصر وبدافع المجاملة وستعيد علاقاتها معنا ، وقد بدا هذا فعلا (لم تتخذ اي دولة افريقية قرارا بهذا المعنى حتى عام ١٩٧٥ بل أعلنت في مؤتمرها في مارس (آذار) ١٩٧٥ العام بانها تطالب بتوقيع العقوبات على اسرائيل وتعترف بمنظمة التحرير وتنادي الدول الافريقية بتقديم المعونات العسكرية لها باعتبارها حركة تحرر ضد العدوان والامبريالية الاسرائيلية » .

عقد السفير تحسين بشير ، بمجرد خروج ايبان من قاعة المؤتمر ، مؤتمرا صحفيا قال فيه « ان اسرائيل جاءت الى هذا المؤتمر لاثارة الازمات والمشاكل وانها لا تريد السلام وانما تسعى لاتخاذ هذا المكان لتكرار اكاذيبها ، ودعاياتها التي كرهها العالم » .

انتقل النشاط من قاعات الامم المتحدة الى فندق انتركونتننتال حيث ينزل اسماعيل فهمي وهنري كيسنجر وزيد الرفاعي وانزيو سيلاسفو وكورت فالدهايم ، وبقي اندريه جروميكو في مقر البعثة السوفيتية الذي يقع على بعد خطوات من الفندق واستمرت المشاورات للاعداد لاجتماع اللجنة العسكرية . حاولت اسرائيل ان تتهرب من تحديد موعد لاجتماع اللجنة العسكرية بسبب اعياد الميلاد ورأس السنة وصممت مصر على ضرورة انعقادها ، وكانت العطلة تبدأ يوم ٢٤ ديسمبر . وبعد جهود واتصالات ومشاورات تم

---

(١) ــ رقي تحسين بشير بعد ذلك الى رتبة سفير وعين مسؤولا عن الشئون الصحفية برئاسة الجمهورية.

الاتفاق على ان يبدأ عمل اللجنة يوم ٢٦ ديسمبر وكانت اسرائيل قد استدعت الجنرال مردخاي جور ملحقها العسكري في واشنطن لرئاسة الوفد العسكري وادعت انها تطلب مهلة من الوقت لكي يصل من واشنطن الى اسرائيل ثم يعود الى جنيف التي وصلها فعلا صباح يوم الاربعاء ٣٦ ديسمبر (١٩٧٣) لتبدأ اللجنة العسكرية اعمالها في الساعة الرابعة من بعد الظهر وتجتمع في نفس قاعة اجتماع مؤتمر جنيف ، وصممت مصر على ان يكون الحضور بالملابس العسكرية وقاصرا على العسكريين بحيث يرافق كل وفد مستشار سياسي وتحت رئاسة الجنرال سيلاسفو ، لمناقشة قضية عسكرية هي الفصل بين القوات .

عقدت اللجنة العسكرية اجتماعها الاول الذي استمر اكثر من تسعين دقيقة وحاول الوفد المصري ، يؤيده الجنرال سيلاسفو ، ان يحتفظ بنفس الجو العسكري الذي ساد مباحثات الكيلو ١٠١ ، وبحيث يتناول البحث الترتيبات العسكرية الخاصة بالفصل بين القوات .

في الجلسة الاولى التي بدأت يوم الاربعاء ٢٦ ديسمبر اعلن اللواء طه المجدوب ان مهمة وفده مقصورة على بحث كيفية الوصول الى فصل بين القوات وستتقدم مصر بمقترحاتها العسكرية في هذا الصدد ، واعتذرت اسرائيل عن مناقشة هذا الموضوع بدعوى ان الانتخابات الاسرائيلية التي ستبدأ يوم ٣١ ديسبر اي بعد ٤ ايام سوف لا تسمح للوفد الاسرائيلي بمناقشة مشروعات للانسحاب او التخلي عن مواقع عسكرية احتلتها اثناء الحرب .

وبعد تسعين دقيقة من المناقشات أعلن الجنرال مردخاي جور رئيس الوفد الاسرائيلي بانه لا يمانع في تبادل اسرائيل ومصر للمواقع العسكرية بمعنى انسحاب القوات المصرية الى الضفة الغربية ، وانسحاب اسرائيل من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية .. » .

تقدمت مصر باقتراحها بعد ذلك بانسحاب اسرائيل الى خط العريش رأس محمد ، وهو الخط الذي يبعد عن القناة حوالي ١٥٠ كيلومترا شرقا ورفضت اسرائيل هذا الاقتراح .

استمرت جلسات العمل بعد ذلك ، وشعر السيد اسماعيل فهمي بعدم جدية هذه المباحثات ، لرفض اسرائيل الالتزام باي مواقف عسكرية لتحقيق الفصل بين القوات ، ولذلك قرر العودة الى القاهرة لاطلاع الرئيس السادات على ما تحقق في جنيف وعقد اجتماعا يوم ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) قبل بدء المباحثات العسكرية ، بالسفير السوري لدى الامم المتحدة بجنيف السيد موفق العلاف وابلغه بكل نتائج المحادثات التي دارت في مؤتمر جنيف ، وبدء اعمال اللجان العسكرية يوم ٢٦ ديسمبر واصرار مصر على ابقاء مقعد سوريا في المؤتمر الى حين اتخاذها لقرار الانضمام اليه . واجتمع في نفس اليوم بسفيري بريطانيا وفرنسا لدى المقر الاوروبي بجنيف وابلغهما ان مصر تريد اشراكهما في مؤتمر جنيف ، وابلغ السفراء العرب الذين اجتمع بهم في جنيف بان مصر مصممة على اشراك لبنان والفلسطينيين .

طار اسماعيل فهمي من جنيف عائدا الى القاهرة يوم ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) ومنها الى اسوان مباشرة . وكان الرئيس السادات قد سافر الى اسوان بسبب وعكة برد

اصابته ، دفعته للسفر الى منطقة جافة تمتاز بارتفاع الحرارة فيها ، خصوصا في هذا الموسم من السنة ، وللتفرغ لاعباء المرحلة المقبلة وهو يرى ان مباحثات الفصل بين القوات في جنيف لم تحقق اي تقدم .

اجتمع الرئيس السادات باسماعيل فهمي في استراحته بجوار الخزان يوم ٢٨ ديسمبر واطلعه الوزير على ما امكن تحقيقه في جنيف وعدم جدية المباحثات العسكرية . واستدعى الرئيس السادات الوفد العسكري من جنيف ، وابلغه بانه قد وقع قرارا بتصفية الجيب الاسرائيلي يوم ٢٤ ديسمبر وطلب الى الوفد ان يعود الى جنيف ويتقدم بخطة عمل محددة ، اذا فشلت فليس امام الوفد الا العودة الى القاهرة ثم اسوان مباشرة .

طار الوفد العسكري بعد راس السنة مباشرة الى جنيف وعقد جلسته الثانية يوم ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ، واقترح في الاجتماع ان تبحث اللجنة المبادىء التي يمكن ان تكون اساس المباحثات الدائرة واقترح الوفد فعلا جدول اعمال يتألف من النقاط التالية :

١ ــ تعريف مفهوم الفصل بين القوات والمبادىء التي يمكن ان يتحقق بها .

٢ ــ تحديد المسافة التي يجب ان تفصل بين القوات المتحاربة .

٣ ــ الاتفاق على انشاء مناطق عازلة ومناطق امن .

٤ ــ علاقة الانسحاب الاسرائيلي بأمن قناة السويس .

٥ ــ الخفض المتبادل للاسلحة في حالة الوصول الى اتفاق .

اما بالنسبة للنقطة الاولى فقد طلب الوفد المصري كاساس للبحث الاتفاق على ان الفصل بين القوات يقتضي تحديد نقطة معينة او خط محدد تنسحب اليه اسرائيل من الضفة الشرقية الى هذه النقطة التي يتم تحديد مدى بعدها عن القناة في عمق سيناء . مع انسحاب اسرائيل الكامل من الضفة الغربية (لم ترفض اسرائيل مبدأ الانسحاب من الضفة الغربية نظرا للحشود العسكرية المصرية التي احاطت بالثغرة مع صعوبة تموين القوات الاسرائيلية على هذه الضفة وطول خطوط الامداد) .

اما بالنسبة للمسافة التي يجب ان تتوفر لتحقيق الفصل بين القوات فان مصر اقترحت ان تكون ثلاثين كيلومترا : ١٠ كيلومترات على الجانبين وهو ما يسمى بمنطقة الامن ، و١٠ كيلومترات كمنطقة عازلة .

وحددت مصر بالنسبة للقناة ضرورة ابعاد القناة عن نطاق قوات المشاة الاسرائيلية ومدفعيتها ، وحددت ذلك بستين كيلومترا على الأقل . وقد رفضت اسرائيل مبدأ مناقشة هذه الموضوعات ، الا بعد الانتخابات مع ضرورة خفض المسافة التي تقترحها مصر .

أثارت اسرائيل موضوعا ، (عادت وكررته بعد ذلك في مباحثات كيسنجر الفاشلة في مارس (آذار) ١٩٧٥) يتعلق بانشاء دوريات مصرية ــ اسرائيلية مشتركة للتفتيش على القوات ، **ولم تشترك مصر في مناقشة هذا الموضوع باعتباره مرفوضا نهائيا، وابلغت سيلاسفو انها لا تقبل مجرد الاستماع الى هذا الاقتراح .**

ونظرا لرفض اسرائيل بحث موضوع الانسحاب ، فان مصر وجدت عدم جدوى

مناقشة الخفض المتبادل للاسلحة باعتبار ان الانسحاب هو الذي سيؤدي الى بحث هذا الموضوع بالاضافة الى عدم موافقة اسرائيل على تحديد مدى ابتعاد قواتها عن قناة السويس .

وقد اتصل هنري كيسنجر باسماعيل فهمي في اسوان يوم ٤ يناير(كانون الثاني ١٩٧٤) وابلغه انه سيطير بنفسه الى المنطقة في جولة ثالثة ، وانه استدعى موشي ديان الى واشنطن بوصفه وزيرا للحربية ، وطلب اليه في نفس يوم وصوله (٤ يناير) الى العاصمة الاميركية ضرورة التوصل لاتفاق للفصل بين القوات .

وتوقفت اعمال اللجنة العسكرية وطار الوفد المصري العسكري عائدا الى اسوان يوم ١٧ يناير (كانون الثاني) استعدادا لبدء المباحثات الجديدة التي شهدتها مدينة السد العالي ، والتي بدأت يوم ١٢ يناير واستمرت حتى يوم ١٨ يناير وانتهت باتفاق الفصل بين القوات الاول .

٢ ـ محادثات اسوان الاولى

شهدت مدينة اسوان محاولتين لتحقيق فصل بين القوات المصرية والاسرائيلية نجحت المحاولة الاولى في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ، وارتفعت اسهم هنري كيسنجر وزير خارجية الرئيس ريتشارد نيكسون في ذلك الوقت ، الى درجة شجعته على تحقيق فصل على الجبهة السورية في مايو (آيار) ١٩٧٤ ، وفشلت محاولته الثانية لتحقيق فصل جديد على الجبهة المصرية في مارس (آذار) ١٩٧٥ ، فاضعفت من نفوذ وسمعة هنري كيسنجر وزير خارجية الرئيس فورد .

حاول كيسنجر ان يحقق ما عجز عنه ويليام روجرز وزير خارجية نيكسون (الى عام ١٩٧٣) مبتكرا اسلوب « الخطوات القصيرة » بعد فشل روجرز في تنفيذ ما اسماه « مبادرة روجرز » أو « الاتفاق الجزئي » وكان خطأ روجرز انه قام بمحاولة لتحقيق انسحاب اسرائيلي ضخم مقابل اتفاقية جزئية ، دون ان يحصل على تأييد الرئيس الامريكي ، ودون ان يسعى لتحقيق تقدم على جبهتي سوريا وفلسطين ، باعتبار ان سوريا لم تقبل قرار مجلس الامن في ذلك الوقت . وعندما جاء كيسنجر لتحقيق الفصل بين القوات في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ كان يحمل معه تأييد الرئيس نيكسون الذي كان يجد في اي انتصارات سياسية جديدة دعما لموقفه الداخلي الذي كانت تهدده فضيحة ووترجيت وبقوة دفع دولية لتحقيق نوع من وقف اطلاق النار « المؤمن » في منطقة الشرق الاوسط الى حين ايجاد اسلوب لمواجهة المشكلة كلها .

اما في محاولة الفصل الثانية في مارس (آذار) ١٩٧٥ فقد جاء كيسنجر بتأييد من الرئيس الامريكي الجديد جيرالد فورد بعد هزائم متكررة للسياسة الامريكية ولسياسة كيسنجر شخصيا في قبرص ، وكمبوديا ، وفيتنام ، والبرتغال ، ولذلك انتهزت اسرائيل الفرصة لتزيد من اخفاقه ، في وقت كان الكونجرس الامريكي يتربص بكيسنجر وفورد لاثبات ان اهمال نيكسون للكونجرس قد ارغمه على الاستقالة وبالتالي فلا بد من حصول كيسنجر وفورد على تأييد كامل من الكونجرس قبل ان يقوم بأي مبادرة لها هذه الخطورة في الشرق الاوسط .

أمضى الرئيس انور السادات عطلة عيد الاضحى ٤ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٧٤ في أسوان ، بعد ان تحسنت صحته ، وكان يتابع معارك المدفعية الرهيبة التي كانت تدور على طول جبهة سيناء ومنطقة السويس بالذات ، وهي المعارك التي لم تتوقف منذ صدور قرار وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ الذي رفضت اسرائيل احترامه بالرغم من قبولها القرار ، ورفضت الانسحاب الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، ورفضت ايضا تحقيق الفصل بين القوات .! ولذلك استمرت المعارك بين الجانبين بصورة دفعت المتحدث الرسمي باسم قوات الطوارىء الدولية في القاهرة السيد رودي شتايدوهارت ان

يعلن يوم ٥ يناير (كانون الثاني) بأن قتال المدفعية الذي بدأ على الجبهة المصرية مع بداية السنة الجديدة « لم يتوقف وغطى منطقة السويس كلها ، مما اعجز قائد القوة الفنلندية التي تتولى مهمة مراقبة هذه المنطقة عن وقف القتال الدائر ، مع تقدم القوات المصرية في منطقة البلاح شرق القناة ، وغرب مدينة السويس ، وشرق عيون موسى وشرق الكيلو ١٣٥ على طريق القناة وشرق الكيلو ٥٨ على القناة » .

كانت هذه هي حالة الجبهة في يوم ٥ يناير (كانون الثاني) بالذات ، وهو يوم لقاء الدكتور هنري كيسنجر في واشنطن بموشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي لبحث كيفية مواجهة الموقف . وكان من راي كيسجر انه يطالب بالتحرك فورا لتحقيق الفصل بين القوات بعد نجاحه في استصدار قرار من مجلس الامن بمساعدة الاتحاد السوفيتي في ٢٢ اكتوبر بوقف اطلاق النار ثم مرة اخرى في ٢٦ اكتوبر . وادى ذلك الى قيام كيسنجر بجولتين في المنطقة اسفرت عن الوصول الى اتفاقية النقاط الست التي صاغها وسعى الى تنفيذها . وشجعه هذا النجاح في اخطر مناطق العالم تفجرا وتناقضا على محاولة السعي لاستمرار مهمته .

اقتنع كيسنجر ان عدم تنفيذ اسرائيل للفقرة ب من اتفاقية النقاط الست التي تنص على وقف اطلاق النار والفصل بين القوات ، سوف يؤدي الى اندلاع القتال مرة اخرى بصورة اعنف ، خصوصا وانه لم يتوقف ، مع استمرار تدهور الموقف خلال الايام الاولى من عام ١٩٧٤ . وكان هنري كيسنجر قد وعد الرئيس السادات يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ بأن اتفاقية النقاط الست ستنفذ قبل يوم ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ .

وطبقا لتقديرات كيسنجر السياسية والدولية فقد كان يرى ان اتاحة الفرصة امام الجيش المصري للقيام بمحاولة جديدة لتصفية الثغرة سوف يزيد من ابراز تفوق السلاح السوفيتي الذي يستخدمه الجيش المصري على السلاح الامريكي الذي تغدقه امريكا على الجيش الاسرائيلي الذي انحسرت عنه اسطورة تفوقه الخرافي .

اما بالنسبة للاعتبارت الدولية الاخرى فقد كان كيسنجر مؤمنا بان نجاحه في مهمته المستحيلة بالبدء في قيام سلام في المنطقة بوقف اطلاق النار ثم الفصل بين القوات ، سوف يعطي للدول العربية فرصة اعادة النظر في قرار فرض الحظر على البترول ، مع استمرار ابعاد الاتحاد السوفيتي عن الوصول الى حل باظهار مدى عجزه عن المشاركة في ايجاد ذلك حتى بعد حرب ٦ اكتوبر ، وعلى العكس اظهار قدرة امريكا وكيسنجر شخصيا باعتباره الرجل الذي يمسك في يده بمفتاح الازمة .

اما من جانب مصر فقد كان التوصل الى اتفاقية للفصل بين القوات لا يعني اكثر من الاتفاق على بعض الترتيبات العسكرية تنسحب اسرائيل بمقتضاها من الضفة الغربية ومن الضفة الشرقية بما في ذلك ابار البترول في بلاعيم وأبو رديس الى الطور ، ويترتب على هذا الانسحاب رفع الحصار عن السويس واعادة توزيع القوات المصرية على الضفة الشرقية ، والتمهيد لفصل مشابه على الجبهة السورية ، والتحرك الى الحل النهائي للمشكلة في مؤتمر جنيف .

اما من جانب الرئيس نيكسون فقد كان يرى ان رفع الحظر عن تصدير البترول ،

والتوصل إلى بداية معقول للمساهمة في إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط سوف يؤديان الى تحقيق المزيد من الانتصارت السياسية العالمية التي حققها بانهاء حرب فيتنام وبدء عصر الوفاق الدولي مع الاتحاد السوفيتي من جهة ، ومع الصين من جهة اخرى ولذلك اعلن نيكسون بنفسه من سانت كليمانت (كاليفورنيا) من مقره يوم ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ان هنري كيسنجر سيطير الى الشرق الاوسط في اليوم التالي » . وكان الرئيس نيكسون قد استدعى سفيره في القاهرة المستر هيرمان ايلتس للتشاور ، وابلغه السفير مدى تدهور الموقف ولذلك عجل الرئيس الامريكي بسفر كيسنجر في ١٠ يناير بدلا من فبراير كما كان مقررا .

كانت تقارير الامم المتحدة الواردة من قيادة القوة الدولية في سيناء تشير الى إن القوات المصرية التي تقدمت من مواقعها يوم ٩ ينار (كانون الثاني) ١٩٧٣ قد رفضت العودة اليها مرة اخرى وتمسكت بالتقدم الذي احرزته على الارض واستمرت هذه الحالة يومين الامر الذي دفع الرئيس نيكسون الى الاتصال بالاتحاد السوفيتي وبكورت فالدهايم لمنع استمرار تدهور الموقف ، في الوقت الذي كانت رسالة كيسنجر لاسماعيل فهمي يوم ١٠ يناير تؤكد انه في طريقه الى اسوان لمقابلة الرئيس السادات ، وانه يطمع في هذه المرة ان يحقق اتفاقية للفصل بين القوات بحيث يعود الى واشنطن بعد اسبوع على اقصى تقدير . وانه لا يحمل معه مقترحات امريكية لتحقيق ذلك ، وان كان كيسنجر قد تلقى فعلا من سفيره في القاهرة هيرمان ايلتس تصورا مصريا محددا لتحقيق الفصل بين القوات كان الرئيس السادات قد قرره منذ سفر اسماعيل فهمي الى واشنطن في اول زيارة له يوم ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ . كما حدده الوفد العسكري المصري في اللجنة العسكرية في جنيف منذ بدء المباحثات في ٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ حتى توقفها في ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ .

حطت طائرة هنري كيسنجر التي تحمل الرقم ٢ في السلاح الحربي الامريكي مطار اسوان الذي تحول الى مطار حربي تحيط به شبكة الصواريخ الدفاعية عن المطار والمدينة والسد العالي ، في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الجمعة ١١ يناير (كانون الثاني) بعد ان طلب كيسنجر ان يحصل على اذن بالسفر من اسوان الى اسرائيل مباشرة وتكرار ذلك الى ان يتم التوصل الى اتفاق ، كما طلب اعداد اتصال مباشر بين غرفته في الطبقة التاسعة من فندق كتراكت الجديد في اسوان ومكتب الرئيس ريتشارد نيكسون مباشرة .

وكان كيسنجر اول مسؤول سمحت له مصر بالسفر من الاراضي المصرية الى اسرائيل . واتبعت الاردن وسوريا نفس الموقف بالسماح له بالسفر من اراضيها الى اسرائيل .

كان الرئيس السادات قد رسم خطته على اساس ان نجاح او فشل كيسنجر في مهمته سوف يؤدي الى نتائج هامة وخطيرة تتعلق بالمنطقة وبالعالم كله . ولذلك وضع برنامج تحركه قبل بدء مباحثات كيسنجر بحيث يطير الرئيس الى السعودية ودمشق في حالتي الفشل او النجاح . وسفر اسماعيل فهمي الى موسكو لابلاغ القادة السوفيت بالنتائج .

ونظرا للمعلومات التي بعث بها كيسنجر قبل وصوله بساعات والتي اشارت الى احتمال تنقله بين اسوان واسرائيل عدة مرات فقد ابرق اسماعيل فهمي الى السفير يحيي عبد القادر في موسكو برسالة لتسليمها الى اندريه جروميكو يبلغه بتأجيل الزيارة المتوقع لها يوم ١٤ يناير (كانون الثاني) عدة ايام . ورد جروميكو يعبر عن تقديره للظروف التي ادت للتأجيل مع ترحيب القيادة السوفيتية به في الوقت الذي ينتهي فيه من مهمته . وابلغ اسماعيل فهمي السفير السوفيتي في القاهرة فلاديمير فينوجرادوف بانه سيحدد موعد سفره الى موسكو بمجرد انتهاء مباحثات كيسنجر . وكان مقررا ايضا ان يقوم اسماعيل فهمي بزيارة لباريس لاطلاع الرئيس (الراحل) جورج بومبيدو بالموقف والتعرف على وزير خارجيته ميشيل جوبير .

عندما وصل كيسنجر الى اسوان كان قد مر شهران على اتفاقية النقاط الست التي تضمنت النص على تحقيق الفصل بين القوات .

وعندما التف الصحفيون يسألون كيسنجر عن توقعاته قال في المطار قبل ان يخترق شوارع اسوان المظلمة الى استراحة الرئيس : « لقد جئت لتبادل الافكار مع اصدقائي المصريين ، ولكي نحاول معا ان نحقق تقدما على طريق السلام » .

واكد كيسنجر انه يعتقد ان الظروف تغيرت بصورة تسمح له بالوصول الى اتفاق بعد فشل تحقيق ذلك خلال شهرين كاملين .

كان كيسنجر يحمل معه تصورا محددا لكيفية تحقيق الفصل بين القوات وكان يريد ان يتقدم بذلك بعد ان يقتنع الجانبان المصري والاسرائيلي، بانهما قد عجزا عن التوصل الى نص يقبله الطرفان ، وسعى الرئيس السادات لاقناع كيسنجر بضرورة الاتفاق على تحديد الخط الذي يمكن الانسحاب اليه وتحديد نوع الاسلحة ، والربط بين مرحلة الانسحاب ، والحل النهائي للمشكلة .

وفي استراحة الرئيس ظل كيسنجر مجتمعا حتى قبيل منتصف الليل (١١ يناير) يستمع الى تلخيص واف من الرئيس لأهم المبادىء التي لا بد من توفرها لتحقيق الفصل بين القوات .

بالرغم من عدم اقتناع هنري كيسنجر بوجهة النظر الاسرائيلية التي ابلغه بها موشي ديان في واشنطن يوم ٥ يناير الا انه احاط الرئيس بوجهة النظر الاسرائيلية التي كانت تطالب بالتوقيع على اتفاقية لانهاء حالة الحرب اذا وافقت اسرائيل على الفصل بين القوات وضرورة قيام دوريات مصرية اسرائيلية بالتفتيش على تنفيذ الاتفاقية الجديدة ، وخفض القوات المصرية على الضفة الشرقية بصورة لا تهدد امن اسرائيل .

رفض الرئيس مجرد مناقشة فكرة انهاء حالة الحرب ، وكان كيسنجر يؤكد انه يستطيع ان يميز بين الاقتراحات التي تتقدم بها اسرائيل لمجرد المزايدة ، والمقترحات التي يمكن ان تؤدي الى نتائج حقيقة . واشار الى انه الى الآن لم يحصل على خط انسحاب محدد تقترحه اسرائيل وانه يتوقع ان يقدم افكاره وخرائطه على ضوء ما يتقدم به الرئيس السادات في الجلسة التي تقرر عقدها في اليوم التالي (السبت ١٣ يناير) بعد أن أكد الرئيس لكيسنجر هذه المبادىء :

١ ــ الفصل بين القوات يرتبط ارتباطا وثيقا بالانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية .
٢ ــ الحل الكامل لا يتحقق الا باستعادة حقوق الشعب الفلسطيني .
٣ ــ رغبة مصر في تعمير مدن القناة وفتح القناة وان قرار التعمير وفتح القناة ينبع من ارادة مصر ويؤكد رغبة مصر في تحقيق السلام .
٤ ــ ان الفصل بين القوات على الجبهة المصرية مرتبط بانسحاب مماثل على الجبهة السورية .

بعد جولة عاجلة قام بها كيسنجر للسد العالي صباح يوم السبت ١٢ يناير عاد الى استراحة الرئيس لعقد جلسة عمل طويلة استغرقت ٣ ساعات سلمه الرئيس خلالها خريطة تتضمن خط الانسحاب الذي يمتد بمحاذاة قناة السويس من البحر الابيض ويتضمن منطقة الممرات ويمتد جنوبا الى خليج السويس ، ويشمل ابار البترول في بلاعيم وأبورديس[١] وبعد مناقشة تفاصيلها والبيانات المرفقة بها قرر كيسنجر ان يطير بالخرائط والتوضيحات التي قدمها الرئيس السادات ، ليبحث الامر مع الحكومة الاسرائيلية.

قال كيسنجر للرئيس قبل ان يطير الى اسرائيل « انني افهم موقفكم تماما ، وأؤكد لكم انني ساعود ومعي خطة كاملة لكيفية تحقيق الفصل بين القوات ، وسيكون الانسحاب من جانب واحد ، بمعنى ان القوات الاسرائيلية هي التي ستنسحب من الضفة الغربية ، ومن مسافة معقولة من الضفة الشرقية » .

واضاف « ان الاقمار الصناعية قد سجلت وجود مصفحتين مصريتين امام كل مصفحة اسرائيلية في الضفة الشرقية واعرف انكم اصدرتم اوامركم بتصفية هذا الجيب ، وساقوم انا بهذا العمل ، وتعود وحداتكم العسكرية سليمة من الضفة الشرقية ، وتنسحب اسرائيل من الجيب الى الضفة الشرقية .

انا اعرف انكم اصدرتم أوامركم بتصفية الجيب ، وكنا (امريكا) سنتدخل عسكريا لمنع ذلك . اننا لا نريد هزيمة لاسلحتنا امام السلاح السوفيتي ولا نريد هزيمة اخرى لاسرائيل . انني أعترف لكم بأن اسرائيل لها نفوذ قوي في امريكا وفي الكونجرس وفي البنتاجون (وزارة الحربية الامريكية) وكل هذا التغيير يحتاج الى وقت ... وسوف ابذل كل جهدي من اجل انسحاب اسرائيل عن كل المواقع التي تحتلها على الضفة الغربية دون حرب ، وسوف تحتل مصر كل مواقعها على هذه الضفة ، وعلى الضفة الشرقية ايضا . وسوف احاول ان احصل من اسرائيل على وعد بالانسحاب الى ابعد نقطة ممكنة .. الى الممرات كما تقترحون ، مع وجود منطقة عازلة تتواجد فيها قوات الامم المتحدة ، ومع الاتفاق على خفض انواع معينة من المدافع في مناطق محددة » .

تناول البحث بعد ذلك نقطة بالغة الحيوية والاهمية وهي موضع رفع الحصار على باب المندب ، مقابل رفع الحصار عن مدينة السويس والقوات الموجودة في الضفة الشرقية . وكان كيسنجر قد سأل بالتحديد « اليس مضيق باب المندب ممرا دوليا » . وكان الواضح من سؤاله أن اغلاق ممر دولي هو اجراء عسكري له ابعاده الدولية بالاضافة

---

(١) ــ ابلغ الرئيس السادات كيسنجر ان امر القتال الذي سلمه للقائد العام كان يتضمن تحرير ابار البترول الى جنوب خليج السويس.

الى ان مصر وان كانت تستطيع ان تمارس ذلك بالاتفاق مع الدول العربية المعنية ، وفي الوقت الذي تحدده ، الا انها لا تستطيع ممارسته طول الوقت ، ولأجل غير محدد ، وكانت مصر قد اغرقت فعلا سفينة لاسرائيل خلال المعارك ، وامتنعت اسرائيل عن الاشارة الى هذا الحادث حتى لا تقترن بقدرة مصر الاستراتيجية على القيام بهذا العمل ، الذي يجعلها في وضع يسمح لها باغلاق باب المندب .

طار كيسنجر مساء يوم السبت ١٢ يناير الى اسرائيل ، حيث عقد اجتماعات مستمرة بعد انتهاء عطلة نهاية الاسبوع ، أي بعد غروب يوم السبت ، وقام بزيارة جولدا مائير ، وتناول العشاء مع ايجال الون وموشي ديان وابا ايبان وسيمحا دينتز ، واستأنف اتصالاته صباح يوم الاحد ١٢ يناير بعد ان تم تشكيل مجموعة عمل امريكية ـ اسرائيلية كانت مهمتها وضع صيغة مشروع للفصل بين القوات والاتفاق على خريطة تحدد اسرائيل عليها الخط الذي تقترح لانسحاب قواتها الى شرقي الممرات .

عجز الدكتور كيسنجر عن الحصول على خريطة تحدد المشروع الاسرائيلي واستمرت اتصالاته مع موشي ديان ودافيد اليعازر رئيس اركان حرب القوات الاسرائيلية ، حتى مساء يوم الاحد ١٣ يناير ، ليغادر تل ابيب الى اسوان حيث وجد السيد اسماعيل فهمي في انتظاره في مطار اسوان ، وعقد الوزيران في فندق كتراكت الجديد اجتماعا بدأ في الثامنة من مساء يوم الاحد استمر حتى منتصف الليل وتحدد موعد لقاء الرئيس السادات بالدكتور كيسنجر في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الاثنين ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ .

بنفس روح الصداقة والمودة ، استقبل الرئيس السادات الدكتور كيسنجر في استراحته بجوار خزان اسوان ، وكان الرئيس مرتديا الزي العسكري . وبعد تبادل بعض عبارات المجاملة بدأ الرئيس اجتماعه بكيسنجر واستمر اربع ساعات . وفوجىء الرئيس بوزير خارجية امريكا الذي عاد من اسرائيل لا يحمل خرائط بالمعنى المفهوم بل مجرد عروض ووعود ومقترحات تتلخص في مطالبة اسرائيل بفتح قناة السويس ، ورفع الحصار عن باب المندب ، وتأليف دوريات مصرية ـ اسرائيلية مشتركة ، والتعهد بانهاء حالة الحرب .

شعر الرئيس خلال جلسة المباحثات ان اسرائيل لا تريد الوصول الى اي اتفاق للفصل بين القوات وتعمل على تعطيل كل جهود يمكن ان تؤدي الى البدء في حل المشكلة لذلك ابلغ كيسنجر انه يرفض جميع المقترحات الاسرائيلية وانه قد اعد بالتفصيل المشروع الذي يقترحه لذلك مزودا بخرائط دقيقة تحدد مواقع كل جانب ، وخط الانسحاب ، والمنطقة العازلة . وقال الرئيس لكيسنجر ان موضوع قناة السويس لا علاقة لاسرائيل به ، ومصر تتخذ الموقف الذي تراه ، في الوقت الذي تحدده لفتح القناة او بدء التعمير .

كانت جلسة يوم الاثنين ١٤ يناير اشق واعقد جلسة مفاوضات بين الرئيس السادات وكيسنجر حدد الرئيس خلالها موقف مصر النهائي من عملية المزايدة التي تقوم بها اسرائيل مؤكدا انها سوف لا تقبل انهاء حالة الحرب ، وسوف لا تدخل في اي اتفاقيات مع اسرائيل تتعدى الاتفاقية العسكرية الخاصة بالفصل بين

القوات ، وان مصر ترفض انسحاب اي جندي مصري من الضفة الشرقية للقناة ، وان اي ترتيبات عسكرية تتعلق باتفاقية الفصل بين القوات يمكن ان تتضمن اجراءات امن متبادلة يلتزم بها الطرفان وباشراف الامم المتحدة ، مع رفض فكرة قيام دوريات مصرية ـ اسرائيلية مشتركة ، واي مقترحات خيالية تريد اسرائيل بها الابتعاد عن المشكلة الاساسية وهي الالتزام بوقف اطلاق النار ثم الانسحاب الى شرقي الممرات .

اتضحت امام كيسنجر ابعاد المشكلة التي يواجهها ، فهو من جانب يريد ان يحقق تقدما ما يسمح له بالعودة الى امريكا ومعه تأكيدات واضحة برفع الحظر عن البترول ، وفي نفس الوقت يخشى ان يغادر المنطقة دون ان ينجح في دعم وقف اطلاق النار بالوصول الى اتفاق للفصل بين القوات ، لذلك اقترح كيسنجر ان يتقدم بمقترحات امريكية وخرائط يراعي فيها تلبية جميع المبادىء والمقترحات التي حددها الرئيس في النقاط التالية :

١ ـ ان الانسحاب يتم من جانب واحد ، اي يتم انسحاب اسرائيل عن المواقع التي تحتلها في الضفة الغربية مع انسحابها الى الممرات وليس من المعقول ان ينسحب جندي مصري واحد عن ارض قام بتحريرها .
٢ ـ ان الانسحاب الاسرائيلي مهما كان عمقه لا يمثل الا خطوة اولى نحو الحل السلمي الكامل .
٣ ـ ان اتفاقية الفصل بين القوات هي مجرد ترتيبات عسكرية لوقف اطلاق النار ودعمه .

بدأ الرئيس السادات في هذه الجلسة التاريخية يناقش الافكار الامريكية التي تقدم بها كيسنجر مبديا استعداده لان يؤكد للرئيس نيكسون في رسالة مكتوبة رغبة مصر في التوصل الى سلام نهائي وعادل ، على ان يتلقى الرئيس السادات رسالة مماثلة من الرئيس نيكسون يؤكد فيها عزم امريكا على الاستمرار في بذل جهودها للتوصل الى حل نهائي للمشكلة .

كلف الرئيس السادات السيد اسماعيل فهمي و(اللواء) محمد عبد الغني الجمسي تشكيل مجموعة عمل لمناقشة الخرائط والنصوص المقترحة التي تقدم بها كيسنجر ، ومراجعة الصياغات معه ، وعقد اسماعيل فهمي والجمسي ومعهما الوزير المفوض (السفير الان) عمر سري جلسة عمل مطولة مع كيسنجر والسفير الزورث بانكر لمراجعة النصوص المقترحة وتتالف من :

١ ـ اقتراح امريكي يتضمن نصا كاملا لاتفاقية الفصل بين القوات ، ومع الاتفاقية خريطة تحدد خط الانسحاب ومواقع كل جانب والمنطقة العازلة التي تفصل بينهما وترابط فيها القوات الدولية .
٢ ـ اقتراح امريكي تقدم به كيسنجر بشأن اعادة توزيع القوات المصرية والاسرائيلية طبقا للاتفاقية الاولى .
٣ ـ تعهد بفتح باب المندب وقناة السويس تتقدم به مصر لامريكا .

٤ ـ تعهد امريكي مماثل تتقدم به الولايات المتحدة لمصر بعدم شن اسرائيل اي هجوم على مدن القناة طالما ان مصر مستمرة في تعميرها من خطاب من الرئيس الامريكي يؤكد استمرار بذل جهوده من اجل الحل الشامل .

بالرغم من دقة وحرج المفاوضات الدائرة فقد استطاع كيسنجر واسماعيل فهمي ان يختلسا ساعة من الزمن يجلسان فيها في حديقة فندق كتراكت يحيط بهما الصحفيون ، والكل يستمتع بشمس اسوان الجميلة لاعطاء الفرصة امام هذه المجموعة الضخمة من المراسلين الامريكيين والاجانب والمصريين لالقاء بعض الاسئلة . وقد جلس كيسنجر يتطلع الى ضريح اغاخان الذي يظهر من بعد ، ويقول « ارجو اعطائي رسوم وتخطيط هذا الضريح فقد احتاج اليه في وقت قريب » .

والتفت كيسنجر الى اسماعيل فهمي وقال « اقدم لك مارفن كالب الذي يؤلف كتابا عني ، وهو يتمنى ان انجح في مهمتي لكي يكون النصل الاخير من هذا الكتاب متضمنا النتائج هذه بالمهمة » وضحك فهمي وقال « اعتقد ان وزير خارجيتكم عندما يضع اصبعه في مشكلة فانه لا بد وان يستمر فيها حتى يحقق النجاح » .

سؤال : هل تجد مهمتك صعبة ؟

كيسنجر : انها اصعب مفاوضات اشتركت فيها حتى الآن وعلى الاصح وجدت نفسي متورطا فيها ، وهذه المفاوضات هي اشدها تعقيدا . وقد توليت مشكلة فيتنام وهي لا تقل تعقيدا عن هذه المشكلة والخلاف الوحيد انني ارتبط بعلاقات مع الاطراف المعنية المتعلقة بمشكلة الشرق الاوسط .

سؤال : هل انت مفاوض ام وسيط ؟

كيسنجر : انني العب دور « العامل المساعد » والاطراف المعنية توافق على ذلك .

سؤال : هل ستذهب بعد ذلك الى جنيف ؟

كيسنجر : امامنا الآن مشكلة ضخمة وبعد هذه المرحلة سوف نضطر للذهاب الى جنيف لاستكمال العمل الذي بدأ هنا .

وعندما غابت الشمس واختفت من الافق كان موكب السيارات ينطلق في الساعة السابعة من مساء يوم الاثنين ١٤ يناير الى استراحة الرئيس السادات حيث عرض عليه كيسنجر مجموعة الوثائق التي تم اعدادها ، وحمل كيسنجر معه بعد اللقاء مع الرئيس السادات الخرائط والوثائق التي تعهد بالحصول على موافقة اسرائيل عليها .

عند منتصف ليل ١٤ يناير كانت طائرة كيسنجر تغادر اسوان الى اسرائيل ، ليبدأ في السابعة صباح يوم الثلاثاء ١٥ يناير اتصالاته مع جولدا مائير ، في الوقت الذي كانت فيه رئيسة وزراء اسرائيل تجتمع بموشي ديان وابا ايبان وايجال آلون ثم دعت مجلس الوزراء الاسرائيلي للانعقاد للحصول على موافقته على المشروع المقترح . وبالرغم من موافقة المجلس على ذلك بعد جلسة استمرت ٤ ساعات ، فان مبعوثا خاصا قد ابلغ كيسنجر ان المجلس قد وافق وان كانت اسرائيل تطمع في تأجيل اعلان ذلك املا في حصول كيسنجر على موافقة الرئيس السادات على انهاء حالة الحرب او التعهد بعدم العدوان ، أو أي صيغة من الصيغ تؤدي الى نفس المعنى .

رفض كيسنجر كل هذه المحاولات وابلغ المبعوث الاسرائيلي انه لن يعود الى اسوان الا بالموافقة النهائية على المشروع الذي حمله . وقد حصل على هذه الموافقة في الساعة الثالثة من صباح يوم الاربعاء ١٦ يناير ، طار بعدها الى اسوان وابلغ الرئيس السادات في الساعة العاشرة من صباح اليوم بالنصوص التي تمت الموافقة عليها ، وتركها للرئيس لبحثها ، واجتمع به مرة ثانية في الساعة الثامنة من مساء يوم الاربعاء ١٦ يناير ، وغادر اسوان في التاسعة والنصف مساء ليعرض الموقف على جولدا مائير تاركا مساعده هارولد سوندرز مع الجانب المصري لابلاغه من اسوان برد مصر النهائي قبل اعلان صيغة الاتفاق .

حددت مصر موقفها لهنري كيسنجر مطالبة بالبدء في تنفيذ الاتفاقية بعد ٤٨ ساعة من توقيعها ، وطلب الرئيس ان يكون انسحاب اسرائيل ممتدا جنوب عيون موسى بحيث يشمل ابار ابورديس حتى نهاية خليج السويس واشترط الرئيس تنفيذ ذلك خلال ٢٠ يوما من توقيع الاتفاقية ، وكانت اسرائيل تماطل في ذلك ، وتطالب بان يكون الانسحاب خلال ٣ اشهر ، وقد شطب الرئيس بقلمه على هذه الفقرة وكتب بخط يده « ٤٠ يوما فقط » . واشترط على هنري كيسنجر ان تقوم اسرائيل بالانسحاب دون اي تخريب للمنشآت التي ستتركها وللطرق وغيرها من المرافق .

قامت مصر بابلاغ الاتحاد السوفيتي يوم ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ قبل اعلان التوصل الى اتفاق ، باهم البنود والوثائق التي سوف يتم اعلانها ، وفي نفس الوقت استدعى الرئيس السادات جميع المسؤولين المصريين ، الى اسوان لابلاغهم بكل ما تم التوصل اليه كما استدعى رؤساء تحرير الصحف المصرية وكان الرئيس ينوي اجراء تعديل وزاري بتكليف الدكتور عبد العزيز حجازي وزير الاقتصاد في ذلك الوقت بتشكيل الحكومة التي كان يرأسها الرئيس السادات نفسه والتي كان يتولى الدكتور محمد عبد القادر حاتم فيها مسؤولية نائب رئيس الوزراء .

قبل ان تذيع مصر في السابعة من مساء يوم الخميس ١٧ يناير بيانها بالموافقة على مشروع اتفاقية الفصل بين القوات ، اتصل كيسنجر بمساعده هارولد سوندرز في اسوان وابلغه موافقة اسرائيل على المشروع ورد سوندرز مؤكدا ان مصر ستذيع بيانها على الفور .

وفي الساعة السابعة مساء ، اذاع المتحدث الرسمي المصري في اسوان الوزير المفوض (السفير الان) تحسين بشير البيان التالي :

طبقا لقرار مؤتمر جنيف ، فان حكومتي مصر واسرائيل بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الامريكية قد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة وسيوقع على هذا الاتفاق كل من رئيس اركان حرب القوات المسلحة لمصر واسرائيل ظهر يوم الجمعة ١٨ يناير بالكيلو ١٠١ على طريق القاهرة والسويس .

وقد طلبت الاطراف من قائد قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة الجنرال انزيو سيلاسفو ان يشهد التوقيع » .

وفي الساعة التاسعة مساء كان الرئيس نيكسون قد تلقى تأكيدا من هنري

كيسنجر الموجود في اسرائيل بموافقة حكومتها على الاتفاقية المقترحة واعلن نيكسون ، انه تم التوصل الى اتفاق للفصل بين القوات . واعلن انه يقدم تهنئته الى الرئيس السادات وكذلك الى جولدا مائير للتوصل الى هذا الاتفاق الذي قال عنه انه « يشكل خطوة مهمة جدا وان كانت هذه الخطوة ليست الا خطوة اولى ، تمهد الطريق للقيام بمزيد من الخطوات التي يمكن ان تؤدي الى سلام دائم ، وسوف اسهر شخصيا على ان تؤدي كل الجهود المبذولة الى تحقيق سلام دائم ليس فقط بين مصر واسرائيل بل ايضا بين جميع الدول المعنية بالامر » .

عقد الرئيس السادات اجتماعا برؤساء تحرير الصحف مساء يوم الخميس ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ لابلاغهم بالاتفاق الذي ستتم اذاعته في اليوم التالي وقال لهم الرئيس «... انني على استعداد لكي ادخل معركة عسكرية ، ولكنني لست على استعداد للدخول في معارك سياسية ومهاترات مع الدول العربية . وقد حدثت بعض تصرفات من وزير خارجية دولة عربية صديقة[1] ... حافظ الاسد له دين في عنقي حتى يوم القيامة . وهو الرجل الوحيد الذي وقف معي في ٦ اكتوبر ولا يمكن ان ينسى الشعب العربي ذلك . لقد استطعت ان اقوم بحل الجزء الاول من مشكلتي ونجحت فيها مائة في المائة والمهم الآن ان نجد حلا مماثلا بالنسبة للجبهة السورية . اننا نريد ان نبدأ في بناء مجتمع جديد متكامل ، ولذلك كان لا بد من ان نركز جهدنا على معركة ا لبناء والتعمير .

« السوريون طلبوا مني ان اتكلم باسمهم في جنيف ، قلت ليس لدى مصر مانع ارسلوا لنا كشف الاسرى ، وجاء الضابط السوري ، ومعه خرائط ، ولكنه لم يحمل معه كشف الاسرى .

« الرئيس حافظ الاسد اتصل بي اليوم وقال ارجوك ترجيء التوقيع ولكنني حزمت امري وقررت التوقيع ولكنني احب ان اقول لكم أن الرئيس الاسد بعث لي بتفويض لكي اتكلم باسمه في موضوع الفصل بين القوات وسأتكلم باسمه ، وسأتكلم مع كيسنجر » .

قرأ الرئيس البيان الخاص بالفصل بين القوات[2] ، ومضى يقول « قالوا كيف توقع اتفاقية مع اليهود[3] قلت انا رجل ليس عندي عقد .. وهذا اتفاق عسكري وليس اتفاقا سياسيا . في الحروب يتوقف القتال ويبدأ تنفيذ بعض الاجراءات ، ثم يستأنفون القتال مرة اخرى .. غدا في نفس الوقت سيتم اعلان اتفاق اخر ، وهذا الاتفاق ليس سريا ، وستتم اذاعته بعد موافقة الكنيست عليه .. ويتضمن الاتفاق فك الحصار المفروض على السويس في خلال ٤٨ ساعة من توقيع الاتفاقية » .

وقال الرئيس :

---

(١) ــ ذكر الرئيس اسم وزير خارجية هذه الدولة العربية.

(٢) ــ التقى الرئيس السادات بالصحفيين قبل منتصف الليل (١٧ يناير) وكان البيان قد اذيع في التاسعة مساء.

(٣) ــ وقع الرئيس على نص مستقل ووقعت جولدا مائير على نص اخر مستقل.

« وعندما بحثنا كيفية تحقيق الفصل بين القوات ، اسرائيل اقترحت بعض مبادىء رفضتها مصر ، وانا اقترحت خطا للانسحاب لم توافق عليه اسرائيل.ولذلك قلت لكيسنجر لقد آن الاوان لكي تتقدم امريكا بمقترحاتها . وطالما انني ذكرت امريكا فمن الضروري ان اقول انني باعمل فصل بيني وبين امريكا ، كما تعلمون لقد اصدرت اوامري بتصفية الجيب الاسرائيلي ، وقال لي كيسنجر « أرجو أن تمنحني الوقت لكي يتم سحب القوات الاسرائيلية دون حرب ولو انكم حاولتم تصفية الجيب لكانت امريكا ستتدخل عسكريا » ، ومضى كيسنجر يقول انا غير مقتنع بذلك ، ولكن ماذا نصنع امام النفوذ الصهيوني في امريكا واليهود يسيطرون على الكونجرس ووزارة الحربية الامريكية (البنتاجون) والموضوع عاوز وقت .

« منذ ان وقعنا اتفاقية النقاط الست وانا اقرأ كل يوم نص المادة « ب » الخاصة بالفصل بين القوات . وكان المفروض ان تنسحب اسرائيل بمقتضى هذه المادة ، ومقترحاتنا رفضتها اسرائيل ، ولذلك كان الحل الاوسط ان تقترح امريكا . واقترح كيسنجر ان تقوم مصر باحتلال جميع مواقعها كاملة ، ونكسب ارضا جديدة في الشرق بما في ذلك الفجوة مع انسحاب اسرائيل الى الممرات . وبعد ذلك انتقلنا الى موضوع توزيع القوات . مصر اقترحت صورة ، واسرائيل اقترحت صورة اخرى ، وامريكا تقدمت بمقترحات بمقتضاها لا يحدث تخفيض يذكر بالنسبة للقوات المصرية على الضفة الشرقية والقوات الاسرائيلية تنسحب شرقي الممرات بعد المضايق ويتم تخفيف قواتها هناك ، على ان تتواجد القوات الدولية في المنطقة القاحلة التي تقع بين الممرات ومواقعنا شرق القناة .

« وبالنسبة للاسلحة ، وافقت مصر ، كما وافقت اسرائيل على وجود انواع معينة من المدافع ، مع عدم وجود انواع اخرى منها لدى الطرفين بحيث لا يصيب طرف الطرف الاخر .

« بقيت بعد ذلك مسألة باب المندب ، وهو ممر دولي ، وقد اغرقت سفينة اسرائيلية لم تذكر اسرائيل عنها شيئا ، وطبعا انا لا استطيع ان اغلق باب المندب الى الابد ، وبالنسبة لقناة السويس وافقت على مرور سفن جميع الدول،وطبعا لا يمر العلم الاسرائيلي ، وسوف نفتح القناة للملاحة وامامي مشروعات طويلة جدا للتعمير ، ولكن ما هي الضمانات ، ليست عندي ضمانات ، وامامي فقط مؤتمر جنيف . . ومن ناحيتي لا صلح ولا اتفاقية معهم ولا اعتراف وكل ذلك يأتي عندما يتم الوصول الى حل نهائي للمشكلة.اما بالنسبة للبترول فسوف ارجو اخواننا العرب ان يعاملوا امريكا معاملة دول اوروبا » .

في الوقت الذي كان فيه الدكتور هنري كيسنجر يحصل في تل ابيب على موافقة جولدا مائير والكنيست الاسرائيلي على اتفاقية الفصل بين القوات صباح يوم الجمعة ١٨ يناير ، كان الرئيس السادات يستعد في اسوان لاستقبال الوزير الامريكي ويصدر تعليماته للواء محمد عبد الغني الجمسي بالتوجه الى الكيلو ١٠١ للتوقيع على اتفاقية الفصل بين القوات . وتلقى الرئيس في استراحته عند الظهر رسالة عاجلة من فندق كتراكت الجديد تقول ان السيد احمد الخطيب رئيس المجلس الاتحادي (كان رئيسا

سابقا للجمهورية السورية واختير عن سوريا رئيسا للمجلس الاتحادي الذي يضم وزراء من مصر وسوريا وليبيا) يطلب مقابلة عاجلة من الرئيس . وردت سكرتارية الرئيس بانه مشغول باتفاقية الفصل بين القوات ولكن احمد الخطيب قال ان المقابلة عاجلة جدا وتتعلق بهذا الموضوع ووافق الرئيس السادات على استقباله ظهر يوم الجمعة بينما كان الرئيس نيكسون يتصل تليفونيا في اسوان بالرئيس السادات يقدم له التهنئة بالتوصل الى اتفاقية للفصل بين القوات ويرد الرئيس السادات بان التهنئة يجب ان تكون للرئيس نيكسون على جهوده وجهود وزير خارجيته هنري كيسنجر .

دعا الرئيس السادات السيد احمد الخطيب لمقابلته بينما كانت طائرة هنري كيسنجر تهبط في مطار اسوان ، ودخل رئيس الوزراء الاتحادي الى غرفة مكتب الرئيس السادات وقال له « هل تعلم يا سيادة الرئيس اني لم أنم أمس طوال الليل وقررت ان اطلب مقابلتك ... لقد تلقيت امس رسالة عاجلة من الرئيس الاسد يبلغني فيها بانه اذا تم التوصل الى اتفاق للفصل بين القوات فلا بد ان اجمع كل رجال مكتب العلاقات السوري (السفارة السورية) وجميع الرعايا السوريين لنرحل جميعا عن مصر » . وكان رد الرئيس بسيطا وطبيعيا حين قال له « مع السلامة يا سيدي » .وعاد الخطيب يقول: «ولكن ماذا اصنع ان ذلك من اشق الامور على نفسي أرجوك. ان تتصل بالرئيس الاسد وتبلغه انك ستؤجل التوقيع على الاتفاق » . وبكل هدوء رد الرئيس قائلا « الاتفاق سيوقع ويعلن ، وغدا كنت سأطير الى السعودية وسوريا وسوف الغي رحلتي الى دمشق واذا كنتم عاوزين تسافروا من مصر ... مع السلامة » . وقال الرئيس السادات ان كيسنجر يدخل الآن حديقة الاستراحة ولا بد ان استقبله عند دخوله ، وطلب الى السيد الخطيب ان يبلغ الرئيس الاسد بأنه الغى زيارته لدمشق ، ولكن الخطيب اصر على أن يتصل الرئيس بالرئيس الاسد ويقوم بآخر محاولة لانقاذ الموقف . وفعلا اتصل الرئيس السادات بالرئيس الاسد وقال « ... يا حافظ .. الدكتور كيسنجر سيدخل الآن ، واحمد الخطيب معي في الغرفة ويقول انه تلقى تعليمات بسحب الرعايا من مصر ، واذا كان ذلك صحيحا فانني الغي زيارتي غدا لدمشق » . وجاء رد الاسد من دمشق قائلا « ليس هناك تعليمات بذلك ونحن في انتظارك غداً » . وانتهت المكالمة ودخل كيسنجر ليبلغ الرئيس السادات بموافقة الجانب الاخر على اتفاقية الفصل بين القوات وتبادل الرئيس وكيسنجر في حديقة استراحة اسوان كلمات المجاملة ، ثم خرج كيسنجر ليستقل طائرته الى الاقصر يرافقه اسماعيل فهمي بينما كانت طائرة الرئيس في انتظاره ليطير بها الى جدة لمقابلة الملك (الراحل) فيصل ثم في اليوم التالي يطير الى دمشق لمقابلة الرئيس حافظ الاسد .

بعد ان غادر الدكتور كيسنجر حديقة استراحة اسوان تجمعنا حول الرئيس السادات الذي بدا سعيدا ومجهداً في نفس الوقت ، والتفت الى مجموعة الصحفيين التي احاطت به ليقول :

« انا بقيت عجوز ، تعبت من كل هذه المفاوضات . انا بكره سازور دمشق والان ساطير الى السعودية . دعونا دائما نحتفظ باعصابنا هادئة ولا داعي للعصبية . لقد وصلنا الى اتفاق للفصل بين القوات والتزامي الوحيد فيه هو تنفيذ فك الارتباط والالتزام

الامريكي هو الاستمرار في الحل . والتزامي الاخر هو التوصل الى اتفاق مماثل على الجبهة السورية لاننا اعضاء في قيادة عسكرية واحدة ، وعندما كنت مجتمعا باحمد الخطيب دخل علينا الدكتور هنري كيسنجر واحنا بنكلم الرئيس حافظ الاسد ، وانا رايح بكرة دمشق ، والرئيس الاسد اتكلم على التليفون مع الدكتور كيسنجر .

« اتفاقية الفصل ستنفذ خلال ٤٠ يوما ، وبعد كده يحصل فك اشتباك على الجبهة السورية وبعد كده نذهب الى مؤتمر جنيف ، اذ كيف نتكلم ووقف اطلاق النار لم يتحقق .... لازم نفض الاشتباك واكمل مسؤولياتي بالنسبة لمصر وسوريا والقضية تحركت ، ولا تقبل الجمود ، حالة اللاحرب واللاسلم القاتلة ا نتهت والقضية تحركت الى غير جمود جديد .

« انني اتصلت بأمريكا وتفاوضت معها ، لانني لا اخاف شيئا ، ولا اخشى شيئا وانتم بتسألوا هل هناك ضمانات ، وانا اقول ان اعظم ضمان عندي هو الشعب المصري ، والقوات المسلحة المصرية ، وبهما لا احتاج الى ضمانات .

« والآن تريدون ان تسألوني عن اشتراك السوريين والفلسطينيين في مؤتمر جنيف وردي ان الشيء الأساسي الآن هو فك الارتباط على الجبهة السورية وبعد كده نعـرف نرد على السؤال : اما بالنسبة للفلسطينيين فاشتراكهم امر لا مناقشة فيه .

« القضية هي فلسطين ، ولذلك نبدأ بفك الاشتباك مع سوريا وبعدين ننتقل إلى صلب المشكلة وهي فلسطين ، واتفاق الفصل بين القوات لم تقدم مصر فيه اية تنازلات والاتفاق سيذاع وليست فيه اتفاقيات سرية وانا لا اخاف شيئا » .

وسأل مراسل وكالة الانباء الامريكية المتحدة الرئيس السادات اذا كان قد وقع على الاتفاق وان جولدا مائير ستوقع عليه .

وقال الرئيس « تقدمت بمقترحات للدكتور كيسنجر رفضتها اسرائيل ، وتقدمت اسرائيل بمقترحات رفضتها لانني لا اقبل كلامهم . وكان لا بد وان تتدخل امريكا ، وتقدم كيسنجر بمقترحاته وانا اعتقد انه بهذا العمل قد سجل نقطة تحول . لان امريكا لم تتقدم طوال فترة الازمة بمقترحات ، وكانت تقول لا بد من اجراء مفاوضات مباشرة ولاول مرة يتقدم وزير خارجية امريكي بمقترحات قبلناها وقبلتها اسرائيل ، واحنا نوقع مع امريكا ، واسرائيل توقع معاها . الاتفاق عبارة عن ايه ؟ خط مصري وخط اسرائيلي في سيناء بينهما قوات دولية وانا لا اخاف شيئا . في القتال واجهناهم بكل روعة وبسالة ، ونواجههم في السياسة ايضا بنفس الشجاعة وبنفس البسالة ... اذا فرضت المعركة فنحن لها ، واذا كان الممكن ان نصل للسلام القائم على العدل ، فنحن مع السلام ، انما الجمود لا يحقق شيئا .

« اسماعيل فهمي حيسافر الى موسكو ، ودبلوماسيتنا منذ عام ١٩٧٣ تتحرك على جميع المحاور ، حتى قبل المعركة ، كما نؤيد قرار مجلس الامن ونعمل على تنفيذه والتعاون مع السفير يارينج ، وكنا نعمل على عزل اسرائيل في القارة الافريقية ، ومع مجموعة دول عدم الانحياز وفي مؤتمرات القمة العربية ، ونحن على اتصال باوروبا

الغربية . كيسنجر كان هنا ، وسأسافر الى السعودية وبكرة في دمشق ، وسنتصل بالرئيس تيتو وبعواصم عدم الانحياز والافارقة » .

غادر الرئيس مطار اسوان في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ لمقابلة الملك فيصل ، ثم طار في اليوم التالي الى دمشق لاطلاع الرئيس الاسد على نتائج الفصل بين القوات ويمهد لرفع الحظر عن البترول اذا نجح كيسنجر في تحقيق الفصل بين القوات على الجبهة السورية . اما اسماعيل فهمي فكان يرافق كيسنجر في رحلته الى الاقصر ثم القاهرة التي غادرها كيسنجر يوم ١٩ يناير ، بينما غادر اسماعيل فهمي القاهرة الى موسكو يوم ٢١ يناير . وانتهت محادثات الكيلو ١٠١ بتوقيع « اللواء » محمد عبد الغني الجمسي على اتفاقية الفصل بين القوات ، وتوقيع الجنرال دافيد اليعازر رئيس اركان حرب القوات الاسرائيلية ، وتوقيع الجنرال انزيو سيلاسفو عليها وبدء تنفيذ الاتفاقية ، ورفع الحصار عن السويس . وكانت الاتفاقية تنص على البنود التالية :

أ ـ تراعي مصر واسرائيل بكل دقة وقف اطلاق النار ، في الارض ، والبحر ، والجو ، المنصوص عليه في قرار مجلس الامن ، وتمتنعان منذ لحظة توقيع هذه الاتفاقية عن جميع الاعمال العسكرية وشبه العسكرية التي يقوم بها طرف ضد الآخر .

ب ـ يتم الفصل بين القوات العسكرية المصرية والاسرائيلية طبقا للمبادىء التالية :

١ ـ جميع القوات المصرية الموجودة على الجانب الشرقي من القناة يعاد توزيعها وانتشارها غرب الخط المشار اليه بخط « أ » والمحدد على الخريطة المرفقة .

جميع القوات الاسرائيلية ، بما في ذلك الموجودة غرب قناة السويس ، والبحيرات المرة يعاد توزيعها شرق الخط المشار اليه بخط « ب » على الخريطة المرفقة .

٢ ـ تكون المنطقة الواقعة بين الخط المصري والخط الاسرائيلي منطقة عازلة تتواجد فيها قوات الامم المتحدة ، وتتألف هذه القوات من وحدات تابعة لدول ليست اعضاء دائمة في مجلس الامن .

٣ ـ يتم تحديد عدد افراد القوة ، والاسلحة الموجودة بين الخط المصري وقناة السويس .

٤ ـ يتم تحديد عدد افراد القوة والاسلحة الموجودة في المنطقة بين الخط الاسرائيلي (خط ب) والخط المرموز اليه بالخط « ج » والمحدد على الخريطة المرفقة ، والذي يمتد على امتداد السفوح الغربية للجبال التي تقع في ممرات الجدى وميتلا .

٥ ـ التحديد المشار اليه في البند ٣و٤ يتم التفتيش عليه بواسطة قوات الامم المتحدة ، مع استمرار استخدام النظام الساري الآن والذي يتضمن وجود ضباط اتصال مصريين واسرائيليين يتعاونون مع ضباط الاتصال التابعين للقوة الدولية .

٦ ـ القوات الجوية للجانبين يسمح لها بالطيران فوق المناطق المحددة لكل جانب ، دون اعتراض من الجانب الاخر .

جـ ـ تفاصيل تطبيق اتفاقية الفصل بين القوات يتم تنفيذها بواسطة ممثلين للجانب

المصري والجانب الاسرائيلي للاتفاق على تنفيذ مراحل هذه العملية .

يجتمع ممثلو الجانبين يوم الاحد (بعد ٤٨ ساعة على الاكثر من توقيع هذا الاتفاق) في الكيلو ١٠١ تحت اشراف الامم المتحدة ولهذا الهدف ، على ان ينتهي الممثلون من عملهم خلال خمسة ايام . ويبدأ الفصل بين القوات بعد ٤٨ ساعة من انتهاء الممثلين العسكريين من عملهم وبحيث لا يتأخر ذلك بأي صورة من الصور عن سبعة ايام من توقيع هذا الاتفاق . ويتم تنفيذ الفصل بين القوات في موعد لا يزيد عن ٤٠ يوما من بدء العملية .

د ـ هذه الاتفاقية لا يمكن اعتبارها من جانب مصر او من جانب اسرائيل اتفاق سلام نهائي . وتمثل هذه الاتفاقية خطوة اولى نحو سلام نهائي عادل ودائم تنفيذاً لاحكام قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وفي اطار مؤتمر جنيف .

٣ ـ من اسوان... الى موسكو

هبطت الطائرة المصرية السوفيتية الصنع ت ي ١٥٤ في مطار « فنوكوفا ٢ » بموسكو ، ونزل منها الوزير اسماعيل فهمي الذي لفحته شمس اسوان وكان لونه الاسمر في هذه الكتلة من بياض الثلج الذي يغطي موسكو في شهر يناير يبدو واضحا ، الى درجة حملت اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي الذي جاء لاستقبال ضيفه المصري في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ على ان يقول له « يبدو ان حرارة الشمس كانت شديدة جدا في اسوان ، ولكنك في اتم صحة ، وارجو الا تكون موسكو شديدة البرودة بعد حرارة الجو التي تمتعت بها في اسوان » .

وبعد عناق بين رئيس الدبلوماسية المصرية اسماعيل فهمي الذي يزور موسكو لاول مرة كوزير للخارجية واندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي انطلقت بهما السيارة السوداء الروسية الصنع الى مقر اقامة الوزير المصري في فيلات الضيافة على تلال لينين التي تقع تحت اقدامها مدينة موسكو الجميلة بقبابها الذهبية وميادينها الواسعة .

كان اسماعيل فهمي قد انتهى في القاهرة لتوه من توديع الدكتور هنري كيسنجر والاتفاق على الفصل بين القوات ، وغادر العاصمة المصرية على الاثر ليبدأ اول جولة مباحثات مع القادة السوفيت الذين كانوا يريدون معرفة هذا الرجل الذي قفز فجأة من منصب وكيل الخارجية الذي ترك منصبه عدة شهور ليصبح وزيرا للسياحة ثم للخارجية ، ويجري مفاوضاته مع الرئيس نيكسون وهنري كيسنجر ، ويخطف عناوين الصحف واخبار وكالات الانباء لمدة شهرين بعد انتهاء معارك حرب ٦ اكتوبر .

ولم تكن هناك فرصة للراحة ، بعد وصول الوزير المصري لموسكو ، فقد ابلغه جروميكو في السيارة التي اندفعت به من مطار فنوكوفا الى قصر الضيافة بان الزعيم بريجنيف يشكو من بعض التعب وان كان الامل كبيرا في تحسن صحته ، بحيث يستقبله يوم الاربعاء أي بعد يومين من بدء المباحثات السياسية بين فهمي وجروميكو .

وقد بدأت في الساعة السادسة ـ بعد ساعتين من وصول الوفد المصري الى موسكو ـ المحادثات السياسية بحيث تكون محاضرها امام بريجنيف قبل ان يتم اللقاء المتوقع بينه وبين فهمي .

قال اسماعيل فهمي في العرض السياسي العام الذي قدمه في اول جلسة عمل ان الهدف من زيارته هو استمرار التنسيق بين مصر والاتحاد السوفيتي الذي حرص الرئيس السادات على ابلاغه بمحادثات اسوان للفصل بين القوات ، وذلك عندما استدعى سفيره في موسكو السيد يحي عبد القادر وكلفه قبل توقيع اتفاقية الفصل بين القوات في العاشر من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ بان يطير الى موسكو لابلاغ القيادة السوفيتية بما

يحدث في اسوان . واوضح فهمي كيف ان مصر كانت تسعى الى تنفيذ القرار رقم ٣٣٩ بوقف اطلاق النار ، وانسحاب القوات الى مواقعها عند صدور قرار وقف اطلاق النار الاول المعروف بالقرار رقم ٣٣٨ ، بل ان مصر حققت اكثر من ذلك لان القوات الاسرائيلية لم تنسحب فقط الى مواقعها ساعة صدور قرار مجلس الامن ، بل انسحبت عن كل الضفة الغربية والى الممرات ، وان هدف مصر هو تحقيق فصل بين القوات الاسرائيلية والسورية ثم انعقاد مؤتمر جنيف مع توجيه الدعوة لمنظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك فيه .

أوضح جروميكو انه يفهم الموقف المصري تماما وان الاتحاد السوفيتي يسعى الى الوصول الى تسوية كاملة للمشكلة بانسحاب اسرائيل واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني ، وقدم صورة للبيان الذي القاه في بريفان (عاصمة جمهورية ارمينيا السوفيتية) التي دعته لتسليمه وسام صداقة الشعوب . وفي هذا البيان اكد هذه المعاني ، واضطر لقطع جولته في جمهورية ارمينيا لمقابلة الوزير المصري .

تقدم اسماعيل فهمي بورقة عمل محددة طرحها على جروميكو تنص على ان الوزير المصري قد جاء برسالة من الرئيس السادات يقترح فيها عقد مؤتمر قمة مصري سوفيتي يلتقي فيه الرئيس المصري بالزعيم السوفيتي لان لدى القيادة المصرية ما تريد ان تناقشه مع الاصدقاء السوفيت ، ووعد جروميكو بتحديد موعد اللقاء مع الزعيم السوفيتي بالرغم من توعكه واوضح ان الاتحاد السوفيتي لديه بعض ملاحظات يجب تسجيلها ومنها :

١ ـ ان الاتحاد السوفيتي لا يعارض الجهود التي تقوم بها الولايات المتحدة في الشرق الاوسط طالما انها تهدف في الاساس الى تحقيق المطالب الوطنية المشروعة للشعوب العربية ، وطالما ان هذه الجهود لا تتم وراء ظهر الاتحاد السوفيتي او للاضرار بطرف ثالث .

٢ ـ ان الاتحاد السوفيتي يهمه ان يكون الفصل بين القوات ليس هدفا في حد ذاته بل يكون خطوة في سبيل تحقيق الانسحاب الكامل .

٣ ـ ان الاتحاد السوفيتي لن يقبل بأي حلول ، اقل مما يقبل به العرب ، وان موسكو تدرك تماما ان مصر هي مفتاح العالم العربي ، وقد قام قادة الحزب الشيوعي السوفيتي واعضاء اللجنة المركزية للحزب بابلاغ ذلك للاحزاب الشيوعية الموجودة في بعض البلاد العربية والتي كان لها بعض التحفظات على علاقة الاتحاد السوفيتي بمصر .

وقد اوضح اسماعيل فهمي ان مصر تدرك كل هذه المبادىء وتقدرها وانها سعت فعلا الى تنفيذ قرار مجلس الامن ، بل الى تنفيذ ما هو ابعد من نصوص هذا القرار وانها تسعى الى تحقيق فصل مماثل على الجبهة السورية .

وكان واضحا من جلسة المحادثات الاولى التي بدأت في السادسة من مساء يوم الاثنين ٢١ يناير ، واستكملت في الجلسة الثانية في الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء ان الاتحاد السوفيتي لا زال يعتقد بأن مصر لم تؤيد التأييد الكامل اشراك الاتحاد السوفيتي في مباحثات اللجنة العسكرية في جنيف، وان مصر تسعى الى ابعاد الاتحاد

السوفيتي عن الجهود المبذولة من اجل تحقيق السلام وقد ادى ذلك الى عقد جلسات عمل مستمرة بين الوزير المصري والمسؤولين السوفيت لايضاح المواقف ، وازالة اسباب سوء الفهم . وكان رأي اسماعيل فهمي ان ذلك سوف لا يتحقق الا بجلسة مصارحة تتم مع الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف يتم خلالها وضع النقاط على الحروف ، مع اثارة كل ما تعاني منه مصر وما تشعر به من ضيق ازاء بعض مواقف من الاتحاد السوفيتي تحتاج الى كثير من الايضاح، ولذلك فان الامر يقتضي كما طلب الرئيس انور السادات ، عقد لقاء قمة بين الرئيس المصري والزعيم السوفيتي في الموعد الذي يقترحه الرفيق بريجنيف .

تم اللقاء المتوقع ، بعد تحسن صحة الرفيق بريجنيف ، في الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ في مكتب الزعيم السوفيتي بقصر الكرملين ، في نفس القاعة التي عقد فيها بريجنيف لقاءاته مع الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر ومع الرئيس انور السادات بعد ذلك .

كان بريجنيف يقف في قلب القاعة والى يمينه نيكولاي بودجورني ، والى يساره اندريه جروميكو وزير الخارجية وعضو المكتب السياسي (الذي كان في ذلك الوقت مرشحا ليكون عضوا دائما).وبعد مجاملات وتلميحات من ليونيد برجنيف عن جو اسوان ومباحثات الفصل بين القوات ابلغ اسماعيل فهمي الزعيم السوفيتي برسالة الرئيس السادات ورغبته في عقد لقاء قمة معه ثم بدأت جلسة العمل التاريخية التي استمرت ٤ ساعات طرح خلالها كل جانب افكاره وملاحظاته وتحفظاته على الجانب الاخر .

قال اسماعيل فهمي لبريجنيف « اريد قبل ان نبدأ مباحثاتنا ان اسال باسم الرئيس السادات بل باسم الشعب المصري ، من الذي اوقف ارسال الاسلحة السوفيتية الى مصر بعد ان سعى الاتحاد السوفيتي الى وقف اطلاق النار خلال شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ولماذا يستمر وقف ارسال هذه الاسلحة منذ ذلك التاريخ حتى الآن » .

رد الزعيم السوفيتي قائلا « انا الذي اوقفت ارسال الاسلحة واتخذت قراري بعد مشاورات مع المكتب السياسي على اساس ان نبدأ منذ لحظة وقف اطلاق النار بالاعداد لمؤتمر جنيف وحل المشكلة داخل جدران المؤتمر على اساس قرارات الامم المتحدة » .

قال فهمي : « انني جئت الى هنا ، ومعي ٣ ملفات ، الملف الاول مكتوب عليه « المطالب العسكرية الحرجة من الاتحاد السوفيتي » والثاني « المطالب الاقتصادية الحرجة » والثالث « المطالب الصناعية الحرجة » . وكيف استطيع وانا وزير خارجية مصر ان اجد ملفات تشير الى مطالب حرجة من دولة صديقة وحليف طبيعي ترتبط معه بمعاهدة صداقة وتعاون ، وكيف لن يؤدي هذا الموقف الى نوع من القلق والشك لدى المسؤولين المصريين » .

على امتداد ٤ ساعات ثارت مناقشات هامة وخطيرة تناول خلالها الزعيم السوفيتي مرة اخرى موضوع ابعاد الخبراء السوفيت ، وانتقد نشاط كيسنجر في المنطقة ، واشار الى معارك ٦ اكتوبر ورأيه في القيادة العسكرية المصرية ، وسكت فهمي لمدة لا تقل عن ساعة كاملة ثم بدأ يحدد موقف مصر من كل هذه النقاط مشيرا الى ان الاسلحة التي

تدفقت على اسرائيل قبل الحرب وخلال المعــارك وبعد ثغرة الدفرسوار ادت الى ضرورة حصول مصر على مساعدات عسكرية مماثلة ، ولكنها عجزت عن تحقيق ذلك . ولهذا السبب قرر الرئيس السادات ايفاده لهذه المهمة ليبحث مع القادة السوفيت كيفية معالجة الموقف . ورد بريجنيف قائلا : « كيف تتوقع مني ان ازودكم بالسلاح ، وانتم تسعون الى وقف اطلاق النار وتفصلون بين القوات » .

اوضح فهمي ان مصر سعت جاهدة للاتصال بالاتحاد السوفيتي وقد قام هو شخصيا (اسماعيل فهمي) بالبحث عن جروميكو وعلم انه موجود في يريفان عاصمة ارمينيا في الوقت الذي يمارس كيسنجر كل جهوده للوصول الى تنفيذ قرار وقف اطلاق النار . ثم سأل اسماعيل فهمي « ما هي اخر مرة زرت فيها القاهرة يا مستر جروميكو ... وهل زرت سوريا على الاطلاق ؟ »

والتفت بريجنيف يسأل جروميكو « صحيح ... ما هو تاريخ زيارتك الاخيرة لمصر » . قال جروميكو : ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ ، ولم ازر سوريا حتى الآن . وطلب بريجنيف من جروميكو ان يحدد موعدا على الفور لزيارة كل من مصر ودمشق ، ومعرفة حقيقة الاوضاع في المنطقة . ثم بدأ اسماعيل فهمي يشرح عملية الفصل بين القوات وفرد الخرائط على الطاولة وتقدم بكل المعلومات عن نصوص الاتفاقية ، ثم سأل بريجنيف « هل تجد بما قبلناه ما يستدعي كل هذا الهجوم الذي تعرضنا له » .

وصمت بريجنيف وقال : « ان هذه المعلومات جديدة بالنسبة لي .. انني لا اعارض ذلك ، بل انني اؤيد ذلك تماما بالرغم من التحفظات التي ذكرناها » .

وهنا طلب اسماعيل فهمي من الزعيم السوفيتي ان يقوم بتسجيل ذلك لابلاغه للرئيس السادات وفعلا كتب بريجنيف ذلك وطلب ترجمته واعطاء النص لابلاغه للرئيس.

وقبل ان يغادر فهمي قصر الكرملين ، كان قد اشار الى ضرورة اختيار سفير جديد للاتحاد السوفيتي في القاهرة بدلا من سفيرها الحالي الموجود في جنيف فلاديمير فينوجرادوف . ولم يفت بريجنيف ان يشير الى اختيار الفريق سعد الشاذلي سفيرا في لندن بالرغم من مسؤوليته التي يعتقدها بريجنيف بالنسبة للثغرة التي حدثت في الضفة الغربية .

بدأ بعد ذلك جو المباحثات يتخذ وضعه الطبيعي ودارت محادثات عن المشاكل العسكرية والاقتصادية والسياسية ، واللقاء المتوقع بين الزعيم السوفيتي والرئيس السادات ، وخطط الاتحاد السوفيتي المقبلة بالنسبة للمشكلة . وفي منزل السفير المصري في موسكو السيد يحيى عبد القادر كان الضيوف ينتظرون وصول اسماعيل فهمي واندريه جروميكو الى مأدبة غداء دعا اليها السفير لكن المباحثات استمرت الى الساعة الثالثة بعد الظهر ، انتقل بعدها الوزيران الى مقر السفير لصياغة ما تم الاتفاق عليه ، وتركيز الاهتمام على تحقيق فصل للقوات على الجبهة السورية بتعاون اكيد وواضح من جانب الاتحاد السوفيتي .

وقبل ان يغادر اسماعيل فهمي العاصمة السوفيتية في الساعة الحادية عشرة من

صباح يوم الخميس ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ كان اندريه جروميكو يقول لي في مطار موسكو « نحن نقدر تقديرا ايجابيا اتفاقية الفصل بين القوات ، ونرى ان القضية لا تحل الا بانسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية وهذا هو موقفكم ، وهو موقف الاتحاد السوفيتي ايضا . اما بالنسبة لموضوع اشراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف فان الاتحاد السوفيتي يقف الى جانب مشاركتهم في المؤتمر في المستقبل القريب . ونحن لا نستطيع تأجيل ذلك الى المستقبل البعيد وسيلح الاتحاد السوفيتي على ذلك ، وهذا الموقف يتفق مع الموقف المصري تماما.ان الاتحاد السوفيتي مع تنشيط مؤتمر جنيف ، وسنعمل من اجل ذلك . والاتحاد السوفيتي يقف الى جانب اشراك سوريا في المؤتمر . وكلما اسرعنا في الدعوة لانعقاد المؤتمر فان الامور تتحسن ، وهذا موقفكم وهو موقفنا ايضا . وسنجري اتصالاتنا مع الولايات المتحدة وهذه الاتصالات لم تتوقف ، وليس من المستبعد ان اجتمع قريبا بالدكتور هنري كيسنجر . ان انضمام سوريا الى مؤتمر جنيف سيساعد على تنشيط المؤتمر ، ولا بد من انسحاب اسرائيل من أجزاء من الاراضي العربية الاخرى ، بحيث نتفرغ بعد ذلك لمناقشة المشاكل الاساسية للمشكلة اي صلب الموضوعات الرئيسية » .

عاد فهمي الى القاهرة مباشرة يوم الخميس ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ومعه رسالة مكتوبة من بريجنيف يؤيد فيها الخطوات التي اتخذتها مصر ، ومعه موافقة من الاتحاد السوفيتي على ضرورة تحقيق فصل مماثل على الجبهة السورية ووعد باجراء اتصالات بين جروميكو وكيسنجر ، وزيارة يقوم بها الوزير السوفيتي لكل من مصر وسوريا ان لم يكن في شهر فبراير (شباط) فستكون في اول شهر مارس (آذار) ١٩٧٤ . ومن المطار قصد اسماعيل فهمي لمقابلة الرئيس السادات لاطلاعه على نتائج مهمته التي تضمنت وعدا ببحث مطالب مصر العسكرية والاقتصادية والصناعية وتسليمه الرسالة المكتوبة التي حمله اياها بريجنيف.

٤ ـ انفجار في الطائرة

تركزت اتصالات الرئيس انور السادات ووزير خارجيته اسماعيل فهمي ووزير الحربية الفريق اول احمد اسماعيل علي ، ورئيس اركان حرب القوات المسلحة « اللواء » محمد عبد الغني الجمسي ، على تحقيق فصل للقوات على الجبهة السورية . في ضوء زيارة الرئيس السادات العاجلة الى جدة ودمشق ، وزيارة اسماعيل فهمي لموسكو خلال يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ وكانت الاستراتيجية المصرية تهدف الى التلويح للولايات المتحدة برفع الحظر عن البترول ، واعادة العلاقات الدبلوماسية معها لتحقيق فصل بين القوات في الجولان ، ودعوة مؤتمر جنيف للانعقاد .

وفي خلال الاتصالات العربية التي تمت في اوائل شهر فبراير (شباط) ١٩٧٤ مع الملك الراحل فيصل والرئيس حافظ الاسد ، والرئيس الجزائري هواري بومدين اقترح الرئيس السادات عقد مؤتمر قمة محدود يضم الرؤساء الثلاثة والملك فيصل يجتمع في اسوان يوم الاربعاء ١٣ فبراير لبحث رفع الحظر عن تصدير البترول للولايات المتحدة مقابل التزامها بحمل اسرائيل على الانسحاب من المواقع الاستراتيجية في الجولان ، واستمرار جهود الرئيس نيكسون لتنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وبعد اتفاق الرأي حول ضرورة انعقاد مؤتمر القمة المحدود في اسوان ، طلب الرئيس الاسد ان ينعقد في الجزائر ، واقترحت مصر والسعودية تأجيل اجتماع الدول العربية المنتجة للبترول الذي كان مقررا انعقاده في طرابلس ـ ليبيا يوم ١٤ فبراير حتى تنتهي اجتماعات مؤتمر القمة المحدود في الجزائر . وبموافقة الرئيس بومدين على انعقاد المؤتمر في عاصمة بلاده ، الغى الرئيس السادات جميع الترتيبات التي تم اعدادها لانعقاد المؤتمر في اسوان التي غادرها الى استراحته في جناكليس (شمال غرب الدلتا) بحيث تغادر طائرة مصرية خاصة مطار القاهرة في العاشرة من صباح الاربعاء ١٣ فبراير ، تهبط في مطار جناكليس لتقل الرئيس السادات الذي كان مجتمعا في القاعدة الجوية هناك باللواء طيار حسني مبارك قائد القوات الجوية في ذلك الوقت وبالفريق اول احمد اسماعيل .

هبطت الطائرة المصرية التي تقل الرئيس السادات واحمد اسماعيل واسماعيل فهمي والدكتور اشرف مروان في مطار الدار البيضاء في الجزائر ، في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاربعاء ١٣ فبراير ، وكان الرئيس السادات قال لي في الطائرة « اننا جئنا الى الجزائر لكي نناقش الموقف العربي والتطورات التي اعقبت الفصل بين القوات على الجبهة المصرية وعلاقاتنا بالدول الكبرى وبدول العالم كله » وكان الرئيس نيكسون قد اعلن في واشنطن يوم ٦ فبراير (شباط) ١٩٧٤ في خطابه (حالة الاتحاد) ان الدول العربية سوف تعقد مؤتمرا لاعلان الغاء الحظر على تصدير البترول لامريكا .

رحب الرئيس بومدين بالرئيس السادات الذي قال له : « اننا جميعا ندين للجزائر شعبا وحكومة بدين كبير » . واتجه الرئيسان الى قصر الشعب مقر اقامة الحاكم الفرنسي السابق اثناء احتلال الجزائر . وكان الملك فيصل قد وصل قبل ساعة الى العاصمة الجزائرية ، بينما وصل الرئيس حافظ الاسد بعد ساعتين من وصول الرئيس المصري ، اذ توقف الاسد في ليبيا واجتمع بالرئيس الليبي معمر القذافي في قاعدة عقبة بن نافع (قاعدة هويلس) وبدأت اجتماعات الاربعة الكبار في الساعة السابعة مساء يوم الاربعاء ١٣ فبراير في قصر الشعب ، عرض خلالها الرئيس السادات تصوره للمرحلة القادمة من الناحية السياسية وترك للفريق اول احمد اسماعيل شرح الاوضاع العسكرية على الجبهة الشرقية بعد اتمام الفصل بين القوات على جبهة سيناء والمتطلبات العسكرية المترتبة على ذلك .

عقد الرئيس السادات اجتماعا بالملك فيصل والرئيس بومدين في الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الخميس ١٤ فبراير ، وتخلف الرئيس الاسد عن الاجتماع الذي انضم اليه بعد ساعة كاملة . واستدعى الاربعة الكبار الوزير اسماعيل فهمي ووزير الدولة السعودي (الراحل) السيد عمر السقاف ، وطلب الرؤساء منهما السفر فورا الى باريس وواشنطن لابلاغ رسالة الى الرئيس الفرنسي (الراحل) جورج بومبيدو وابلاغ الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون قرار رفع الحظر عن تصدير البترول شرط التزام امريكا بتحقيق فصل مماثل على الجبهة السورية ، وبدء تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ للمضي في الحل السلمي لمشكلة الشرق الاوسط .

وعلى طائرة جزائرية غادرت مطار الجزائر في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الخميس ١٤ فبراير ، طار اسماعيل فهمي وعمر السقاف والدكتور اشرف مروان الى باريس ، بينما عاد الملك فيصل والرئيسان انور السادات وحافظ الاسد الى عواصم بلادهم بعد اتخاذهم قرار رفع الحظر عن تصدير البترول . وفي الطائرة تلقى السيد اسماعيل فهمي برقية باللاسلكي تشير الى ان المهندس مشهور احمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس قد اجتمع بالسفير محمد رياض وكيل الخارجية في القاهرة يوم ١٤ فبراير وابلغه ان حكومتي امريكا وبريطانيا تعرضان قيامهما بتطهير القناة ، ورد اسماعيل فهمي بالموافقة على ان تشارك قطع الاسطولين الامريكي والبريطاني في هذه العملية مع تقديم ١٥ مليون جنيه كمساهمة منهما لاعمال التطهير المطلوبة .

ومن سفارة مصر في باريس ، اتصل السفير نجيب قدري سفير مصر لدى فرنسا بالسفارة الامريكية لابلاغها بسفر اسماعيل فهمي والسقاف الى واشنطن بحيث يصلان اليها ظهر يوم السبت ١٦ فبراير .

وقبل ان يغادر اسماعيل فهمي مطار باريس صباح يوم السبت كان قد اجتمع بالمسيو ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا لابلاغه رسالة من الرئيس السادات للرئيس بومبيدو يشكر فيها الحكومة الفرنسية على موقفها ويبلغها بان الدول العربية سترفع الحظر عن تصدير البترول الى الولايات المتحدة اذا التزمت بتنفيذ ما وعدت به .

طار اسماعيل فهمي وعمر السقاف من نيويورك الى واشنطن على طائرة امريكية تتبع شركة الخطوط الجوية العالمية . وقبل هبوط الطائرة ظهر يوم السبت ١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٤[١] وهي تقترب من مطار دلاس سمعنا صوت انفجار ضخم في مؤخرة الطائرة اشبه بصوت طلقة بندقية اصابت النافذة وسقطت اقنعة الاوكسيجين واهتزت الطائرة وحدث هرج ومرج داخلها . واندفعت مضيفة الطائرة والدماء تسيل من وجهها الى غرفة قائدها ، الذي خرج بدوره يجري من مقعد القيادة الى مؤخرة الطائرة بينما امسكت مضيفة اخرى الميكروفون تطلب ربط احزمة المقاعد ، وتسأل عن وجود اي طبيب بين الركاب لانقاذ المضيفة المصابة .

وقف ضابط الامن الامريكي الذي كان يجلس الى جنبي لا يعرف ماذا يصنع بينما تقدم زميل له يطلب اليه ان يتصل بقيادته لابلاغها بما حدث واعداد عربات الاسعاف واجهزة الهبوط الاضطراري والتحفظ على ركاب الطائرة وعدم خروج حقائبهم الى ان تتبين ادارة الامن المركزي والمخابرات الامريكية اسباب هذا الانفجار . وبدأت كمية الاوكسيجين تتضاءل في الطائرة وهي تهتز مقتربة من مطار دلاس واستطاعت ان تهبط بسلام بالرغم من اختلال توازنها ، بينما كان ضابط الامن يملي رسالته من الطائرة يقول فيها « حدث انفجار غامض لم نستطع معرفة اسبابه بعد ادى الى تكسير زجاج النافذة الخلفية واصابة مضيفة الطائرة بنزيف داخلي ، ارسلوا عربات الاسعاف » .

بالرغم من عطلة نهاية الاسبوع (السبت) فقد كان كيسنجر ومعه ابنه في انتظار وصول الطائرة . واحيط علما بما حدث في الطائرة والذي كان (كما ظهر من التحقيق بعد ذلك) نتيجة لانفجار غلاية القهوة مما ادى الى حدوث الانفجار الذي اصاب زجاج النافذة مع تسرب الاوكسجين . وتحدد يوم الاحد ١٧ فبراير موعدا لبدء اتصالات اسماعيل فهمي وعمر السقاف والسيد صباح القباني رئيس بعثة رعاية المصالح السورية في واشنطن .

وفي الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الاثنين ١٨ فبراير كان كيسنجر يستقبل عمر السقاف على حدة ، وعند الظهر صباح القباني ، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر اسماعيل فهمي والدكتور اشرف غربال والدكتور اشرف مروان والسفير عمر سري.وكان كيسنجر في صباح ذلك اليوم يتناول في مكتبه طعام الافطار مع سيمحا دينتز سفير اسرائيل في واشنطن ثم اجرى كيسنجر اتصالا تليفونيا بالرئيس نيكسون في مقر استجمامه بفلوريدا « بي بيسكاين » .

كانت اسرائيل تستغل قرار الدول العربية بفرض حظر على تصدير البترول لامريكا ولدول غرب اوروبا ، لتحريك الرأي العام العالمي ضد العرب الذين يريدون تحطيم الحضارة الغربية والقضاء على الرخاء والتقدم ، وتعطيل العمال واغلاق المصانع ، بعد ان حاولوا تحطيم اسرائيل ، وكانت بوادر فضيحة ووترجيت تقترب بسرعة مخيفة من ساكن البيت الابيض ريتشارد نيكسون .

---

(١) ـ نتيجة لفرق التوقيت بين باريس وواشنطن فان الطائرة التي تغادر باريس في العاشرة صباحا تصل الى واشنطن حوالي الثانية بعد الظهر من نفس اليوم.

حاول كيسنجر ان يحقق انتصارا سريعا في الشرق الاوسط يرفع من اسهم الرئيس نيكسون ويعيد الاستقرار الاقتصادي النسبي في الولايات المتحدة ولذلك وجد الفرصة مناسبة لتحقيق تقدم جديد في مشكلة الشرق الاوسط باتصالاته التي يجريها في العاصمة الامريكية مع ممثلي مصر وسوريا والسعودية واسرائيل في وقت واحد . وكانت رسالة مؤتمر القمة الرباعي العربي في الجزائر مشجعة تفتح الباب امام امكانية تحقيق التقدم المطلوب ، بعد ان ابدت سوريا استعدادها لقبول فصل على جبهة الجولان ، بينما حملت انباء القاهرة تأكيدات بانسحاب اخر جندي اسرائيلي من الضفة الغربية يوم ١٩ فبراير ، وانهاء تنفيذ كل نصوص اتفاقية الفصل بين القوات على جبهة سيناء يوم ٣ مارس قبل الموعد المحدد لها والمنصوص عليه في الاتفاق وهو يوم ٥ مارس .

كان التحذير الوحيد الذي حمله الوزيران اسماعيل فهمي وعمر السقاف الى الحكومة الامريكية هو « حظر استعمال كلمة الابتزاز والتهديد العربي » ! وقد ابلغ اسماعيل فهمي الدكتور هنري كيسنجر في اللقاء الاول الذي تم يوم الاثنين ١٨ فبراير بان الرؤساء قد قرروا تكليف وزراء البترول العرب بحث قرار رفع الحظر عن تصدير البترول الى امريكا ، كاجراء مستقل لا يرتبط ولا يتعلق بالضغط على امريكا لاستمرار بذل جهودها من اجل تنفيذ الحل السلمي المطلوب . وازاء هذا الموقف المشجع الذي اتخذته الدول العربية فانها تطلب رسميا وبصفة نهائية حظر استخدام كلمات وتعبيرات تكررها الدعاية الصهيونية وتؤكدها المصادر الامريكية باستخدامها « التهديد العربي ، والابتزاز والقرصنة » لان الدول العربية لو ارادت فعلا ممارسة ذلك ، لمنعت تصدير البترول وجمدت المصالح الامريكية فيها .

كانت رسالة مؤتمر الجزائر واضحة ومحددة امام كيسنجر الذي اتصل عدة مرات تليفونيا مع سيمحا دينتز للاعداد لجولة يقوم بها في المنطقة بعد ان حمل اسماعيل فهمي الى واشنطن الخطوط العريضة والنصوص المقترحة والخرائط المرفقة للفصل بين القوات على الجبهة السورية . وقد تقبل كيسنجر نصيحة اسماعيل فهمي بعدم ترديد كلمة (الابتزاز) والتهديد مركزا على تأكيد ان امريكا تتحرك انطلاقا من التزامها كدولة كبرى بتحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط .

رسالة اخرى تلقاها اسماعيل فهمي في واشنطن من اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي تؤكد نبأ وصوله وزيارته لمصر يوم اول مارس (آذار) ١٩٧٤ بينما كانت الاتصالات تجري بين موسكو وواشنطن لمواجهة اعقد مهمة لتحقيق الفصل بين القوات على الجبهة السورية وتمسك سوريا بعدم تسليم قوائم الاسرى الاسرائيليين الا بعد ان يقوم كيسنجر بزيارة دمشق في الوقت الذي يكون قد حصل على تأكيدات من اسرائيل تسمح له بتحقيق فك اشتباك على الجبهة السورية .

وفي وزارة الخارجية الامريكية كان اسماعيل فهمي ظهر يوم الاثنين ١٨ فبراير ضيف الشرف ، هو وعمر السقاف ، في مأدبة الغداء التي اقامها كيسنجر في جناحه المرفق بمكتبه.وعلى يمين اسماعيل فهمي كانت تجلس سيدة طويلة القامة قدمها هنري

كيسنجر الى الوزير قائلا « نانسي » وابتسم الوزيران المصري والامريكي فقد تأكدت انباء زواجه من هذه السيدة الامريكية التي كان يصادقها لسنوات طويلة .

وعلى الجانب الاخر من المائدة كان يجلس رجل اخر اسمه السناتور جيرالد فورد الذي اختير نائبا لرئيس الجمهورية بعد ازاحة النائب السابق سبيرو اجينيو ، ومعه قرينته . وقبل ان يبدأ الغداء انسحب عمر السقاف من المائدة بسبب مرضه ، وظل الحديث مستمرا بين فهمي وكيسنجر ونانسي وجيرالد فورد الذي قفز من مقعده في الكونجرس الامريكي الى منصبه كنائب لرئيس الجمهورية ثم رئيسا للجمهورية بعد تنحية ريتشارد نيكسون . وقبل ان ينفض الحاضرون كان كيسنجر يبلغ اسماعيل فهمي ان الرئيس نيكسون سوف يستقبله مع عمر السقاف في اليوم التالي (الثلاثاء ١٩ فبراير) وسيحضر كيسنجر هذا اللقاء ، بينما تجمع الصحفيون في مدخل وزارة الخارجية الامريكية يسألون اسماعيل فهمي عما اذا كان سيحمل انباء طيبة الى الرئيس نيكسون . وكان رد فهمي انه يحمل دائما اخبارا طيبة . ولكن النصيحة الوحيدة التي كررها فهمي لكيسنجر قبل ان يغادر الخارجية الامريكية كانت تؤكد ان استخدام كلمة التهديد او الابتزاز سوف يدفعه الى انهاء مهمته في واشنطن والعودة الى القاهرة دون الاشارة الى ما اتفق عليه الرؤساء في الجزائر .

في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الثلاثاء ١٩ فبراير دعانا المتحدث الرسمي باسم الرئيس الامريكي للدخول الى مكتب الرئيس نيكسون البيضاوي لنجد الرئيس الامريكي يتبادل الاحاديث الضاحكة مع اسماعيل فهمي وعمر السقاف بينما جلس على الجانب الاخر الدكتور كيسنجر .

ابلغ الوزيران المصري والسعودي الرئيس نيكسون بان الرؤساء السادات والاسد وبومدين والملك فيصل قد قرروا ايفادهما الى واشنطن لابلاغه بانهم قد طلبوا الى وزراء البترول العرب بحث استصدار قرار برفع الحظر عن تصدير البترول الى الولايات المتحدة ، ايمانا بان الرئيس نيكسون وحكومته يعملان بجد وباخلاص من اجل الاستمرار في تنفيذ الحل السلمي والوفاء بالالتزامات التي تعهدت بها الولايات المتحدة . وان الرؤساء العرب يطلبون استمرار القيام بهذا الجهد ،ولايعتقدون ان التزام امريكا بالحل يتم تحت تهديد او انذار باستمرار فرض الحظر لان الدول العربية تفصل تماما بين قرار اتخذته لتحريك القضية، وبين الجهد الامريكي المبذول من اجل احلال السلام في العالم ، وفي الشرق الاوسط بالذات . وادرك الرئيس الامريكي اهمية الرسالة التي حملها الوزيران وبدأت مناقشة ما تم تحقيقه حتى موعد اللقاء ، والمطلوب عمله بعد ذلك ومشاركة امريكا في مشروعات التنمية . واشار فهمي الى ان مصر ترحب بالرئيس نيكسون لزيارتها وزيارة دول عربية اخرى .

تلقى الرئيس نيكسون هذه الدعوة بكل ترحيب وسرور ، واقترح ان تتم زيارته في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٤ ، كما طلب من الدكتور كيسنجر ان ينهي مهمته في المكسيك ليطير في اول موعد يقترحه لمصر وسوريا واسرائيل والاردن . وحدد كيسنجر موعد هذه

الزيارة مؤكدا انه يستطيع ان يقوم بها في ٢٤ فبراير اي بعد اقل من اسبوع واحد من هذا اللقاء .

قال فهمي للرئيس نيكسون « ان الوقت قد حان لاعادة تقدير سياسة امريكا بالنسبة للمنطقة وتحديد علاقاتها بدولها .. وباسرائيل بالذات وان ما سبق ان قدمته امريكا من مساعدات مالية وعسكرية لاسرائيل لم يؤد الا الى استمرار تدهور الموقف ، وان فرص السلام اذا كانت متاحة الآن ، فان المزيد من المساعدات المالية والعسكرية سوف يؤدي الى ضياع هذه الفرصة والدخول في صراع جديد يتخذ اشكالا خطيرة تتفق وتطور الاسلحة الحديثه وتقدمها » .

اشار اسماعيل فهمي ايضا الى « ان الوقت قد حان لتبادل التمثيل الدبلوماسي بين الولايات المتحدة والدول العربية على مستوى السفراء ، بعد ان طلبت امريكا ذلك عدة مرات وانه يحمل تأكيدات بان مصر ستتخذ هذه الخطوة اثناء وجود كيسنجر فيها ، وان الدول العربية سوف تتخذ قرارها بالنسبة لعودة العلاقات مع امريكا وفقا لمصالحها ولرغبتها » .

خرج الرئيس نيكسون الى حديقة الزهور التي تحيط بمكتبه ووقف بين اسماعيل فهمي وعمر السقاف تحت وابل الامطار التي بدأت تنهمر في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٩ فبراير وقال « ان هدف حكومتي والحكومات التي تربطنا بها علاقات طيبة ان تستمر هذه العلاقات وتتحسن كما نسعى الى قيام علاقات طيبة دبلوماسية وغيرها مع كل الدول العربية » .

واضاف نيكسون « انني سعدت بلقاء وزيري خارجية مصر والسعودية واجرينا محادثات بناءة لاحلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط ، وقد بدأت المرحلة الاولى من مراحل احلال السلام بالفصل بين القوات على جبهة سيناء مع استمرار العمل من اجل تحقيق فصل مماثل على جبهة الجولان . ان الوزيرين اللذين جاءا الى واشنطن لا يمثلان حكومتيهما بل يمثلان الدول العربية كلها . ولتحقيق فصل مماثل على الجبهة السورية فقد كلفت وزير خارجيتي هنري كيسنجر بالسفر فورا الى الشرق الاوسط بعد انتهاء محادثاته في المكسيك لتحقيق ذلك ، حتى تستطيع الولايات المتحدة ان تقيم علاقات ودية طيبة مع الدول العربية كلها ، ومع كل دول العالم » .

ودعا الرئيس نيكسون اسماعيل فهمي ليعقب على كلمته فقال الوزير المصري : « كما قال الرئيس نيكسون فقد اجرينا محادثات مستمرة وبناءة ، ونحن سعداء لاننا بعد ان ابلغنا الرئيس بنتائج مؤتمر القمة في الجزائر ، سمعنا من الرئيس بكل سرور انه سيستمر في بذل جهوده من اجل تحقيق السلام الدائم والعادل في الشرق الاوسط . ونحن نرحب بقراره بايفاد كيسنجر للمنطقة ، ليبدأ اتصالاته مع السوريين والاسرائيليين للفصل بين القوات » .

حاول الصحفيون الذين بلغ عددهم اكثر من ثلاثمائة صحفي وصحفية ان يسألوا الرئيس نيكسون عن رفع الحظر عن تصدير البترول ، وهل توقف العرب عن ممارسة

الضغط والقرصنة على امريكا ، ولكن الرئيس نيكسون اشاح بوجهه ، واصطحب الوزيرين الى سيارتيهما ، وفتح باب سيارة اسماعيل فهمي وظل ممسكا ببابها وهو يقول « ارجو ان تبلغ تحياتي للرئيس السادات وسوف ازوره في شهر ابريل » .

وعندما سأل الصحفيون المستر زيجلر المتحدث الرسمي باسم الرئيس نيكسون بعد ذلك في المؤتمر الصحفي الذي عقده عقب اللقاء مباشرة عن قرار رفع الحظر وانتهاء الابتزاز العربي قال زيجلر « ان الرئيس نيكسون قد حذرني ومنعني من استخدام هذه الكلمة » .

طار كيسنجر يوم الاربعاء ٢٠ فبراير الى المكسيك وغادر عمر السقاف واشنطن الى لاهور لحضور مؤتمر القمة الاسلامية فيها بينما بقي اسماعيل فهمي لاجراء مزيد من المشاورات مع روبرت ماكنمارا مدير البنك الدولي وديفيد روكفلر رئيس مجلس ادارة « تشيس منهاتن بنك » ومع هنري كيسنجر الذي عاد يوم الجمعة ٢٢ فبراير ثم غادر فهمي واشنطن لابلاغ الرئيس السادات فور عودته من لاهور بنتائج مهمته في العاصمة الامريكية .

غادر كيسنجر واشنطن يوم ٢٥ فبراير قاصدا الى لندن ثم اجتمع في دمشق يوم ٢٦ فبراير بالرئيس حافظ الاسد الذي قام احد مساعديه بتسليم كيسنجر قائمة باسماء الاسرى الاسرائيليين سلمها وزير الخارجية الامريكي للحكومة الاسرائيلية يوم الاربعاء ٢٧ فبراير وطار كيسنجر الى القاهرة حيث استقبله الرئيس السادات في استراحة الهرم .

وفي يوم مشمس جميل ، التقى الرئيس السادات يوم الاربعاء ٢٧ فبراير بالدكتور كيسنجر ، وانضم الى الاجتماع المشير احمد اسماعيل والوزير اسماعيل فهمي واللواء عبد الغني الجمسي لوضع اللمسات الاخيرة لمشروع الفصل بين القوات على الجبهة السورية بعد ان اتخذ الرئيس قراره باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

بعد ان انتهى لقاء الرئيس السادات بالدكتور كيسنجر كان الرئيس السادات يبدو متفائلا كعادته لذلك رحب بالاجتماع بمجموعة الصحفيين المصريين الذين كانوا يتابعون اخبار محادثات كيسنجر في استراحة الهرم . وعندما التقى بنا الرئيس كانت خرائط الجبهتين السورية والمصرية ما زالت على الطاولة ، وعليها مواقع وخطوط ، وقلت للرئيس : « هذه خريطة الجولان » قال الرئيس ضاحكا : « انها خريطة للجبهة السورية المصرية ومن الطبيعي ان نركز محادثاتنا مع الدكتور كيسنجر حول موضوع الفصل بين القوات على الجبهة السورية ، ولكننا تناولنا كل شيء وطبعا الجبهة السورية اولا ، وتكلمنا عن عودة العلاقات المصرية الامريكية ، اما بالنسبة للفصل بين القوات في الجولان فسوريا هي جهة الاختصاص . لقد حصل كيسنجر على كشف الاسرى من سوريا وطار به الى اسرائيل وسيعود الى دمشق وتستمر العملية الى ان يصل الى اتفاق كما حدث معنا تماما . وحتى الآن فنحن نقوم بدور العامل المساعد . اننا جبهة واحدة وفي معركة واحدة . واعتقد ان عملية الفصل بين القوات ستتم بنفس الصورة التي تمت بها العملية على جبهة سيناء . ماذا حدث عندنا : اتفاق النقاط الست.محادثات الكيلو ١٠١ ومحادثات جنيف. والمرحلة

الرابعة الاخيرة في اسوان ، وهذه المرحلة كلفتنا اسبوعا كاملا ، وطبعا سوف لا تتم العملية مع سوريا على اربع مراحل . والتجربة التي مرت بها مصر سوف تستفيد منها امريكا وسوريا واسرائيل ، ومن الممكن الاستفادة من هذه التجربة في تحقيق فصل مماثل على الجبهة السورية . والاتفاق لا يأتي فجأة ولكنه يحتاج الى بعض الجهد . واتفاقنا الخاص بالجبهة المصرية تم تنفيذه قبل موعده ، والمهم الآن هو التركيز على المرحلة المقبلة مرحلة الاستمرار في تحقيق مزيد من الانسحابات الاسرائيلية .. »

ومضى الرئيس يقول « لقد بحثت مع الدكتور كيسنجر موضوع مشاركتهم في تطهير القناة ، والحاجات الفنية المطلوبة ورفع الالغام وتطهير مجرى القناة . وامريكا عرضت المساهمة في ذلك ، وانجلترا ايضا ، وفهمت من السوفييت انهم يريدون المشاركة ولا بد من ان نحتفظ بقدرتنا على استمرار تحريك المشكلة » .

ومضى الرئيس يقول « لقد وجهت الدعوة للملك حسين ملك الاردن لزيارة مصر ، وسوف يصل قادما من واشنطن وسيأتي ياسر عرفات .. وفي خلال محادثاتي مع السوفييت والامريكان اوضحت لهم ان هناك حقيقة واحدة وواضحة وهي انه بدون الفلسطينيين لا يمكن ان نتكلم عن السلام في الشرق الاوسط .. ولكي يتحقق ذلك فسوف نقوم بكل نشاط وتحرك دبلوماسي ممكن ... سوف يزورنا الرئيس ريتشارد نيكسون وسيأتي ايضا ويلي برانت مستشار المانيا الغربية (السابق) وسوف يأتي بعد يومين اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ، وسأزور يوغوسلافيا في الشهر القادم لمقابلة الرئيس تيتو .. لا بد ان نتحرك حتى لا تعود حالة اللاسلم واللاحرب تفرض علينا حالة الجمود التي كنا فيها .. لقد تحركت القضية بعد حرب ٦ اكتوبر ولن نسمح بالجمود مرة اخرى .. انني اشكر للدكتور كيسنجر جهوده ولقد اكد لي في كل مرة قابلته ان امريكا تسعى للحل . وهذا موقف جديد لامريكا ولذلك قررت ان تتخذ علاقاتنا بها من الان صورة جديدة» .

قبل ان يغادر الدكتور هنري كيسنجر القاهرة الى دمشق ظهر يوم الجمعة اول مارس (آذار) ١٩٧٤ احتفل برفع العلم الامريكي على مبنى السفارة في جاردن سيتي بحضور الوزير اسماعيل فهمي ، واصبحت بعثة رعاية المصالح الامريكية التابعة للسفارة الاسبانية سفارة للولايات المتحدة بعد ٨ سنوات من العلاقات الدبلوماسية المجمدة ورشحت مصر الدكتور اشرف غربال سفيرا لها في واشنطن ورشحت الولايات المتحدة السفير هيرمان ايلتس سفيرا لها في القاهرة .

بعد انتهاء محادثات كيسنجر في القاهرة بساعات كانت طائرة اندريه جروميكو تهبط يوم الجمعة اول مارس ، بعد غياب دام ٥ سنوات اذ كانت اخر زيارة له عام ١٩٦٩ ، وكان اندريه جروميكو قد زار دمشق ، قبل ان يزور القاهرة ولذلك حرص على ان يقول في بيان مكتوب « انني سعيد بزيارتي للقاهرة عاصمة مصر الدولة الصديقة في زيارة رسمية بدعوة من حكومتها بعد مشاورات واسعة وهامة مع حكومة دولة عربية صديقة اخرى . وليست زيارتي هذه هي اول زيارة لي ، فقد زرت مصر قبل ذلك واجريت محادثات هامة فيها ، وسنجري محادثات لتبادل الآراء حول القضايا الهامة . وتتم هذه المحادثات

في اطار معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين .

« انني ارجو خلال محادثاتي المقبلة مع القادة المصريين ان نجد امكانيات تحقيق تقدم مستمر . وتمتاز هذه المحادثات بأنها تتم في مرحلة هامة بالذات تتعلق بقضية الشرق الاوسط ، ومؤتمر جنيف للسلام .. هذا المؤتمر هو الذي يضع البداية لعملية الحل السلمي للمشكلة ، وهدف ذلك ضمان سلام مستقر في هذه المنطقة على اساس انسحاب اسرائيل الكامل وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » .

وفي يوم السبت ٢ مارس بدأ الرئيس انور السادات محادثاته في الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر مع اندريه جروميكو بعد لقاء طويل بين الرئيس ونائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت الدكتور محمود فوزي .

بالرغم من ابلاغ القاهرة بان اندريه جروميكو قد قرر ان يطير الى مصر ثم يغادرها الى سوريا ، فانه وصل الى القاهرة بعد زيارة سريعة لدمشق يوم الخميس ٢٨ فبراير وبعدها كان كيسنجر قد زار العاصمة السورية.وقابل جروميكو الرئيس السادات يوم السبت لمدة اربع ساعات دون مترجم ودون اشتراك السيد بوغوص اكويوف القائم بالاعمال السوفيتي في القاهرة . وكانت المقابلة بمثابة عملية مصارحة كاملة .

عرض الرئيس السادات على جروميكو نتائج المحادثات التي تمت مع الدكتور كيسنجر خصوصا ما يتعلق بالفصل بين القوات على الجبهة السورية وابلغه انه بعث بالفريق محمد عبد الغني الجمسي رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصرية ومعه اللواء محمد نوفل من القيادة المصرية ــ السورية المشتركة الى دمشق يوم الجمعة اول مارس لابلاغ الرئيس الاسد بما حدث مع كيسنجر ورأي مصر في كيفية تحقيق الفصل بين القوات . كما ابلغه ان مصر لا زالت وستظل في جبهة عسكرية واحدة وانها تضع كل امكانياتها الحربية مع سوريا في المواجهات العسكرية مع اسرائيل التي لا زالت مستمرة على الجولان ، وان عملية الفصل بين القوات على الجبهة المصرية لا يعني على الاطلاق ان القوات المصرية خارج المعركة ، بل انها لا زالت في الجبهة الموحدة .

ابلغ الرئيس السادات اندريه جروميكو ان الوقت قد حان لكي يتم لقاء قمة بينه وبين الرفيق بريجنيف ، فقد توقف ارسال الاسلحة الى مصر منذ قرار وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، وان الحرب لم تنته بعد ، وقرار وقف اطلاق النار جاء بناء على رغبة امريكية ــ سوفيتية مشتركة،وعملية الفصل بين القوات تمت في اطار تنفيذ قرارات مجلس الامن الصادرة من يوم ٢٢ اكتوبر الى ٢٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

دار حديث هام حول عودة العلاقات بين مصر وامريكا ، وقال الرئيس لجروميكو :
« مصر بلد مستقل وعلاقاتي الآن مع الولايات المتحدة تدخل في اطارها الطبيعي . والاتحاد السوفيتي يتبادل العلاقات الدبلوماسية مع امريكا والوفاق الدولي يحكم هذه العلاقات . والتعاون الاقتصادي بينهما يتم على جميع المستويات . ومصر تتحرك من موقع استقلال سياستها واتخاذها للقرار الذي تراه مناسبا لصالح شعبها وشعوب المنطقة العربية ، وان رأس المال العربي الذي سيتم استثماره في مصر امر طبيعي

وضروري ومطلوب،اما المكاسب الاشتراكية التي تحققت للعمال ، فقد كانت بقرار مصري ، وستظل كذلك ، وهذه المكاسب لارجعة فيها .. » .

اشار الرئيس ايضا الى « اهمية استمرار الدعم الاقتصادي السوفيتي لمصر بعد ان تحملت اعباء المعركة وما قبلها خلال سنوات الاستنزاف ولذلك فان موضوع الديون المستحقة للاتحاد السوفيتي يقتضي اعادة النظر فيه وبحثه بحثا دقيقا » .

بعد ٤ ساعات من بحث مستقبل العلاقات المصرية ـ السوفيتية ودور الاتحاد السوفيتي بالنسبة لمؤتمر جنيف نسي اندريه جورميكو ان يشير الى ما ذكره للسيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية عن رغبة الاسطول السوفيتي في المشاركة في اعمال تطهير القناة. وعندما انتهى الاجتماع ، وبدأنا نسأل جروميكو عن رغبة الاتحاد السوفيتي في ذلك ، التفت الى الرئيس وقال له هل تسمح لي ان اسألك سؤالا . وانتحى بالرئيس جانبا وسأله « هل استطيع ان اعلن اننا سنشترك في تطهير القناة وانكم وافقتم على ذلك ؟ »

قال له الرئيس ضاحكا « تستطيع ان تعلن ذلك ، ونحن نبلغ الصحافة دائما بكل قراراتنا».وعاد جروميكو ليعلن ان الاتحاد السوفيتي سوف يشترك في تطهير القناة وان قطعا من الاسطول سوف تصل خلال ايام لهذه العملية [١] .

طار اندريه جروميكو الى موسكو صباح يوم الثلاثاء ٥ مارس يحمل معه رسالة من الرئيس السادات يدعو فيها القادة السوفيت الى لقاء قمة معه ، بينما كان قائد القوات الدولية الجنرال انزيو سيلاسفو يعلن عن انتهاء عملية الفصل بين القوات على جبهة سيناء بعد ان انسحبت اسرائيل عن كل الضفة الغربية الى غرب الممرات ، وتمركزت قوات دولية يبلغ عددها ٢٥٠٠ جندي في المنطقة العازلة بين مصر واسرائيل في سيناء .

وقبل ان يطير الدكتور كيسنجر يوم الثلاثاء ٥ مارس عائدا الى واشنطن وبعد انتهاء محادثات اندريه جروميكو في دمشق وافقت الحكومة السورية على ايفاد اللواء حكمت الشهابي من الجيش السوري الى العاصمة الامريكية لاستئناف محادثات الفصل بين القوات على الجبهة السورية مع كيسنجر .

---

(١) ـ كان مفهوما ان الاتحاد السوفيتي الى جانب رغبته في المشاركة في عملية التطهير فانه كان يسعى ايضا الى اخراج كل انواع الاسلحة والالغام السوفيتية التي قد تكون قد استقرت في القناة اثناء المعارك حتى لا تتعرف الولايات المتحدة على اسرار هذه الاسلحة.

٥ ـ عاصفة على طرابلس

تلقت سكرتارية انور السادات برقية عاجلة من الرئيس الليبي معمر القذافي يوم ٩ مارس (اذار) ١٩٧٤ بعثت بها السكرتارية للرئيس في استراحة كنج مريوط لابلاغه بان الرئيس القذافي يعتذر عن اجتماع وزراء البترول العربي في مدينة طرابلس الليبية بسبب ازدحام الفنادق لمناسبة معرض طرابلس . وكان محددا لهذا الاجتماع الهام يوم ١٠ مارس بناء على اتفاق سابق بين الرئيس السادات والرئيس معمر القذافي في القاهرة قبل سفرهما الى مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور يوم ١٨ فبراير ثم محادثاتهما في جدة يوم ١٩ فبراير مع الملك (الراحل) فيصل ثم اللقاء الذي تم في لاهور بين الملوك والرؤساء العرب لبحث اتخاذ قرارهم برفع الحظر عن تصدير البترول . وكان السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية مجتمعا بالرئيس نيكسون في واشنطن لابلاغه مع السيد عمر السقاف بقرار رفع الحظر الذي سيتخذه وزراء البترول العرب بعد اسبوعين من لقاء الرئيس الامريكي بمبعوثي مؤتمر القمة المحدود الذي اجتمع في الجزائر يوم ١٣ فبراير ورحب العقيد القذافي بهذا الاجتماع الذي سيتم في طرابلس يوم ١٠ مارس وبدأت الاستعدادات لوصول وزراء البترول العرب الى العاصمة الليبية في الموعد المقترح .

وبناء على هذا التغيير المفاجيء ، كلف الرئيس انور السادات وزير بتروله المهندس احمد عز الدين هلال بدعوة وزراء البترول العرب للاجتماع في القاهرة واستقبلهم الرئيس يوم الاثنين ١١ مارس في استراحة كنج مريوط وحضر اللقاء الشيخ احمد زكي اليماني وزير البترول السعودي وعبد الرحمن العتيقي وزير المالية والبترول الكويتي ومانع سعيد العتيبة وزير بترول ابو ظبي والشيخ عبد العزيز بن خليفة بن حمد وزير بترول قطر ومحمود العلوي وزير مالية البحرين ، واحمد عز الدين هلال وزير البترول المصري .

شكر الرئيس السادات وزراء البترول العرب على قرارهم التاريخي بفرض الحظر على تصدير البترول وقدرة العرب لاول مرة على استخدام هذا السلاح بالقوة التي ظهر بها ، وطلب الرئيس ان يستخدم العرب سلاحهم بذكاء ومرونة ، ورحب بان يتم مؤتمرهم في القاهرة في الوقت الذي تلقت فيه القاهرة برقيت جديدة من ليبيا ترحب باستقبال المؤتمر في طرابلس يوم ١٢ مارس بدلا من يوم ١٠ .

وفي يوم الثلاثاء ١٢ مارس بدأت الطائرات الخاصة والطائرات العالمية تهبط في مطار طرابلس ، تحمل وزراء البترول العرب ، وعشرات من الصحفيين والسياسيين الذين تجمعوا في العاصمة الليبية لمعرفة القرار الذي سيصدر من العرب ، والذي تنتظره عواصم اوروبا الغربية وهولندا بالذات والولايات المتحدة ، بينما تكدس المئات من النزلاء في فندق الودان اكبر فنادق طرابلس ، بصورة ضاقت بها العاصمة الليبية ، بالاضافة الى اتخاذ هذا الفندق مقرا لهذا الاجتماع ومقرا لاقامة الوفود ، في الوقت الذي كانت ليبيا

تستقبل فيه السيد جمال بيديتش رئيس وزراء يوجوسلافيا ووفدا كبيرا مرافقا له في زيارة رسمية لها ومحمد علي بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل .

وصل وزراء البترول العرب الى طرابلس لبدء اجتماعهم في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء ١٢ مارس الا ان الوزير جابر الكفري وزير البترول السوري تأخر وصوله عن هذا الموعد ، وتعذر هبوط طائرة احمد زكي اليماني وزير البترول السعودي بينما انشغل الوزراء في اجتماعات جانبية قام بها المهندس احمد عز الدين هلال الوزير المصري الذي طار الى طرابلس بتعليمات محددة من الرئيس السادات بان المؤتمر لا بد وان يتخذ قراراته بالاجماع بحيث لا يكون المؤتمر سببا في تفرقة الصف العربي ، وبعد ان تم الاتفاق على كل خطوات التحرك في مؤتمر الجزائر ، وفي لقاء لاهور .

ودخل مبعوث سوري خاص الى فندق الودان وابلغ المهندس عبد السلام بلعيد وزير البترول الجزائري الذي يرأس اجتماعات هذا المؤتمر ان جابر الكفري وزير البترول السوري سوف يصل الى ليبيا على طائرة خاصة في اي لحظة بينما اكد وزير البترول الليبي في كل المحادثات الجانبية ان ليبيا سوف لا توافق على اصدار قرار من ارضها ومن طرابلس العاصمة برفع الحظر عن البترول ، وانها ستهاجم الدول العربية التي يتسرب بترولها الى امريكا وانها ستعارض كل قرار يصدر بعكس ذلك . ورد عبد الرحمن العتيقي وزير البترول الكويتي مؤكدا ان جميع الدول العربية المجتمعة في طرابلس لا تسمح بتسرب البترول الى امريكا وهولندا . وتخوف من تحول المؤتمر الى مهاترات عربية وتبادل اتهامات لا يستطيع احد ان يؤكدها او ينفيها . وكان عبد الرحمن العتيقي يشير من جانب خفي الى صفقة بترول عقدتها ليبيا مع امريكا باعتها الى البرازيل التي قامت بدورها بارسالها الى امريكا ، مع تدفق ٥٠,٩٠٠ برميل بترول ليبي يوميا الى الولايات المتحدة .

وفي الوقت الذي ارتفعت فيه حرارة المناقشة في فندق الودان قبل انعقاد المؤتمر ، كانت هناك عاصفة هوجاء تجتاح طرابلس فجأة تقطع جميع الاتصالات التليفونية السلكية واللاسلكية وتغلق المطار وتمنع وصول البرقيات الصحفية او خروجها وتعزل طرابلس كليا عن العالم الخارجي بصورة لم تشهدها منذ نصف قرن ، وتعذر خروج او دخول احد الى الفندق بسبب العاصفة التي كانت تستطيع حمل اي انسان كورقة صغيرة تتقاذفها الرياح .

وعندما انعقد المؤتمر في الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ١٣ مارس كان من الواضح انه سوف لا يصل الى قرار . واستمرت المشاورات يوم ١٣ مارس بعد ان صمم وزير البترول السوري جابر الكفري على تأجيل اتخاذ قرار لمدة اسبوعين ، وكانت سوريا قد تلقت من هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي مشروع اتفاق للفصل بين القوات بعد مشاورات اجراها مع موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في العاصمة الامريكية رفضته سوريا ، واقتضى منها ضرورة تأجيل صدور قرار رفع الحظر المطلوب .

ومن طرابلس سعى احمد عز الدين هلال للاتصال بالسيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية في القاهرة.وفي الساعة الثانية فجر يوم ١٣ مارس استطاع ان يحصل على

الكاملة من منزل مجاور للفندق لم ينقطع عنه الاتصال ، وابلغ وزير الخارجية المصري ان الاتجاه هو اعلان استمرار اعمال المؤتمر الذي قرر ان ينقل جلساته من طرابلس الى فينا حيث ينعقد بعد ذلك مؤتمر لدول الاوبك(1).

انتقل اجتماع الدول العربية المنتجة للبترول والذي يشترك فيه المهندس عز الدين هلال وزير البترول المصري الى فيينا ، ووصلت طائرة خاصة من القاهرة يوم ١٧ مارس تحمل الدكتور اشرف مروان مدير مكتب الرئيس لشؤون المعلومات ومعه تعليمات محددة من الرئيس السادات تتضمن مشروعي قرارين .

مشروع القرار الاول ينص على الاتي :

١ ــ يقرر وزراء البترول العرب المجتمعون في فينا رفع الحظر عن تصدير البترول الى الولايات المتحدة بدون شروط .

٢ ــ يظل المؤتمر منعقدا لمواجهة التطورات التي ستحدث في الموقف الدولي .

اما المشروع الثاني فكان ينص على الآتي :

١ ــ يوافق مؤتمر وزراء البترول العرب المنعقد في فينا على رفع الحظر المفروض على تصدير البترول الى الولايات المتحدة .

٢ ــ يترك المؤتمر الامر للدول العربية التي توافق على ذلك لاتخاذ الاسلوب الذي تراه متمشيا مع المصلحة العربية حسب تقديرها استنادا الى قناعتها الذاتية بالنسبة للموقف الامريكي .

وفي فندق امبيريال بفيينا وافق وزراء البترول العرب يوم ١٨ مارس بعد اجتماعات استمرت يومين على قرار ينص على الآتي :

اولا ــ معاملة ايطاليا وجمهورية المانيا الاتحادية معاملة البلدان الصديقة وتأمين احتياجاتهما من البترول .

ثانيا ــ رفع حظر تصدير النفط عن الولايات المتحدة ، على ان يعاد النظر في هذا القرار شأنه شأن القرارات الاخرى في اجتماع يعقد في القاهرة في اول يوليو (تموز) ١٩٧٤.

وقد ظل الحظر مفروضا بالنسبة لهولندا بينما تحفظت سوريا وليبيا على القرار ، وسجلت الجزائر موافقتها عليه ، بشرط ان يظل رفع الحظر وقتيا ...

(1) تجدر الاشارة هنا الى ان فؤاد مطر مراسل صحيفة "النهار" اللبنانية كان الصحفي الوحيد الذي امكنه الاتصال بصحيفته في بيروت وابلاغها بالقرار الذي اتخذ المؤتمر وعرف العالم بذلك من خلال ما نشرته الصحيفة. وقيل ان المراسل اللبناني الذي تربطه صداقة بالمسؤولين الليبيين امكنه عن طريق بعض هؤلاء تأمين اتصال هاتفي بصحيفته في بيروت.

٦ ـ سكتت المدافع في الجولان

ركز الرئيس انور السادات جهوده بعد ان تم الفصل بين القوات على جبهة سيناء على ضرورة تحقيق فصل مماثل على جبهة الجولان . وعرض على الرئيس الاسد المشروع الذي يعتقد انه من الممكن ان يتم عليه الاتفاق بينما اتجه الرئيس السادات الى ضرورة تنويع مصادر السلاح ، بل وانتاجه بعد ان تبادل عدة رسائل مع الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف . وكانت رحلته الاولى الى بريوني والتي طلب ان تكون في هذه الجزيرة الجميلة التي تجري الغزلان في حدائقها وغاباتها . وطار الرئيس السادات للقاء تيتو يوم الخميس ١٨ مارس (اذار) ١٩٧٤ ، يرافقه اسماعيل فهمي والفريق محمد عبد الغني الجمسي . وبعد مشاورات استمرت يومين وقبل ان يطير الرئيس عائدا الى القاهرة ، كان الاتفاق قد تم بين الرئيسين على ان الوقت قد حان لكي تبدأ الدول الصغيرة في انتاج سلاحها ، وان طول المرحلة لا يمنع ابدا من بدء المحاولات لتحقيق هذا الهدف الآن . وعندما سألت الرئيس السادات في مقر اقامته عن هذا الموضوع ، قال مبتسما « وهل تعتقد ان الجمسي جاء معي الى بريوني للنزهة ؟ » . وبعد شهور كان المشير احمد اسماعيل يوقع بروتوكولات التعاون في انتاج السلاح بين يوغوسلافيا ومصر .

غادر كيسنجر واشنطن يوم ٢٤ مارس الى موسكو ليبحث مع اندريه جروميكو لقاء القمة المتوقع بين الرئيس ريتشارد نيكسون والزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف الذي استقبل كيسنجر يوم ٢٥ مارس ، وخصص القادة السوفيت يوم ٢٦ مارس لبحث مشاركة الاتحاد السوفيتي في الجهود المبذولة من اجل تحريك عملية الفصل بين القوات على الجبهة السورية . ووعد الزعيم السوفيتي بذلك ، وقرر ايفاد اندريه جروميكو لواشنطن ليس فقط لبحث هذا الموضوع بل لترتيب اللقاء المتوقع بين نيكسون وبريجنيف. وكانت تقديرات الرئيس السادات تتفق مع تقييم الاتحاد السوفيتي للموقف ، فقد اسفرت الاتصالات التي تمت بين القاهرة وموسكو عن ضرورة استمرار الضغط على الولايات المتحدة لتحقيق الفصل بين القوات على الجبهة السورية ، وكان رأي العاصمتين انه من الضروري بذل كل جهد ممكن حتى لا يسفر الموقف الداخلي في امريكا عن اسقاط حكومة نيكسون التي بدأت فضيحة ووترجيت تحاصره وتدخل البيت الابيض وتتناول الرئيس الامريكي شخصيا . وكان حرص السوفيت على الوفاق الدولي الذي ارسى قواعده نيكسون وكيسنجر وحرص القاهرة على استمرار ممارسة الرئيس الامريكي لجهوده من اجل تحقيق الحل السلمي ، يلتقيان عند ضرورة التعاون لتحقيق الهدفين .

بالرغم من خطورة الوضع الداخلي في واشنطن فان الدكتور كيسنجر استطاع ان يجد من وقته ما يسمح له بالسفر الى المكسيك يوم ٥ ابريل ليقضي اسبوعا مع زوجته (سكرتيرته السابقة) نانسي ماكنزي ويعود الى واشنطن يوم ١٠ ابريل ليجتمع باللواء

حكمت الشهابي رئيس المخابرات العسكرية السورية الذي جاء الى العاصمة الامريكية ومعه بعض مبادىء تتعلق بالفصل بين القوات بينما طار الرئيس حافظ الاسد يوم الخميس ١١ ابريل الى موسكو ووقع يوم ١٤ ابريل على اكبر صفقة سلاح تحصل عليها سوريا قيمتها ١٨٠٠ مليون دولار . وفي اسرائيل كانت حكومة جولدا مائير تستقيل في العاشر من شهر ابريل بعد استقالة موشي ديان وزير الدفاع يوم ٥ ابريل .

وفي القاهرة طلب الرئيس السادات الى اسماعيل فهمي وزير خارجيته واحمد عز الدين هلال وزير البترول السفر الى نيويورك لحضور اجتماعات الدورة الاستثنائية الخاصة التي دعا اليها الرئيس الجزائري هواري بومدين لبحث مشكلة الطاقة والمواد الاولية ، وغادر الوفد المصري القاهرة يوم الاحد ٧ ابريل الى باريس ثم الى نيويورك ، التي غادرها فهمي الى واشنطن لمقابلة الدكتور هنري كيسنجر يوم ١١ ابريل في الوقت الذي كان فيه الوزير الامريكي قد اجتمع باللواء حكمت الشهابي وتسلم منه المقترحات السورية التي سيسلمها بدوره الى سيمحا دينتز السفير الاسرائيلي في واشنطن .

كان تقدير الحكومة الامريكية ان استقالة جولدا مائير وسقوط حكومتها وتشكيل حكومة جديدة يقتضي تأجيل موضوع الفصل بين القوات اسبوعين ، وان كان ذلك لا يمنع هنري كيسنجر من السفر الى الشرق الاوسط في اواخر ابريل ليمارس اتصالاته من جديد .

عاد اسماعيل فهمي من واشنطن الى نيويورك يوم السبت ١٣ ابريل بعد لقاء مع اللواء حكمت الشهابي ثم مع الدكتور هنري كيسنجر بعد ترتيب لقاء بين الوزير المصري وريتشارد نيكسون . واجتمع فهمي في نيويورك يوم الاحد ١٤ ابريل مع اندريه جروميكو . وكان وزير الخارجية السوفيتي قد طار الى واشنطن يوم الجمعة ١٢ ابريل واجتمع بالرئيس نيكسون في البيت الابيض بناء على اتفاق سابق بين كيسنجر والزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف في موسكو .

عقد الرئيس ريتشارد نيكسون اجتماعا بالسيد اسماعيل فهمي في البيت الابيض يوم الخميس ١٨ ابريل بعد ان غادر الوزير المصري نيويورك للاجتماع به بينما انهى هنري كيسنجر بسرعة اجتماعاته التي كان يعقدها في ذلك الوقت مع وزراء خارجية دول امريكا الجنوبية في المكسيك لينضم لهذا اللقاء .

سأل اسماعيل فهمي الرئيس ريتشارد نيكسون عن وضعه بعد ان ضيقت اجهزة الاعلام ورجال الكونجرس الرأي العام الامريكي عليه الخناق بسبب فضيحة ووترجيت . وقال نيكسون:« سوف اقاوم لآخر لحظة .. انني اعرف خطورة الوضع ولكنني لن اتنازل امام مجموعة من العناصر الضاغطة التي تريد ابعادي عن منصب الرئاسة .. سأقاوم لاخر لحظة » .

وبدأ حديث طويل عن الالتزام الامريكي بالاستمرار في الحل السلمي ، وضرورة الفصل بين القوات على الجبهة السورية وحمل اسرائيل على تحقيق انسحاب في الجولان . واستمر الحديث عن رحلة نيكسون لمصر وهل يستطيع ان يقوم بها بالرغم من ازمة

ووترجيت . واكد الرئيس الامريكي انه يتوقع نجاح كيسنجر في زيارته المقبلة ، وان وزير خارجيته سوف يلتقي بجروميكو في جنيف ، بناء على اتفاق بين نيكسون والوزير السوفيتي ، وسيظل جروميكو في المنطقة متنقلا بين قبرص وجنيف الى ان يتحقق الفصل بين القوات.وقال انه في وضع يسمح له بان يزور دولا صديقة ترتبط بامريكا بعلاقات دبلوماسية وروابط قوية وانه سيسعى الى تحقيق المزيد من تحسين العلاقات ودعمها بصورة كان يجب ان تكون عليها منذ اكثر من عشرين سنة .

وفي خلال ساعة كاملة بحث اسماعيل فهمي ، بناء على تكليف من الرئيس السادات ، برنامج زيارة الرئيس نيكسون لمصر ، والتوصل الى اتفاق للتعاون النووي بين البلدين واصدار بيان يتضمن « اتفاق مبادىء » يحدد علاقات امريكا بالمشكلة والتزامها بتحقيق حل سلمي بمقتضى قرارات الامم المتحدة.ووعد الرئيس نيكسون باطلاع رجال حكومته على المبادىء التي سيتم اعلانها في القاهرة ، واقترح ان تتم زيارته لمصر في اواخر مايو بعد ان ينجح كيسنجر في مهمته الصعبة المقبلة .

طار اسماعيل فهمي عائدا الى القاهرة.وبعد ان قدم تقريره الى الرئيس السادات يوم ٢٠ ابريل ، اوفد الرئيس المشير احمد اسماعيل علي يوم ٢٣ ابريل الى دمشق لابلاغ الرئيس حافظ الاسد بنتائج زيارة فهمي لواشنطن . ورحب الرئيس الاسد بزيارة الرئيس نيكسون لسوريا ، واستئناف العلاقات الدبلوماسية مع امريكا بعد التوصل الى فك الاشتباك على الجولان ، بعد ان اكد الرئيس في رسالته بان مصر ملتزمة مع سوريا بالاستمرار في المعركة الى ان يتم تحقيق الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كل الاراضي العربية واستعادة حقوق شعب فلسطين .

ويوم الثلاثاء ٢٣ ابريل تلقى الرئيس السادات رسالة عاجلة من الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف يرحب فيها بعقد لقاء قمة مع الرئيس المصري بعد اعداد دقيق له وانه قرر ايفاد اندريه جروميكو ليشارك في تحقيق تقدم في مرحلة الفصل بين القوات على الجبهة السورية وللاعداد لمؤتمر القمة المزمع عقده قبل خريف عام ١٩٧٤ . كما ابلغ الرئيس ان السفير السوفياتي الجديد فلاديمير بولياكوف الذي خدم في مصر سوف يصل يوم ٢٥ ابريل الى القاهرة .

في ذلك الوقت قرر الرئيس السادات ان يتولى مسؤولية رئاسة الوزراء وصدر التشكيل الجديد للوزارة يوم ٢٤ ابريل ، وبعث الرئيس برده على رسالة الزعيم السوفيتي يوم ٢٧ ابريل بينما كان الدكتور هنري كيسنجر يجتمع باندريه جروميكو في جنيف يوم ٢٨ ابريل قبل ان ينطلق الوزيران الى القاهرة ودمشق للاعداد للمهمة الصعبة التي تتعلق بسوريا . وصدر بيان مشترك في جنيف يوم ٢٩ ابريل يؤكد ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سوف يعملان معا لحل ازمة الشرق الاوسط وانهما يؤيدان التعجيل باستئناف مؤتمر جنيف .

في الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٧٤ وصل الدكتور هنري كيسنجر على طائرته الخاصة الى مطار جنا كليس الحربي ترافقه زوجته

الجديدة نانسي حيث استقبله السيد اسماعيل فهمي وقرينته واستقلوا طائرة هيليكوبتر هبطت بهم في استراحة الرئيس بالمعمورة . وعقد الرئيس وكيسنجر اجتماعا طويلا ، ابلغه كيسنجر خلاله بنتائج زيارته للجزائر ، واجتماعه بالرئيس هواري بومدين الذي التقى به .

اكد كيسنجر في خلال هذه الجلسة المبادىء التالية :

١ ـ ان كيسنجر يتوقع بعد مباحثاته في جنيف مع اندريه جروميكو ان يكون الجانب السوفيتي مشاركا مؤيدا لامريكا للوصول الى اتفاق للفصل بين القوات على الجولان .

٢ ـ ان امريكا تتوقع ان تكون اسرائيل مطالبة باتخاذ الخطوة المقبلة من جانبها لان الاتفاق المزمع الوصول اليه يقتضي انسحابا اسرائيليا من الجولان .

٣ ـ ان الرئيس بومدين سيمارس جهوده مع سوريا للوصول الى الاتفاق المطلوب . واوضح الرئيس السادات ان مصر قد قامت بكل ما تستطيع ان تقوم به من اجل نجاح مهمته بصورة تؤيد فيها سوريا وتساعد على تحقيق الاتفاق الذي يجب ان ينتهي منه كيسنجر هذه المرة ، وان الوصول الى هذا الاتفاق سيساعد على استئناف اعمال مؤتمر جنيف .

بعد ان القى الرئيس السادات خطابه يوم الاربعاء اول مايو بمناسبة عيد العمال عاد الى استراحة المعمورة واستقبل هنري كيسنجر مرة اخرى ، وبحث معه مساهمة امريكا في تعمير مدن القناة وتطهير القناة الى جانب استمرار مهمته بالنسبة لسوريا . ولاول مرة يشير الرئيس في حديثه الى صحافة العالم ان مصر لم تطلب مساعدات عسكرية من امريكا وان كانت قد قررت تنويع مصادر السلاح . وكان الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف لم يتخذ بعد قراره باستئناف تصدير الاسلحة لمصر بالرغم من توقيعه الاتفاق مع الرئيس الاسد باسلحة تصل قيمتها الى ١٨٠٠ مليون دولار .

طار هنري كيسنجر يوم اول مايو الى دمشق وظل يتنقل بين العاصمة السورية واسرائيل عدة مرات لمدة اسبوع ، الى ان قرر ضرورة عقد اجتماع ثان تم في نيقوسيا عاصمة قبرص يوم ٧ مايو مع اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي الذي كان قد زار دمشق قبل وصول كيسنجر وبحث موضوع اتفاقية الفصل بين القوات مع الرئيس السوري حافظ الاسد . واوفد الرئيس السادات الدكتور اشرف مروان الى قبرص لمقابلة كيسنجر وعاد الى الاسكندرية ليبلغ الرئيس بالصعوبات التي تواجه تحقيق الفصل بين القوات .

ترك كيسنجر دمشق واسرائيل ، وطار الى الرياض يوم الخميس ٩ مايو يطلب تأييد الملك فيصل في مهمته وغادرها الى القاهرة ليستقبله الرئيس السادات في معهد التنمية الادارية بالمعادي في العاشرة والربع من مساء يوم الخميس وليستكمل محادثاته معه في منزل الرئيس بالجيزة المطل على النيل صباح يوم الجمعة ١٠ مايو ويطير كيسنجر بعدها عند الظهر الى دمشق ليستكمل المهمة التي جاء من اجلها ؛ بينما اوفد هنري كيسنجر من

اسرائيل مساعده جوزيف سيسكو وهارولد سوندرز من كبار موظفي مجلس الامن القومي الامريكي الى القنيطرة لمشاهدة « المستعمرات الاسرائيلية » التي اقامتها اسرائيل في الجولان ، والتي رفضت انسحابها منها .

اوفد الرئيس السادات يوم الاثنين ١٣ مايو الفريق محمد عبد الغني الجمسي الى دمشق يحمل رسالة الى الرئيس الاسد ، بينما ظل كيسنجر متنقلا بين سوريا واسرائيل الى ان توصل يوم ٣٠ مايو الى اتفاق للفصل بين القوات بعد لقاء تم بين كيسنجر وجروميكو يوم ٢٨ مايو في دمشق ، وجاء كيسنجر الى القاهرة ليلتقي به الرئيس يوم الخميس ٣٠ مايو في منزله بالجيزة .

تم الاتفاق في دمشق على ان يتولى الوفد العسكري المصري في مباحثات جنيف توقيع الاتفاق على الفصل بين القوات على جبهة الجولان . واوفد الرئيس السادات اللواء طه المجذوب الى جنيف ليرأس الوفد العسكري الذي التقى في مبنى الامم المتحدة يوم الجمعة ٣١ مايو وكان يشترك في الوفد المصري العميد عدنان وجيه طياره (السوري) بينما رأس الوفد الاسرائيلي الجنرال هيرزل شافير ، ورأس الوفد الامريكي السفير الزورث بانكر ممثلها في مؤتمر جنيف والسفير فلاديمير فينوجرادوف ممثل الاتحاد السوفيتي والجنرال انزيو سيلاسفو ممثل الامم المتحدة. وفي الوقت الذي تم فيه التوقيع على اتفاقية الفصل بين القوات في الساعة الواحدة و٤٥ دقيقة بعد ظهر الجمعة ٣١ مايو في جنيف توقف القتال في الجولان ، بينما اعلن الرئيس السادات في مؤتمر صحفي عقده في منزله بالجيزة في وجود الدكتور هنري كيسنجر « لقد بحثت مع هنري كيسنجر كل ما يتعلق بقضية الشرق الاوسط » .

ومضى الرئيس يقول : « ان مصر لترحب بالتوصل الى اتفاق حول فك الارتباط على الجبهة السورية كخطوة اخرى نحو سلام دائم قائم على العدل وفقا لقرارات مجلس الامن .

« ان الاتفاق ـ وان كان مجرد خطوة عسكرية تدعم وقف اطلاق النار ، الا انه خطوة هامة في سبيل دفع الموقف نحو تحقيق الهدف العربي القومي بانسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي العربية المحتلة وتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، كما انه يضع جميع الاطراف امام مسؤولياتها ويفتح المجال امام تنشيط مؤتمر جنيف . ونحن نشيد بصفة خاصة بحكمة وبعد نظر الرئيس حافظ الاسد وبالدور الايجابي الفعال للولايات المتحدة التي اثبتت انها قادرة ومؤهلة ، لان تتحمل مسؤولياتها كدولة عظمى ، ونثق في انها ستكون خطوة اخرى في سبيل زيادة التفاهم وترسيخ الصداقة بينها وبين الشعب المصري والشعوب العربية .. ان الجهود الجبارة المضنية التي قام بها الدكتور هنري كيسنجر وزملاؤه لتفتح صفحة جديدة في مجال الانجاز الانساني الخلاق ، الذي ما كان يمكن ان يتحقق الا اذا كانت وراءه رؤية انسانية عميقة والتزام حقيقي بقضية السلام » .

وعندما كان الرئيس السادات يقول لنا « ان هنري كيسنجر استطاع ان يحقق

معجزة وانني شخصيا لفخور به » كانت دمعة تلمع خلف زجاج نظارته السميك (اي كيسنجر) وهو يقول « اشكركم يا سيادة الرئيس على هذه الكلمات الرقيقة ، ومنذ ستة اشهر اسعدني وشرفني ان التقي بكم واصل الى مستوى صداقتكم وقد اعتمدت دائما على نصيحتكم وحكمتكم . ان الولايات المتحدة ملتزمة وعازمة على تحقيق سلام عادل في المنطقة » .

وفي نفس اليوم كانت سوريا تعلن عن قرارها باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع امريكا ، بينما كان هنري كيسنجر يغادر القاهرة في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الخميس ٣٠ مايو عائدا الى واشنطن ليبلغ الرئيس نيكسون بما حققه في الوقت الذي كان الكونجرس الامريكي يطالب الرئيس الامريكي بالاستقالة .

وفي يوم ٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ وبالرغم من هذه الازمة التي واجهت الرئيس الامريكي فان البيت الابيض قد اعلن في واشنطن ان الرئيس نيكسون سوف يغادر واشنطن صباح يوم الاثنين ١٠ يونيو بدعوة من الحكومة النمساوية الى سالزبورج يومي ١٠و١١ ثم يصل الى مصر يوم ١٢ يونيو ويزور السعودية في الفترة ما بين ١٤ و١٥ يونيو ثم سوريا يومي ١٥ و١٦ يونيو ، واسرائيل يومي ١٦و١٧ والاردن يومي ١٧و١٨ يونيو .

جاء نيكسون ترافقه قرينته الى القاهرة يوم ١٢ يونيو ، في وقت تطورت فيه العلاقات المصرية ـ الامريكية ، والعلاقات الامريكية العربية بصورة فاقت توقعات الولايات المتحدة وحملتها على ممارسة المزيد من العمل كما قال نيكسون لتحقيق قيام سلام دائم وعادل . وعندما حطت طائرته في مطار القاهرة ، وكانت تحمل شعارا يقول « روح عام ١٩٧٦ » كان من الواضح ان الرئيس نيكسون يتطلع الى ان يبقى في منصبه حتى عام ١٩٧٦ موعد نهاية مدة رئاسته ويحتفل بذكرى مرور مائة عام على اعلان الاستقلال (١٨٧٦) . وبين القاهرة والاسكندرية وتحت سفح الهرم ، وفي قصر عابدين كانت كلمات الرئيس انور السادات وريتشارد نيكسون تؤكد التزام امريكا بالحل الكامل للمشكلة . وبينما اشار الرئيس السادات في كل كلماته الى حقوق شعب فلسطين فان اعلان المبادىء الذي وقعه الرئيسان في قصر عابدين يوم ١٤ يونيو قد اشار الى ان السلام والتقدم في الشرق الاوسط هما امران اساسيان ، لتأكيد السلام العالمي ، كما ان السلام الدائم والعادل في الشرق الاوسط يرتكز اساسا على التنفيذ الكلي لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ كما يأخذ في الاعتبار المصالح المشروعة لشعب فلسطين وحق الوجود لجميع دول المنطقة ، وان التوصل الى السلام لا يمكن ان يتحقق الا بعملية من المفاوضات المتواصلة كما دعا الى ذلك قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٣ ضمن اطار مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط .

ومع خطورة جميع المبادىء التي تضمنها البيان الا ان فقرة هامة منه بالذات قد سجلت « انه في مجال التعاون بين الدولتين ، فانهما ستشتركان في التفاوض حول اتفاق للتعاون في المجال النووي ، وفق ضمانات متفق عليها ، وعند الوصول الى هذا الاتفاق ستكون الولايات المتحدة مستعدة لبيع مفاعلات ذرية ووقود نووي لمصر الامر الذي سيمكن مصر في مطلع الثمانينات من توليد كميات جوهرية اضافية من الطاقة

الكهربائية ، لتلبية حاجاتها الانمائية المتزايدة بسرعة ، والى ان يتم هذا الاتفاق ستعقد لجنة الطاقة الذرية الامريكية ووزارة الكهرباء المصرية هذا الشهر اتفاقا مؤقتا لبيع وقود نووي لمصر » .

وفي يوم السبت ٢٢ يونيو كان المهندس احمد سلطان وزير الكهرباء يغادر القاهرة الى واشنطن لتوقيع اتفاقيات التعاون النووي مع امريكا والذي يعطي لمصر الحق في اولوية حصولها على الوقود النووي في عام ١٩٨٠ .

٧ ـ معركة الميراج

بعد انتهاء حرب اكتوبر ، بل واثناء المعارك ، كانت حكومة الرئيس الراحل ، جورج بومبيدو على علم بأن طائرات الميراج التي باعتها لليبيا قد انضمت الى السلاح الجوي المصري . وكانت تشير من طرف خفي الى ان هذه الطائرات لم تشترك في المعارك ، ولكنها كانت لتدريب الطيارين المصريين عليها . استعدادا لاحتمال عقد صفقة ميراج بين مصر وفرنسا مباشرة . وقبيل انتهاء عام ١٩٧٣ كانت الاتصالات قد تمت بين الرئيس السادات والرئيس بومبيدو لايجاد الصيغة المناسبة لبدء تعاون مصري فرنسي حقيقي ، ليس في مجال شراء الطائرات والاسلحة فحسب بل لتحقيق تعاون سياسي واقتصادي ونووي يعادل الحجم المطلوب والمتوقع للعلاقات بين البلدين اللذين يرتبطان معها باقوى الروابط . وكان المطلوب في ذلك الوقت ، اي اواخر عام ١٩٧٣ واوائل عام ١٩٧٤ ايجاد الصيغة و اللحظة المناسبة لاعلان رفع حظر تصدير الميراج الى الدول المتحاربة في منطقة الشرق الاوسط ، والذي فرضه ديجول في اول يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨، ليوقف تصدير الاسلحة والطائرات لاسرائيل عقابا على قيامها بالعدوان على مصر عام ١٩٦٧ .

كان من الطبيعي ان تسعى مصر وفرنسا الى رفع هذا الحظر لان اسرائيل قد تحولت بصفة كلية وكاملة الى ترسانة السلاح الامريكي ، ولم يعد قرار فرض حظر تصدير الطائرات الفرنسية الى الدول المتحاربة يمثل اهمية بالنسبة لاسرائيل بقدر ما اصبح يمثل قيدا على الدول العربية وبالذات على مصر التي تريد ان تتعاون في مجالات التسليح والطيران مع فرنسا .

وقبل نهاية عام ١٩٧٣ كانت الاتصالات قد تمت مع الرئيس بومبيدو ، بينما بدأت مظاهر تدهور صحته بسبب اصابته بمرض السرطان بصورة دفعت الى ترك هذا الموضوع جانبا الى حين تحسن صحته ، او بعد اختيار الرئيس الفرنسي الجديد الذي سيخلفه .

وعندما زار اسماعيل فهمي وزير الخارجية باريس في زياراته المتعددة عام ١٩٧٤ كان موضوع رفع الحظر عن تصدير الاسلحة الفرنسية واردا . وبوفاة الرئيس بومبيدو في ٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٤ استأنفت مصر اتصالاتها بعد انتخاب الرئيس الجديد جيسكار ديستان يوم ٥ مايو من نفس العام بهدف اعلان رفع الحظر ، بصورة تسمح لفرنسا ببدء تعاون عسكري واسع مع مصر وبالذات في مجال الالكترونات ، والصواريخ وطائرات الميراج وزوارق الطوربيد . وكانت دفعات من المصريين تتدرب على هذه الاسلحة في فرنسا بجوازات سفر سعودية ودفعات اخرى تتدرب على الصواريخ في الاراضي الليبية .

وفي اليوم الذي استقبل فيه الرئيس الفرنسي (الجديد) جيسكار ديستان السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية في قصر الاليزيه يوم الثلاثاء ٦ اغسطس (آب) ١٩٧٤

كان الرئيس السادات يعلن في القاهرة ان الرئيس معمر القذافي قد طلب سحب طائرات الميراج الليبية الفرنسية الصنع التي شاركت في حرب ٦ اكتوبر وان الرئيس السادات لا زال يعتبر هذه الطائرات مكلفة بمهمة قتالية وان المعركة لم تنته بعد . واذاعت القاهرة نص خطاب الرئيس السادات الى القذافي .

انهالت الاسئلة على السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية وهو يغادر قصر الاليزيه يوم ٦ اغسطس معلنا انه حمل رسالة من الرئيس السادات الى الرئيس ديستان وقال الصحفيون ان هذه الرسالة قد تضمنت الاشارة الى موضوع الميراج . ولكن اسماعيل فهمي اكد انها تتعلق بدعوة الرئيس السادات للرئيس جيسكار ديستان لزيارة القاهرة . واضاف : « ان الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان قد طلب مني ان ابلغ الرئيس السادات دعوته لزيارة فرنسا اما موضوع الميراج فان الرئيس المصري لم يذكر ان هذه الطائرات قد اشتركت في معركة ٦ اكتوبر بل كانت موجودة في مصر فقط » .

رحبت الدوائر الفرنسية الرسمية والصناعية باذاعة نبأ وجود طائرات ميراج في مصر وابلغ المسيو جان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا السيد اسماعيل فهمي يوم ٨ اغسطس ١٩٧٤ أن الحكومة الفرنسية سوف تصدر بيانا تعلن فيه انها قد قررت رفع الحظر المفروض على تصدير الاسلحة والطائرات وقطع الغيار ، مع العلم بان فرنسا ستنظر الى كل طلب تتقدم به كل دولة من الدول ، وتقرر رأيها في الموافقة عليه او رفضه .

كان من الواضح ان الحكومة الفرنسية كانت تنتظر اتمام الفصل بين القوات على الجبهة المصرية ، ثم على الجبهة السورية ، حتى تستطيع ان تدخل سوق السلاح وتبيع طائراتها وصواريخها وراداراتها الى الدول العربية لتحقيق فوائد مادية بل لدعم القدرة الدفاعية على ان يتم ذلك بعد عملية تأمين وقف اطلاق النار ، وبحيث لا تكون هذه الصفقات التي ستحصل عليها الدول العربية ومصر بالذات مبررا لتزويد امريكا لاسرائيل بالمزيد من السلاح ، وليحقق هذا التعاون مع الدول العربية توازنا معتدلا بينها وبين اسرائيل .

وبعد اسبوعين اصدرت الحكومة الفرنسية قرارها الشهير برفع الحظر عن تصدير الاسلحة ، بينما تحدد موعد لزيارة الرئيس السادات لباريس في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ .

ولاول مرة وفي الساعة الخامسة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين ٢٧ يناير ١٩٧٥ دخل الرئيس انور السادات الى قصر الاليزية قصر الرئاسة الفرنسي ليجد فاليري جيسكار ديستان الرئيس الفرنسي الشاب في استقباله في نفس القاعة التي اعلن منها الرئيس السابق شارل ديجول ليلة رأس السنة عام ١٩٦٧ انه قرر فرض حظر على تصدير الاسلحة للشرق الاوسط . وعندما بدأت المفاوضات بعد ٥ سنوات من القرار الفرنسي كان الرئيس المصري لا يبحث مع الرئيس الفرنسي العلاقات السياسية والاقتصادية فقط ، بل كان يبحث معه ما يسميه الرئيس السادات بالاستعواض العسكري ، عن خسائر حرب ٦ اكتوبر وواقق الرئيس الفرنسي على النص في البيان الرسمي المشترك الذي سيصدر عقب

انتهاء الزيارة بان الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان وبناء على طلب من الرئيس انور السادات وافق على تزويد مصر ببعض المعدات الحربية وبهدف تعويضها عن الخسائر التي لحقت بها » .

وفي قصر المارينية في باريس قصر روتشيلد الذي اشترته الحكومة الفرنسية من المليونير الفرنسي ، حيث كان ينزل الرئيس السادات) وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ كان الرئيس السادات يبلغ السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية انه تحدث مع الرئيس الفرنسي في موضوع تعويض مصر عن بعض خسائرها العسكرية في حرب ٦ اكتوبر ، وان الرئيس الفرنسي قد وافق على ذلك بل وافق ايضا على ان ينص البيان المشترك على قبول فرنسا تعويض مصر عن خسائرها في الحرب .

ولم تكن زيارة الرئيس السادات لباريس قاصرة على تنفيذ ما قرره من ضرورة تنويع مصادر السلاح بل توصل ايضا الى اتفاق لبدء تعاون نووي مع فرنسا بعد ان تعثر تحقيق ذلك مع الولايات المتحدة .

دق جرس التليفون في جناح وزير الخارجية السيد اسماعيل فهمي بفندق كريون في باريس يوم الجمعة ٩ اغسطس وكان المتكلم من واشنطن الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية امريكا الذي ابلغ الوزير المصري ان الترتيب السابق الذي تم اعداده بدعوته الى واشنطن اثناء رئاسة الرئيس ريتشارد نيكسون لا زال قائما ، بعد ان اعلن الرئيس نيكسون يوم الخميس ٨ اغسطس (آب) ١٩٧٤ عن استقالته معترفا بانه كذب عندما اعلن انه لم يكن يعلم بفضيحة التجسس على الحزب الديمقراطي في مقره بفندق ووترجيت[1] ، وطلب اليه الحضور الى واشنطن كما كان مقررا من قبل لان الرئيس الجديد جيرالد فورد الذي التقى به اسماعيل فهمي على مائدة هنري كيسنجر في واشنطن ، سيتولى الرئاسة وسيحلف اليمين يوم الجمعة ٩ اغسطس .

قبل ان يغادر اسماعيل فهمي العاصمة الفرنسية الى واشنطن يوم السبت ١٠ اغسطس (آب) كان الرئيس الجديد جيرالد فورد قد بعث برسالة الى الرئيس السادات ، احيط بها اسماعيل فهمي علما في باريس تؤكد ان الرئيس الامريكي يؤكد التزامه والتزام بلاده بالمبادىء التالية :

١ ـ تلتزم حكومة الرئيس جيرالد فورد بمواصلة جهودها من اجل اقامة سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط ، وسيظل هنري كيسنجر الذي ساهم بهذا الجهد كوزير لخارجية نيكسون ، وزيرا لخارجية فورد . وسيستمر في تحمل هذه المسؤوليات .

٢ ـ يلتزم الرئيس فورد باتباع نفس السياسة التي سار عليها سلفه الرئيس ريتشارد نيكسون في العلاقات الدولية في كل انحاء العالم ، ومع الشرق الاوسط .

---

(١) فندق ووترجيت هو مجموعة مبان متلاصقة في قلب واشنطن وبالقرب من وزارة الخارجية، تضم فندقا ، ومقرا للحزب الديموقراطي الى جانب عدد من السفارات والمؤسسات والشركات .

٣ ــ التزام الرئيس الامريكي بالوفاء بجميع الالتزامات والاتفاقيات والتعهدات الامريكية السابقة في المنطقة سياسية واقتصادية وثقافية وغيرها .

٤ ــ تلتزم حكومته باستمرار تحسين علاقاتها مع الدول العربية .

بعد ان ادى الرئيس الجديد جيرالد فورد اليمين القانونية يوم الجمعة ٩ اغسطس ، دعا سفراء الدول العربية في واشنطن للاجتماع به وعندما دخل الى قاعة الاجتماع وجد ان السفراء ومن بينهم الدكتور اشرف غربال سفير مصر في واشنطن يتبادلون الفكاهات والضحكات مع الدكتور هنري كيسنجر وقال جيرالد فورد ضاحكا « يبدو يا هنري انك تتمتع بشعبية ضخمة ولكني احمد الله انني سوف لا اضطر الى التنافس معك على رئاسة الجمهورية لانك كنت ستكتسح المعركة الانتخابية وتفوز بالرئاسة » . (القانــون الامريكي لا يسمح للمهاجرين الى الولايات المتحدة من الجيل الاول بترشيح نفسه للرئاسة ويعطي الدستور الحق للجيل الثاني ، اي من ابناء الذين هاجروا الى امريكا وانجبوا الجيل الثاني فيها ، وهذا الجيل هو المسموح له بالترشيح).

وعندما وصل اسماعيل فهمي الى واشنطن يوم ١١ اغسطس وجد هنري كيسنجر في انتظاره لابلاغه بان الرئيس فورد قد دعاه لحضور الحفل الذي يقيمه الكونجرس الامريكي بمجلسه يوم ١٢ اغسطس ليلقي فيه الرئيس فورد بيانه بمناسبة توليه الرئاسة ، وان الرئيس الجديد سوف يجتمع به في الحادية عشرة من صباح يوم الاربعاء ١٤ اغسطس في البيت الابيض .

دخلت الى المكتب البيضاوي الذي يجلس فيه الان الرئيس الجديد جيرالد فورد وكان يبدو سعيدا لمنصبه الجديد وباستقباله للوزير المصري ومعه هنري كيسنجر الذي قال للرئيس فورد : « ارجو ان تقوم بتحية صديق من مصر يتولى تغطية كل زياراتي واتصالاتي ، ليس في القاهرة وحدها بل في كل العواصم التي زرتها .

وفي هذا اللقاء كرر الرئيس فورد ما اكده في رسائله الى الرئيس السادات وعدد من الزعماء العرب ، وما بعث به الى ليونيد بريجنيف الزعيم السوفيتي وكورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة وكرر الدعوة التي سبق ان وجهها الرئيس نيكسون للرئيس السادات لزيارة امريكا ردا على زيارة الرئيس نيكسون للقاهرة .

بدأت اجتماعات مصرية امريكية مشتركة في اطار اللجنة الاقتصادية والزراعية والتعاون النووي ، واجتمع اسماعيل فهمي باعضاء الكونجرس الامريكي ولكن المشكلة التي ظهرت خلال الاتصالات كانت تتعلق اساسا بالتعاون النووي بين البلدين ثم فقد اثارت اسرائيل ضجة حول هذا التعاون واعتبرت اقدام الحكومة الامريكية الجديدة على تنفيذ الالتزام الذي وقعه الرئيس نيكسون في القاهرة في البيان النهائي بهذا التعاون لا يلزم الرئيس الجديد بتنفيذه .

تولى الدكتور عبد المعبود الجبيلي رئيس لجنة الطاقة الذرية في ذلك الوقت ووزير البحث العلمي الآن اعداد اتفاقية للتعاون النووي قبل ان يطير من القاهرة الى واشنطن ليشترك ضمن الوفد الزراعي والصناعي والاقتصادي والنووي الذي رأسه اسماعيل

فهمي . وعندما بدأت اجتماعات اللجنة المصرية الامريكية يوم ١٥ اغسطس لبحث الاتفاقية المقترحة قال الدكتور الجبيلي للجانب الامريكي : « انني اعددت هذه الاتفاقية الخاصة بالتعاون النووي بهدف اقامة مفاعلات ذرية لازالة ملوحة مياه البحر واستخدام الطاقة في الصناعة واستصلاح الاراضي ، وفي هذه الاتفاقية طلبت ان تتولى لجنة الطاقة الذرية الدولية فيفييناحق الاشراف والتفتيش للتأكد من عدم استخدام المفاعلات الذرية في انتاج اسلحة نووية ولكن الشرط الوحيد لقبولي هذه الاتفاقية هو قبول اسرائيل لتعهد مماثل يعطي للجنة الطاقة الذرية الدولية في فيينا حق الاشراف والتفتيش » .

وطلب الدكتور الجبيلي ان تقوم اسرائيل بالتوقيع على الاتفاقية الدولية الخاصة بحظر انتشار الاسلحة النووية التي وقعت عليها مصر بالحروف الاولى ، كما طالب بان اي تعاون بين امريكا واسرائيل في المجال النووي يجب ان تحكمه نفس النصوص المقترحة في الاتفاقية بين مصر وامريكا .

وكان من اهم ما قاله الدكتور الجبيلي : « انني اطالب باتفاقية واضحة ومحددة ، ونصوص واحدة ، للتعاون النوي بين امريكا واسرائيل من ناحية وبين امريكا ومصر من ناحية اخرى لدرجة ان مدى تطابق النص المقترح للاتفاقية التي لا بد ان تلتزم بها البلدان ازاء امريكا ، يقتضي تكرارا وجود نفس الاخطاء المطبعية – ان وجدت – في النص المصري الامريكي ، بحيث تتكرر هذه الاخطاء في النص الاسرائيلي الامريكي ، واذا كانت هناك علامة استفهام او تعجب ، او حرف زائد ، فلا بد ان يكون ذلك في النصين » .

وامام لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الامريكي اعلن اسماعيل فهمي في نفس اليوم ان اسرائيل اذا حصلت على سلاح نووي فان مصر ستحصل عليه وان حصول مصر على مفاعلات ذرية سوف يؤدي الى استغلال الكثير من ثروتها ولذلك فانها مصممة على الحصول على مفاعلات نووية واذا لم تحصل عليها من الولايات المتحدة فسوف تحصل عليها من اي بلد اخر . فقد ركز الرئيس السادات بعد ذلك اثناء زيارته لباريس في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ في محادثاته مع الرئيس جيسكار ديستان على التعاون النووي بين البلدين .

استمرت اتصالات اسماعيل فهمي في واشنطن في الوقت الذي كان الملك حسين قد وصل الى العاصمة الامريكية ، يوم ١٤ اغسطس ودعاه الرئيس فورد وقرينته للعشاء . وكانت تلك اول مناسبة رسمية يظهر فيها الرئيس الامريكي مع ضيف اجنبي منذ توليه الرئاسة . وراقص الملك حسين قرينة الرئيس فورد بينما رقص الرئيس الامريكي مع ملكة الاردن .

بعد انتهاء زيارة اسماعيل فهمي ثم الملك حسين لواشنطن زار العاصمة الامريكية السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السورية ثم السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودية خلال شهر اغسطس وتم الاتفاق بين الرئيس الامريكي وممثليالدول العربيةعلى ان يعكف الرئيس الجديد على بحث المشكلة خلال اسابيع قليلة ليعود كيسنجر الى المنطقة ويستمر في تنفيذ الالتزام الامريكي بحل المشكلة .

٨ - بريجنيف ... وزيارة لم تتم

منذ الزيارة الاولى للسيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية للاتحاد السوفيتي في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ، وقضية العلاقات المصرية ـ السوفيتية مثارة ، والرسائل متبادلة ، والزيارات لم تنقطع .... الى درجة ان الرئيس السادات فكر في ان يكتب للزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف ليسأله سؤال محددا « الى اين تسير العلاقات المصرية السوفيتية » ؟ وقد حدث هذا فعلا اذ قرر الرئيس السادات ان يوجه الدعوة للزعيم السوفيتي لعقد مؤتمر قمة ، يطرح كل منهما تصوره ومخاوفه ، وتوقعاته واعتراضاته ، وتأكيداته وملاحظاته حتى تسير العلاقات المصرية ـ السوفيتية في مسارها الطبيعي بين دولتين ترتبطان بمعاهدة صداقة تجمعهما جبهة واحدة ، تقف ضد الاستعمار وتطالب بالتحرر وتدعو الى تصفية الامبريالية في كل مكان ، وبالذات في الشرق الاوسط .

الاتحاد السوفيتي كان لديه الكثير من التساؤلات ، فقد كان يتصور ان مصر تتجه نحو الغرب ، ونحو الولايات المتحدة بالذات ، ومصر لها اكثر من هذا الحق ، فالصداقة لا بد وان تتم ترجمتها الى أعمال وأفعال ، والشعارات طيبة ولكن مواجهة الواقع شيء ، والاكتفاء بالبيانات والخطب شيء آخر .

الاتحاد السوفيتي لا يريد ان يكون مخزنا لتصدير السلاح ، واصدار التأييدات لمصر ، ومصر لا تريد ان تتعامل مع الاتحاد السوفيتي كمصدر واحد ، ووحيد للسلاح ،

مصر ترى ان السلاح السوفيتي يتدفق على سوريا ، وهذا ما تسعد به وتسعد له ، ولكن منذ ان وافقت مصر على قبول قرار وقف اطلاق النار توقف وصول السلاح السوفيتي اليها .

اعتبارات كثيرة دولية ومحلية ظلت وستظل تحكم العلاقات المصرية السوفيتية . ورسائل واتصالات ولقاءات استهدفت تحسين الجو ، وازالة سوء التفاهم .

وعلى امتداد شهور سبع كانت هناك رسائل متبادلة بين الرئيس السادات وليونيد بريجنيف بعد اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ هدفها تحقيق اللقاء المتوقع وفتح الملفات ومناقشة المشاكل ورسم صورة جديدة للعلاقات بين البلدين . ففي يوم الثلاثاء ٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٧٤ وبالتحديد في الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر دخل بوغوص اكوبوف القائم بالاعمال السوفيتي الى مكتب اسماعيل فهمي وزير الخارجية في ميدان التحرير يحمل رسالة من الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف الى الرئيس السادات يرحب باتمام اللقاء المقترح بينهما ويطلب التمهيد له بزيارات متبادلة ، على مستوى الوزراء والخبراء للاعداد لهذه القمة التاريخية . وبعد ٤ ايام وفي يوم السبت ٢٧ ابريل بعث الرئيس السادات يؤيد اقتراح بريجنيف .

مرة اخرى عاد الزعيم السوفيتي يبعث برسالة الى الرئيس السادات حملها بوغوص اكوبوف الى اسماعيل فهمي يوم الاحد ١٩ مايو (ايار) تشير الى اهمية التشاور بين البلدين ولكنها تشير ايضا الى ان الاتحاد السوفيتي يستعد لاستقبال الرئيس نيكسون والذي كان متوقعا وصوله في اواخر يونيو (حزيران) ١٩٧٤ . وفي يوم الجمعة ٣١ مايو قال لي الرئيس السادات انه اعد ردا على رسالة الزعيم بريجنيف ، بعث به يوم الخميس ٦ يونيو .

وفي منزل السفير السوفيتي الجديد الذي كان قد وصل الى القاهرة اقام السفير فلاديمير بولياكوف مأدبة غداء تكريما للسفير المصري الجديد في موسكو السيد حافظ اسماعيل وذلك يوم السبت ١٥ يونيو ، وعلى مأدبة الغداء قال بولياكوف لاسماعيل فهمي ان الاتحاد السوفيتي ينتظر تحديد موعد زيارته المتوقعة لموسكو وان الرسائل المتبادلة قد اشارت الى ان الرئيس السادات سوف يرسل وفدا برئاسة اسماعيل فهمي الى موسكو للتشاور مع القادة السوفيت .

وبعد تبادل هذه الرسائل وتعددها اعلن اسماعيل فهمي يوم الاربعاء ١٩ يونيو اي بعد هذا اللقاء باربعة ايام ، بان الرئيس السادات قرر ايفاده الى موسكو ، مع عدد من الوزراء ، وكان ذلك في لقاء بين وزير الخارجية وامناء الاتحاد الاشتراكي المصري ، واكد انه تلقى رسالة تقترح سفره الى موسكو في شهر يوليو (تموز) ١٩٧٤ .

انتهز الرئيس السادات فرصة زيارته السريعة التي قام بها لصوفيا عاصمة بلغاريا يوم ٣٠ يونيو (حزيران ١٩٧٤) لكي يتحدث الى الرئيس البلغاري تيدور جيفكوف ، ويشرح له انه بذل كل جهد ممكن لتحقيق لقاء قمة مع الزعيم ليونيد بريجنيف ، وانه قدم للسوفيت كل تسهيلات ممكنة وارسل عدة وفود وتبادل العشرات من الرسائل وروى له قصة الاتصالات التي لم تسفر الا عن تبادل المزيد من الرسائل ووعد جيفكوف بالاتصال بالقادة السوفيت ومحاولة توضيح هذه المواقف .

عاد الرئيس السادات الى القاهرة من صوفيا يوم اول يوليو ، ودعا اسماعيل فهمي وزير خارجيته الذي عاد من بون لتوه بعد انتهاء اجتماعات اللجنة المصرية الالمانية المشتركة ، وطلب اليه يوم الثلاثاء ٩ يوليو ان يستعد للسفر الى موسكو ، على ان يختار الوفد الذي يرافقه ، وبحيث تتم الزيارة ، كما اكد الاتحاد السوفيتي ، يوم ١٥ يوليو وبعد انتهاء محادثات الرئيس نيكسون في موسكو والتي انتهت يوم ٣ يوليو .

كان اسماعيل فهمي مع الرئيس السادات في الاسكندرية ، في شهر يوليو اشد شهور السنة حرارة ، عندما دق التليفون في كابينته بشاطىء المنتزه يوم الاربعاء ١٠ يوليو وكان المتحدث هو فلاديمير بولياكوف السفير السوفيتي الذي جاء من القاهرة يحمل رسالة هامة من موسكو . ودعا اسماعيل فهمي للاجتماع به فورا . وقال السفير السوفيتي ان القادة السوفيت في انتظاره واضاف : « اريد ان اعرف نوع الطائرة وموعد وصولها وهل هي طائرة خاصة ام طائرة ركاب عادية ، واعضاء الوفد ، والبرنامج الذي تقترحونه في موسكو » .

ابلغه اسماعيل فهمي انه قابل الرئيس السادات وتلقى تعليماته وحدد كل التفاصيل التي طلبها السفير السوفيتي الذي غادر شاطىء المنتزه وعاد الى القنصلية السوفيتية في الاسكندرية . وبعد ساعتين عاد بولياكوف الى المنتزه يحمل معه برقية لم يتم بعد فك شفرتها تفيد ان القادة السوفيت يأسفون لتعذر إستقبالهم للوفد ، ويعتقدون ان الجانب السوفيتي غير مستعد لاتمام هذه الزيارة ويقترحون ان تتم في شهر اكتوبر (تشرين الاول).

لم يكن امام وزير الخارجية الا ان يبلغ الرئيس السادات بهذا التطور ويبلغ السفير السوفيتي انه مرتبط بعد ذلك بعدة زيارات لها اهميتها في باريس للاجتماع بسوفانيارج ، وفي واشنطن للاجتماع بكيسنجر ، ثم بدورة الجمعية العامة للامم المتحدة .

عاد الاتحاد السوفيتي بعد شهر واحد يكرر الاتصال باسماعيل فهمي الذي كان في واشنطن خلال شهر اغسطس (آب) وطلب اناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفيتي في العاصمة الامريكية الاجتماع به وتم اللقاء يوم ١٢ اغسطس وابلغه ان القادة السوفيت يرحبون بزيارته يوم ١٥ اكتوبر اي بعد شهرين تقريبا من لقاء الوزير بالسفير في واشنطن ، واكد الاتحاد السوفيتي هذه الدعوة برسالة تلقاها الرئيس السادات في القاهرة يوم ٣٠ اغسطس تؤكد ترحيب القادة السوفيت بزيارة الوفد المصري لموسكو في الموعد الذي ذكره دوبرنين لاسماعيل فهمي في واشنطن ، وانتهز الرئيس نيكولاي بودجورني فرصة وجود الدكتور عبد العزيز حجازي النائب الاول لرئيس الوزراء (في ذلك الوقت ، والذي تولى رئاسة الوزارة بعد هذا اللقاء باسبوعين) في صوفيا ، ليؤكد له رغبة الاتحاد السوفيتي في بذل كل الجهود من اجل دعم العلاقات بين البلدين ، ولذلك فان موسكو تتوقع وصول الوفد المقترح ارساله في ١٥ اكتوبر .

قبل أن يطير الوفد المصري الى موسكو ، أشارت المصادر السوفيتية في القاهرة وفي مقابلات السفير حافظ اسماعيل مع السيد اندريه جروميكو في موسكو ، الى ان تأجيل الزيارة التي كان من المقترح لها ان تتم في يوليو يرجع الى ظروف داخلية تتعلق بالاتحاد السوفيتي ، ولا تتعلق بمصر ، والذي يؤكد ذلك ، كما قال السوفيت تأجيل زيارة ذو الفقار علي بوتو رئيس دولة باكستان الذي كان من المقرر ان تتم زيارته لموسكو في ١٦ يوليو ، وتأجيل زيارة آدم ماليك" نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الاندونيسي .

بدأت الاشاعات تنتشر خلال شهري يوليو واغسطس بعد تأجيل زيارة اسماعيل فهمي وذو الفقار علي بوتو وادم ماليك ، لتشير الى احتمال ان يكون بريجنيف مريضاً بدليل عدم مقابلته لجان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا اثناء زيارته لموسكو خلال شهر اغسطس . كما انتشرت انباء عن وجود متاعب وصعوبات داخل المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ، وان كانت انباء اخرى تنفي كل هذه الاشاعات فقد زار الرئيس ريتشارد نيكسون العاصمة السوفيتية واجرى محادثات مع بريجنيف ، وظلت الاسباب الحقيقية لتأجيل زيارات بوتو وفهمي وماليك لموسكو مجهولة حتى الآن .

انتشرت اشاعات مغرضة تقول ان الاتحاد السوفيتي اتخذ هذا الموقف لان القاهرة

قد استقبلت وفدا من كلية الحرب الامريكية وصل اليها يوم ١١ مايو (ايار) وزار مسرح المعارك في سيناء ودرس حرب اكتوبر على الطبيعة واشارت ايضا الى الاستقبال الطيب الذي قوبل به نيكسون في القاهرة خلال زيارته في يونيو وكذلك الى وصول بعثة عسكرية امريكية يوم الاحد ١٤ يوليو برئاسة الجنرال جون هينيسي والميجر جنرال موريس كاس خبير التسليح بهيئة الاركان المشتركة والاميرال رونالد يتماير من البحرية الامريكية . وقامت البعثة بعدة زيارات ودراسات تتناول نتائج حرب اكتوبر .

كان الهمس يتردد في الاوساط الدبلوماسية دون ان يذكره مسؤول سوفيتي رسمي بالاضافة الى الاشارة الى زيارة ويليام سايمون وزير الخزانة الامريكي لمصر وفي الوقت الذي كان السوفيت ينتقدون ذلك . وفي يوم وصول اسماعيل فهمي الى موسكو يوم ١٤ اكتوبر كان ويليام سايمون يجري محادثاته في العاصمة السوفيتية ويوقع عدة اتفاقيات من بينها اتفاقية التسهيلات التجارية التي حاولت ان تربطها امريكا بهجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل . وبعد زيارة ناجحة قام بها ريتشارد نيكسون لموسكو ، وبعد سفر وفد اقتصادي سوفيتي ضخم الى امريكا لاجراء محادثات فيها .

كان الموقف يقتضي ، كما ابلغ الرئيس انور السادات ، وزير خارجيته اسماعيل فهمي قبل ان يطير الى موسكو يوم ١٤ اكتوبر ، ان تتم في العاصمة السوفيتية عملية مصارحة كاملة يفتح فيها الجانبان الملفات لمناقشة كل القضايا المعلقة لوضع تصور شامل وواقعي لمرحلة التعاون المقبل بين البلدين .

وكلف الرئيس السادات وزير خارجيته ان يبحث مع السوفيت النقاط التالية :

١ ــ مدى استعداد الزعيم السوفيتي لعقد مؤتمر قمة مع الرئيس السادات في القاهرة لمراجعة كاملة يقوم بها الزعيمان للعلاقات المصرية ــ السوفيتية .

٢ ــ مناقشة واقرار مبادىء التعاون العسكري والاقتصادي والسياسي المقبل بين البلدين ، وفي مقدمة ذلك :

أ ــ تعويض الاتحاد السوفيتي عن خسائر مصر في حرب ٦ اكتوبر .

ب ــ اعادة جدول الديون المعلقة .

٣ ــ الاعداد الدقيق لمؤتمر القمة المرتقب بين الزعيمين . وعلى ان يتم ذلك في القاهرة في الموعد الذي يحدده بريجنيف .

وطلب الرئيس السادات من اسماعيل فهمي بوصفه رئيسا للوفد أن يختار عددا من الخبراء الاقتصاديين والصناعيين لبحث طلب الحصول على مفاعلات ذرية للاغراض السلمية التي حددتها مصر بتوليد الطاقة اللازمة لازالة ملوحة البحر والاستفادة من هذه المفاعلات في الاهداف الاخرى.

تم تشكيل الوفد المصري الذي رأسه اسماعيل فهمي من الدكتور اسماعيل صبري عبد الله وزير التخطيط وفتحي المتبولي وزير التجارة الخارجية والفريق اول محمد عبد الغني الجمسي رئيس الاركان في ذلك الوقت واللواء طيار محمد السيسي نائب وزير الطيران

والسفير محمد رياض وكيل الخارجية انذاك لبحث كل جوانب التعاون الذي طلب الرئيس مناقشته في موسكو .

كانت حرارة استقبال الوفد المصري الذي وصل الى موسكو يوم ١٤ اكتوبر تؤكد ان الاتحاد السوفيتي قد اتخذ قراره بتحسين العلاقات مع مصر . والذين يعرفون الاتحاد السوفيتي يدركون اهمية حسن الاستقبال وحرارته منذ لحظة وصول الوفود الى مطار موسكو . وقد اتضحت معالم التحسن عندما تعانق الوزيران اسماعيل فهمي وجروميكو ، الذي ابلغ الوزير المصري فور وصوله ان الزعيم السوفيتي سوف يستقبله ظهر اليوم التالي (الثلاثاء ١٥ اكتوبر) ونادرا ما يقوم القادة السوفيت بتحديد موعد لقاء الضيوف مع بريجنيف مسبقا . كما انه ليس من المألوف ايضا استقبال الزعيم السوفيتي الا لرؤساء الدول وسكرتيري الاحزاب الشيوعية وفي اضيق الحدود .

بدأت اجتماعات مشتركة ضمت الوفدين يوم ١٤ اكتوبر لمناقشة مسائل سياسية وعسكرية واقتضت تقسيم هذه الاجتماعات الى مجموعات عمل : الفريق اول محمد عبد الغني الجمسي مع الماريشال كوليكوف رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة السوفيتية ، والدكتور اسماعيل صبري عبد الله مع الرفيق بيباكوف نائب رئيس الوزراء السوفيتي المسؤول عن التخطيط .

منذ بدء جلسات العمل التي سبقت اللقاء المتوقع مع الزعيم السوفيتي اكد اندريه جروميكو لاسماعيل فهمي ان الاتحاد السوفيت قد اتخذ قراره السياسي بالتعاون مع مصر كما انه يتوقع ان يبلغه الرفيق بريجنيف موافقته على عقد مؤتمر القمة مع الرئيس السادات ، وان زيارة بريجنيف لمصر تقتضي حل جميع المشاكل القائمة والارتفاع بمستوى العلاقات الى اعلى مستوى بحيث يكون لقاء القمة تتويجا لها ، واعتذر جروميكو عن تأجيل زيارة فهمي لموسكو لعدة اسباب من بينها ان اندريه جروميكو نفسه كان يحتفل يوم ١٦ يوليو (١٩٧٤) ببلوغه الخامسة والستين .

وفي اليوم التالي (١٥ اكتوبر) وفي خلال المحادثات ، اتضح ان الجانب السوفيتي يريد فعلا بلورة كل المناقشات بحيث تكون امام الزعيم السوفيتي صورة دقيقة لما تم اعداده من دراسات قبل ان يستقبل فهمي في نفس اليوم .

وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٥ اكتوبر ، استقبل بريجنيف الوزير فهمي ، وحضر اللقاء من الجانب السوفيتي ، اندريه جروميكو وزير الخارجية ، وفلاديمير بولياكوف سفيرهم في القاهرة وسامو نيوكن مساعد بريجنيف ، ومع فهمي السفير حافظ اسماعيل والسفير محمد رياض . وبعدما تسلم بريجنيف رسالة الرئيس السادات وسأله عن صحته بدأت جلسة عمل استغرقت ٣ ساعات ونصفا —

من عادة الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف ان يتكلم بصراحة وبحرارة ويقدم كل افكاره في بداية الجلسة ثم يبدأ الحوار الهادىء بينه وبين الضيف الذي يزوره .

اخرج بريجنيف من درج مكتبه في قاعة الاجتماعات بقصر الكرملين ملفا ، والتفت الى اسماعيل فهمي وقال : « هذا الملف يضم التصريحات التي صدرت اخيرا وفيها هجوم

على الاتحاد السوفيتي ومن حقكم ان تقولوا ما تريدون ولكن اذاعة اسرائيل تنقل هذه التصريحات ، وتذيعها باللغات المختلفة التي يتكلم بها الشعب السوفيتي ، والناس يندهشون هنا ، ولايفهمون لماذا يهاجم المصريون السوفيت بالرغم من تعاونهم معهم » .
واستمر بريجنيف في حديثه يقول: « ان جملة استثماراتنا في المنطقة قد بلغت ١٥ مليار دولار ، وماذا نتلقى مقابل ذلك الا الهجوم علينا » .

استمع اسماعيل فهمي بكل هدوء الى هذه الملاحظات وبدأ يوضح : « ان مصر لم تتلق سلاحا من الاتحاد السوفيتي منذ قرار وقف اطلاق النار وانها الحت عدة مرات للحصول على ذلك ، وانها تطلب « الاستعواض » عن الخسائر ، ولدينا في مصر وفي العالم العربي شعب يسأل لماذا يحدث هذا .. لقد ايدتم الفصل بين القوات ، وأكدتم ان ما تم تحقيقه حتى الآن تؤيدونه ، ونحن نطلب اجتماع مؤتمر جنيف ... فكيف نذهب الى المؤتمر ونحن في اوضاع عسكرية لا تسمح لنا بأن تكون لدينا قوة الضغط الكافية . واذا ذهبنا الى جنيف بدون تعويضنا عن خسائرنا واعادة جدولة ديوننا فمعناه اننا نذهب الى جنيف للاستسلام .. اني جئت الى هنا ومعي التفويض الكامل من الرئيس السادات برفع مستوى العلاقات الى اعلى المستويات ولذلك فان الرئيس ايضا يقترح ان تتم زيارتكم للقاهرة في اقرب وقت .. » .

قال بريجنيف : « ان القاموس السوفيتي لا يحتوي على الكلمة التي تذكرونها وهي « الاستعواض » ونحن لم نطلب منكم ان تحاربوا لتحصلوا منا على التعويض المطلوب ولكنا على استعداد لتنفيذ العقود التي سبق الارتباط بها ، وسوف تصل مطالبكم فورا بحيث تدخل الى موانئكم كل يومين باخرة تحمل ما تريدون ... وبالتحديد بعد عودتكم بيوم واحد ، سوف تجدون ان سفينة تدخل الاسكندرية وعليها اول دفعة من مطالبكم » .

اكد اسماعيل فهمي في هذا الحوار ان العلاقات المصرية السوفيتية وصلت الى حجم لا يسمح بالتراجع عنه . وانه ليس من المطلوب تجميد هذه العلاقات بل ازالة كل اسباب سوء الفهم . واشار الى الحوار الذي دار في الاتحاد الاشتراكي العربي حول دور القطاع العام ، وقال « ان بعض الملاحظات التي قيلت تتعلق بمدى النقص الذي تعاني منه مصر بالنسبة للسلاح السوفيتي ولكننا لم نترك فرصة دون انتهازها لتأكيد صداقتنا بالاتحاد السوفيتي واثناء اجتماعات الجمعية العامة وامام قادة العالم ، وفي حضور اكثر من مائة وزير خارجية قد ذكرت واوضحت باسم مصر مدى تقديرنا لموقف الاتحاد السوفيتي وتعاظم دوركم وهذا نص الخطاب الذي ذكرت فيه هذه المبادىء امام اكبر واعلى منبر عالمي . ومعي ايضا الخطاب الذي القاه المشير احمد اسماعيل على وزير الحربية ، ويشيد بالموقف السوفيتي . ومعي جميع البيانات والخطب الرسمية فلماذا نذكر فقط الملاحظات التي قيلت في ظل ظروف معينة . وننسى الملف الضخم للعلاقات المصرية السوفيتية الذي تحكمه معاهدة صداقة وعون ... ان الرئيس قد كلفني بأن اعود من موسكو لابلغه باني نجحت في تحقيق المهمة التي جئت من اجلها لانني احمل التفويض الكامل من الرئيس للوصول الى اتفاق ... ان علاقاتنا بكم علاقة غير عادية ، وبيننا معاهدة ونريد تطبيقها » .

بدأت المحادثات تأخذ طريقها الطبيعي ، وتكلم بريجنيف عن اعتقاده الراسخ بان الصهيونية العالمية هي التي تحالفت مع عناصر اخرى في امريكا لاسقاط نيكسون واكد له فهمي ان مصر تشارككم في هذا الرأي . وسأل الزعيم السوفيتي اسماعيل فهمي عن اللقاء الذي تم بين الوزير المصري وفورد في واشنطن . وذكر بريجنيف انه سيقابل فورد في فلاديفوستك في طريقه الى اليابان وللاتفاق على مؤتمر القمة معه .

وقال بريجنيف : « نحن نتفاوض مع امريكا ، ونجري محادثات معها ، ونوقع اتفاقيات تجارية ، والاتحاد السوفيتي لا يعارض ذلك ووليام سايمون يزور موسكو الان وقد وقعنا معه عدة اتفاقيات طيبة ولكنني ارفض ان تكون هناك علاقة بين هذه الاتفاقيات الاقتصادية وقضية داخلية تتعلق بهجرة اليهود ... ان الاتحاد السوفيتي يرفض التدخل في شؤونه الداخلية ». وكان من الواضح منذ ذلك التاريخ (١٥ اكتوبر) ان الاتحاد السوفيتي سيرفض الاتفاقية التجارية مع امريكا .

قبل ان تنتهي المقابلة قال اسماعيل فهمي

« ان الرئيس انور السادات يرحب بتحديد موعد لزيارتكم لمصر » . فاخرج بريجنيف كشفا من درج مكتبه يتضمن قائمة بزياراته ومقابلاته وقال : « ارجو ان تبلغ الرئيس انني ساذهب الى القاهرة لمقابلته ولزيارة مصر » .

والتفت بريجنيف الى اندريه جروميكو وقال :

« نعم سأذهب الى مصر وسيصدر بيان من هنا ، من مكتبي في الكرملين بانني ذاهب الى القاهرة » .

قال بريجنيف . « انني مرتبط بعدة مواعيد حزبية وزيارات ولا اعتقد انني سأستطيع القيام بهذه الزيارة خلال هذا العام » .

قال فهمي : « والرئيس السادات سوف يكون مرتبطا بعدة مواعيد وآخرها زيارته لباريس التي تتم في يناير (كانون الثاني) من العام القادم (١٩٧٥) واعتقد ان الرئيس السادات سوف يكون مستعدا لاستقبالكم في القاهرة خلال شهر يناير ... او بعد ذلك » .

ودار حديث طويل حول مؤتمر جنيف فأوضح فهمي ان الدول العربية سوف تعقد مؤتمر قمة لتتخذ قرارها باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين ويتم تنسيق المواقف ، ثم يجتمع مؤتمر جنيف .

والتفت فهمي لجروميكو وقال « اننا سنستعين بالاتحاد السوفيتي لاصدار بيان من الولايات المتحدة بدعوة منظمة التحرير للاشتراك في مؤتمر جنيف » .

وبعد ساعة واحدة من هذه المقابلة صدر بيان من الكرملين بهذا اللقاء كانت اهم فقراته :

«في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٧٤ استقبل ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي السيد اسماعيل فهمي وزير خارجية مصر ... وحسب اتفاق

الجانبين سيكون اللقاء الجديد بين قيادة الاتحاد السوفيتي ومصر اهم خطوة في تطوير وتحقيق العلاقات بين البلدين .

« .. وتم خلال الحديث تحديد مجموعة المسائل التي يمكن ان تصبح قاعدة لاتفاقيات مقبلة اثناء مثل هذا اللقاء واتفق على ان يتم اللقاء بين ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والرئيس انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية في القاهرة في يناير ١٩٧٥ »

وقبل ان يطير الوفد المصري عائدا الى القاهرة يوم ١٨ اكتوبر ، وبعد الاعلان عن زيارة بريجنيف المقبلة اتفق الجانبان على استئناف تنفيذ العقود التي سبق التزام الاتحاد السوفيتي بها وتشكيل لجان عمل تقوم بالاعداد المستمر للاتفاقيات التي سيتم اعلانها والتوقيع عليها اثناء زيارة بريجنيف للقاهرة ، مع استمرار تبادل الزيارات وتأجيل بحث موضوع اعادة جدولة الديون . اما بالنسبة للتعاون النووي فقد اوضح الاتحاد السوفيتي انه من الممكن تأجيل بحث ذلك لارتباطه باقامة ٣ مفاعلات ذرية خلال السنوات الخمس القادمة في ٣ دول اوروبية .

اقترح اسماعيل فهمي على اندريه جروميكو بعد صدور البيان عن الكرملين المتعلق بزيارة بريجنيف للقاهرة ، عدم صدور بيانات رسمية بالمحادثات التي دارت في موسكو والاكتفاء فقط ببيان يتعلق بالفلسطينيين والقضية الفلسطينية ويكون بمثابة اعلان مبادىء يحدد موقف الدولتين من هذه القضية تأكيدا لاهمية وخطورة هذا الموضوع .

وقد صدر فعلا في ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ بيان نص على التالي :

« يرى الجانبان ان التسوية النهائية والشاملة التي يجب التوصل اليها في مؤتمر جنيف لاقرار السلام العادل والوطيد في الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقها بغير تأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي ، ولاسيما حقه في انشاء كيانه الوطني .

ويرى الجانبان بهذا الصدد ان يشترك ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية بصفة مستقلة وعلى قدم المساواة في الحقوق مع بقية الاطراف المشتركة في مؤتمر جنيف للسلام والخاص بالشرق الاوسط ، والذي يعمل الجانبان من اجل استئناف اعماله في اقرب وقت ممكن » .

شرعت القاهرة وموسكو ، فور اذاعة نبأ زيارة الزعيم السوفيتي لمصر ، في العمل الجاد للاعداد لهذه الزيارة التي اعطى الجانبان لها كل اهتمام ، اذ بعث بريجنيف برسالة الى الرئيس السادات يوم ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ يشير فيها الى ضرورة تكثيف العمل من الجانبين للانتهاء من جميع الاتفاقيات والبيانات التي ستصدر عن هذه الزيارة ، وأكد في رسالته ان السيد الكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي سيرأس جميع اللجان التي تقوم بدراسة جميع المشروعات والاتفاقيات التي سيتم توقيعها ويقترح ان يكون رئيس الوزراء المصري الدكتور عبد العزيز حجازي مسؤولا عن هذا العمل من الجانب المصري . واصدر الرئيس السادات تعليماته بذلك بينما بدأ الاعداد الدقيق لكل التفاصيل الكبيرة والصغيرة التي تتعلق بالزيارة اذ بدأت الوفود السوفيتية

تصل الى القاهرة ، بحيث تنتهي كل الاجراءات خلال شهر نوفمبر وديسمبر ، بعد ان اسفرت الاتصالات عن تحديد يوم ١٤ يناير موعدا للزيارة والاتفاق على انها ستكون لمدة اربعة ايام .

أكدت وكالة تاس الرسمية من موسكو يوم٢١ نوفمبر ان بريجنيف سيزور سوريا والعراق عقب زيارته لمصر ، مع احتمال زيارة يقوم بها للجزائر . وكان خبراء المواصلات والاتصالات السلكية واللاسلكية يجرون التجارب في القاهرة والاسكندرية على طريقة ارسال الاخبار والصور ، وخصوصا التليفزيون الملون ، وتم الاتفاق مع الدكتور كمال ابو المجد وزير الاعلام على تخصيص سفينة في الاسكندرية للارسال التليفزيوني الملون .

لم تهدأ الاتصالات والزيارات يوما واحدا ، اذ وصل يوم ٣ ديسمبر وفد سوفيتي من خبراء التخطيط ولاقتصاد برئاسة السيد نيكولاي ليبدنسكي نائب رئيس اللجنة العليا للتخطيط لاجراء محادثات مع الدكتور اسماعيل صبري عبد الله وزير التخطيط المصري . وبعد توقيع اتفاقية التعاون في مجالات التخطيط الاقتصادي قال المسؤول السوفيتي ان العلاقات المصرية السوفيتية سوف تدخل مرحلة جديدة بعد زيارة بريجنيف للقاهرة .

كانت كل الدلائل والمعلومات الرسمية تؤكد ان الزيارة ستتم في موعدها وان البلدين راغبان في نجاحها . وقد التقى الرئيس انور السادات يوم ١٧ ديسمبر (كانون الاول) في القاهرة بوفد قيادات الشباب السوفيتي الذي كان يزور مصر وقال لهم « نحن نحرص على ازدهار ونمو صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي . وستكون زيارة الزعيم السوفيتي لنا نقطة تحول في علاقاتنا ... الاتحاد السوفيتي قام ببناء قاعدة الصناعة في مصر ، وبنى السد العالي ، وقد واجهت الصداقة المصرية السوفيتية المصاعب والعواصف . ولكنها اثبتت انها صداقة متينة . ان زيارة صديقي العزيز الزعيم والرفيق ليونيد بريجنيف لمصر سوف تتيح لنا الفرصة لكي يعبر له الشعب المصري عما يكنه للاتحاد السوفيتي » .

الغريب ان ترتيبات الزيارة كانت مستمرة حتى يوم ١٩ ديسمبر ، عندما ذهب السفير نيكولاي بولياكوف الى قصر عابدين واجتمع مع الوزير حسن كامل رئيس الديوان الجمهوري لوضع الترتيبات النهائية . وابلغ السفير السوفيتي الرئيس السادات ووزير خارجيته اسماعيل فهمي ، بأنه سيطير الى موسكو للاجتماع بالقادة السوفيت للاعداد للزيارة .

وفجأة طلب بوغوص اكوبوف القائم بالاعمال السوفيتي يوم ٢٦ ديسمبر — بعد سفر السفير الى موسكو — الاجتماع باسماعيل فهمي لابلاغه رسالة عاجلة من بريجنيف الى الرئيس السادات . وبعد قراءة الرسالة اتصل اسماعيل فهمي بالرئيس لابلاغه ان القادة السوفيت يريدون ايفاد وفد مصري على اعلى المستويات لموسكو . ورحب الرئيس بذلك واتصل بالدكتور عبد العزيز حجازي وكلفه ايفاد بعثة من وزراء الخارجية والحربية والتخطيط والصناعة والتجارة الخارجية للاعداد لزيارة بريجنيف . وعندما علم القائم بالاعمال السوفيتي بهذا التشكيل ، عاد الى السفارة وابلغ موسكو بسفر هذا الوفد

الضخم ، وتلقى ردا بان القادة السوفيت يريدون لاسبابهم الخاصة ايفاد وزيري الخارجية والحربية الفريق اول محمد عبد الغني الجمسي ، (تولى منصب وزير الحربية بعد وفاة المشير احمد اسماعيل) لموسكو ، وتأجيل سفر هذا الوفد الكبير لمناسبة اخرى وكانت تجري في هذا الوقت اتصالات لاستدعاء الدكتور صبري عبد الله الى القاهرة الذي كان في مهمة رسمية خارج مصر لكي ينضم الى الوفد الكبير . طلب الرئيس السادات من اسماعيل فهمي والفريق الجمسي السفر فورا الى موسكو لمعرفة سبب دعوة هذا الوفد ، وبهذه الصورة . وغادرت طائرة مصرية خاصة مطار القاهرة الى موسكو يوم ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) وعليها فهمي والجمسي ، وعدد من المساعدين فقط ، وخمسة صحفيين كنت من بينهم .

على امتداد الرحلة التي استغرقت ٤ ساعات ونصفا من القاهرة الى موسكو كان حديثنا ضاحكا باسما عن اهمية هذه الزيارة الثالثة التي تتم للاتحاد السوفيتي بينما عكف الوزير اسماعيل فهمي بعد بيانه الذي سيلقيه في مطار موسكو ، ويقول فيه ان هذه الزيارة تتم بناء على دعوة الرفيق ليونيد بريجنيف ويشترك معي فيها زميلي الوزير الفريق اول محمد عبد الغني الجمسي في اول زيارة يقوم بها للخارج منذ توليه منصبه الجديد لتستمد اهميتها من انها تتم في اطار الاعداد النهائي للزيارة التي سيقوم بها الرفيق بريجنيف للقاهرة » .

وتحت ثلوج موسكو التي تتساقط كتراب الفضة على قبعات المستقبلين ، وقف اندريه جروميكو وزير الخارجية ومعه الماريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتي باعتبار ان الجمسي يزور موسكو لاول مرة كوزير للحربية (وليس رئيسا للاركان) ومعه ٧ من جنرالات الاتحاد السوفيتي . وكانت الساعة تقترب من الرابعة بعد الظهر يوم ٢٨ ديسمبر عندما التف العسكريون حول الفريق اول الجمسي يقدمون له العزاء على وفاة المشير احمد اسماعيل والتهنئة لاختياره وزيرا للحربية . بينما انتحى جروميكو جانبا باسماعيل فهمي وابلغه ان الزعيم السوفيتي مريض ، وانه يتوقع ان يبلغه بتأجيل الزيارة وطلب عدم الاشارة الى هذا الخبر حتى لاعضاء الوفد الا بعد ان تتم ترتيبات اذاعة النبأ ، وان ذلك لا يعكس اي تغيير في العلاقات بين البلدين ، أو في ضرورة استمرار العمل من اجل تحسين العلاقات واضاف قائلا : « وسوف تسمع ذلك بنفسك حين تلتقي بالرفيق بريجنيف . ستزوره في مكان خارج موسكو ، وهو الذي حرص على دعوتكم لانه سيتشاور معكم في امور كثيرة » .

طلب اسماعيل فهمي على الفور الاتصال بالرئيس السادات وابلغه قبل ان تبدأ المحادثات الرسمية مع اندريه جروميكو ان بريجنيف لا يتمتع بصحة سوف تسمح له بزيارة مصر ، وانه سيلتقي به في اليوم التالي ، وسوف يبلغ الرئيس السادات بكل النتائج .

حرص وزير الخارجية على عدم ذكر احتمالات تأجيل للزيارة ، بل على العكس اتخذت المحادثات طابعها التقليدي بلقاء تم بين الوفدين المصري والسوفيتي . وانضم الى

الوفد السوفيتي الماريشال جريتشكو ، والتقى الجانبان في مساء يوم ٢٨ ديسمبر الى حين تحديد ساعة اللقاء المتوقع مع بريجنيف في اليوم التالي .

كان يوم الاحد ٢٩ ديسمبر ، هو يوم عطلة الاحد الاسبوعية . وبرنامج محادثات الوفد المصري لم يحدد اي موعد للقاءات مع الجانب السوفيتي ، وكان ذلك طبيعيا بالنسبة ليوم العطلة . وعندما سألنا عن وزير الخارجية اسماعيل فهمي في مقر اقامته بقصر الضيافة على تلال لينين وكانت الساعة قد بلغت العاشرة من صباح يوم الاحد كان الرد انة خرج في رحلة الى الغابات القريبة من موسكو ، ولم يصطحب معه الا الفريق اول محمد عبد الغني الجمسي .

وبعد ساعتين عادت السيارات من الرحلة المجهولة التي ضمت فهمي والجمسي من الجانب المصري ، وجروميكو وجريتشكو من الجانب السوفيتي ، وبدأت معالم القصة تتضح ، فالصحف السوفيتية قبل زيارة اسماعيل فهمي بحوالي اسبوع توقفت عن نشر انباء عن زيارة بريجنيف لمصر وسوريا والعراق ، والصحفيون السوفيت الذين كانوا يستعدون للسفر الى المنطقة قد تلقوا تعليمات بتأجيل ذلك ، والمقالات والتعليقات التي اعدتها الصحف والاذاعة والتليفزيون عن الدول العربية التي سيزورها بريجنيف تقرر تأجيلها .

وعندما ذهبنا لمقابلة اسماعيل فهمي بعد عودته من رحلته المجهولة علمنا منه انه ذهب لمقابلة الزعيم السوفيتي بريجنيف خارج مدينة موسكو ، وان هذا اللقاء لم يتم في الكرملين وان بيانا بالغ الاهمية سيصدر بعد ذلك .

جاء اندريه جروميكو الى مقر الضيافة في الساعة العاشرة الا ربعا من صباح يوم الاحد ٢٩ ديسمبر ومعه الماريشال جريتشكو وطلب من فهمي ان يستعد لمغادرة قصر الضيافة مع الفريق الجمسي على ان يترك الحرس المصري الذي يرافقه وسوف تتجه بهم السيارات الى مكان خارج موسكو لم يحدده الجانب السوفيتي .

وبعد رحلة استغرقت نصف ساعة وصلت السيارات الى ضاحية كولسوفا القريبة من موسكو ودخل الاربعة فهمي والجمسي وجروميكو وجريتشكو الى مصحة في قلب غابة من الاشجار ، وطلب الاطباء منهم ارتداء المعاطف البيضاء كعادة كل من يزور مريضا في المستشفيات السوفيتية ودخل الاربعة ومعهم المترجم الروسي روبرت تورجييف الذي يتحدث العربية بلهجة مصرية ايضا ، وكان بريجنيف في سريره . وبعد ان اعتدل لتحية الوفد المصري وعانق اسماعيل فهمي قال له انه حرص على دعوتهما لموسكو لكي يبلغوا الرئيس السادات بالحالة الصحية التي يعاني منها وانه اصيب بنزلة برد شديدة وانه يريد ابلاغ السيد الرئيس السادات انه حريص على اتمام الزيارة بمجرد تحسن صحته لان الاطباء منعوه من مغادرة هذا المكان الذي حرص بالرغم من حالته على دعوتهم لمقابلته .

وقال انه يريد ان يبلغ السادات تحيته مؤكدا ان الغاء الزيارة لا يمكن قبوله كموقف يتخذه السوفيت من مصر ، ومن الرئيس بالذات وقال :

« ان الرئيس السادات رجل وطني ديموقراطي يقف في وجه الاستعمار ، وانه مناضل ، وقائد يريد الخير لبلده » .

ابلغ اسماعيل فهمي الرفيق ليونيد بريجنيف تحيات الرئيس السادات والتهنئة برأس السنة الجديدة (اللقاء تم يوم ٢٩ ديسمبر) وامله في ان يراه قريبا في القاهرة .

وهنا اخرج بريجنيف صيغة بيان مشترك يصدر في القاهرة وموسكو ودمشق وبغداد في يوم واحد ، وطلب من فهمي مراجعة الصيغة ، وبعد ان اجرى تعديلات عليها ، طلب من جروميكو ان يبلغها الى العواصم الثلاث ، وتعهد اسماعيل فهمي الا يشير الى هذا البيان الا بعد اذاعته في العواصم الاربع . وقد رفض فهمي ان يبلغنا بنتائج محادثاته مع بريجنيف مكتفيا بتأكيد الصداقة والمودة التي تربط البلدين بينما طارت صيغة الى العواصم الاربع تقول .

« وفقا لما تم بين قادة الاتحاد السوفيتي من جهة وقادة كل من جمهورية مصر العربية والجمهورية السورية والجمهورية العراقية من جهة اخرى تم الاتفاق على تأجيل زيارة ل . أ . بريجنيف امين عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الى هذه البلدان الى وقت لاحق ، وهي الزيارة التي كان مقررا لها يناير ١٩٧٥ وسوف يتم تحديد موعد الزيارة الجديد المقبول للاطراف فيما بعد » .

لم يستغرق اللقاء اكثر من ٢٥ دقيقة ، وقبل ان يغادر فهمي غرفة الزعيم السوفيتي ، اعتدل بريجنيف وتبادل العناق مع اسماعيل فهمي وهو يقول : « ارجو ان تبلغ تهنئتي بالعام الجديد لاخي وصديقي الرئيس السادات، ارجو ان ازوره قريبا انني اتمنى له كل صحة وسعادة » .

ومن موسكو طار فهمي والوفد المرافق له الى القاهرة يوم ٣١ ديسمبر قبل ساعات من انتهاء عام ١٩٧٤ ، استعدادا لبدء السنة الجديدة ١٩٧٥ التي بدأت بتقرير مطول كان الرئيس السادات يدرسه بعد مقابلته لوزيري الخارجية والحربية عن تطور الاوضاع في الاتحاد السوفيتي وعلاقاته بمصر وبالعالم العربي .

٩ ـ فلسطين... حكومة أم منظمة ؟

منذ زيارة الوزير اسماعيل فهمي لواشنطن في اغسطس (آب) ١٩٧٤ وحتى لقاء الرئيس السادات بالرئيس جيرالد فورد في سالسبورج ١و٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ كانت مصر تؤكد ان الحل النهائي لمشكلة الشرق الاوسط لن يتحقق الا بالانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي العربية وقيام الدولة الفلسطينية . ووضعت مصر مبادىء استراتيجيتها الدبلوماسية على اساس التمهيد لذلك ، منذ ان بدأت مساعي تحقيق حل سلمي ، بعد وقف اطلاق النار مباشرة .

وعندما تم تحقيق الفصل بين القوات على الجبهة المصرية في ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ وعلى الجبهة السورية في ٣٠ مايو (ايار) ١٩٧٤ بدأت مصر اتصالاتها لتنفذ ذلك بالدعوة للتنسيق المستمر بين مصر وسوريا والاردن وفلسطين . وكانت مصر تسعى الى اقناع الفلسطينيين بالاعلان عن قيام دولة فلسطين .

اقترحت مصر ان التنسيق يجب ان يبدأ بين دول المواجهة مصر وسوريا والاردن وفلسطين بالرغم من الصعوبات التي واجهتها للتوفيق بين وجهتي نظر الاردن والمنظمة وتعرضت علاقات مصر بالمنظمة لازمات متكررة كان اخرها ازمة ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٧٥ عندما رفض الرئيس استقبال وفد من منظمة التحرير الفلسطينية كانت اللجنة التنفيذية العليا للمنظمة قد قررت ايفاده للاجتماع بالرئيس السادات والسيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية بعد ان اذاعت المنظمة بيانا اعتبره الرئيس السادات ماسا بمصر وبكل الجهود التي قامت بها .

وعندما سعت مصر الى تحقيق تنسيق رباعي ، تمهيدا لدعوة مؤتمر جنيف كان الهجوم منصبا على مصر بدعوى انها تؤجل انعقاد المؤتمر حتى تحصل على مزيد من الانسحاب الاسرائيلي من سيناء في الوقت الذي كانت مصر تتحرك فيه في اتجاه مرسوم ومحدد ، بالحصول على اعتراف عربي بالمنظمة باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ثم قبولها في الامم المتحدة ودعوتها الى مؤتمر جنيف وبحيث يكون اعلان قيام الدولة عاملا من عوامل التعجيل بتحقيق ذلك .

من اجل ذلك ، وبعد فشل الجهود المبذولة لاقناع الاردن بقبول المنظمة باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني دعت الى عقد اجتماع ثلاثي في القاهرة يضم وزيري خارجية مصر وسوريا والسيد فاروق قدومي رئيس الدائرة السياسية للمنظمة .

وقد اجتمع أسماعيل فهمي وزير الخارجية وعبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري وفاروق قدومي يومي ٢٠ و٢١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ قبل اجتماع مؤتمر القمة العربي في الرباط الذي كان من المقرر انعقاده يوم ٢٦ اكتوبر وقبل

اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة مشكلة فلسطين وازمة الشرق الاوسط .

وبعد يومين من المشاورات اصدر الاجتماع الثلاثي بيانه الذي اكد « رفض التسويات السياسية » ونص على ان اقامة السلطة الفلسطينية مستقلة على الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها سياسيا وعسكريا واستمرار دعم منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ومساعدتها من اجل ضمان الصمود داخل المناطق المحتلة » .

طار عبد الحليم خدام الى عمان يوم ٢٢ سبتمبر ليحصل على موافقة الاردن على البيان الثلاثي ، ولكن الحكومة الاردنية اعلنت في بيان رسمي انها قررت وقف اي نشاط سياسي لها ترتب على قبولها في مؤتمر جنيف وان موافقة مؤتمر القمة العربي على ذلك سوف يعفي الحكومة الاردنية من اي مسؤولية سياسية» . وأكد البيان ان الاردن لم يعد له اي صلة مباشرة بالقضية الفلسطينية » .

ادركت الولايات المتحدة خطورة الاتجاه الجديد الذي سيجعل من منظمة التحرير الفلسطينية الطرف الاساسي في اي انسحاب جديد من الضفة الغربية واوفد الرئيس جيرالد فورد ، الذي لم يمضي في منصبه اكثر من شهرين ، الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجيته الى مصر وسوريا في محاولة لاقناع الدولتين بان هذا الموقف سيزيد من تعنت اسرائيل ، ويضع العراقيل امام احتمال تحقيق تقدم جديد .

جاء كيسنجر الى القاهرة في الساعة السابعة من مساء يوم ٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ لا يحمل معه مقترحات جديدة ، ولكن ليؤكد استمرار مساعي الولايات المتحدة من اجل تحقيق الحل ، وصعوبة ذلك اذا اتخذ مؤتمر القمة العربي الذي كان من المقرر انعقاده يوم ١٦ اكتوبر قرارا يزيد من تعنت اسرائيل . واصر كيسنجر على ان يقوم بزيارة لجامع محمد علي في اليوم التالي ، حيث قام شيخ الجامع بترديد آذان الظهر بصورة انفعل لها هنري كيسنجر الذي اندفع يعانق الشيخ ، ثم غادر المسجد ليزور المتحف القبطي في مصر القديمة قبل ان يلتقي به الرئيس انور السادات في منزله بالجيزة في الساعة التاسعة من مساء يوم ١٠ اكتوبر ويستمر الحديث بينهما حتى الثانية صباحا ... كان كيسنجر يحمل معه اقتراحات اجرائية تتعلق بدعوة وزراء خارجية الدول العربية واسرائيل الى واشنطن مرة اخرى ، او ايفاد جوزيف سيسكو مساعده للقيام بالاتصالات مع الاطراف المعنية . وعندما سألته « هل ستترك جوزيف سيسكو لهذه المهمة » قال مبتسما : « سوف آخذه معي الى واشنطن ، وسأعود الى المنطقة اذا كان ذلك سيساعد على تحقيق تقدم جديد » .

بالرغم من التعقيدات التي اشار اليها كيسنجر الا ان السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائرية قد وجه، بوصفه رئيس دورة الجمعية العامة للامم المتحدة، الدعوة للسيد ياسر عرفات يوم ١٦ اكتوبر للاشتراك في المناقشات التي ستبدأ حول قضية الشرق الاوسط ومشكلة الفلسطينيين اوائل نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ .

كان الرئيس السادات مقتنعا ولا زال ، بضرورة الاعلان عن قيام الحكومة

الفلسطينية المؤقتة بعد حرب ٦ اكتوبر مباشرة وأوضح لياسر عرفات الاسباب الدولية والمحلية التي تدعو لذلك مؤكدا ان مصر بتعاونها مع بقية الدول العربية وبالتأييد الدولي الذي تتمتع به منظمة التحرير الفلسطينية والنضال الذي مارسه الشعب الفلسطيني سوف يدفع اكثر من ٨٠ دولة للاعتراف بالدولة الفلسطينية الجديدة على أساس أن جميع دول عدم الانحياز التي تزيد عن سبعين دولة بالاضافة الى دول اوروبا الاشتراكيه والاتحاد السوفيتي والصين ، ومجموعة من دول آسيا سوف تعلن اعترافها بالحكومة فور اعلانها .

وعندما ذهب الرئيس انور السادات الى مؤتمر القمة في الرباط يوم ٢٦ اكتوبر طلب عقد اجتماع مع السيد ياسر عرفات بحضور الرئيس حافظ الاسد وشارك الملك فيصل في جانب منه ، واثار موضوع اعلان قيام الدولة الفلسطينية والتفت الى اسماعيل فهمي وقال : « اسماعيل ... لقد طلبت منك اعداد صيغة البيان التاريخي لقيام دولة فلسطين . ارجو ان تطلعني عليه » .

أخرج اسماعيل فهمي من حقيبته صيغة البيان المقترح بقيام الدولة وقدمه الى الرئيس السادات الذي بدأ يقرأ بصوت عال نصوصه ، والتفت الى الرئيس الاسد والسيد ياسر عرفات وقال : « ما رأيكم » . وهز الزعيمان السوري والفلسطيني رأسيهما بالتأييد بينما امتدت يد ياسر عرفات الى صيغة البيان وقال للرئيس « ارجو ان تعطيني الفرصة لمراجعته ، ولمناقشة هذا القرار التاريخي مع قواعد المنظمة ورجالها لأن القرار يقتضي التشاور مع الجميع » .

كان هدف الرئيس السادات ان يتم الاعلان عن قيام الدولة ، في اللحظة التي يصدر فيها قرار مؤتمر القمة العربي بالاعتراف الكامل بالمنظمة ، التي ستصبح دولة ثم يطير ياسر عرفات الى الامم المتحدة [1] ليشترك في المناقشات ومعه اعتراف دولي بالدولة الجديدة . وقد صدر بيان مؤتمر القمة بالبيان التاريخي الذي نص على ان منظمة التحررير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني بينما اراد الرئيس السادات ان يكرر موقفه بالنسبة للدولة الفلسطينية وضرورة اعلانها مؤكدا في ختام اعمال مؤتمر القمة يوم ٢٩ اكتوبر وامام جميع الملوك والرؤساء عن « حتمية قيام الدولة الفلسطينية » .

عاد الرئيس السادات الى القاهرة في أول نوفمبر وقبل بدء مناقشة القضية الفلسطينية أمام الجمعية العامة ، ليلتقي بالسيد اسماعيل فهمي وزير خارجيته الذي عاد ايضا من نيويورك بعد ان نجحت الدول العربية ، مع مجموعة دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية ، بل بعد ان نجحت جميع دول العالم ، في ان تحصل على قرار بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشة القضية الفلسطينية ولم يجد هذا القرار معارضة الا من دول اربع هي : اسرائيل . وامريكا ــ وبوليفيا والسان دومنيكان ، وكان

---

(١) ــ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة يوم ١٤ اكتوبر عام ١٩٧٤ باغلبية ١٠٥ اصوات ضد ٤ وامتناع عشرين قرارا بدعوة منظمة التحرير للاشتراك في اجتماعات الجمعية.

هذا القرار هو اول قرار من نوعه يصدر من الجمعية العامة بدعوة منظمة من المنظمات التي تناضل من اجل تحرير اراضيها لحضور مناقشات الامم المتحدة بل والاشتراك في المناقشة وقيام رئيسها بمخاطبة الجمعية العامة من اعلى منبر عالمي .

جاء ياسر عرفات الى القاهرة يوم ٦ نوفمبر ، والتقى به الرئيس السادات الذي طلب من وزير خارجيته اسماعيل فهمي ان يجري اتصالاته مع كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة لاستقبال الزعيم الفلسطيني كرئيس دولة واعداد جميع الترتيبات لاقامته . وقبل ان يغادر عرفات القاهرة كانت طائرة الدكتور هنري كيسنجر تهبط في المطار يوم ٦ نوفمبر ايضا لدرجة ان اغلب الصحفيين اعتقدوا ان كيسنجر سيلتقي بعرفات . وابلغ الرئيس السادات الوزير الامريكي قرارات مؤتمر قمة الرباط ، والنتائج المترتبة على التصويت الذي سيتم في الامم المتحدة بالنسبة لقضية فلسطين . وقال كيسنجر في استراحة الرئيس بالقناطر الخيرية يوم ٧ نوفمبر : « في رأيي ان قرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط قد عقدت الامور بعض الشيء وعلينا ان نبحث الآن في تأثير هذه القرارات ، على استمرار جهودنا الرامية الى تحقيق حل سلمي للمشكلة » .

بالرغم من ان هنري كيسنجر جاء الى القاهرة يوم ٦ نوفمبر وغادرها الى عمان والسعودية وتونس واسرائيل لا يحمل معه مقترحات جديدة الا انه كان يضع في اعتباره كما قال الرئيس السادات ان يعود الى المنطقة بعد اسابيع ليمارس اتصالاته من جديد ، وكان الواضح أن امريكا تسعى لمعرفة ماذا سيسفر عنه ظهور ياسر عرفات في نيويورك ، والادلاء ببيانه امام الجمعية العامة ، لذلك حاولت الولايات المتحدة ان تسعى جاهدة « لمحاصرة » الفلسطينيين عند وصولهم الى نيويورك ، وطلبت ان تكون اقامتهم في مبنى من مباني « خفر السواحل » بجزيرة في ميناء نيويورك ورفضت ان توافق على منح تسهيلات لدخول اكثر من ١٥ فلسطينيا مع ياسر عرفات كاعضاء في وفده .

لم تكن مشكلة اقامة الفلسطينيين في نيويورك هي المشكلة الوحيدة بل كانت هناك مشكلة جوازات السفر ومنح اعضاء الوفد تأشيرات دخول . وشهد يوم ١٠ نوفمبر اكبر نشاط دبلوماسي عرفته وزارة الخارجية المصرية اذ بدأت الاتصالات مع السفارة الامريكية في القاهرة لرفع « الحصار » الذي تفرضه امريكا على الفلسطينيين بعد اتصالات اجراها اسماعيل فهمي مع السفير الامريكي في القاهرة المستر هيرمان ايلتس ، ومع السيد سعيد كمال نائب مدير الادارة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة ومع قيادة المقاومة في بيروت . ونجح اسماعيل فهمي في الحصول على موافقة الولايات المتحدة على نزول الوفد الفلسطيني في اكبر فنادق نيويورك التي ينزل فيها وزراء خارجية العالم ، وهنري كيسنحر نفسه ، وهو فندق « والدورف استوريا » ، ونجحت مصر في اقناع الولايات المتحدة بمنح تأشيرات دخول لاربعين فلسطينيا وتقدمت وزراة الخارجية المصرية بكشف رسمي الى السفارة الامريكية في القاهرة باسماء الوفد الفلسطيني وكانت جوازات هؤلاء مصرية ولبنانية وجزائرية . وذهب مندوب خاص من الخارجية المصرية بجوازات السفر وحصل على تأشيرات الدخول المطلوبة بينما كان اسماعيل فهمي يجري اتصالاته مع فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة ليحصل على موافقته على استقبال ياسر عرفات

استقبال رؤساء الوفود ، وتكليف مدير مراسم الامم المتحدة بهذه المهمة . وعندما جاء ياسر عرفات الى القاهرة يوم ١١ نوفمبر كانت كل ترتيبات الزيارة والاقامة قد تم اعدادها ، وعندما غادرها يوم ١٢ نوفمبر الى الجزائر التي قدم له فيها الرئيس بومدين طائرة جزائرية «من طراز بوينج ٧٠٧ كان الرئيس السادات يبعث برسالة الى الرئيس الامريكي يؤكد فيها انه يتابع جلسات الجمعية العامة ، وردود فعل الدول ، وبصفة خاصة يتابع الموقف الامريكي بالذات ، ويضع هذه الحقائق امام الرئيس الامريكي :

١ ــ تعتبر مصر عرض قضية فلسطين امام الامم المتحدة ومشاركة القيادة الفلسطينية في اجتماعات الجمعية العامة ممثلة في شخص رئيسها ياسر عرفات فرصة هائلة امام الولايات المتحدة لكي تلعب دورها من اجل التوصل الى تسوية عادلة ومشروعة .

٢ ــ على الولايات المتحدة ان تبادر منذ الآن بتفهم الصوت الفلسطيني ، وان مصر لا تريد انحيازا امريكيا كاملا نحو العرب ولكنها تطالب بنظرة موضوعية لحقيقة المشكلة .

٣ ــ انه لا بد من الان ادراك ان اي تصور لحل المشكلة بدون الاستجابة للمطالب الفلسطينية هو تصور قاصر وناقص لن ترفضه فقط المجموعة العربية بل سيؤدي الى تطورات لا تخدم السلام في المنطقة .

٤ ــ ان مصر ستبدأ تحركا دبلوماسيا واسعا بانتهاء مناقشات الجمعية العامة ، وعلى ضوء النتائج التي ستسفر عنها ستحدد مصر مواقفها من الدول على ضوء موقفها من المشكلة الفلسطينية .

والقى ياسر عرفات بيانه التاريخي امام الجمعية العامة يوم ١٧ نوفمبر . ومن المصادفات الغريبة ان النجاح الكاسح الذي احرزته القضية الفلسطينية في الامم المتحدة بظهور نتيجة التصويت على قراري فلسطين قد تحقق يوم ٢٢ نوفمنبر عام ١٩٧٤ اي في ذكرى مرور ٧ سنوات على صدور قرار الجمعية العامة الخاص بالشرق الاوسط في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

كان ذلك يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ عندما قامت الجمعية العامة بالتصويت على مشروع قرار خاص بحقوق الشعب الفلسطيني حصل على اغلبية ٨٩ صوتا ضد ٨ اصوات وامتناع ٣٧ ، وكانت الدول الثمان التي صوتت ضد المشروع هي اسرائيل ــ الولايات المتحدة ــ النرويج ــ ايسلندا ــ بوليفيا ــ كوستاريكا ــ شيلي ــ نيكاراجوا .

صوتت الجمعية العامة بعد ذلك على مشروع قرار يعطي لمنظمة التحرير الفلسطينية صفة « المراقب » في الامم المتحدة وقد فاز المشروع باغلبية ٩٥ صوتا وعارضه ١٢ صوتا وامتنعت ١٩ دولة عن التصويت . وكانت اسرائيل وامريكا و ١٠ دول اخرى هي التي عارضت القرار الذي اقرته ٩٥ دولة .

وعندما كانت الامم المتحدة تصدر قرارها التاريخي يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٧٥ بمنح المنظمة صفة المراقب وتقر حقوق الشعب الفلسطيني ولا تنص على « حقوق اللاجئين »،

كان الوفد الاسرائيلي ينسحب من قاعة الجمعية العامة للامم المتحدة ، ويبقى فاروق قدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ليلقي كلمته امام اكبر حشد دولي تجمع في قاعة الجمعية العامة ليعيش هذه اللحظات التاريخية التي تمر بها قضية فلسطين ومشكلة الشرق الاوسط بالذات .

١٠ ـ عام ١٩٧٥ ... وماذا يحمل ؟

اتخذ الرئيس السادات قراره بأن ينهي الاوضاع المعلقة التي ترتبت على استقالة الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون بحيث لا تمر الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩٧٥ دون تحرك ايجابي للاستمرار في الحل السلمي ، او العودة الى السبيل الوحيد الممكن وهو استرداد الحقوق العربية بالقوة . وكان رأي الرئيس السادات ان امريكا كلها سوف تكون مشغولة في المعركة الانتخابية مع نهاية هذا العام وخلال عام ١٩٧٦ ، وان الاتحاد السوفيتي مشغول فعلا بالاعداد لمؤتمر الاحزاب الشيوعية الذي ينعقد في فبراير (شباط) ١٩٧٦ والذي تصل الاستعدادات له الى درجتها القصوى مع خريف عام ١٩٧٥ . وقد كانت هناك من الاسباب التي يمكن ان تكون مقبولة لانشغال امريكا بالتغييرات الداخلية فيها بعد استقالة الرئيس نيكسون ، كما ان الاتحاد السوفيتي يدرك تماما ان تعويض مصر بالاسلحة سوف يفتح الطريق امام امكانية الوصول الى اتفاق لحل المشكلة بالصورة التي تنص عليها قرارات الامم المتحدة .

كان الاتحاد السوفيتي قد انتهى من مشاوراته مع الولايات المتحدة في اول لقاء للقمة والذي تم في فلاديفوستوك بين الرئيس الامريكي الجديد جيرالد فورد والزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف . وبعد اجتماعات استمرت ٣ ايام من ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) الى ٢٤ نوفمبر ١٩٧٤ ، قرر قطبا العالم في بيانهما الرسمي « ان الموقف الخطير القائم في الشرق الاوسط يدعو الى القلق بصورة تقتضي ضرورة بذل كافة الجهود بهدف الاسهام في تسوية المشكلات الرئيسية المرتبطة باقرار السلام في المنطقة مع مراعاة المصالح المشروعة لجميع شعوبها بما في ذلك الشعب الفلسطيني ويعلنان عن تصميمهما على ان يضطلع مؤتمر جنيف بدور هام في اقامة السلام وضرورة استئناف اعمال المؤتمر في اسرع وقت ممكن » .

ومع بداية عام ١٩٧٥ ، كانت القاهرة تتسلم دفعة من الطائرات السوفيتية الصنع « ميج ٢٣ » واسلحة اخرى ، تنفيذا لعقود سبق الارتباط بها مع الاتحاد السوفيتي قبل حرب رمضان عام ١٩٧٣ .

وكان من رأي الرئيس السادات ان تستأنف مصر تحركها بمطالبة الدولتين العظميين بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى مؤتمر جنيف ، وكتب اسماعيل فهمي صيغة الدعوة التي يقترحها وبعث بها الى كل من اندريه جروميكو وهنري كيسنجر يوم ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ ، وهذا نصها

« اذ يستذكر قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة بشأن مشكلة الشرق الاوسط .
واذ يعتبر أن المسألة الفلسطينية هي جزء لا يتجزأ من عملية اقامة السلام الدائم والعادل

في الشرق الاوسط ... يدعو منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل لشعب فلسطين وفقا لقرار الجمعية العامة رقم ٣٢٣٦ بتاريخ ٢٢ نوفمبر عام ١٩٧٤ للاشتراك في المؤتمر بصفة مستقلة وعلى قدم المساواة في الحقوق مع بقية الاطراف المشتركة فيه . ويكلف المؤتمر رئيسه الاتصال بالمنظمة ودعوتها بصفتها هذه لتعيين ممثليها في المؤتمر » .

قبل ان يطير السادات الى باريس لمقابلة الرئيس جيسكار ديستان في اخر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ تلقى الرئيس رسالتين من الرئيس الامريكي فورد والزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف ، يبلغه الاول بان المشاورات التي اجراها هنري كيسنجر منذ تولي الرئيس فورد المسؤولية قد اوشكت على الانتهاء ، وانه سيكون في القاهرة خلال شهر فبراير (شباط).وتشير رسالة الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف الى تحسن صحته والى قرار بايفاد وزير خارجيته ليزور سوريا ومصر بحيث يصل الى القاهرة يوم ٣ فبراير بعد زيارته لدمشق ، وان وزيري خارجية امريكا والاتحاد السوفيتي سوف يلتقيان في جنيف في اواخر فبراير للتنسيق بين موقف الدولتين بالنسبة للجهود المبذولة من اجل استمرار حل مشكلة الشرق الاوسط .

قبل ان يصل اندريه جروميكو الى القاهرة يوم ٣ فبراير وفي لحظة مغادرته دمشق بعد زيارة استغرقت يومين صدر بيان سوفيتي - سوري ينص على دعوة مؤتمر جنيف للاجتماع في اواخر فبراير ، اي بعد ٢٥ يوما من صدور البيان ، او في اوائل مارس (آذار) على اقصى تقدير . وعندما التقى اسماعيل فهمي باندريه جروميكو يوم الاحد ٣ فبراير ، في مبنى وزارة الخارجية بميدان التحرير ، سأل الوزير المصري زميله السوفيتي « هل تتوقع فعلا اجتماع مؤتمر جنيف بعد ٣ اسابيع . وهل من الممكن خلال هذه الفترة حل جميع المشاكل الخاصة بدعوة الفلسطينيين والمسائل الاخرى المعلقة خلال ٢٥ يوما ... ولماذا صدر بيان فلاديفوستوك بين امريكا والاتحاد السوفيتي ونص على ان الاجتماع يتم في اقرب وقت ممكن دون النص على تاريخ محدد » .

ومضى فهمي يقول : « ثم انك سوف تلتقي بهنري كيسنجر في جنيف ، في ١٥ فبراير ، فهل ستحصل من امريكا على وعد باجتماع المؤتمر بعد اسبوعين من هذا اللقاء ، مع موافقة كيسنجر على توجيه الدعوة للفلسطينيين » .

شرح اندريه جروميكو وجهة نظره وقال ان الاتحاد السوفيتي يريد التعجيل بانعقاد المؤتمر ، ولكن فهمي استأذنه في حذف النص الخاص بدعوته للانعقاد في اواخر فبراير ، او اوائل مارس من البيان المصري السوفيتي مؤكدا ان مصر تريد التعجيل باجتماع المؤتمر الذي يقتضي اعدادا دقيقا وانه ليوضح ذلك بكل صراحة فسوف ينص في البيان المشترك على ان يجتمع مؤتمر جنيف فورا وسوف يسمح هذا النص باظهار الرغبة في اجتماع المؤتمر فورا وفي نفس الوقت تستمر الاتصالات الدائرة من اجل حل المشاكل المعلقة .

وافق جروميكو على ذلك ، وذهب الوزيران السوفيتي والمصري لمقابلة الرئيس السادات ظهر يوم الاثنين ٤ فبراير في استراحة الهرم ، وكان اول سؤال سأله الرئيس لاندريه جروميكو عن صحة الرفيق بريجنيف .

فقال جروميكو : إنه في احسن حال .

بدأت مناقشة طويلة استمرت ٤ ساعات وأكد فيها الرئيس السادات انه قبل ان تنتهي فترة عمل قوة الطوارىء في سيناء في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ لا بد من تحريك الموقف وان ذلك سوف يتحقق اذا سارع الاتحاد السوفيتي بتعويض مصر عن خسائرها في الحرب ، والعودة بالعلاقات المصرية ـ السوفيتية الى صورتها الطبيعية ، بل والانتقال الى مرحلة جديدة تتفق مع رغبة الرئيس في زيادة الانتاج وتحسينه والدخول الى عصر التكنولوجيا بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي . واكد جروميكو ان بريجنيف طلب اليه ابلاغ الرئيس السادات بانه سيزور القاهرة ، وانه لهذا السبب يقترح ارسال وفد من الخبراء الى موسكو لبحث المسائل العالقة . ورد الرئيس قائلا : « سوف ارسل هذا الوفد يوم ١٧ فبراير (اي بعد هذا اللقاء باسبوعين) وسيكون مؤلفا من وزراء التخطيط والصناعة والتجارة » .

التف الصحفيون حول اندريه جروميكو الذي خرج الرئيس يودعه على سلم استراحة القناطر. وسألت اندريه جروميكو « هل نستطيع ان نسأل عن صحة الزعيم السوفيتي » . قال جروميكو : « انه في احسن حال » .

وسألت جروميكو مرة اخرى : « هل سيزور مصر ؟ » .

فرد جروميكو قائلا : « ان الرفيق بريجنيف لم يقرر الغاء زيارته لمصر والدول العربية الاخرى ولكنه طلب التأجيل فقط » . وهنا تدخل الرئيس وقال : « مستر جروميكو ... لماذا لا تقول لهم بأن اخي وصديقي « الرئيس » بريجنيف سوف يزور مصر ... ان بريجنيف سيزورنا » . واسرع جروميكو يقول : « نعم .. انه سيزور مصر ودولا عربية اخرى ولكن من الصعب تحديد موعد الزيارة من الآن » .

غادر اندريه جروميكو القاهرة يوم ٥ فبراير . ووصف الرئيس السادات نتائج هذه الزيارة بأنها « تمثل صفحة جديدة في العلاقات المصرية ـ السوفيتية » ، وأصدر تعليمات بسفر وفد مصر من وزراء التخطيط والصناعة والتجارة الخارجية الى موسكو يوم ١٧ فبراير . وعاد اندريه جروميكو الى موسكو ليعرض على الرفيق بريجنيف نتائج مهمته في القاهرة ودمشق استعدادا لسفره الى جنيف لمقابلة كيسنجر يوم ١٥ فبراير .

قبل ان يتم لقاء اندريه جروميكو وكيسنجر في جنيف ، كان هنري كيسنجر مجتمعا يوم ١٥ يناير (كانون الثاني) في واشنطن بايجال الون وزير الخارجية الاسرائيلي واستدعى سفير امريكا في القاهرة المستر هيرمان ايلتس للتشاور معه بينما تزايد الضغط الاسرائيلي على امريكا للحصول على اكبر معونة امريكية في تاريخ العلاقات الامريكية الاسرائيلية اذ طلب آلون معونة تصل الى ٢٠٠٠ مليون دلاور ، منها ١٥٠٠ مليون للسلاح وتقدم الرئيس فورد يطلب من الكونجرس الموافقة على منح اسرائيل ٦٥٩ مليون دولار معونة امن «طارئة».

بينما كانت هذه الاتصالات الدبلوماسية مستمرة كانت التقارير الرسمية تؤكد احتمال حدوث صدام مسلح جديد في المنطقة . واسرع هنري كيسنجر يطلب من سفيره في

القاهرة الذي كان في واشنطن ان يعود الى مقر عمله في مصر لابلاغ السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية بانه سيبدأ جولة جديدة في المنطقة مؤكدا انه سوف يحقق فصلا جديدا على جبهة سيناء في خلال جولتين ، الجولة الاولى للاستطلاع تبدأ قبل مباحثاته مع جروميكو في جنيف والثانية في شهر مارس (اذار) ١٩٧٥ ، وبعد الجولتين يتم تحقيق مايسعى اليه . وردت القاهرة على ذلك تطلب اختصار الجولتين في جولة واحدة ولكن كيسنجر أكد انه يستطيع ان ينجح في مهمته اذا اتيحت له فرصة القيام بجولة استطلاعية دقيقة تبدأ في فبراير وجولة حاسمة نهائية في مارس تؤدي الى الوصول الى اتفاق للفصل بين القوات على جبهة سيناء مع الاتفاق على مبادىء لفصل مماثل على جبهة الجولان .

وغادر كيسنجر واشنطن يوم ١٠ فبراير في طريقه الى الشرق الاوسط ، وقبل ان يغادر قاعدة اندروز الجوية ، كان الرئيس فورد في توديعه ليقول له : « لك ان تحظى بتأييد وبركة ٢١٣ مليون امريكي في مهمتك الصعبة » . وعندما غادر كيسنجر واشنطن الى الشرق الاوسط كان التوتر قد زاد بصورة تسمح بانفجار الموقف في اي لحظة.وكانت التأكيدات التي جاءت من كل العواصم العربية تشير الى ان فشل الجهود المبذولة سوف يؤدي حتما الى عودة الصدام المسلح مع احتمال فرض حظر جديد على البترول ، وهو الموقف الذي جعل فورد وكيسنجر يندفعان ويهددان باستخدام القوة العسكرية واحتلال منابع البترول .

قرر كيسنجر في هذه الجولة ان يبدأ بزيارة اسرائيل ثم مصر ، لان كل اتصالاته مع القاهرة منذ شهر اغسطس (آب) ١٩٧٤ كانت تؤكد ان مطالب مصر معروفة ومحددة بالصورة التي اعلنها الرئيس السادات وهي :

- انسحاب اسرائيل شرقي الممرات ويشمل ابار البترول مع انسحاب مماثل على جبهة الجولان .
- دعوة الفلسطينيين إلى مؤتمر جنيف ومناقشة مشكلة الشرق الأوسط في المؤتمر الذي سينعقد فور الانتهاء من هذه الموضوعات .
- اعلان انهاء حالة الحرب مرتبط بالحل الكامل والشامل للمشكلة .
- لا تنازلات ، ولا حلول فردية ، ولا مساومة على حق عربي .

جاء هنري كيسنجر الى القاهرة من اسرائيل في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٢ فبراير . ومن مطار القاهرة الدولي انطلقت السيارات تحمل كيسنجر واسماعيل فهمي واعضاء الوفد الامريكي الى استراحة القناطر ، حيث استقبل الرئيس السادات الوزير الامريكي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر ، وكانت ترافقه نانسي كيسنجر . وعلى امتداد ٤ ساعات تخللها غداء عمل شرح الوزير الامريكي الهدف من مهمته التي وصفها بانها استطلاعية وقال انه جاء الى المنطقة بتأييد من الرئيس الامريكي الذي ودعه بنفسه في قاعدة اندروز وانه بعد محادثاته في اسرائيل ، والتي سبقتها محادثاته مع ايجال آلون في واشنطن،فان لديه من المؤشرات ما يجعله مطمئنا الى انه سيتمكن من احراز بعض التقدم في هذه المرحلة ، وان حكومته مهتمة جدا بتحقيق ذلك .

وعندما سأله الرئيس السادات اذا كان يحمل معه تصورا لخط الانسحاب الذي تقترحه اسرائيل قال كيسنجر انه يحمل معه خرائط ولكن ليس عليها خطوط انسحاب ، وان لديه تصورا معينا للمدى الذي يمكن ان تنسحب اليه اسرائيل وانه في هذه الجولة سوف يجمع كل الحقائق ويحدد المواقف ، ثم يلتقي باندريه جروميكو في جنيف لاشراك السوفيت في الجهود والاتصالات الدائرة الآن،ثم يعود الى الشرق الاوسط في مارس (آذار) ويبقى في المنطقة الى ان يحقق ا لتقدم المطلوب .

وقبل ان يغادر كيسنجر مائدة الغداء قال له الرئيس : « مرة اخرى اؤكد لك ان موضوع انهاء حالة الحرب لن يكون موضع بحث ». وقال كيسنجر : « ان هذا واضح تماما ، ونحن لا نتحدث في هذه النقطة » . وقد سأل الرئيس كيسنجر عن برنامجه فقال انه سيتناول العشاء على مائدة زميله اسماعيل فهمي في منزله بالزمالك ، فقال الرئيس : « نظرا لاننا نريد استكمال الحديث فهل استطيع ان اكون معكم في هذا العشاء » . اسرع اسماعيل فهمي وقال : « سوف يكون شرفا لنا جميعا ان تكون معنا الليلة »

وحتى الساعة الواحدة من صباح اليوم التالي (١٢ فبراير) وفي جو شديد البرودة بصورة لم تعرفها القاهرة ظل الحديث ممتدا على مائدة العشاء . وغادر الرئيس منزل اسماعيل فهمي . وبعد دقائق كان كيسنجر يغادره وهو يقول تعقيبا على تصريح ادلى به اسحق رابين عن ازدياد التوتر في المنطقة « سوف تسمعون الكثير من التصريحات في كل مرة ازور فيها المنطقة يرتفع التوتر وتتبادل الاطراف التصريحـات والتهديدات » .

وغادر كيسنجر القاهرة يوم ١٢ فبراير الى سوريا ثم السعودية فاسرائيل . ثم توجه الى بون ليلتقي بمستشار المانيا الغربية ثم الى جنيف ... حيث التقى باندريه جروميكو لمناقشة القضايا الدولية وقضية الشرق الاوسط وكيفية مشاركة الاتحاد السوفيتي في تذليل الصعوبات القائمة . واشار بيانهما المشترك الى اهمية اجتماع مؤتمر جنيف في اقرب وقت ممكن وهي نفس الصيغة التي وردت في بيان فلاديفوستوك عن هذا المؤتمر .

وفي يوم الجمعة ٢١ فبراير ، ابلغ الوزير اسماعيل فهمي السيد سعيد كمال نائب مدير الدائرة السياسية لمنظمة التحرير في القاهرة رسالة الى السيد ياسر عرفات تدعوه لزيارة مصر لمناقشة الاوضاع بعد زيارة كيسنجر التي انتهت يوم ١٣ فبراير وقبل عودته مرة اخرى بعد ٣ اسابيع في ٧ مارس . وطار سعيد كمال الى بيروت ، واجتمع بالسيد عرفات اكثر من ٥ ساعات.وفوجئت القاهرة قبل ان تتلقى ردا على هذه الدعوة ببيان يصدر من اللجنة التنفيذية للمنظمة يشير الى ان التسوية الجزئية تهدف الى مقايضة جزء من الارض العربية بالقضية العربية كلها . وكانت وكالة الانباء الفرنسية قد نسبت الى المقاومة انها ذكرت ان التسوية الجزئية في جبهة سيناء تهدف الى مقايضة جزء من الارض العربية . وانكرت المنظمة هذا النص واعلنت عن ايفاد وفد يضم بعض اعضاء اللجنة التنفيذية دون السيد ياسر عرفات . ورد الرئيس السادات يوم ٢٧ فبراير بانه يرفض استقبال الوفد الا اذا جاء وفد يضم جميع اعضاء اللجنة التنفيذية بكامل هيئتها الى القاهرة ، وبعد توضيح الهدف من إصدار هذا البيان .

١١ ـ ملحمة اسوان

إذا جاز الوصف فان محادثات اسوان تعتبر أروع ملحمة في الحرب الدبلوماسية بين مصر واسرائيل .

لم تكن الحرب الدبلوماسية التي تخوضها مصر في تلك المرحلة ، مع اسرائيل فحسب ، بل شاركت اطراف عربية اخرى ،وغير عربية ،في شن حملة تشهير وتصعيد ، واضافت الى المعركة الدائرة عنصرا جديدا كان لا بد من وضعه في كل حساب .

رجل واحد ، كان يضع في تقديراته ضراوة المعركة التي تخوضها مصر على كل الجبهات ، اشار اليها في اللقاء الذي عقده مع القيادات السياسية والصحفية يوم ١٠ مارس (آذار) ١٩٧٥ ليقول كلمة واحدة « احتفظوا باعصابكم » . وكان هذا الرجل هو انور السادات ... كانت الدنيا تصرخ وتهدد وتتهم ، وانور السادات يدخن غليونه في حديقة استراحة الخزان ويقول : « اذا نجحنا اتهمونا بالتنازل والتصفية ، واذا فشلنا قالوا لقد حذرناكم.وفي الحالتين فنحن نعرف طريقنا » .

طار الرئيس انور السادات الى اسوان يوم ٤ مارس ، للاعداد لمرحلة من اخطر مراحل الصراع العربي الاسرائيلي ، وكانت احتمالات نجاح المهمة التي سوف يتولاها كيسنجر اكثر من احتمالات الفشل . ومع الرئيس السادات طار اسماعيل فهمي وزير خارجيته والفريق اول محمد عبد الغني الجمسي وزير الحربية ومعهم جميعا اتفاق الفصل بين القوات الاول الذي تم توقيعه في ١٨ يناير (كانون الثاني)١٩٧٤ ، ليكون اساسا للاتفاقية الجديدة وباعتبار ان نصوص الاتفاقية الاولى تضمنت تعهدات بعدم القيام باعمال عسكرية طوال تنفيذها وهو نفس االنص الذي تحرص مصر على ان يظل ساريا الى ان يتم التوصل الى اتفاق نهائي ينص على انهاء حالة الحرب في حالة تحقيق الحل الشامل للمشكلة .

وكان خط الانسحاب المصري محددا وممتدا من القلص شمالا على بحيرة البردويل ويمتد جنوبيا الى جنوب الطور على البحر الاحمر ، مشتملا على الممرات . وكان هذا الخط معروفا للولايات المتحدة ولهنري كيسنجر بالذات ، والذي كان من المفروض ان يتم التوصل الى اتفاق عليه في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ .

عقد اسماعيل فهمي والفريق الجمسي اجتماعا مطولا في اسوان يوم ٦ مارس وقد وضعا الخرائط على الطاولة يبحثان التفاصيل النهائية لخط الانسحاب والوضع العسكري المترتب على ذلك ، والخطوط المبدئية التي يمكن ان تكون اساسا لانسحاب مماثل على جبهة الجولان بعد اجتماع طويل عقده الرئيس مع اسماعيل فهمي يوم الاربعاء ٥ مارس . وكانت مصر قد طلبت من هنري كيسنجر ان يمارس كل ضغط ممكن على اسرائيل لمرور الادوية والمعونات لضحايا السيول في العريش بعد ان عرقلت ذلك دون وجه حق ، وطلبت

ان يكون للهلال الاحمر المصري من يمثله في الاراضي المصرية المحتلة مع السماح لهيئة الصليب الاحمر الدولية بممارسة مسؤولياتها في هذه الاراضي ، وكانت اسرائيل قد بدأت تثير ازمة باقتراب وصول كيسنجر الى المنطقة حول تحرك قطع الاسطول المصري في قناة السويس ، ومرور هذه القطع من الشمال الى الجنوب تحمل مدافع من عيار يزيد عن العيار الذي تحدده اتفاقية الفصل بين القوات ، كما اثارت ازمة لان مصر اقامت استحكامات ثابتة من الاسمنت المسلح في المنطقة التي تسيطر عليها القوات المصرية شرقي القناة .

وكان رد مصر على ذلك ما ابلغته لقائد قوة الطوارىء بان هذه « الاستحكامات » هي مجرد اساسات لبناء مستشفى في هذه المنطقة ، كما ان اتفاقية الفصل بين القوات نصت على عدم وجود مدافع « ثابتة » من العيار الذي تشكو منه اسرائيل ولكنها لم تنص على منع « مرور » هذه المدافع على ظهر بوارج بالاضافة الى ان قطع الاسطول التي كانت اسرائيل تتحدث عنها كانت تمر من الجنوب الى الشمال ، وليس من الشمال الى الجنوب ، بينما وجدت مصر من حادث تفجير الفدائيين لفندق سافوي في قلب تل ابيب عنصرا هاما لدعم وجهة النظر العربية التي سيتم ابلاغها لكيسنجر والتي اكدها الرئيس السادات عدة مرات من ضرورة نزع فتيل التفجير في المنطقة بتحريك الاوضاع القائمة التي يمكن ان تؤدي الى انفجار الصراع في اي لحظة .

هبطت طائرة هنري كيسنجر في مطار اسوان مساء يوم الجمعة ٧ مارس بعد ان اضطر للتوقف في بروكسل للاجتماع بوزير خارجية اليونان . وفي سيارة وزير الخارجية اسماعيل فهمي انطلق الوزيران الى فندق نيوكتراكت ، على ان يلتقيا صباح السبت مع الرئيس انور السادات . وكان كيسنجر قد اصطحب معه « نانسي » قرينته للاستمتاع بشمس اسوان ، وقضاء الساعات الطويلة في حوض سباحة فندق نيوكتراكت . وكان الجو العام لا يوحي بخطورة المرحلة التي ستمر بها المفاوضات وسط ابتسامات ومجاملات وحفلات عشاء وساعات طويلة في حوض السباحة ، بصورة لم تعكس حقيقة الازمة التي كانت تواجه وزير الخارجية الامريكي .

وفي الطريق من المطار الى الفندق كان اسماعيل فهمي قد ابلغ كيسنجر التصور النهائي المصري للموقف،مكررا ما قاله لكيسنجر في واشنطن في شهر اغسطس (اب) ١٩٧٤ وهو ان انهاء حالة الحرب موضوع تم اغلاق ملفه بصورة نهائية من قبل مصر ، وان الممرات وابار البترول وخط انسحاب محددا وواضحا هو اقل ما تطالب به مصر .

ووسط المجاملات العادية وتبادل التحيات ، استقبل الرئيس السادات هنري كيسنجر في استراحته بخزان اسوان في الحادية عشرة من قبل ظهر يوم السبت ٨ مارس. وكان كيسنجر متفائلا بالرغم من احساسه بخطورة المشكلة التي يعالجها . فقد بدأت انباء الهزيمة الامريكية في كمبوديا وفيتنام تهز مقاعد الحكم في واشنطن وتنال من سمعة هنري كيسنجر شخصيا ، بالاضافة الى انتصار اليسار في البرتغال وتوتر الموقف في قبرص ، وتشديد الهجوم على حكم فورد ، وسياسة كيسنجر داخل الكونجـرس الامريكي . وبالرغم من ذلك فقد استمر كيسنجر يمارس دبلوماسية الخطوات القصيرة التي بدأت باللقاء مع الرئيس السادات يوم الجمعة ٧ مارس والذي استمر حتى الثالثة

بعد الظهر وأكد فيه الرئيس السادات ـ كما قال لي اسماعيل فهمي بعد المقابلة الموقف المصري على الشكل الآتي :

١ ـ لم يتم تبادل مقترحات محددة وسوف يتم ذلك بعد عودة كيسنجر من اسرائيل .

٢ ـ أكد الرئيس ان مصر وجهت صيغة دعوة الفلسطينيين الى مؤتمر جنيف الى كل من الاتحاد السوفيتي وامريكا ولم تتلق ردا على هذا الاقتراح .

٣ . ان الانسحاب الاسرائيلي من سيناء سوف يتبعه انسحاب اسرائيلي من الجولان .

٤ ـ ان مصر سوف لا توافق بصورة من الصور على انهاء حالة الحرب الا في التسوية النهائية في مؤتمر جنيف ومع جميع الاطراف ، وان الاتفاق الحالي مجرد ترتيبات عسكرية لا ترقى الى مستوى تسوية جزئية ، وان مصر سوف تلتزم بالتعاون العسكري مع سوريا اذا تعرضت لاي عدوان اسرائيلي .

• عاد كيسنجر مرة اخرى لمقابلة الرئيس في السابعة مساء بعد حديث تبادله الوزير الامريكي مع الصحفيين في حمام السباحة ليطير في العاشرة من صباح يوم الاحد ٩ مارس الى اسرائيل في بداية مهمته المستحيلة .

دعانا الرئيس انور السادات للاجتماع به في الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر يوم الاثنين ١٠ مارس في نفس المكان الذي يجتمع فيه بالدكتور هنري كيسنجر باستراحة الخزان ، وكان الرئيس هادئا مبتسما بصورة لا تعكس خطورة المرحلة التي تمر بها هذه المحادثات والهجوم الذي تتعرض له مصر من عدة جبهات عربية وغير عربية . وكان الاجتماع يضم المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب والدكتور عبد العزيز حجازي رئيس الوزراء في ذلك الوقت والدكتور حافظ غانم الأمين الاول للاتحاد الاشتراكي العربي في ذلك الوقت واسماعيل فهمي وزير الخارجية والدكتور كمال ابو المجد وزير الاعلام السابق والوزير حسن كامل رئيس الديوان الجمهوري ورؤساء مجالس تحرير الصحف . وكنت مع مجموعة الصحفيين الذين شاركوا في هذا اللقاء .

بدأ الرئيس حديثه قائلا : « لا بد من ان نعرف الارضية التي نقف عليها ، نحن نمر بمفاوضات من نوع معقد جدا ونواجه معركة كبيرة وقاسية ، ولا بد وان نكون على استعداد لمواجهة المفاجأت ونستعد للمعارك والمعركة بدأت فعلا ...

« اذا نجحنا سنواجه غلا وحقدا ومرارة ، ومحاولة لتصوير الموقف بانه تصفية للقضية ، واذا لم نتوصل الى اتفاق سنواجه نفس المعركة ، امريكا امبريالية واستعمارية وهذا كان رأينا ، وانتم عـلى خطأ ونحن على صواب ... في الحالتين سنواجه الهجوم .

« ولذلك فانني اقول لكم نحن نجتاز مرحلة من المراحل الدقيقة والحساسة في حياتنا ... ولكن بدون قلق ، وقد نقلنا هذا القلق الى المجتمع الاسرائيلي . الآن كنت اقرأ مجلة تايم الامريكية ، وهي لا تنكر ان تغييرا كبيرا قد حدث في موازين القوى في العالم ، وفي منطقة الشرق الاوسط بحرب ٦ اكتوبر ، وان اسرائيل تواجه تناقضا ضخما وفقدانا لتفوقها . هذا الشرخ نال اسرائيل ، ونال كيانها ووجودها ... ما هو مستقبل اسرائيل ... كانوا يصدرون الينا القلق والتمزق في حربهم النفسية الشرسة ضدنا حتى

حرب ٦ اكتوبر ، وبعد الحرب انتقل التمزق الى اسرائيل . وهذا ما تقوله امريكا وتقوله الصحف الامريكية المؤيدة لاسرائيل .

« انا عاوز اعصاب هادئة ، والمتطلبات التي درسناها في عملنا العسكري نطبقها اليوم...وهذا ما قلته للضباط والقادة يوم ٥ رمضان...اي قبل ٥ ايام من المعركة.

« اليوم بدأت اطراف عربية تهاجمنا . وليبيا كذلك ... ونصيحتي ان نعرف المنطلقات التي نتحرك على اساسها ونعرف ما هو مطلوب منا وتكون اعصابنا هادئة جدا ... ونحن لسنا في حاجة ان نكون في موقف الدفاع لان التزامنا القومي بالنسبة للقضية العربية او الفلسطينية لا يستطيع احد ان يتكلم عنه ، لاننا قمنا بكل واجباتنا وتضحياتنا اكثر من تضحية الجميع ولا نريد معارك كلامية ... ولا بد وان نتحرك من موقع الثقة والمسؤولية .

« اذا تم الاتفاق .. خير ... واذا لم يتم نذهب الى جنيف وندفع بعملية السلام ، وحسب تطور الموقف نتخذ قرارنا بقناعة وباستقلال ارادتنا . ان مصر وانا رئيسها ، غير مستعدة اطلاقا ان تدخل في معارك ومهاترات مع قوة من القوى الكبرى ... ولا مصلحة لي في عدائي مع الاتحاد السوفيتي ... واذا لم يتم الاتفاق فلن اهاجم امريكا وسأبلغ الشعب واقول ان امريكا وعدتنا بكذا وكذا ولكنها لم تنفذ وعدها ... والمعركة مستمرة بدون مهاترات .. وبدون الفاظ طنانة . بعد معركة اكتوبر ، الاوراق في ايدي امريكا لانها تعطي اسرائيل من الفانتوم لرغيف العيش ، وامريكا تستطيع ان تضغط على اسرائيل » .

طار كيسنجر الى اسرائيل يوم الاحد ٩ مارس ، ليجتمع باسحق رابين بعد الظهر وليستمع الى مجموعة افكار اسرائيلية ادرك كيسنجر منها ان اسرائيل لم تصل الى قرار نهائي بالنسبة للمشروع المصري المحدد بالخرائط ونصوص الاتفاقية التي يمكن ان تقبلها مصر.فقد بدأ المفاوض الاسرائيلي يشير الى استعداده للوصول الى « اتفاق صغير » يشمل نوعا من الانسحاب لا يزيد عن ٣٠ كيلومترا ، بحيث تبقى ابار البترول في ابورديس تحت السيطرة الاسرائيلية . وتقوم مصر بايفاد مجموعة من المهندسين للاستمرار في تشغيل الابار مع الخبراء الاسرائيليين ... الى ان يتم تسليم الآبار الى مصر بعد ذلك ، وامكانية وجود المصريين داخل منطقة الابار بمفردهم على ان تحيط بهم قوات الامم المتحدة ووجود ممرات تشرف عليها قوة الطوارىء تسمح للمصريين الموجودين في هذه المنطقة بالعودة والخروج والتنقل . واذا اصرت مصر على ضرورة الانسحاب الى الممرات فلا بد من انهاء حالة الحرب ، وان تكون الاتفاقية الخاصة بالفصل بين القوات سارية لمدة ٨ سنوات دون المطالبة بانسحابات جديدة . وكان من بين الافكار التي سمعها كيسنجر ان اسرائيل على استعداد للانسحاب من اغلب اراضي سيناء وانها تريد ان تسمع من مصر في هذه الحالة ما هو « التنازل السياسي الذي تستطيع ان تقدمه » قبل بدء الاتصالات المباشرة بين البلدين تمهيداً للدخول في مرحلة تبادل العلاقات الاقتصادية ثم الدبلوماسية . عادت اسرائيل تثير مرة اخرى فكرة قيام دوريات مشتركة تضم قوات مصرية واسرائيلية للاشراف على تنفيذ اتفاقية الفصل بين القوات . وكرر كيسنجر للحكومة الاسرائيلية انه يدرك مدى تعقيد المشكلة ولكنه يؤكد ان مصر سوف لا توافق على انهاء حالة الحرب وسوف

لا توافق ايضا على ما تسميه اسرائيل بـ « الانسحاب الصغير » وان كان الجانب الاسرائيلي قد اشار الى انه على استعداد لقبول شيء مكتوب على الورق يمكن ان تسميه اسرائيل « انهاء لحالة الحرب » وتسميه مصر « وقف الاعمال العسكرية ... »

غادر كيسنجر اسرائيل الى انقرة لمقابلة وزير خارجية تركيا يوم ١١ مارس في محاولة للاعداد لبدء حوار بين الاتراك واليونانيين وعاد الى اسرائيل في اليوم التالي ليحصل منها كما اراد على نصوص واضحة وخرائط محددة يستطيع ان يتقدم بها الى مصر ولكنه طار من تل ابيب الى اسوان يوم ١٢ مارس وهو لا يحمل اكثر من مجرد افكار مهزوزة مرفوضة من اساسها .

جاء الدكتور كيسنجر مرة اخرى الى اسوان يوم الاربعاء ١٢ مارس بعد ساعتين من مغادرته اسرائيل ، وقابله الرئيس انور السادات يوم وصوله ، وابلغه رفض كل هذه الافكار الوهمية وقال له « دكتور كيسنجر اعتقد انه من المستحيل ان نصل الى اتفاق ... لان كل هذه المقترحات مجرد محاولات تقوم بها اسرائيل هدفها عدم الوصول الى اتفاق . اما بالنسبة لموضوع انهاء حالة الحرب فاننا نعتبر هذا الموضوع مرفوضا ومنتهيا » . واستدعى الرئيس السادات وزير خارجيته اسماعيل فهمي ووزير حربيته محمد عبد الغني الجمسي وطلب من اسماعل فهمي ان يبعث برسالة الى اندريه جروميكو يوم ١٢ مارس في موسكو لابلاغه بتطور سير المحادثات ، ورفض مصر للمقترحات الاسرائيلية .

انتهز كيسنجر وزوجته فرصة وجودهما في اسوان ليزورا معبد فيلا الذي نجح المهندسون المصريون بمساعدة اليونسكو في انقاذه من مياه السد العالي التي ارتفعت عند الخزان ، وليلتقي في المساء مع الرئيس السادات الذي ابلغ كيسنجر رفض مصر لمقترحات اسرائيل الخاصة بالدوريات المشتركة وسلمه نصا مكتوبا لاقتراح تقدمت به مصر بانشاء لجان عسكرية تضم عسكريين مصريين واسرائيليين وتشرف عليها الامم المتحدة وتجتمع تحت رئاستها اذا اقتضى الامر ذلك . كما اوضحت مصر ان الاتفاقية التي تسعى مصر الى تحقيقها هي اتفاق عسكري يوقع عليه العسكريون ، ولا يلزم مصر باي التزام سياسي ولا بد ان يكون محددا بفترة زمنية لا تزيد عن شهور ولا يصبح اتفاق الفصل بين القوات ساريا اذا تعرضت سوريا او الاردن او اي بلد عربي لعدوان اسرائيلي .

غادر كيسنجر اسوان صباح يوم الجمعة ١٤ مارس وهو يحمل رفضا مصريا لانهاء حالة الحرب بصفة قاطعة . ووصل الى اسرائيل ليواجه اول ازمة علنية خلال محادثاته في تل ابيب.فقد ادلى المتحدث باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية بتصريح قال فيه « ان اسرائيل ترى ان المقترحات التي حملها كيسنجر من اسوان لا تبدو باعثة على الارتياح ... وان المشاكل الرئيسية ما زالت كما هي » .وخرج روبرت اندرسون المتحدث الرسمي باسم الدكتور كيسنجر يقول : « ان اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل وغيره من المفاوضين الاسرائيليين الذين حضروا اجتماعات كيسنجر لم يشيروا الى ان الافكار المصرية قد وضعت مهمة السلام امام طريق مسدود . على العكس من ذلك فقد ابلغ رابين هنري كيسنجر ان مجلس الوزراء الاسرائيلي سوف يدرس هذه المقترحات صباح يوم الاحد ١٧ مارس » .

ترك كيسنجر لاسرائيل فسحة من الوقت لمراجعة الموقف المصري ، وطار الى دمشق والعقبة وعاد الى تل ابيب يوم الاثنين ١٧ مارس وتناول الافطار مع اسحق رابين ، بعد اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي طلب من كيسنجر الاستمرار في مهمته دون ان يتقدم بمقترحات محددة ، ثم عاد الى اسوان مساء يوم ١٧ مارس ومعه مجموعة افكار لا تتعدى مطالبة اسرائيل باظهار مصر لنوايا السلام ، والمطالبة بمرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس ، وان مجلس الوزراء الاسرائيلي ازاء رفض مصر لانهاء حالة الحرب لا يستطيع ان يوافق على الانسحاب الى شرقي الممرات وبالصورة التي تضمنتها الخرائط وعليها خط الانسحاب الممتد من البحر الابيض شمالا الى جنوب الطور على البحر الاحمر .

انهارت مهمة كيسنجر بصفة قاطعة يوم ١٨ مارس عندما جاء كيسنجر الى اسوان لا يحمل معه الا اصرار اسرائيل على انهاء حالة الحرب ، وقال الرئيس السادات امام كيسنجر في مؤتمر صحفي في حديقة استراحة الخزان « .. قد ينتهي الامر دون الوصول الى اتفاق ، ونحن على استعداد لمواجهة النتائج التي تترتب على ذلك ، ان مصر ترى انه من العبث ان تناقش ما يسميه الاسرائيليون انهاء حالة الحرب ما لم يخرج آخر جندي اسرائيلي من الاراضي العربية وما لم تتم تسوية مشكلة الشعب الفلسطيني » .

طلب كيسنجر من الرئيس السادات ان تتاح له فرصة القيام بمحاولة جديدة لاقناع الاسرائيليين بتغيير موقفهم بعد ان ابلغ الرئيس انه كان حاسما في اللقاء الاخير مع رابين في تل ابيب ، على ان يعود الى اسوان في اليوم التالي ومعه المقترحات الاسرائيلية.ووافق الرئيس على اتاحة الفرصة امام جولة اخيرة قد تحقق ما عجز كيسنجر عن تحقيقه خلال اسبوعين من التنقل بين اسرائيل واسوان . وغادر كيسنجر اسوان مساء يوم الاثنين ١٨ مارس ، ليبدأ اجتماعاته مع مجلس الوزراء يوم الثلاثاء ١٩ مارس ، وطلب اليه اسحق رابين ان يتناول الافطار مع فريق المفاوضين الاسرائيليين في مبنى مجلس الوزراء الى ان ينتهي رئيس الوزراء الاسرائيلي من جلسة المجلس ، وخرج رابين بعد ٤ ساعات ليجتمع بكيسنجر ويبلغه ان مجلس الوزراء لن يوافق على الاتفاقية المقترحة الا بعد اعلان انهاء حالة الحرب .

بالرغم من تحديد الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس ٢٠ مارس موعدا لوصول كيسنجر الى اسوان الا ان الرسائل التي كان يتلقاها هيرمان ايلتس سفير امريكا من كيسنجر كانت تبلغه بانه لا زال مجتمعا مع الجانب الاسرائيلي . وظل موعد وصوله معلقا الى ان تلقى ايلتس في الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٠ مارس ان كيسنجر في طريقه الى اسوان بعد ١٥ ساعة من الاجتماعات المستمرة . وعندما وصل كيسنجر في التاسعة مساء كان مجهدا يحاول ان ينتزع ابتسامة وهو يتحدث الى الصحفيين . وكانت حالة التوتر والاعياء واضحة على وجهه وهو يدخل الى استراحة الرئيس السادات ليبلغه بانه لم يحقق المطلوب ، وانه سيطير في صباح اليوم التالي ٢١ مارس الى اسرائيل في محاولة اخيرة واذا نجح في مهمته فسوف يعود الى اسوان ، وانه سيبقى في اسرائيل الى ان يتوصل الى ذلك .

خرج السفير تحسين بشير المشرف على الشؤون الصحفية برئاسة الجمهورية مع السفير روبرت اندرسون المتحدث الرسمي للدكتور كيسنجر من فندق نيوكتراكت لمقابلة الصحفيين في فندق كتراكت القديم ، وبسبب تعطل المصعد ، وصل تحسين بشير الى غرفة الصحفيين قبل اندرسون وابلغهم ان كيسنجر سوف يطير في اليوم التالي (الجمعة ٢١ مارس) الى اسرائيل ثم قد يعود الى اسوان في المساء او يوم السبت ٢٢ مارس ، وعندما وصل اندرسون الى غرفة الصحفيين قال « ارجو عدم تحديد موعد عودة كيسنجر الى اسوان لانه ليس من المألوف ان نحدد مواعيده مسبقا» .

طار كيسنجر في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢١ مارس الى اسرائيل بعد ان رفضت مصر انهاء حالة الحرب والمقترحات الاسرائيلية التي لا يمكن قبولها ، وظل الجميع في حديقة فندق كتراكت في انتظار ما ستسفر عنه مهمة كيسنجر الاخيرة في اسرائيل ، بينما قال لنا وزير الخارجية « ان اسرائيل تتحمل مسؤولية الفشل » وكان من الواضح ان مصر كانت تتوقع ان مهمة كيسنجر قد انهارت بينما حملت وكالات الانباء من تل ابيب ما يؤكد ان كيسنجر يواجه المتاعب . وخلال يوم الجمعة ٢١ مارس ، وطوال يوم السبت ٢٢ مارس ، كان هيرمان ايلتس السفير الامريكي يتلقى معلومات من كيسنجر تتراوح بين امل وزير الخارجية في النجاح وقلقه من الفشل .

وفي الساعة السابعة من مساء يوم السبت ٢٢ مارس خرجت مع وزير الخارجية السيد اسماعيل فهمي نطوف في شوارع اسوان ، ونتحدث عن التعديل الوزاري المتوقع دون ان يشير وزير الخارجية بكلمة واحدة الى الخبر الذي كان يتوقع سماعه عن مهمة كيسنجر ، وان كان واضحا من كلامه العام ، ان احتمالات الفشل قد اتضحت منذ البداية عندما صممت اسرائيل على انهاء حالة الحرب . وكان اصرار اسرائيل على هذا الطلب مفاجأة لم يتوقعها كيسنجر . وعندما عدنا الى فندق نيوكتراكت كان مكتب الرئيس السادات يطلب من اسماعيل فهمي ان يتصل بالرئيس فورا ، وكانت الساعة تقترب من الثامنة والنصف.وبعد حديث سريع بالتليفون مع الرئيس السادات ابلغني اسماعيل فهمي انه سيعقد مؤتمرا صحفيا فور عودته من مقابلة الرئيس .

كان الرئيس السادات قد تلقى في تلك اللحظة رسالة من الدكتور هنري كيسنجر تعبر عن اسفه لفشله في تحقيق مهمته وانه سيعود الى امريكا ليبحث مع الرئيس فورد كيف يمكن ان تستمر امريكا في الالتزام بمسؤولياتها ازاء تحريك الازمة ، وانه يعتذر من الرئيس لانه سيغادر تل ابيب الى واشنطن مباشرة،ولا يستطيع ان يطلب من مصر المزيد.

وباللغة الانجليزية ، وفي الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق من قبيل منتصف ليل يوم السبت ٢٢ مارس ، دخل اسماعيل فهمي الى غرفة الصحافة في فندق كتراكت ليعلن ـ قبل ان يعلن كيسنجر ـ « ان سياسة الخطوة خطوة التي كانت تمارسها الولايات المتحدة ، بعد فشل مهمة كيسنجر بسبب الموقف الاسرائيلي قد انتهت وبالتالي فان الخطوة التالية للتقدم هي دعوة مؤتمر جنيف للاجتماع في المستقبل القريب .

« ان اسرائيل قد ادخلت نقاطا لم تكن في اتفاقية الفصل بين القوات وهي اتفاقية

عسكرية . وهذه النقاط تعتبر عناصر تدخل في اطار اتفاقية السلام . ان مصر رفضت وترفض وسوف ترفض انهاء حالة الحرب الا في حل نهائي ، يتضمن انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية وقيام دولة فلسطين » .

وعند منتصف الليل كان هنري كيسنجر يتصل بالرئيس الامريكي جيرالد فورد من القدس لابلاغه بفشل مهمته ، واعلن كيسنجر يوم السبت وكان ما زال في القدس « ان مصر واسرائيل فشلتا في التوصل الى اتفاق ... وسوف اعود الى واشنطن مساء غد الاحد ».وقال المتحدث الرسمي روبرت اندرسون في القدس استكمالا لبيان كيسنجر : « لقد رأينا ان هناك حاجة الى فترة اعادة تقييم حتى تتمكن كل الاطراف من بحث افضل الوسائل للمضي تجاه اقرار سلام عادل ودائم » .

وفي صباح يوم الاحد ٢٣ مارس وقبل ان يغادر هنري كيسنجر تل ابيب كانت الدموع تلمع خلف زجاج نظارته وهو يقول « انه يوم حزين للغاية بالنسبة للولايات المتحدة واسرائيل ».

اجتاحت اسوان يوم الاحد ٢٣ مارس عاصفة ترابية ادت الى تعطيل سفر الرئيس السادات عائدا الى القاهرة بضع ساعات بينما اعلن اسماعيل فهمي وزير الخارجية بعد لقاء مع الرئيس السادات انتظارا لموعد سفر الطائرة الى القاهرة : «ان الرئيس سوف يطلع العالم وشعب مصر على كل تطورات الموقف من منبر مجلس الشعب وان مصر ستعيد النظر في موضوع صلاحيات قوة الطوارىء التي ينتهي عملها يوم ٢٤ ابريل ، وانها ستطلب دعوة مؤتمر جنيف للاجتماع ، وسوف توجه هذا الطلب الى الدولتين العظميين ».

عاد الرئيس السادات الى القاهرة في الثامنة والنصف من مساء يوم الاحد ٢٣ مارس بعد ان تسلم رسالة من فورد تتضمن تأكيدات منه بأن حكومته سوف تعيد تقييم علاقاتها بدول المنطقة ، وانه سيستدعي سفراء امريكا في كل من مصر وسوريا واسرائيل والاردن ، للاشتراك في هذه العملية،بينما اعلن الرئيس السادات يوم السبت ٢٩ مارس من منبر مجلس الشعب السياسة المصرية بعد فشل مهمة كيسنجر محددا النقاط التالية :

- فتح قناة السويس للملاحة يوم ٥ يونيو .
- تجديد فترة بقاء قوة الطوارىء ٣ اشهر بدلا من ستة .

(يمتد عمل قوة الطوارىء من ٢٤ ابريل الى ٢٤ يوليو (١٩٧٥)

- دعوة مؤتمر جنيف للانعقاد .
- خطة عمل محددة تتقدم بها مصر الى مؤتمر القمة العربي (في ٢٨ يونيو بمقديشيو) .
- تسليم ٣٩ جثة لضباط وجنود اسرائيليين كانت مدفونة في صحراء السويس .

قبل ان يطير هيرمان ايلتس سفير امريكا في القاهرة الى واشنطن للاشتراك في المؤتمر الذي دعا اليه الرئيس فورد ، طلب اسماعيل فهمي وزير الخارجية يوم الثلاثاء اول ابريل دعوة فلاديمير بولياكوف سفير الاتحاد السوفيتي وهيرمان ايلتس للاجتماع به وابلغهما طلب مصر دعوة مؤتمر جنيف للاجتماع على ان تقوم الدولتان العظميان (امريكا

والاتحاد السوفيتي) بالاتصالات اللازمة لدعوة المؤتمر للاجتماع ، بينما بعث الرئيس السادات برسائل الى اغلب قادة العالم ، واقترح توسيع مؤتمر جنيف ، بحيث تشترك فيه دولتان من دول السوق الاوروبية هما انجلترا وفرنسا ودولة من عدم الانحياز ترشحها هذه المجموعة مثل يوغوسلافيا .

ومن واشنطن ، وفي يوم اول ابريل (نيسان) ١٩٧٥ اعلنت الولايات المتحدة انها قررت ارجاء البت في اية اتفاقيات جديدة بشأن شحن اسلحة الى الشرق الاوسط (اسرائيل) اثناء عملية التقييم التي تجري في العاصمة الامريكية .

وفي القاهرة ومساء يوم الجمعة ٤ ابريل طلب السفير السوفيتي مقابلة اسماعيل فهمي وزير الخارجية ، وقد دعاه الوزير لمقابلته في منزله بالزمالك وابلغ الوزير رسالة من المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الى الرئيس السادات . وتدعو الرسالة وزير خارجية مصر لزيارة موسكو يوم ٧ ابريل اي بعد ٣ ايام ولكن اسماعيل فهمي ابلغ السفير السوفيتي انه قد ارتبط بزيارات سيقوم بها وزراء خارجية اليونان والمانيا الغربية وماليزيا وانه يقترح ان تكون زيارته يوم ١٩ ابريل ولكن السفير السوفيتي ابلغه انه في هذه الحالة فسوف تتم زيارة كل من عبد الحليم خدام نائب رئيس وزراء سوريا وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قبل زيارته ، لان القادة السوفيت يفضلون ان تبدأ محادثاتهم مع الوزراء العرب ، بمحادثات مع وزير خارجية مصر اولا.وفي اليوم التالي كان اسماعيل فهمي جالسا في شرفة منزله مع السيد ياسر عرفات و سأل الزعيم الفلسطيني « هل ستزور موسكو » فقال عرفات : « تلقيت دعوة ولكنني لم احدد الموعد بعد » . فقال اسماعيل فهمي « لقد تلقيت دعوة امس وستتم زيارتي يوم ١٩ ابريل » .

في خلال الفترة التي اعقبت انهاء مصر لمهمة كيسنجر ، كان السيد اسماعيل فهمي يتلقى بانتظام معلومات وافية عن محادثات يجريها السفير اناتولي دوبرنين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن مع الدكتور هنري كيسنجر تتناول موضوع دعوة الفلسطينيين الى مؤتمر جنيف ، واسلوب معالجة الشرق الاوسط،الى جانب محادثات اخرى كانت تتم بين وزيري خارجية الدولتين العظميين تتعلق بالموضوعات الدولية الهامة والعلاقات بين الدولتين . وقرر الرئيس السادات ان يوفد اسماعيل فهمي الى موسكو ، لاجراء محادثات سياسية كما طلب السوفيت بعد ان تعثرت مهمة الوفد الاقتصادي المصري في موسكو .

كانت محادثات الوفد الاقتصادي المصري قد بدأت في موسكو يوم ١٧ فبراير (شباط) وكان الوفد مشكلا من الدكتور محمود علي حسن وزير الصناعة (السابق) وفتحي المتبولي وزير التجارة (السابق) والدكتور طاهر امين وزير الدولة للتعاون الاقتصادي (السابق) وكان هدف الزيارة بحث التعاون الصناعي بين البلدين . ولكن صعوبة اعادة جدولة الديون أدت الى عرقلة الوصول الى اتفاقيات للتعاون الصناعي . وبالرغم من تحقيق بعض التقدم الا ان الجانبين اقتنعا بضرورة بحث ومناقشة العلاقات السياسية بحيث انه في حالة الوصول الى تفاهم حولها فان المشاكل الاقتصادية والصناعية والفنية تجد طريقها الى الحل .

وقد اقترح الجانب السوفيتي بعد طول مناقشات مع الوفد الصناعي المصري ان يطير فتحي المتبولي الى بولندا كما كان مقررا ويعود الى موسكو ليعرف الرأي النهائي الذي اتخذه الجانب السوفيتي ، ولكن المتبولي صمم على الوصول الى اتفاق لانه اذا غادر موسكو الى وارسو ، فانه سيعود الى القاهرة دون اتفاق ، وبعد مناقشات تم حل اغلب المشاكل التجارية والصناعية دون اتخاذ قرار في موضوع اعادة جدولة الديون .

وبناء على اقتراح السوفيت بايفاد وفد سياسي فقد كلف الرئيس السادات وزير خارجيته اسماعيل فهمي باختيار مساعديه من وزارة الخارجية وضم الوفد السفراء محمد رياض وعمر سري واسامة الباز ، وقبل ان يغادر فهمي القاهرة بيوم واحد صدر التشكيل الوزاري الجديد يوم ١٦ ابريل ، وطار فهمي الى موسكو يوم ١٩ ابريل بوصفه نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية .

فور وصول الوفد المصري الى موسكو ، بدأت المباحثات السياسية يوم ١٩ ابريل بين جروميكو واسماعيل فهمي ، وكان واضحا منذ اللحظات الاولى ان الاتحاد السوفيتي قد اتخذ قراره السياسي بالتعاون مع مصر بعد فشل جهود كيسنجر الا ان السوفيت كانوا يريدون في نفس الوقت معرفة مدى تمسك مصر برفضها لسياسة الخطوات القصيرة وكذلك مدى استعدادهم للترحيب باشراك الاتحاد السوفيتي في كل محاولات الحل السياسي للمشكلة . وكان فهمي واضحا في تأكيداته بان اول رسالة خرجت من اسوان كانت يوم ١٢ مارس وكانت للاتحاد السوفيتي لابلاغه بعد جلستين من المباحثات مع كيسنجر بفشل سياسة الخطوات القصيرة ، كما ان مصر اطلعت الاتحاد السوفيتي على كل تفاصيل الموقف ، وانها لذلك تريد ان تعرف نتائج اتصالات الاتحاد السوفيتي ، مع امريكا بالذات ، ومع بقية عواصم العالم خصوصا بالنسبة للشرق الاوسط . ودار حديث طويل حول مؤتمر جنيف . وبالرغم من اظهار مصر لرغبتها في الاسراع بعقد المؤتمر الا ان اندريه جروميكو قال لي جملته المشهورة التي قالها ايضا في جلسة المباحثات « ليس المهم مجرد انعقاد مؤتمر جنيف ... ولكن المهم انعقاد مؤتمر جيد لجنيف يتم الاعداد له » وكانت هذه الصيغة هي التي طرحتها مصر منذ بداية الاتصالات مع السوفيت ومع الامريكان .

كانت مشكلة الفلسطينيين ايضا موضع مناقشات طويلة . فالسوفيت يريدون كما تريد مصر ، دعوتهم للاشتراك في المؤتمر ، ولكنهم لا يريدون النص على قرارات الامم المتحدة السابقة في صيغة الدعوة لان الفلسطينيين لا يريدونها ، كما ان امريكا سوف تعارض ذلك . وكان اتفاق الجانبين على الاكتفاء بتوجيه الدعوة بالصيغة التي اقترحتها مصر مع عدم النص على قرارات الامم المتحدة وبحيث تكون الدعوة موجهة للفلسطينيين للاشتراك في المؤتمر ، دون النص على ان اشتراكهم يتم طبقا لقرارات محددة صدرت من الامم المتحدة . وقد طلب اسماعيل فهمي من جروميكو ان يمارس الاتحاد السوفيتي كل جهوده من اجل اقناع امريكا بالبدء في التحرك نحو المؤتمر ودعوة الفلسطينيين .

وقد انتهز اسماعيل فهمي فرصة الاجتماعات مع جروميكو التي سبقت اللقاء المتوقع مع بريجنيف ليصارحه بحقيقة مشاعر القاهرة وهي تجد ان مشكلة جدولة الديون

ما زالت معلقة ،كما انمصر تريد ان تعرف من الاتحاد السوفيتي نتائج اتصالاته حتى تشترك الدولتان في تنسيق مواقفهما .

دعا الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف اسماعيل فهمي لمقابلته في قصر الكرملين في الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر يوم الاثنين ٢١ ابريل ، وكان تحديد مكان اللقاء في مكتب الزعيم السوفيتي تأكيدا واضحا بأنه في احسن حالة من الناحية الصحية وقد اراد بريجنيف فعلا ان يؤكد ذلك اذ عانق اسماعيل فهمي وهو يدخل الى مكتبه . وقد قال فهمي بعد ذلك « احسست بعظامي تنكسر تحت ضغط ذراعي بريجنيف» . وبعد العناق قال بريجنيف لفهمي : « انني في احسن حالة » ، ورد فهمي قائلا : « يبدو ذلك واضحا » .

واصر بريجنيف على اشعال السجائر ، بينما كان اسماعيل فهمي يدخن سيجاره الكوبي . والتفت الزعيم السوفيتي الى فهمي وقال: «ارجو ان تبلغ اخي الرئيس السادات انني سأزوره قريبا ... اما زيارتي لامريكا فلم تتحدد بعد وسوف اوفد اندريه جروميكو الى القاهرة خلال عدة ايام للتشاور معكم » .

كانت من اهم الملاحظات التي ابداها بريجنيف هي اظهار اهتمامه بمستقبل كيسنجر ، والرئيس فورد ، وكان من الواضح ان احتمال استقالة كيسنجر ، هو اضعاف لفورد مما سيؤثر على حالة الانفراج الدولي ، وكان السوفيت يعتقدون ان اختفاء كيسنجر سوف يؤدي الى تهديد الوفاق ، وهي السياسة التي ينادي بها بريجنيف ويدافع عنها .

وكان هناك حديث طويل عن العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية . وكان واضحا من طريقة الحديث ان بريجنيف لم يسترد فقط كل قواه الصحية بل تعاظم دوره بعد فترة من القلق سبقت اخراج شيليبين من المكتب السياسي .

قبل ان يطير اسماعيل فهمي عائدا الى القاهرة كان قد حصل على وعد من السوفيت بان انهاء المسائل السياسية المعلقة سوف يؤدي الى مرحلة « انفتاح » اقتصادي وصناعي في علاقات مصر مع الاتحاد السوفيتي ، ولذلك فقد تقرر ان تبدأ الاتصالات بايفاد وفد صناعي الى موسكو برئاسة المهندس عيسى شاهين وزير الصناعة الجديد قبل سفر جروميكو الى القاهرة انه وفي حالة تحقيق تفاهم حول كل المسائل تبدأ مناقشة اعادة جدولة الديون . وكان من رأي فهمي ان جميع الدول التي اشتركت في الحرب العالمية الثانية قد حصلت على مساعدات من امريكا بل تنازلت امريكا عن كل مطالبها المالية التي كانت مستحقة على الدول التي تلقت منها معونات عسكرية وان مصر تريد ان تعامل من الاتحاد السوفيتي معاملة الدولة التي حاربت وتعاني من اوضاع مالية تقتضي اعادة جدولة الديون اذا كان التنازل عنها غير ممكن.

بعد لقاء الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف مع اسماعيل فهمي وفي اثناء اعداد البيان المشترك كان من الواضح ان الاتحاد السوفيتي يريد ان يتأكد من ان أي مبادرات تتقدم بها امريكا لمصر لا بد وان تكون داخل مؤتمر جنيف ، وان الاتحاد السوفيتي يتوقع

ان تتم التسوية على مراحل وفي داخل المؤتمر وباتفاق مشترك وترتيب بين الامريكان والسوفيت ، وكان فهمي قد أكد لجروميكو انه تلقى عدة دعوات للسفر الى امريكا بعد فشل سياسة الخطوات القصيرة وانه رفض ، وليس من المعقول ان تعود مصر وتوافق على ما رفضته علنا وقبل ان يعلن كيسنجر من اسرائيل عن هذا الفشل . وطلب السوفيت اضافة فقرة الى البيان المشترك ، وبعد مناقشات اتفق الجانبان على حذفها وكان ذلك على مائدة الغداء في منزل السفير المصري في موسكو حافظ اسماعيل الذي كان غائبا في القاهرة لوفاة شقيقه وكان القائم بالاعمال المصري الوزير المفوض محمود سعيد هو الذي يتولى القيام بدور المضيف .

وقبل منتصف الليل يوم ٢١ ابريل جاء نائب وزير الخارجية فاسيلي كوزنتسوف الى مقر اقامة الوفد المصري في تلال لينين ، وطلب من السفير محمد رياض اضافة الفقرة المحذوفة ولكن الجانب المصري ابلغه بان البيان الرسمي قد نقلته الصحافة والاذاعة المصرية دون ان تشير الى هذه الفقرة ، وان الحذف تم بموافقة الوفد السوفيتي . ولكن كوزنتوف قال انه لديه من التعليمات ما يؤكد ضرورة النص على هذه الفقرة . وعلى الفور تدخل اسماعيل فهمي ووافق على اضافتها ودون أي تعديل وكانت الفقرة تقول :

« على ان أي اجراءات جزئية والقرارات حولها يجب ان تكون جزءا لا يتجزأ من التسوية الشاملة ، كما يجب ان توضع وتتخذ في اطار مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط » .

وكان الواضح من الموقف السوفيتي انه في حال الوصول الى أي اتفاق على مراحل التسوية لا بد وان يتم داخل مؤتمر جنيف وهو ما اعلنته مصر رسميا من ان المؤتمر هو الاطار الشرعي لحل المشكلة .

فور عودة اسماعيل فهمي الى القاهرة يوم ٢٢ ابريل كان قرار الرئيس قد صدر بايفاد المهندس عيسى شاهين لموسكو ، وقد سافر فعلا يوم ٤ مايو ... بينما اسفرت الاتصالات التي تمت بين مصر والاتحاد السوفيتي عن دعوة جروميكو لزيارة القاهرة كما اعلن ذلك بريجنيف على ان تتم هذه الزيارة بعد اللقاء بين هنري كيسنجر وجروميكو في فيينا يوم ١٩ مايو .

رسالة اخرى كانت في طريقها الى الرئيس السادات من الرئيس جيرالد فورد تدعوه للاجتماع به في اسبانيا ، بعد انتهاء محادثات الرئيس الامريكي في بروكسل . واقترح الرئيس السادات ان يتم اللقاء في سالزبورج ووافقت واشنطن على ذلك ، وصدر في القاهرة وواشنطن بيان مشترك يوم ٢ مايو (ايار) ١٩٧٥ ينص على الآتي

« تم الاتفاق بين الرئيس جيرالد فورد والرئيس محمد انور السادات على ان يجتمعا في سالزبورج في النمسا ، يوم ١و٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ لمناقشة المسائل التي تهم البلدين ولبحث سبل تدعيم العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ».

الجزء السادس

من قمة سالزبورج
الى اتفاقية الفصل الثاني

١ ـ اللقاء التاريخي في سالزبورج

دعا السيد اسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السفير الامريكي في القاهرة هيرمان ايلتس الى منزله المطل على النيل بالزمالك ظهر يوم الجمعة ٢ مايو (ايار) ١٩٧٥ وسلمه رسالة مكتوبة من الرئيس السادات الى الرئيس جيرالد فورد ، يبلغه فيها ترحيبه بالدعوة التي وجهها الرئيس الامريكي للرئيس السادات لمقابلته في عاصمة اوربية يتم الاتفاق عليها ، في اوائل شهر يونيو (حزيران) واقترح الرئيس السادات ان يتم اللقاء في النمسا ، باعتبارها دولة اوربية تمارس سياسة الحياد الايجابي النشيط ولان مستشارها الدكتور برونو كرايسكي يقوم بدور متميز كاحد قادة مجموعة الاحزاب الاشتراكية الدولية .

ورد الرئيس فورد موافقا على هذا الاختيار وتم الاتفاق على ان يكون لقاء القمة في مدينة سالزبورج الجبلية لموقعها الممتاز والهادىء ، ولبعدها عن العاصمة النمساوية . وسعت النمسا الى توفير جميع اسباب الراحة وتهيئة الجو المحايد ، بعيدا عن أي تأثيرات سياسية ليلتقي الرئيس السادات بالرئيس فورد في اول لقاء قمة بين الرئيس الامريكي الذي قفز من منصب نائب رئيس الجمهورية الى منصب الرئاسة ، وبين الرئيس انور السادات اول زعيم عربي ، وأول قائد من قادة دول العالم الثالث ، ينتقل الرئيس الامريكي لمقابلته في عاصمة اوربية يناقش معه الاوضاع الخاصة بالشرق الاوسط ، وليتعرف على الرئيس المصري الذي قال عنه الرئيس فورد: « لقد سمعت عنكم الكثير من رجال الكونجرس الامريكي والصحفيين الامريكان ومن اساتذة الجامعات وكلهم اجمعوا على الاشادة بحكمتكم وسياستكم الهادفة الى تحقيق السلام».

ومهدت صحيفة « الاهرام » للقاء سالزبورج بنشرها يوم ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ نبأ مفاده ان الرئيس السادات سيقوم بتحرك واسع على المستوى العربي والدولي خلال شهر مايو (ايار) واوائل شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٥

وكان الرئيس السادات قد زار خلال شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٥ السعودية وفي خلال زيارته لجدة التقى بالرئيس حافظ الاسد واجتمع به ٧ ساعات ، ثم قرر بعد ان تلقى دعوة الرئيس فورد لمقابلته في عاصمة اوربية اجراء لقاءات مع بعض القادة العرب ، ثم مع الرئيس جوزيف بروز تيتو ، وبعد ذلك مع قادة النمسا ، ويختم هذه الجولة بلقاء القمة مع فورد في سالزبورج .

كانت خطة القيادة المصرية ــ وهي ترفض الجمود الذي تريد. ان تفرضه اسرائيل ــ ان يتم رفع مستوى المحادثات الدائرة بين مصر والولايات المتحدة الى مستوى القمة باشراك الرئيس الامريكي جيرالد فورد بنفسه ومعه وزير خارجيته في الاتصالات الدائرة ، من اجل تحريك الموقف تنفيذا للتعهد الذي اعلنه فورد بنفسه وابلغه للاسرائيليين كما ابلغه

لوفد البرلمانيين المصريين الذين اجتمع بهم الرئيس فورد في البيت الابيض يوم اول مايو (ايار) ١٩٧٥ ومفاده ان امريكا ترفض تجميد الموقف في الشرق الاوسط وان الرئيس فورد سيسعى بكل ثقل الولايات المتحدة ووزنها الى تحقيق مزيد من التقدم على طريق السلام في المنطقة .

كلف الرئيس السادات ، نائبه الجديد محمد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية بالسفر فورا الى دمشق يوم ٣٠ ابريل (نيسان) وذلك قبل اذاعة نبأ اللقاء مع الرئيس فورد لابلاغ الرئيس حافظ الاسد بالرسالة التي تلقاها من الرئيس الامريكي ، وطار حسني مبارك الى دمشق والتقى بالرئيس حافظ الاسد ، وعاد في نفس اليوم يحمل تأييد الحكومة السورية للتحرك السياسي الذي اختاره الرئيس السادات لمواجهة الجمود الذي تريد ان تفرضه اسرائيل . وفي يوم عيد العمال (اول مايو ١٩٧٥) كان الرئيس السادات يتلقى تأييد دمشق وفي اليوم التالي (٢ مايو) كان اسماعيل فهمي يبلغ السفير الامريكي موافقة السادات على لقاء القمة مع فورد .

وفي يوم ١٢ مايو (ايار) ١٩٧٥ كان الرئيس السادات يطير الى الكويت ويبقى فيها حتى يوم ١٤ مايو ، ويغادرها في نفس اليوم الى العراق وتستمر محادثاته حتى يوم ١٦ ، ثم يزور الاردن في اول زيارة يقوم بها رئيس مصري لعمان ويبقى في الاردن حتى يوم ١٧ مايو ، ثم انتقل الى دمشق وبقي فيها يوما واحدا وعاد الى القاهرة ليستقبل المستر تشارلز روبنسون وكيل وزارة الخارجية الامريكية الذي وصل يوم ١٩ مايو ، لبحث العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة ومصر ، قبل لقاء السادات وفورد . وكان البيان الرسمي الذي صدر عن اللقاء المتوقع في سالزبورج اشار الى انه سيتناول قضيتين :

١ ـ الشرق الاوسط وموقف امريكا .

٢ ـ المسائل التي تهم البلدين وبحث سبل تدعيم العلاقات بين مصر والولايات المتحدة .

وابلغ روبنسون الرئيس السادات ان امريكا تسعى لتكوين « كونسورسيوم دولي » لتقديم الاعتمادات اللازمة لاعادة تعمير مصر ، تساهم فيه الولايات المتحدة وتقدم فيه مجموعة من الدول العربية وايران والمانيا الغربية واليابان الاعتمادات اللازمة لهذا الغرض ، على ان يبحث الرئيس السادات هذا الموضوع من ناحية المبادىء العامة مع الرئيس فورد في لقاء سالزبورج .

بعد انتهاء جولته العربية ، وقبل اللقاء المتوقع مع الرئيس الامريكي جيرالد فورد كان الرئيس السادات يتلقى رسالة من الرئيس اليوغوسلافي جوزيب بروز تيتو يقترح فيها اتمام لقاء قمة بين الرئيسين في اقرب وقت ممكن . وكان الرئيس السادات من جانبه قد قرر ضرورة تحقيق هذا اللقاء ، فالجهود المبذولة من اجل تحقيق تقدم جديد في اتجاه الحل السلمي للمشكلة قد تعثرت بسبب موقف اسرائيل ، واللقاء المتوقع بين السادات وفورد لا بد وان يسبقه المزيد من التشاور مع تيتو احد قادة دول عدم الانحياز ، والرجل الذي ايد سياسيا وعسكريا واقتصاديا كل الجهود التي مارسها الرئيس السادات سواء بالحرب او بالسياسة من اجل تحرير الاراضي العربية .

وقبل زيارته الى يوغوسلافيا تسلم الرئيس السادات رسالة من الرئيس تيتو حملها

اليه المستر ميلوش مينيتش وزير الخارجية اليوغوسلافية يوم ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ يقترح فيها ضرورة تعاون جميع الدول غير المنحازة مع مصر ، على ان يكون هذا التعاون في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية كما قال تيتو « بحيث ننتقل من اسلوب التأييد السياسي المطلق الى اسلوب التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري وذلك بمد مصر والدول العربية التي تحتاج الى ذلك ، بكل معونة مطلوبة لمواجهة العدوان الاسرائيلي .. » وكان من رأي الرئيس اليوغوسلافي ان تقدم دول عدم الانحياز التي تقوم بانتاج او شراء اسلحة سوفيتية مثلا هذه الاسلحة الى مصر ، وانه اذا كانت مصر تحتاج الى مواد غذائية او صناعية فان دول عدم الانحياز يجب ان تسارع بتقديمها اليها بالاضافة الى اقتراح الرئيس تيتو تكليف وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذين سيجتمعون في ٢٥ اغسطس (آب) ١٩٧٥ في ليما عاصمة بيرو تشكيل لجنة سياسية من الدول الاعضاء تتولى متابعة قضية واحدة هي قضية العدوان الاسرائيلي على مصر والدول العربية على ان تتقدم لجنة بمقترحاتها الى رؤساء دول عدم الانحياز لاتخاذ مواقف محددة في جميع المجالات الدولية لدعم موقف مصر .

ونوقشت فكرة عقد مؤتمر قمة محدود لعدد من رؤساء دول عدم الانحياز بصفة عاجلة لاتخاذ قرارات واجراءات سريعة لمواجهة حالة الجمود ، بينما اوفدت السيدة انديرا غاندي وزير خارجيتها المستر ت . شافان يوم ٢٨ مايو (ايار) ١٩٧٥ يحمل رسالة الى الرئيس السادات ، ردا على رسالة الرئيس التي بعث بها اليها في اطار المشاورات التي يجريها مع قادة عدم الانحياز قبل اللقاء المرتقب مع الرئيس فورد .

كان تحديد موعد لقاء الرئيس السادات مع الرئيس تيتو يحتاج الى مشاورات متعددة دارت بين القاهرة وبلجراد ، فقد كان من رأي الرئيس السادات ان يتم اللقاء ، قبل اجتماعه بالرئيس فورد بينما كان الرئيس تيتو يشكو من مرض اللمباجو . وبعد عدة اتصالات تم الاتفاق على ان يتم اللقاء يوم الخميس ٢٩ مايو (ايار) في مدينة برنيك بالقرب من كرانيى على بعد ٣٠ كيلومترا من بليد في سلوفنيا حيث يقضي الرئيس تيتو فترة من الراحة ، بعد اشتراكه يوم ٢٥ مايو في الحفل الذي اقيم بمناسبة مرور ٣٠ سنة على تحرير يوغوسلافيا . واضطر الرئيس تيتو للبقاء في قصره وترك للدكتور فلاديمير باكرتش نائب الرئيس ، وسيجري جرابكر رئيس جمهورية سلوفنيا مهمة استقبال الرئيس السادات الذي وصل يوم الخميس ٢٩ مايو الى بليد في الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر واجتمع بالرئيس تيتو قبيل الساعة الواحدة بعد الظهر ، وظل الرئيسان في اجتماعات مستمرة على موائد الغداء والعشاء والمحادثات الرسمية حتى غادر الرئيس السادات يوغوسلافيا في الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الجمعة ٣٠ مايو قاصدا فينا في اول زيارة يقوم بها رئيس مصري للعاصمة النمساوية .

هبطت طائرة الرئيس انور السادات الى مطار فينا في الساعة الثانية عشرة والنصف (بتوقيت شرق اوربا) من بعد ظهر يوم الجمعة ٣٠ مايو (ايار) ١٩٧٥ حيث كان في استقباله الدكتور رودلف كيرشليجر رئيس جمهورية النمسا ، والدكتور برونو كرايسكي مستشارها ، وعدد ضخم من ابناء الجالية المصرية يرحبون بهذه الزيارة التي كانت تؤكد

رغبة الرئيس المصري في تبادل الرأي مع دولة من دول اوربا ، اشتهرت وتميزت بمواقفها الوطنية الجريئة ، عندما رفض مستشارها الدكتور برونو كرايسكي الخضوع لتهديدات وابتزاز حكومة جولدا مائير بعد حادث اغلاق معسكر شوناو (في ٢٨ سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٧٣) وللدور الذي تقوم به النمسا وحزبها الاشتراكي داخل مجموعة الاحزاب الاشتراكية الاوروبية ، والتي حاولت اسرائيل ان تمارس تأثيرها الحزبي على هذه المجموعة .

قبل ان يصل الرئيس السادات الى النمسا حاولت اسرائيل ان تعكر احتمالات التقارب الذي بدأت معالمه في الوضوح ، باذاعة انباء تؤكد ان برونو كرايسكي قد اقترح لقاء بين الرئيس السادات بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي العربي ، وممثلو حزب العمل الاسرائيلي الاشتراكي .

وقد دعا الدكتور برونو كرايسكي الصحفيين المصريين الذين جاءوا الى فينا لتغطية زيارة الرئيس السادات الى مؤتمر صحفي عقده في دار المستشارية ، وكنت واحدا منهم ـ وسألت الدكتور كرايسكي ان يجيب على هذه الادعاءات التي تذيعها اسرائيل بهدف افساد الزيارة . وكان كرايسكي واضحا عندما قال لجميع الصحفيين الذين حضروا هذا اللقاء : « لقد طلبت مني الاحزاب الاشتراكية الاوروبية ان استمر في الاتصالات التي بدأتها في اطار الاشتراكية الدولية ، وكان من بين مقترحاتي عقد لقاء بين ممثلي الاحزاب الاشتراكية في العالم ، وليس على مستوى القمة بل على المستوى المعقول ، الذي لا يصل الى القمة ويرتفع الى اعلى المستويات المكنة ، ويضم مثلا اولاف بالم الزعيم الاشتراكي السويدي وممثلين عن عدد من الاحزاب الاشتراكية الاوروبية والافريقية وحزب من خارج اوروبا وافريقيا، وممثلين عن الفلسطينيين دون أن نسألهم اذا كانوا من فلسطين ام لا وعددا من المفكرين الاشتراكيين وممثلي الحزب الاشتراكي الاسرائيلي ، ونناقش على طاولة مستديرة جميع المشاكل التي تتعلق بالاشتراكية ، وبالعالم الذي نعيش فيه . والشرط الأساسي الذي اقترحه هو ان يتم هذا اللقاء دون اعداد جدول اعمال له ونناقش مثلا مشاكل الطاقة والتنمية وارتفاع الاسعار ، ومن بين المشاكل مشكلة الشرق الاوسط ، التي لا نبحثها في اطار قيامنا بوساطة ، ولكن باعتبارها مشكلة هامة لا بد وان تشارك الاحزاب الاشتراكية في وضع تصوراتها بالنسبة لها . ولا نصدر قرارات او توصيات ولكن نناقش المشاكل بطريقة علمية ، ولا تكون قاصرة على عرب او اسرائيليين . وسأوجه هذه الدعوة الى عدد من كبار المفكرين مثل الرئيس ليوبولد سينجور رئيس الدولة السنغالية ، وغيره من قادة الفكر والرأي . ولم اقترح لقاء بين الاتحاد الاشتراكي العربي وحزب العمل الاسرائيلي ....

ومضى كرايسكي يقول : « ان اسرائيل تستطيع ان تبقى في منطقة الشرق الاوسط اذا اعترف سكانها بانهم يعيشون في العالم العربي ، او في منطقة تحيط بها الشعوب العربية ، لا بمعنى خضوعهم للسيطرة ولكن على اساس قبولهم بان يعيشوا كدولة مستقلة معترف بها ، وعلى اساس احترام سيادة وحقوق الشعوب العربية التي تحيط باسرائيل ولذلك فان اسرائيل مطالبة بان تسعى لايجاد حل سلمي للمشكلة وليس حلا عسكريا ، لا

بد من ان يعترفوا بواقع المنطقة التي يعيشون فيها . ان الصحافة الاسرائيلية ستهاجمني على هذا الكلام وقد تعودت على ذلك ... انني من اصل يهودي ، ولكنني لا اعترف بوجود مشكلة اسمها المشكلة اليهودية ... ان ما يؤخذ بالحرب يجب ان يعاد لاصحابه ، وما احتل بالحرب في عام ١٩٦٧ يجب ان تسترده الشعوب العربية ويجب ان تحل مشكلة الشعب الفلسطيني بطريقة توافق عليها جميع الاطراف .

« انني اكرر ان العالم يواجه مشاكل كثيرة مثل المشكلة الايرلندية او اضطهاد الزنوج . ليس هناك مشكلة اضطهاد اليهود ، كما كان في الماضي ولا يمكن ان نجعل من ذلك مأساة درامية ولكن هناك مشكلة الشعب الفلسطيني وهي مشكلة ملحة ، وهناك مئات الالوف من الفلسطينيين يعيشون في الخيام كلاجئين ، وقد عرفت معنى اللجوء السياسي ، والتشرد ، ولا بد من ايجاد حل لهذه المشكلة ، تشارك فيها دول اوروبا الى جانب دول العالم كله » .

وقد عرض برونو كرايسكي اقتراحه بدعوة مؤتمر دولي للاحزاب الاشتراكية في العالم ، على الرئيس السادات ، ووافق الرئيس على ذلك وعلى اشتراك الاتحاد الاشتراكي العربي قائلا : « ليس من المعقول ان تستمع الاشتراكية الدولية الى حزب العمل الاسرائيلي ولا تستمع الى رأي الاتحاد الاشتراكي العربي ، وطالما اننا نجلس في مؤتمر اشتراكي عالمي ، وبنفس الصورة التي نشترك فيها في اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة » .

استمرت زيارة الرئيس السادات ومحادثاته في النمسا يومي الجمعة ٣٠ مايو والسبت ٣١ مايو ، اعلن خلالها مستشار النمسا ان بلاده ستشترك بما في قدرتها للمساهمة والتعاون مع مصر مرحبا بقرار الرئيس السادات بفتح قناة السويس يوم ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ لتحقيق مزيد من التعمير والتقدم ، ووجه الدعوة للمهندس عثمان احمد عثمان وزير الانشاء والتعمير لزيارة النمسا كما اعلن عن تأييد بلاده لكل الجهود التي يبذلها الرئيس السادات من اجل تحقيق السلام في المنطقة مؤكدا ان لقاء سالزبورج مرحلة جديدة من مراحل العمل المستمر من اجل تحقيق ذلك.

وقبل ان يغادر الرئيس فيينا احاط به الصحفيون في فندق امبريال حيث كان يقيم فحدثهم عن لقائه المرتقب بالرئيس فورد قائلا : «ان هذا اللقاء سيكون هاما جدا لانه يتم في لحظة من ادق اللحظات التي تمر بها مشكلة الشرق الاوسط ، وانا اذهب الى هذا اللقاء بقلب مفتوح وعقل مفتوح ، واتطلع الى مقابلة الرئيس فورد الذي ادرك تماما انه رجل امين ، ورجل مستقيم في نفس الوقت ، وسوف استمع منه الى النتائج التي توصل اليها منذ ان بدأ ما سمته الحكومة الامريكية بـ « اعادة تقييم الموقف » بالنسبة للشرق الاوسط . اما اذا لم يحدث التقدم المطلوب ، فان امريكا ستخسر كثيرا ، وقد واجهت فعلا هذه الخسارة نتيجة لفشل مهمة هنري كيسنجر الاخيرة . وهذا الفشل كان يعني ايضا الكثير بالنسبة لنا ، لاننا في مصر ندرك تماما ان امريكا هي كل شيء بالنسبة لاسرائيل ، لانها تمدها بكل شيء من الرغيف الى كل انواع الاسلحة التي تحتاج اليها وتعوضها عن النقص الذي يواجه ميزانيتها . وموقف اسرائيل برفض النصيحة الامريكية بالوصول الى اتفاق هو بمثابة التحدي السافر للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، لان اسرائيل بهذا

الموقف تنسف سياسة امريكا ، وتضعف تأثيرها في المنطقة . لقد تحملت امريكا وتحمل شعبها الكثير نتيجة للموقف الاسرائيلي ، ولا اتمنى للشعب الامريكي المزيد من التحمل » .

غادر الرئيس السادات بالطائرة العاصمة النمساوية بعد ظهر يوم السبت ٣١ مايو (ايار) ١٩٧٥ الى مدينة سالزبورج وهبطت طائرته التي رافقه عليها الدكتور برونو كرايسكي ليستقبله سكان المدينة وهم يحملون زهورا اوراقها وغصونها من التوابل ، وهو تقليد خاص بهذه المدينة التي انهمرت فيها الامطار ، وسادها جو من البرودة في احضان طبيعة جذابة تجمع بين الجبال والبحيرات وبين الزهور والخضرة والتي اتخذها الموسيقار النمساوي موزارت مصدرا لوحيه والهامه ، وعاش فيها رجال الكنيسة يقيمون القصور والاديرة والكنائس . وكان مقر الرئيس السادات في قصر فوشل وهو قلعة للصيد على بحيرة فوشل التي يطل عليها القصر المزدان برؤوس الحيوانات التي يصطادها ارستقراطيو مدينة سالزبورج .

قضى الرئيس السادات بعد ظهر يوم وصوله في الاعداد للقاء المرتقب مع الرئيس جيرالد فورد وهو لقاء ازعج الحكومة الاسرائيلية حيث ان الرئيس الامريكي قرر اعادة تقييم السياسة الامريكية بحيث يتشاور مع جميع الاطراف المعنية وليس مع اسرائيل فقط .

وانتهزت اسرائيل مناسبة لقاء سالزبورج لكي تضغط على الرئيس الامريكي من خلال تذكيره بان قدرته على التحرك ، تقتضي موافقة الكونجرس على ما يعد به او يلتزم به . وكان ٧٦ من اعضاء الكونجرس قدموا مذكرة وقعوا عليها بايعاز من السناتور جاكوب جافتس والسناتور هيوبرت همفري وهما اكثر اعضاء الكونجرس تأييدا لاسرائيل يقولون فيها : « ان الحفاظ على السلام في الشرق الاوسط يتطلب ان تحصل اسرائيل على معونة عسكرية واقتصادية كافية لتجنب استئناف الاشتباكات مع جيرانها . وسيكون تأجيل تسليم شحنات المعدات العسكرية لاسرائيل مسألة خطيرة ويمكن ان تشكل تشجيعا للجوء الى القوة من جانب الدول المعادية لاسرائيل » .

اتخذ اعضاء الكونجرس هذا الموقف يوم الاربعاء ٢١ مايو (ايار) ١٩٧٥ في الوقت الذي كان يتم فيه اعداد الترتيبات النهائية للقاء القمة بين الرئيس السادات والرئيس جيرالد فورد . وعقد السناتور جافتس مؤتمرا صحفيا اعلن فيه ان هذه الرسالة التي بعث بها الكونجرس الى الرئيس الامريكي لا تعني ان مجلس الشيوخ الامريكي يخشى من احتمال خضوع الرئيس الامريكي لاي « ابتزاز » عربي . وهدد جافتس بان الكونجرس الامريكي سوف يتقدم بمشروع خاص لتقديم المعونة لاسرائيل ، اذا لم تتقدم الحكومة الامريكية باقتراح باستئناف المساعدات العسكرية والاقتصادية لها . بل مضى السناتور هيوبرت همفري الى ابعد من هذا مطالبا دول اوروبا الغربية بالوقوف الى جانب امريكا في مواجهة احتمالات قيام الدول العربية باللجوء الى القوة تهديدا لأمن اسرائيل وسلامتها .

تلقى الرئيس فورد رسالة اعضاء الكونجرس قبل سفره الى بروكسل يوم ٢٦ مايو

(ايار) ١٩٧٥ واعلن قبل مغادرته واشنطن انه سيدرس الرسالة وانه يعتقد بانه من المفيد ان تتوافر لديه آراء كثيرة متعددة بشأن القضايا الهامة وانه يرحب بكافة المقترحات ولا يشعر بان هذه الرسالة ستجعل محادثاته في سالزبورج اكثر صعوبة .

وقبل ان يغادر الرئيس السادات القاهرة في طريقه الى يوغوسلافيا والنمسا ثم سالزبورج عقد مجلس الشعب المصري جلسة طارئة برئاسة المهندس سيد مرعي ، (يوم الاحد ٢٥ مايو) واعد ردا على رسالة اعضاء الكونجرس الامريكي ، وصف فيه هذه المذكرة بانها تهدد سياسة امريكا في الشرق الاوسط ، وبانها ستواجه الفشل في المنطقة كما فشلت سياستها في فيتنام.واعلن السيد اسماعيل فهمي في هذه الجلسة « ان هذه السياسة الانتهازية الطائشة لم تسفر الا عن مزيد من التصلب والتعنت من جانب اسرائيل ، وان التوتر في المنطقة سببه استمرار دعم امريكا لاسرائيل بالسلاح » . وفوض مجلس الشعب المصري الرئيس السادات اتخاذ ما يراه مناسبا بشان العريضة التي تقدم بها اعضاء الكونجرس الامريكي .

ومن اغرب الوقائع التي حدثت ، والتي رواها بعد ذلك الرئيس فورد للرئيس السادات في سالزبورج ان عددا كبيرا من اعضاء الكونجرس الذين وقعوا هذه المذكرة قد اتصلوا بالرئيس فورد ، وانهم لا يعتبرون هذه المذكرة اكثر من مجرد رأي ابدوه بصورة عاجلة وتحت ضغوط شديدة .

في هذا الجو العاصف المتقلب تركزت الاضواء والابصار والاسماع على اللقاء الذي سيتم في مدينة سالزبورج . الصحفيون والمصورون ورجال الامن والرسميون والسائحون وأهالي المدينة تجمعوا في انتظار اللقاء التاريخي الذي ستشهده مدينتهم بين الرئيس فورد والرئيس السادات الذي جاء من مصر وقد حظي بتأييد عربي لاتصاله بالرئيس فورد والبحث معه في مدى الالتزام الامريكي واستعداد الرئيس الامريكي شخصيا للاستمرار في الجهد الذي تبذله الولايات المتحدة بعد انتهاء مرحلة التقييم . وقال لنا الرئيس السادات قبل وصول الرئيس فورد الى سالزبورج : « كان من المفروض ان ازور امريكا بعد نجاح مباحثات الفصل بين القوات ، والتي كان من المتوقع اتمامها في شهر مارس (آذار) ١٩٧٥ .

«ونظرا لفشل هذه المباحثات كان من المستحيل اتمام هذه الزيارة ، وفي اواخر شهر مايو (ايار) تلقيت رسالة من الرئيس فورد يقول لي فيها انه سيكون في اوروبا وانه على استعداد للاجتماع بي في اي مدينةاوروبيةنتفق عليها . واتفقنا على سالزبورج . وجئت الى هنا بعد اجتماعاتي مع القادة العرب لتبادل وجهات النظر مع الرئيس فورد في اطار ما اتفقنا عليه من استراتيجية عربية في مؤتمر قمة الرباط بانه لا تفريط في شبر من الارض العربي ولا مساومة على حقوق الشعب الفلسطيني » .

وعلى متن طائرة الرئيس الامريكي المسماة « روح عام ١٩٧٦ » والتي تحمل الرقم واحد في السلاح الجوي الامريكي ، كان الدكتور هنري كيسنجر، بعدما غادرت الطائرة مدينة مدريد صباح يوم الاحد ١ يونيو (حزيران) على اثر حضور الرئيس فوردقداسا، يشرح لمرافقيه على الطائرة وجهة النظر التي جاء بها فورد الى سالزبورج .

قال كيسنجر: «سوف يناقش الرئيس الامريكي مع الرئيس السادات مسألة الحدود والتعهدات التي يستطيع العرب ان يقدموها لتأكيد رغبتهم في السلام ومصير الفلسطينيين والقدس . ويعد هذا الحديث بين الرئيس السادات والرئيس فورد ، يطير الرئيس الامريكي الى واشنطن ليجتمع باسحق رابين ، ثم ليبحث في تحديد المكان الذي تضطر امريكا ان تضع ثقلها فيه ».

ومضى كيسنجر يقول: « ان لقاء الرئيس السادات مع الرئيس فورد بالغ الاهمية للاسباب الآتية :

١ ـ ان هذا الاجتماع هو اول لقاء بين الرئيس فورد وزعيم وقائد اكبر دولة عربية واكثرها تأثيرا في المنطقة وفي العالم .

٢ ـ توقفت كل الجهود منذ مارس (اذار) ١٩٧٥ (فشل كيسنجر) حتى هذه اللحظة (اول يونيو ١٩٧٥) وفي خلال هذه الشهور كان الجميع في انتظار حدوث شيء . ويعد هذا اللقاء قد يتخذ القرار الذي سيحدد الطريق الذي سنسلكه .

٣ ـ ان الموقف في الشرق الاوسط متفجر ، وليس من المعقول ان تستمر حالة الجمود السائدة لمدة خمس أو عشر سنوات لأن شيئا قد يحدث خلال هذه الفترة».

وقال كيسنجر للصحفيين الذين رافقوا فورد . « انني لا اتوقع تصريحات وقرارات مثيرة ، لان ما سيناقش في سالزبورج سوف يناقش بعد ذلك مع اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل . وبعد ان يستمع الرئيس فورد الى وجهات النظر ، سيقوم باعداد تقييم بالنسبة لاختيار افضل الطرق ، والتي يمكن ان تختارها الولايات المتحدة لتفادي ما اعلنه الرئيس فورد من رفضه لقبول حالة الجمود الدبلوماسي التي سادت بعد توقف مهمتي في ٢٢ مارس (آذار) الماضي ...

« ان محادثات الرئيس فورد مع الرئيس السادات ستكون مقدمة وخطوة اولى نحو أي خطوة او مبادرة تتخذها الولايات المتحدة لاحلال السلام ، فقد قمنا بممارسة سياسة الخطوات القصيرة وقد توقفت هذه السياسة ، ونحن نريد ان نسمع الآن رأي الرئيس السادات وبعد ذلك رأي رئيس وزراء اسرائيل في كيفية مواجهة الموقف ، فاذا اتفقت الآراء حول الاسلوب الذي يجب اتباعه ، فاننا نبحث في اختيار الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك . وقد تكون العودة مرة أخرى الى اسلوب الخطوات القصيرة ، أو اجتماع مؤتمر جنيف لان جنيف ما زالت احتمالا قويا قائما . فاذا وافق الرئيس السادات واسحق رابين على عقد مؤتمر جنيف فان الولايات المتحدة توافق » .

هبطت طائرة فورد في سالزبورج في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الاحد اول يونيو . وبينما كانت اجراس الكنائس تدق دقاتها المتكررة كل نصف ساعة ، كان فورد وقرينته يهبطان سلم الطائرة وفوقهما مظلة واقية من الامطار وسط اجراءات مشددة من الأمن.وعند الدرجة الاخيرة من السلم انزلقت ساق الرئيس فورد واندفع الدكتور برونو كرايسكي مستشار النمسا ليسنده ، بينما سجلت عدسات التلفزيون والسينما والتصوير هذه اللقطة النادرة للرئيس الامريكي وهو يجثو على الارض ثم ينفض الماء عن ملابسه

ليتبادل التحية مع مستشار النمسا .

بالرغم من حرج هذه اللحظات القليلة التي واجهها الرئيس الامريكي الذي جاء الالاف في انتظار وصوله، الا أن المستشار كرايسكي سارع الى الترحيب قائلا: « . . . لثالث مرة يأتي رئيس امريكي الى سالزبورج لاتخاذ قرارات هامة واجراء محادثات بالغة الاهمية ، ونحن سعداء لانكم اتفقتم على اللقاء في النمسا . وانني انتهز الفرصة لأعبر عن سعادتنا لقيام علاقات طيبة وممتازة بين بلادكم وبلادنا » .

واضطر الرئيس فورد ان يرد على كرايسكي ويكسر حدة لحظات القلق التي سادت الموقف بعد انزلاقه ووقوعه على الارض وقال : « انني اشعر بالاسف لأنني انزلقت وانا انزل سلم الطائرة ، ولكنني سعيد بان اقوم بتجديد صداقتي ومعرفتي بكم وبشعبكم وببلادكم . ان النمسا بعد ٢٠ سنة من التوقيع على معاهدة ١٩٥٥ (انهاء التقسيم الرباعي الذي خضعت له النمسا بعد الحرب) اصبحت دولةغنية متقدمة. كما انني اعبر عن سعادتي لاتاحتكم الفرصة لي للاجتماع بالرئيس السادات ، وهذا الموقف يؤكد دور النمسا واهمية حيادها، وانني اتطلع الى محادثاتي معكم. انني اعرف دور النمسا في السعي لتحقيق السلام في العالم وزيادة التعاون من اجل الوصول الى سلام في العالم ، والمحادثات التي ستدور هنا ستكون مساهمة جديدة في هذا الاتجاه .. ان الولايات المتحدة ملتزمة باحلال السلام ومباحثاتي القادمة سوف تكون مساهمة منا في تحقيق ذلك » .

شغلت قضية سقوط الرئيس فورد بال الصحفيين الامريكيين الذين جاءوا لتغطية الزيارة ، ووجه احدهم سؤالا الى المتحدث الرسمي الامريكي يستفسر فيه عما اذا كانت القدم التي سقط عليها فورد هي نفس القدم التي تعود ان « يشوط » بها الكرة باعتباره من ابطال كرة القدم وهل ستؤدي اصابته الى التأثير على قدرته في استمراره في هذه اللعبة .

وسط اجراءات امن اشتركت فيها طائرات الهليوكوبتر والسيارات والاجهزة الحديثة وكلاب الصيد ، قصد الرئيس فورد الى قصر كالسهايم ، بينما نزل الرئيس السادات في قصر فوشل . وبدأت اجراءات ترتيب اول لقاء بين الرئيسين كما كان مقررا ، بحيث يقوم الرئيس فورد بزيارة الرئيس السادات في قصر فوشل ، ثم يتناولان الغداء الى مائدة الرئيس المصري ويتبادلان الخطب ثم يعقدان اول اجتماع لهما في الساعة الخامسة مساء ثم يتناولان العشاء معا بدعوة من رئيس جمهورية النمسا الدكتور رودلف كيرشليجر .

كنت بين مئات الصحفيين في انتظار وصول الرئيس فورد الى قصر فوشل وكانت الامطار تهطل بصورة لم يسبق لها مثيل . وظل رجال الامن يحملون المظلات في انتظار الرئيس الامريكي الذي وصل قبيل الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الاحد اول يونيو . وهبط الرئيس السادات درجات مدخل قصر فوشل يرحب بالرئيس الامريكي في اول لقاء مباشر بينهما .

وضاق القصر بالوفدين المصري والامريكي ، ورجال الامن من الجانبين ، بالاضافة الى رجال الامن النمساويين . وبدا لقاء الرئيسين وكانهما اصدقاء من فترة طويلة . فقد قال الرئيس فورد للرئيس السادات « لقد سمعت عنكم الكثير من الدكتور هنري كيسنجر ومن كثير من رجال الكونجرس ورجال الاعمال والصحفيين الذين التقوا بكم في مصر ، وادركت انكم تمثلون فعلا رجل السياسة والقيادة والمسؤولية وكانني اعرفكم منذ زمن طويل » .

وانتهز الرئيس السادات الفرصة ليؤكد للرئيس فورد ان انطباعه عن شخصية الرئيس الامريكي قد تأكدت بعد مقابلته له ، فقد كان انطباع الرئيس السادات ان فورد رجل امين مخلص ورياضي و« دغري » اي مستقيم .

وعلى مأدبة الغداء وبالرغم من ان هذا اللقاء كان اول لقاء بين الرئيسين ...ساد جو المودة والصداقة هذه المناسبة الاجتماعية وجرى حديث عابر عن رحلة فورد في بلجيكا وفرنسا واسبانيا . وكان كيسنجر في كل مرة يرد فيها اسم وزير خارجية دولة غربية يقول : « ان هذا الوزير كان تلميذي في هارفارد ، او حضر ندوة كنت اديرها في الجامعة » . ورد الرئيس السادات يحدث فورد وقال : « يبدو ان اغلب وزراء خارجية الدول قد تتلمذوا على يد هنري » .

وهز الرئيس فورد رأسه مؤكدا هذا التعليق وضحك اسماعيل فهمي وقال معقبا « وهذا يبدو واضحا ، فقد تعثرت سياسات وزراء خارجية العالم بسبب تتلمذهم على يدي هنري كيسنجر » . وضحك الجميع .

انتهز الرئيسان فرصة هذا اللقاء الاجتماعي ليحددا في الخطب التي تبادلاها مواقفهما من مشكلة الشرق الاوسط ، ودعا المشرفون على الامن عددا من الصحفيين المصريين والامريكان لسماع الكلمات المتبادلة عن طريق اجهزة استماع ثبتوها في « بدرون » القصر .

في كلمة الرئيس السادات التي رحب فيها بالرئيس فورد ، اشار الى اهمية اللحظة التاريخية التي يتحقق فيها هذا اللقاء ، مؤكدا ضرورة بذل كل الجهود لنزع الفتيل من الموقف المتفجر في الشرق الاوسط .

وقال الرئيس السادات « انه من النادر في التاريخ ان يجتمع معا رئيسا دولتين يتوقف عليهما الحرب او السلام في منطقة استراتيجية كمنطقة الشرق الاوسط من اجل ارساء دعائم الهدوء والطمأنينة لشعوب الشرق الاوسط . وسوف تدخل سالزبورج هذه المدينة الرائعة صفحات التاريخ كعلامة على التطور الجديد في منطقة الشرق الاوسط مع تطور العلاقات الثنائية بطريقة زيادة الترابط والتفاهم بين الشعبين الامريكي والمصري » .

واشار الرئيس الى ان الموقف لا يقتضي وضوح الرؤية والحكمة فقط بل ايضا وقبل كل شيء القيادة المقرونة بالاستعداد والقدرة على اتخاذ قرارات حاسمة ووضع هذه القرارات موضع التنفيذ » .

وكانت اهم فقرات في خطاب الرئيس تلك التي تحدث فيها عن الازمة . ومما قاله في هذا الشأن .

« سيادة الرئيس يقال دائما ان مشكلة الشرق الاوسط مشكلة معقدة . وان هذا هو السبب في صعوبة الوصول الى حل مناسب . وفي رأيي بكل صراحة انه لا توجد مشكلة اخرى اكثر سهولة في حلها من مشكلة الشرق الاوسط ، .. اذا تمسكت الاطراف المعنية والدول العظمى التي يهمها الامر بالمبدأ الاساسي والذي لا نزاع حوله وهو بالتحديد الاعتراف باستقلال الدول وسيادتها على اراضيها ، وعدم السماح باحتلال اراضي الغير بالقوة ، واحترام حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني ، وحقه في ان يعيش فوق ترابه الوطني » .

ورد على الرئيس فورد مؤكدا انه يتمنى ان يكون اللقاء القادم في الولايات المتحدة .

وتحدث الرئيس السادات عن قراره بفتح قناة السويس ، وشكر للرئيس الامريكي ما قامت به الولايات المتحدة من المساهمة في اعمال التطهير ، وعلى الفور اعلن الرئيس فورد انه سيوفد طرادا للاشتراك في المظاهرة البحرية التي ستجري في قناة السويس يوم ٥ يونيو ، كما انه يتوقع ان تعلن اسرائيل عن انسحاب رمزي يتضمن سحب بضع دبابات من جانب واحد كرد فعل لقرار مصر باعادة فتح القناة .

وتعهد فورد بمواجهة حالة العجز المالي الذي تعاني منه مصر والذي يبلغ حوالي ١٥٠٠ مليون جنيه ، وقال الرئيس السادات انه تم توفير ٧٥٠ مليون جنيه عن طريق قروض طويلة الاجل من السعودية وابو ظبي والكويت وقطر . وتكفل الرئيس الامريكي بمهمة انشاء تنظيم مالي دولي تساهم فيه الولايات المتحدة ، وتشارك فيه اليابان وبعض دول اوروبا الغربية لتوفير مبلغ ٧٥٠ مليون جنيه اخرى وطلب عدم الاشارة الى ذلك حتى تتم موافقة الكونجرس على ذلك .

وبعد جلسة عمل طويلة وقف الرئيسان ومعهما كيسنجر واسماعيل فهمي في ساحة قصر الريزيدانس ليواجها الصحافة العالمية يوم ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ . واقترح الرئيس السادات في رده على سؤال يتعلق بخلق نظام رقابة يسجل تحرك القوات يتولى الاشراف عليه فنيا مدنيون امريكيون تأكيدا لما تريده اسرائيل .

واقترح الرئيس فورد استمرار الاتصالات بحيث تتم عن طريق سفيري امريكا في القاهرة وتل ابيب ، وبحيث يبقى هنري كيسنجر في واشنطن . وعلى ضوء ما سيتقدم به اسحق رابين الى الرئيس فورد سيكلف الدكتور هنري كيسنجر سفيره في القاهرة المستر هيرمان ايلتس بالسفر الى واشنطن ليستمع الى مقترحات رابين ويبلغها لمصر ، وتتولى مصر الرد عليها ، وتسير العملية بهذه الصورة الى ان تتقارب وجهات النظر .

واكد الرئيس السادات انه يرحب بقيام الرئيس فورد شخصيا بمسؤولية هذه الاتصالات الدائرة لانه يثق به ويرى انه صادق .

بعد مأدبة عشاء اقامها الدكتور كير شليجر رئيس جمهورية النمسا في قصر الريزيدانس للرئيسين على انغام موسيقى بيتهوفن وموزارت وغيرهما، عاد الرئيس فورد

الى قصر كالسهايم ، وعاد الرئيس السادات الى قصر قلعة فوشل استعدادا للجولة الثانية من المحادثات التي بدأت في الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الاثنين ٢ يونيو (حزيران) .

وفي اعقاب انتهاء المحادثات استدعي رجال الصحافة الى مؤتمر صحفي سيعقده الرئيسان . وبين الترتيبات التي اعدت لهذا المؤتمر التاريخي انتداب اثنين من الصحفيين المصريين لتوجيه سؤالين الى الرئيس فورد ، وصحفيين امريكيين لسؤال الرئيس السادات .

وقبل ان يبدأ المؤتمر اكتفى الرئيس فورد بكلمة قصيرة قال فيها : « لقد اختتمت انا والرئيس السادات مناقشة واسعة النطاق . وكنت سعيدا بانني قابلت الرئيس السادات شخصيا وانني اقدر اتاحة هذه الفرصة لاقامة علاقات طيبة معه . لقد شرحت الاعتبارات الهامة من وجهة نظرنا ، مؤكدا اننا نعطي كل ما يمكننا من اجل اقامة سلام دائم قائم على تسوية عادلة ومنصفة وانني لاعتقد ان المناقشات كانت تدور بطريقة بناءة جدا . وبعد ان اسافر من هنا وفي الاسابيع القادمة سأجري مشاورات اعتقد انها ستؤدي الى الهدف الذي اسعى اليه من اجل سلام دائم يكون في صالح جميع الاطراف » .

ورد الرئيس السادات قائلا : « اذا كان لي ان اضيف بعض الكلمات .. فانني اعتقد ان اكثر ما حققته من هذه المقابلة هو انني تعرفت على الرئيس فورد . لقد قلت مرارا قبل ان التقي به انه رجل شريف . والآن يجب ان اضيف انه رجل محب للسلام ومكافح من اجل السلام . لقد اجرينا محادثات مكثفة ومسحا شاملا لكل المواقف ، وناقشنا الكثير من الاعتبارات ، وساعود الى وطني ، وسوف نناقش جميع النواحي المختلفة . وفي نفس الوقت سأكون دائما على اتصال بالرئيس فورد . وانتهز هذه الفرصة لأقدم دعوة الى الرئيس فورد لزيارة مصر والتعرف على شعبنا ، وسنكون سعداء بزيارته لنا » .

وبعد انتهاء المؤتمر الصحفي توجه الرئيسان الى قصر كالسهايم حيث يتناول الرئيس السادات الطعام الى مائدة الرئيس فورد . وفي محاولة لتحويل انظار العالم عن لقاء سالزبورج ، اعلن اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل ، في ذلك اليوم ان حكومته ستسحب سبع دبابات من المنطقة التي تتواجد فيها شرقي المنطقة العازلة في سيناء وذلك اظهارا منها لحسن النية . وبالاضافة الى هذه الخطوة المسرحية فان الصحفيين الاسرائيليين الذين جاءوا الى سالزبورج نشطوا مع بعض الصحفيين الاوروبيين من اجل عقد ندوة تضم صحفيين مصريين واسرائيليين . ورفضنا وقلنا لمن عرضوا علينا الفكرة ان لقاء سالزبورج انما هو لقاء مصري امريكي لا علاقة لاسرائيل به .

اسفرت مباحثات سالزبورج بالاضافة الى تحقيق التعاون والتفاهم بين الرئيسين ، عن تأكيد ان الرئيس جيرالد فورد سوف يشارك من موقع الرئاسة في رسم سياسة بلاده الخارجية ، مع اهتمامه الشخصي بمشكلة الشرق الاوسط بالذات وتصميمه على رفض حالة الجمود التي فرضتها اسرائيل على الموقف ، خلال الاشهر الثلاثة التي سبقت لقاء القمة بينه وبين الرئيس السادات ، واحتمال قيام الولايات المتحدة بتحرك جديد بعد زيارة

رابين لواشنطن . وابلغ الرئيس السادات الرئيس فورد انه يتيح الفرصة له للاستمرار في الجهود التي مارسها كيسنجر من قبل ، والتي يتولاها الرئيس فورد من الآن ، وبواسطة وزير خارجيته ايضا.

وتأكيدا لاهتمام فورد بتوضيح موقفه الشخصي والرسمي من مشكلة الشرق الاوسط ، فقد استقبل عقب انتهاء مأدبة الغداء التي اقامها للرئيس السادات يوم الاثنين ٢ يونيو ، رؤساء تحرير الصحف المصرية الذين رافقوا الرئيس المصري ، وقال فورد في هذا اللقاء :«ان وزير خارجيتي الدكتور هنري كيسنجر حدثني كثيرا عن الرئيس السادات عقب رحلاته المتكررة الى الشرق الاوسط وكيف انه رجل سياسة لديه من الجرأة والشجاعة وحسن الحكمة والدراية السياسية ما يؤكد رغبته وسعيه المستمر لتحقيق سلام حقيقي في المنطقة . وعقب اول لقاء معه اعطاني نفس التأثير وبأنه رجل قوي ودقيق ولديه ادراك واسع وعميق لحقيقة مشاكل منطقة الشرق الاوسط ولمفهوم السلام في هذه المنطقة . وكلما زاد تعارفي به ازددت اقتناعا بهذه الصفات التي قلتها ، واعتقد ان الرئيس السادات هو الشخص الذي استطيع بسهولة ان اقيم علاقات شخصية معه . وكان من المفيد جدا لي ان اناقش التفاصيل الكثيرة التي تتعلق بعملية اعادة التقييم التي اقوم بها ، وقد اظهر الرئيس السادات تفهما عميقا وواسعا لكل الاعتبارات التي شرحتها له والتي لا بد من ان اضعها في اعتباري . لقد أردت بهذا اللقاء ان اعرف المدى الذي استطيع ان اتحرك فيه بعد مشاوراتي مع الاخرين ، وقد اعطاني الرئيس السادات معلومات كانت مفيدة جدا لي . وقد تفهمت ايضا طبيعة المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها مصر والتزمنا بتقديم ٢٥٠ مليون دولار لمصر في العام الماضي وسوف اتقدم للكونجرس بمقترحاتي الجديدة عن السنة القادمة ، وقد ساعدني الرئيس السادات على ذلك بالمعلومات الدقيقة التي ابلغني اياها .

اما بالنسبة لاعادة فتح القناة فنحن نعتبر هذا القرار خطوة جريئة وهامة من جانب مصر ، وسوف نرسل طرادا امريكيا للمشاركة في احتفالات اعادة فتح القناة .

لقد ازددت بعد هذه المحادثات ايمانا بضرورة التحرك نحو الحل النهائي لمشكلة الشرق الاوسط لتفادي حالة الجمود لان الجميع يدركون ان الجمود او التوقف ليس في صالح السلام ، ولذلك فان الاسرائيليين لا بد وان يظهروا نفس الاهتمام الذي نظهره نحن ، بالعمل معنا ، ومع غيرنا للوصول الى صيغة لتحقيق التقدم في الشرق الاوسط . ان امريكا ومصر واسرائيل والدول الاخرى يجب ان تسعى لتحقيق السلام وتفادي حرب جديدة ».

وعندما سأل رؤساء تحرير الصحف المصرية الرئيس فورد عن مذكرة اعضاء الكونجرس الامريكي وطبيعة الاوضاع الداخلية في امريكا وهل تفرض قيدا على حركته قال :

« انني اعتقد ان الفرصة سانحة امامي الآن للتحرك بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط فقد كنت مشغولا بعملية الانسحاب من كمبوديا وفيتنام وكذلك بالاعداد لهذه

الجولة ، ولدينا مشاكل اخرى يجب الا نهملها ، ولا بد ان نسيطر على المشاكل التي قد تسيطر علينا .

« ان اعضاء الكونجرس الآن يرحبون بالتغيير ، وقد زار عدد منهم مصر ، واجتمع بهم الرئيس السادات وعادوا جميعا برأي مؤيد لمصر وللرئيس السادات وللشعب المصري . وهم يؤكدون بفهم متزايد اهمية استمرار توسيع وتعميق العلاقات بين مصر والولايات المتحدة .

« ان المشاكل تتحرك بصورة اسرع من الحلول المطلوبة ، واؤكد لكم اننا في حاجة الى الحركة والتحرك ، ومواجهة المشاكل . انني متفائل لاننا نستطيع ان نتحرك ونتحرك بصورة اسرع ، واريد منكم ان تبلغوا الشعوب العربية والشعب المصري ان الولايات المتحدة تريد ان تعمل من اجل ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط ... هذه المشكلة التي مضى عليها قرن من الزمان . ولدى امريكا الان المزيد من الفهم بعد ٤ حروب ، وبعد فرض حظر على البترول نرجو الا يتكرر لان ذلك يسبب احراجا شديدا للعالم كله » .

غادر الرئيس جيرالد فورد سالزبورج مساء يوم الاثنين ٢ يونيو بعد يومين من نشاط دبلوماسي واجتماعي مكثف ، وغادرها الرئيس السادات ، قبل ظهر يوم الثلاثاء ٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ وتوقف في اثينا حيث اجتمع برئيس الوزراء اليوناني المستر كرامنليس ، وعاد الى الاسكندرية ليحتفل يوم ٥ يونيو ١٩٧٥ باعادة فتح قناة السويس في مظاهرة بحرية وافتتح العمل في اول نفق يمر تحت قناة السويس الى سيناء على الضفة الشرقية لها .

٢ ـ كيف مدد السادات للقوات الدولية ؟

اختار الرئيس انور السادات يوم ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ ليعبر قناة السويس من الشمال الى الجنوب ـ بعد ان عبرت القوات المصرية القناة من الغرب الى الشرق في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣. وعلى ظهر المدمرة (٦ اكتوبر) اعلن الرئيس السادات انه يقوم بهذا العمل وفاء للحضارة والانسانية .

وتقديرا لموقف الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان من القضية العربية فقد اوفد الرئيس السادات نائبه السيد حسني مبارك الى باريس يوم ٦ يونيو (حزيران) لمقابلة الرئيس الفرنسي ، بينما ابلغ الرئيس السادات السيد ياسر عرفات بهذه الخطوة التاريخية ، في الوقت الذي كان اسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية يطير الى لندن لمقابلة جيمس كالاهان وزير خارجية بريطانيا .

والمعروف ان البروتوكول في الخارجية البريطانية لا يسمح لوزير خارجيتها بمقابلة وزراء خارجية الدول الذين يمرون في لندن ، او يقومون بزيارة رسمية لها ، نظرا لتعدد الزيارات ، ولكن اسماعيل فهمي عندما وصل الى مطار هيثرو يوم الثلاثاء ١٠ يونيو (حزيران) فوجىء بجيمس كالاهان وزير الخارجية يستقبله في المطار . وقال الوزير البريطاني انه فوجىء يوم الاثنين ٩ يونيو ببرقية عاجلة من سفارته في تل ابيب تبلغه ان اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل سوف ينزل في مطار هيثرو ، يوم الثلاثاء الساعة الواحدة بعد الظهر في طريقه الى واشنطن لمقابلة الرئيس الامريكي جيرالد فورد ، استكمالا للمشاورات التي يقوم بها في اعادة تقييمه للسياسة الامريكية . واوضح كالاهان انه قادم لتوه من صالون آخر لكبار الزوار في المطار حيث استقبل رابين الذي وصل قبل فهمي بدقائق . وهمس كالاهان في اذن فهمي مؤكدا انه لا يتوقع ان تتحرك اسرائيل بالقدر الكافي ، كما انه لا يتوقع ان تمارس امريكا ضغطا عليها بالقدر المناسب الذي يسمح بانسحاب اسرائيلي جديد . وشرح كالاهان في المطار وخلال زيارة فهمي التي استغرقت يومين للعاصمة البريطانية وجهة نظر حكومة العمال التي اوضحها لرابين وهي ضرورة الانسحاب الاسرائيلي . وانه في مرحلة لاحقة لا بد من الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وقد اغضب هذا الكلام اسحق رابين خصوصا ان جيمس كالاهان اكد نفس الموقف في مأدبة العشاء التي اقامها تكريما لاسماعيل فهمي يوم ١٢ يونيو في لندن ، وفي تصريحات رسمية ادلى بها للصحفيين المصريين الذين استقبلهم في نفس اليوم ، في مكتبه بوزارة الخارجية البريطانية ، مما دفع رابين بعد ذلك وفي خلال عودته من واشنطن يوم ١٦ يونيو الى تل ابيب ، للتوقف في لندن ومعاتبة كالاهان على هذا الموقف ، خصوصا ان الصحف البريطانية نشرت في عناوينها الرئيسية ان بريطانيا عقدت اكبر صفقة سلاح مع مصر وهي عبارة عن طائرات هليكوبتر وصواريخ ومعدات رادار .

بينما كانت محادثات اسماعيل فهمي تتم في نجاح مع كالاهان الذي طلب وساطة الرئيس السادات لدى الرئيس الاوغندي عيدي امين للافراج عن الكاتب البريطاني دينيس هيلز ، كان الرئيس فورد يجتمع يوم الاربعاء ١١ يونيو (حزيران) في البيت الابيض باسحق رابين ، في الساعة الخامسة مساء ، وكان معه الدكتور هنري كيسنجر وجوزيف سيسكو مساعده ، وسيمحا دنيتز سفير اسرائيل في واشنطن .

وجه الرئيس الامريكي الى اسحق رابين في اول لقاء بينهما في البيت الابيض السؤال الآتي : « هل توافق حكومة اسرائيل على استمرار الولايات المتحدة ببذل جهودها من اجل تحقيق انسحاب اسرائيلي جديد في سيناء مقابل التقدم نحو احتمالات السلام في الشرق الاوسط ، على ان تتولى الولايات المتحدة تأكيد أمن وسلامة اسرائيل ؟ » وكان رد اسحق رابين مائعا . فقد اعلن عن استعداده لتقديم « تنازلات » ولكنه قال انه يخشى على أمن اسرائيل ، وان ذلك سوف يكلف الولايات المتحدة آلاف الملايين من الدولارات وانه لا يتوقع ان توافق الدول العربية على قيام سلام حقيقي مع اسرائيل ، بعد هذا الانسحاب ، وان اسرائيل تعتقد انه من الأفضل أن تحصل على « صياغة » من مصر تؤكد فيها استعدادها لاعلان انهاء حالة الحرب ، على الا تلتزم اسرائيل بالقيام بانسحاب جديد في سيناء او الجولان والضفة الغربية . وشدد على عدم اثارة موضوع الفلسطينيين بصورة او باخرى .

كانت جلسة اللقاء بين فورد ورابين جلسة عاصفة . فقد اكد فورد انه التزم في لقاء سالزبورج بضرورة تحريك الموقف والاتجاه نحو السلام . وانه يستطيع ان يعلن عن موقف امريكا من الازمة ، بصورة قد لا تلقى ترحيبا من جانب الحكومة الاسرائيلية . وطرح فورد فكرة « استخدام نظام الانذار المبكر » وكانت هذه الفكرة قد اثيرت خلال محادثات اسوان الفاشلة ولكن الجانب الامريكي لم يطرحها في ذلك الوقت بصورة محددة وقاطعة . وعندما التقى الرئيس السادات بفورد في سالزبورج يومي ١و٢ يونيو (حزيران) ابلغه الرئيس المصري ان البديل الوحيد لنظرية الامن الاسرائيلي هو وجود نظام انذار مبكر يشرف عليه الامريكان ويعمل لصالح الاطراف كلها .

طرح اسحق رابين فكرته امام الرئيس الامريكي مؤكدا ان اسرائيل تحتاج على الأقل الى ٣ مليارات دولار وانه على استعداد لان يتقدم « ببعض تصورات » عن خط الانسحاب الذي تقترحه اسرائيل . واقترح ان تكون هناك مفاوضات مباشرة بين مصر واسرائيل للاتفاق على خط الانسحاب ، ولكن الرئيس فورد ابلغه بانه يعرف ان مصر سوف ترفض انهاء حالة الحرب واجراء مفاوضات مباشرة ، وان امريكا هي التي ستتولى المفاوضات. وقال فورد ان كيسنجر قد يطير الى الشرق الأوسط اذا شعر بان مسافة الخلاف تضيق بين الاطراف ، للانتهاء من هذا الاتفاق.واوضح انه فهم من الرئيس السادات ان مصر بعد هذا الانتظار سوف لا تقبل اقل من انسحاب اسرائيلي من الممرات وآبار البترول في ابورديس .

وظلت الاجتماعات مستمرة بين الرئيس فورد ورابين يوم الخميس ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ ثم ترك الرئيس فورد لهنري كيسنجر ومساعديه مهمة مناقشة

مقترحات اسرائيلية محددة تقوم الولايات المتحدة بابلاغها الى مصر . وحدد الرئيس الامريكي انه سيستدعي سفيره في القاهرة هيرمان ايلتس ليتسلم هذه المقترحات لابلاغها للرئيس السادات ، وتستمر العملية بهذه الصورة الى ان تتبلور المسائل بطريقة يمكن معها القيام بجولة او جولتين يقوم بهما كيسنجر للانتهاء من هذه المهمة .

اجتمع رابين مرة اخرى بكيسنجر في واشنطن يوم السبت ١٤ يونيو ، ويوم الاحد ١٥ يونيو في نيويورك ، وعاد رابين بعد هذه المحادثات الى تل ابيب تاركا بعض الافكار الاسرائيلية عن المشروع المقترح للفصل بين القوات ، معلنا في اسرائيل ان محادثاته في امريكا مع الرئيس فورد وكيسنجر كانت صاخبة ، وانه تنازل عن التمسك بضرورة انهاء حالة الحرب ، ولكنه لم يوافق على الانسحاب من الممرات ومن ابورديس الا في اطار الانسحاب من الآبار نفسها مع محاصرة المدنيين المصريين الذين سيعملون في هذه الآبار ، بقوات اسرائيلية ، وعدم وجود طريق ساحلي لمصر على البحر الاحمر ، وسيطرة اسرائيل على كل المنطقة الساحلية لان « خط دفاعها » الممتد من شرم الشيخ الى الطور سوف ينهار اذا تواجدت قوات مصرية على الساحل . وقال رابين لمجلس الوزراء الاسرائيلي ، ان هذا الموقف اغضب الرئيس فورد الذي ابلغه انه يعرف مقدما ان مصر سوف ترفض كل هذه المحاولات ، وان امريكا ستضطر للنظر في الموقف على ضوء رفض الرئيس السادات لهذه المماطلة المستمرة .

بعد ان غادر إسحق رابين الولايات المتحدة يوم الاحد ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ كان الرئيس الامريكي يستدعي سفيره في القاهرة هيرمان ايلتس ، بينما يصل الى واشنطن يوم الاربعاء ١٨ يونيو السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء السوري واستقبله الرئيس الامريكي في مكتبه بالبيت الابيض يوم الجمعة ٢٠ يونيو ، ودعاه الى عشاء رسمي في نفس اليوم وسأله « هل توافق سوريا على قيام امريكا بجهود جديدة من اجل تحقيق انسحاب اسرائيلي جديد في سيناء والجولان » ووافق خدام على ذلك . وعقد اجتماعا يوم السبت ٢١ يونيو مع الدكتور كيسنجر في واشنطن استمر ساعة ونصف الساعة ، وطلب فورد من سفيره في القاهرة هيرمان ايلتس ان يبقى في واشنطن على ان يطير الى الاسكندرية مباشرة لابلاغ الرئيس السادات بنتائج محادثات اسحق رابين ونتائج زيارة خدام لواشنطن .

غادر ايلتس واشنطن يوم الاحد ٢٢ يونيو . ومن القاهرة انتقل الى رأس الحكمة (بين الاسكندرية وبرج العرب) حيث قابله الرئيس السادات يوم الاثنين ٢٣ يونيو . وابلغ السفير الامريكي الرئيس المصري انه يعلم وانه مكلف من الرئيس الامريكي بابلاغه ، بان المقترحات الاسرائيلية التي يحملها معه يعرف مقدما بان الرئيس السادات سوف يرفضها ، وان فورد ابلغ ذلك لرابين ، ولكن لكي تستمر عملية المفاوضات وبدون ان تفقد مصر اعصابها فان الولايات المتحدة عازمة على تحقيق ما وعدت به .

بالرغم من غضب الرئيس السادات من المقترحات التي حملها ايلتس الا انه صمم على الاستمرار في خوض هذه المعركة الدبلوماسية الى نهايتها ، وعقد يوم الثلاثاء ٢٤

يونيو (حزيران) في رأس الحكمة اجتماعا للجنة المفاوضات المصرية التي تضم حسني مبارك نائب الرئيس وممدوح سالم رئيس الوزراء واسماعيل فهمي والفريق الجمسي لاعداد رد على المقترحات الاسرائيلية التي رفضتها مصر .

قبل ان تتلقى الحكومة الامريكية رد مصر على المشروع الاسرائيلي اعطت الحكومة الاسرائيلية مقترحاتها المزودة بالخرائط لمراسل جريدة « نيويورك تايمز » في القدس الذي نشر يوم الثلاثاء ٢٤ يونيو « مشروع الفصل بين القوات في سيناء ».

غضبت الحكومة الامريكية من هذا الموقف الاسرائيلي ، واعلن السفير روبرت اندرسون المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية يوم الاربعاء ٢٥ يونيو ، انه يتحدث اليوم باسم الرئيس الامريكي ايضا مؤكدا استياء الرئيس والحكومة من تسرب انباء غير صحيحة ولا تتسم بالدقة في بداية مرحلة مفاوضات طويلة وشاقة . وعقد الرئيس الامريكي في نفس اليوم (٢٥ يونيو ١٩٧٥) مؤتمرا صحفيا في حديقة البيت الابيض اعلن فيه ان الولايات المتحدة سوف لا تسمح بأي ركود في منطقة الشرق الاوسط وسوف لا تسمح بالوصول الى طريق مسدود يسمح باستمرار بقاء الحالة على ما هي عليه .

استدعى الرئيس فورد يوم الجمعة ٢٧ يونيو الى البيت الابيض السفير الاسرائيلي سيمحا دنيتز ، بحضور هنري كيسنجر ومساعده جوزيف سيسكو ، ولم تستمر المقابلة اكثر من ١٠ دقائق ابلغه خلالها نتيجة لرد الفعل المصري ان الولايات المتحدة قلقة جدا من موقف اسرائيل ، وانها سوف تعمل بمفردها في الاتجاه الذي تراه من اجل التقدم نحو السلام ، وان فكرة انعقاد مؤتمر جنيف هي موضع بحث الولايات المتحدة . وعندما لا يتحقق التقدم المطلوب الآن فسيكون لكل من امريكا واسرائيل طريقها الخاص داخل المؤتمر .

بعث سيمحا دينتز بتقريره الى تل ابيب يوم الجمعة ٢٧ يونيو وطلب تعليمات محددة من حكومته ، ونظرا لعطلة نهاية الاسبوع الاسرائيلي (السبت) فقد عقد رابين اجتماعا يوم الاحد ٢٩ يونيو مع فريق المفاوضين الاسرائيليين : ايجال آلون نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، واسحق بيريز وزير الدفاع ، ثم اجتمع بعد ذلك بزعماء المعارضة في اسرائيل وابلغهم برد فعل مصر ورأي الحكومة الامريكية مقترحا ضرورة التقدم بمقترحات جديدة على ضوء اجتماع فورد بسفير اسرائيل في واشنطن سيمحا دينتز الذي استدعاه رابين للتشاور معه في القدس .

حدث انشقاق داخل الحكومة الاسرائيلية ، وبين الحكومة والمعارضة وفي الرأي العالم الاسرائيلي ، حيال ضرورة الاستجابة لطلب الانسحاب من الممرات وتعديل الخطوط الاسرائيلية المقترحة للانسحاب من ابورديس ، وغادر دينتز اسرائيل يوم الثلاثاء اول يوليو (تموز) ١٩٧٥ الى واشنطن ليجد كيسنجر يقضي عدة ايام في الجزر العذراء (فيرجن ايلندز) ويجتمع به هناك لابلاغه بان اسرائيل سوف تبحث في الاوضاع العسكرية المترتبة على انسحابها من الممرات ، وان بعثة عسكرية من رئاسة الاركان الاسرائيلية سوف تقوم يوم الخميس ٣ يوليو بدراسة الوضع على الطبيعة في الممرات .

عادت البعثة العسكرية الاسرائيلية الى القدس يوم الخميس ٣ يوليو بعد ٤٠ ساعة قضتها في دراسة الوضع العسكري في حالة انسحاب اسرائيل من الممرات . وعلى ضوء التقرير الذي اعدته البعثة العسكرية عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي اجتماعا يوم الجمعة ٤ يوليو في القدس حضره سيمحا دينتز سفير اسرائيل في واشنطن الذي عاد من الجزر العذراء بعد اجتماعه بكيسنجر الذي كان قد ابلغ دينتز رد مصر على المقترحات الاسرائيلية .

بحث مجلس الوزراء الاسرائيلي يوم الجمعة ٤ يوليو (تموز) ١٩٧٥ موضوعين :
الاول ــ علاقات اسرائيل مع امريكا والنتائج المترتبة على احتمالات رفض اسرائيل المحاولات الامريكية المبذولة للتوصل الى اتفاق جديد .

الثاني ــ الوضع العسكري في سيناء اذا وافقت اسرائيل على الانسحاب من الممرات .

وانتهى مجلس الوزراء الاسرائيلي الى قرار باستمرار التفاوض مع الولايات المتحدة ، وعقد رابين يوم السبت ٥ يوليو اجتماعا مع فريق المفاوضين الاسرائيليين (آلون ، بيريز) ومعهم دينتز الذي ابلغهم الرد المصري على مقترحات اسرائيل الاخيرة والتي رفضت فيه مصر ما بدأت تشير اليه اسرائيل في محاولاتها مع كيسنجر عن ضرورة بقاء القوات الاسرائيلية في مواقع متقدمة عند السفوح الشرقية للممرات وضرورة قيام القوات الاسرائيلية بالاشراف على الانذار المبكر وادارتها . ثم كانت المحاولة الجديدة التي بدأت تؤكدها اسرائيل في كل مقترحاتها ، وهي ضرورة التزام مصر بتجديد قوة الطوارىء ٥ سنوات على الأقل ، وبدون ان يكون لمصر حق طلب انهاء وجودها ، وكان موعد تجديد قوة الطوارىء يقترب (٢٤ يوليو ١٩٧٥) ومصر لم تعلن بعد عن قرارها بالتجديد او رفض التجديد .

ابلغ سيمحا دينتز السفير الاسرائيلي في واشنطن رئيس الوزراء اسحق رابين بان كيسنجر يدعوه للاجتماع به في بون ، ولذلك قرر مجلس الوزراء الاسرائيلي في جلسته التي عقدها يوم الاحد ٦ يوليو انه يفضل الانتظار الى حين اتمام اللقاء المتوقع بين رابين وكيسنجر يوم ١١ يوليو ، لتقديم المقترحات الاسرائيلية المحددة الخاصة بالاتفاق الجديد . واسرعت الحكومة الاسرائيلية تمهيدا لهذا اللقاء وخلق الجو المناسب لزيارة رابين الى بون بالاعلان عن طريق مراسل محطة الاذاعة البريطانية في القدس عن التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل تتلخص اهم بنوده في النقاط الآتية :

١ ــ استعداد اسرائيل للانسحاب من معظم الممرات (الجدي وميتلا) مع بقاء القوات الاسرائيلية في ٥ كيلومترات على السفوح الشرقية للممرات.
٢ ــ قيام نظام للانذار المبكر تحتفظ اسرائيل بمقتضاه بمحطة في ام خشيب تديرها القوات الاسرائيلية .
٣ ــ تتعهد مصر بتجديد قوة الطوارىء لمدة ٣ سنوات .
٤ ــ قيام جهاز مدني مصري في معظم الاراضي التي تنسحب عنها اسرائيل ، وفي المناطق التي سترابط فيها قوات الطوارىء .

٥ ـ تتعهد مصر بعدم القيام باي عمل عسكري ضد اسرائيل اذا قام طرف ثالث « بعدوان » على اسرائيل .

بالرغم من تكذيب الرئيس السادات واسماعيل فهمي وكيسنجر لهذه الانباء التي اذاعتها محطة الاذاعة البريطانية يوم الثلاثاء ٨ يوليو الا ان مراسل هذه المحطة اكد ان الانباء التي اذاعها قد حصل عليها من مصادر رسمية عليا ، وانه يتمسك باهمية المصدر الذي أدلى اليه بهذه المعلومات .

اقترب موعد لقاء مؤتمر الأمن الاوروبي على مستوى القمة في هلسنكي حيث من المقرر ان يلتقي فورد وبريجنيف وقادة اوروبا الغربية والشرقية وتركيا واليونان وقبرص وكندا يومي ٢٩و٣٠ يوليو . وطار كيسنجر الى جنيف يوم الخميس ١٠ يوليو (تموز) ١٩٧٥ لمقابلة جروميكو لبحث الاعداد الدقيق لمؤتمر القمة وابلاغ وزير الخارجية السوفيتي بما تم التوصل اليه حتى تلك اللحظة بالنسبة للاتصالات التي تجريها امريكا بين مصر واسرائيل . وقد خصص الوزيران جلسة يوم الخميس ١٠ يوليو للبحث في مؤتمر الأمن الاوروبي وخصصا جلسة الجمعة ١١ يوليو لبحث ازمة الشرق الأوسط . وبعد انتهاء هذه الاجتماعات غادر كيسنجر جنيف مساء الجمعة الى بون حيث التقى باسحق رابين يوم السبت ١٢ يوليو في قلعة جيمنتش لمدة ٣ ساعات ونصف الساعة وهي قلعة تقع في احدى ضواحي مدينة بون .

بعد هذا اللقاء اسرعت اسرائيل واذاعت ان مقترحاتها النهائية التي عرضتها على كيسنجر تتلخص في النقاط الآتية :

● اعلان محدد من مصر يؤكد انها سوف تعلن انهاء حالة الحرب لمدة ٥ سنوات عن طريق التعهد بذلك في صيغة لا تشير فيها الى انهاء حالة الحرب ولكن لها نفس المعنى .
● التعهد بعدم شن حرب طالما استمر التحرك نحو السلام .
● خروج مصر من المقاطعة العربية بالنسبة للشركات الامريكية التي تتعامل معـها اسرائيل .
● احتفاظ اسرائيل بمواقع على مداخل الممرات .
● تتعهد مصر بتجديد قوة الطوارىء ٣ سنوات .

وفي مقابل ذلك :

● تنسحب اسرائيل من معظم الممرات .
● يعود بترول ابو رديس الى مصر مقابل تعهد امريكي بتعويض اسرائيل عنه .
● اشراف اسرائيلي على محطات الانذار .
● بحث ما ستقدمه امريكا لاسرائيل من مساعدات عسكرية واقتصادية تعويضا عن هذا الانسحاب .

استدعى هنري كيسنجر سفيره في القاهرة المستر هيرمان ايلتس لمقابلته في واشنطن يوم ١٣ يوليو (تموز) ١٩٧٥ بعد انتهاء محادثاته مع اسحق رابين في بون .

وقبل ان يطير ايلتس كان اسماعيل فهمي قد استقبله في الاسكندرية وطلب منه ابلاغ الرئيس فورد ان مصر ازاء هذا الموقف ـ وقد بقي اقل من اسبوعين على تجديد قوة الطوارئ ـ ستفعل الآتي

● سوف لا تجدد عمل قوة الطوارىء مرة اخرى وقد تجددها لفترة ١٥ يوماً فقط .

● ان مصر بالذات بل اسماعيل فهمي شخصيا سوف يعمل من اجل طرد اسرائيل من الامم المتحدة حتى ولو هددت امريكا بالانسحاب من المنظمة الدولية .

● في حالة تهديد امريكا بعدم دفع نصيبها في المنظمة الدولية فان اي دولة عربية صغيرة سوف تدفع نصيب امريكا بحيث تبقى اسرائيل وتبقى معها امريكا خارج المنظمة .

● ان مصر ترفض ان تتولى اسرائيل محطة الانذار المبكر الخاصة بها وتوافق على ان يكون ذلك تحت اشراف مدنيين امريكيين، لهم وضع وصلاحيات القوة الدولية وبحيث يكون لمصر محطة مماثلة في موقع متقدم ، وتتواجد المحطتان (اسرائيلية ومصرية) في المنطقة العازلة التي تعمل فيها قوات الطوارىء ويكون عدد الفنيين الامريكيين في كل محطة مماثلا على ان يقدم الامريكيون تقاريرهم الى الامم المتحدة واسرائيل ومصر على السواء .

● ان مصر سوف تعلن عن عدم تجديد قوة الطوارىء يوم ٢٤ يوليو الا اذا صدر قرار من مجلس الامن بان بقاء قوة الطوارىء هو بموافقة مصر وفي سبيل تحقيق تقدم نحو السلام وليس للاحتفاظ بالحالة القائمة .

طار هيرمان ايلتس الى واشنطن يوم ١٣ يوليو في الوقت الذي كانت اسرائيل تعقد اجتماعا لمجلس الوزراء لتبلغ الولايات المتحدة انها لا تقبل التوصل الى اتفاق تحت ضغط التهديد بعدم تجديد قوة الطوارىء .

وعقد الرئيس جيرالد فورد يوم الاثنين ١٤ يوليو اجتماعا في البيت الابيض مع زعماء الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الكونجرس لابلاغهم بنتائج محادثات كيسنجر مع اسحق رابين في بون وتقرير هيرمان ايلتس عن موقف مصر وضرورة اشتراك فنيين امريكيين في ادارة محطات الانذار المبكر ، واتخاذ قرار سريع تفاديا للقرار المصري الذي حمله ايلتس وهو ان مصر سوف لا تجدد فترة وجود قوات الطوارىء . وابلغ فورد زعماء الحزبين انه في حالة الفشل فانه سوف يصدر بيانا يعلن فيه المبادىء التي تراها امريكا مناسبة لتحقيق التقدم الذي وعدت به بالنسبة للموقف في الشرق الاوسط . وفي الوقت الذي كان فورد يجتمع بزعماء الكونجرس وفي حضور هنري كيسنجر كان سيمحا دينتز يغادر اسرائيل يوم الاثنين ١٤ يوليو يحمل معه المقترحات التي سيتقدم بها الى كيسنجر ويحمل بيانا مطولا بالمعونات التي تريدها اسرائيل من الولايات المتحدة بما في ذلك عقد اتفاق بين مصر واسرائيل وامريكا بشأن استخدام المدنيين الامريكيين .

وفي الوقت نفسه كان الرئيس السادات يكلف اسماعيل فهمي في الاسكندرية باعداد رسالة الى رئيس مجلس الامن السفير يوجينو بلايا الذي كان سفيرا لايطاليا في

مصر يبلغه فيها ان مصر سوف لا توافق على تجديد عمل قوة الطوارىء بعد يوم ٢٤ يوليو الا اذا تم تحقيق تقدم نحو السلام ، وان قوات الطوارىء الدولية موجودة في مصر بقرار منها وبموافقتها وان بقاء هذه القوة دون تحقيق تقدم هو بمثابة قبول للحالة الراهنة التي تريد اسرائيل ان تستمر اطول فترة ممكنة ، وطلب من رئيس مجلس الامن ابلاغ ذلك الى جميع الدول الأعضاء .

اعلن اسماعيل فهمي مضمون الرسالة في مؤتمر صحفي عقده مساء الثلاثاء ١٥ يوليو (تموز) ١٩٧٥ ، اي قبل حوالي اسبوعين من اجتماع مؤتمر القمة الافريقي الذي تزايدت التكهنات باحتمال صدور قرار عنه بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، وقبل اسبوع من موعد الخطاب الذي سيلقيه الرئيس السادات لمناسبة ذكرى ثورة ٢٣ يوليو والذي كان سيعلن فيه ما اذا كانت مصر ستمدد لقوات الطوارىء ام لا بعد يوم ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٧٥ .

ويوم ٢٢ يوليو وجه رئيس مجلس الامن نداء باسم الدول الاعضاء الى الرئيس السادات يناشده فيه الموافقة على التمديد لقوات الطوارىء وذلك للمساهمة في تهيئة مناخ موافقته للبحث في ايجاد حل عادل لازمة الشرق الاوسط .

وفي هذه الاثناء كان الرئيس السادات استقبل السفير الامريكي هيرمان ايلتس العائد من واشنطن . وبعد استقباله للسفير وتلقيه نداء رئيس مجلس الامن اعلن الرئيس السادات مساء ٢٢ يوليو (تموز) ١٩٧٥ موافقته على التمديد ثلاثة اشهر لقوات الطوارىء بحيث تنتهي المدة يوم ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) مشترطا تحقيق تقدم في هذه الفترة .

٣ ـ اتفاق المعمورة

بعد خمسة اشهر تماما من توقف مهمة كيسنجر في اسوان ، يوم ٢٢ مارس (اذار) ١٩٧٥ ، هبطت طائرة الوزير الامريكي في مطار جناكليس الحربي بالقرب من الاسكندرية (يوم الجمعة ٢٢ اغسطس) بعد جلسة محادثات طويلة عقدها في اليوم السابق مع الجانب الاسرائيلي في القدس التي نقل اليها اهم مكاتب وزارة الخارجية الامريكية واختار لها فندق الملك داوود وجعل من غرف الفندق مقرا لكبار مسؤولي وزارة الخارجية والدفاع والسكرتارية والامن القومي ومهندس رسم الخرائط واساتـذة الاستراتيجية في وزارة الدفاع الامريكي الذين رافقوه في هذه الجولة التي كان يتوقع لها اسبوعين . واصدر تعليماته قبل ان يغادر واشنطن بان يقتصد سفراء امريكا في العالم كله في برقياتهم وتقاريرهم في هذه الفترة ، وبحيث تكون هذه البرقيات قاصرة على اخطر المعلومات التي لا بد وان يحاط بها وزير الخارجية علما . برقية واحدة خلت من الخطورة استطاعت ان تتسرب الى ملف كيسنجر السري ، وكانت من ممثلة السينما المشهورة في اوائل الاربعينات شيرلي تمبل التي اصبحت سفيرة لامريكا في غانا ، تطلب من وزير خارجيتها ان يسمح لها بالسفر من اكرا عاصمة غانا الى الاسكندرية بدعوة من الرئيس السادات والسيدة قرينته . ووافق كيسنجر على الفور .

عندما هبطت طائرة كيسنجر في مطار جناكليس الحربي يوم ٢٢ اغسطس (اب) ١٩٧٥ كان جو مدينة الاسكندرية مختلفا تماما عن جو اسوان . مدينة الاسكندرية تموج بالمصطافين والضيوف ومؤتمر السياحة العالمي وزيارة شيرلي تمبل ، وجو اسوان كان قاصرا على فريق المفاوضين المصريين ، وهنري كيسنجر ورجاله ، الى جانب اكثر من مائة صحفي يتولون تغطية المحادثات التي فشلت في ٢٢ مارس .

وبعد نزول كيسنجر من الطائرة التفت الى السفير سعيد حمزة مدير ادارة المراسم في الخارجية المصرية وقال : « ولكنني لا ارى سجادة حمراء في انتظاري مثل مطار اسوان والقاهرة » . ورد سعيد حمزة ضاحكا : « ولكن مطار جناكليس مطار حربي ، ولا نستطيع ان نضع فيه سجادة حمراء ». وهمس سعيد حمزة في اذن اسماعيل فهمي الذي اتفق مع الفريق الجمسي على وضع سجادة حمراء لكيسنجر الذي يهتم جدا بالتفاصيل اهتمامه باعقد المشاكل واصعبها .

وفي طائرة هليكوبتر نقلت كيسنجر واسماعيل فهمي ونانسي زوجة كيسنجر وعفاف حرم اسماعيل فهمي الى مطار قصر راس التين عرض كيسنجر على اسماعيل فهمي صورة سريعة عن محادثاته في اسرائيل والجو العام السائد هناك . وبعدما هبطت الطائرة في حديقة القصر الذي شاهد رحيل الملك فاروق عام ١٩٥٢ قال كيسنجر للصحفيين « انني اشعر بالامل هذه المرة وسوف اقابل الرئيس السادات بعد فترة وجيزة لاجراء استعراض كامل لسير المفاوضات ، وسوف لا ندخر وسعا ولا جهدا من اجل الوصول بهذه

المفاوضات الى خاتمة ناجحة » .

وفي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الجمعة ٢٢ اغسطس كانت الطائرة الصغيرة تحمل كيسنجر الى استراحة حديقة الرئيس في المعمورة ، ويتعانق الرئيس وكيسنجر ، ويروي له الرئيس انه كان في برج العرب وراس الحكمة ، ويصف له الهدوء والمنظر الجميل الذي تمتاز به هذه المنطقة . ويبدأ كيسنجر حديثه مع الرئيس السادات عن الوضع في اسرائيل ، والمظاهرات التي قابلته هناك ، ويؤكد ان الرئيس فورد اعطاه التفويض الكامل للوصول الى اتفاق في هذه الجولة ، ويشير كيسنجر من طرف خفي الى ان الرئيس فورد سيكون سعيدا بتلبية الرئيس السادات الدعوة لزيارة امريكا في الخريف .

ان ابرز تطور حدث منذ بدأت محادثات الرئيس السادات وكيسنجر في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ هو هذا الفهم المتبادل الذي حدث بين الرئيس وكيسنجر . فقد جاء كيسنجر الى مصر واعتقد قبل ان يتم اول لقاء بعد حرب ٦ اكتوبر بينه وبين الرئيس انه سيناقش مع السادات مشكلة تتعلق بالفصل بين القوات وترتيبات عسكرية وادارية لدعم وقف اطلاق النار ، وكان كيسنجر يحمل معه تقديرات موقف ، ودراسات جامدة عن العلاقات المصرية الامريكية . وفوجىء كيسنجر انه يلتقي للمرة الاولى برجل دولة وسياسة لا ينظر الى مشاكل المنطقة بمعزل عن العالم ، ولا يتحدث عن مصر واسرائيل وسيناء بمعـزل عن الدول العربية والشرق الاوسط والفلسطينيين .

واذكر ان الرئيس السادات روى انه اوفد السيد حافظ اسماعيل مستشاره للامن القومي في ذلك الوقت الى واشنطن لمقابلة كيسنجر في فبراير (شباط) وابريل (نيسان) ١٩٧٣ ، قبل حرب اكتوبر ، وكان ذلك اول اتصال بين السادات وكيسنجر . وبناء على تعليمات السادات لمستشاره للامن القومي الذي تولى بعد ذلك منصب سفير مصر في موسكو قال حافظ اسماعيل لهنري كيسنجر : « ان الرئيس السادات كلفني ان انقل اليكم والى الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون تحياته ، وانني جئت بتكليف منه لبحث كيفية تحركنا نحو السلام في الشرق الاوسط ، بعد فترة زادت عن ست سنوات منذ حرب ١٩٦٧ ».

وشرح حافظ اسماعيل ان مصر ترى ان السلام لا يمكن ان يتحقق الا بانسحاب اسرائيل عن كل الاراضي العربية التي تحتلها مع استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه . وابتسم كيسنجر وقال : « انكم تتحدثون وكانكم حققتم انتصارا عسكريا .. لا بد من تغيير الحالة الراهنة والوضع القائم . ارجو ان تنظروا الى المشكلة على اساس الواقع القائم على الارض. انتم في حالة هزيمة عسكرية وكلامكم يوحي بانكم كسبتم المعركة .. ولكن الواقع يقول غير ذلك ، ولا يمكننا ان نتجاهل هذا الواقع . وفي حدود هذا الواقع لا نستطيع ان نعمل شيئا. لا بد من تغيير الواقع قبل ان تطلبوا من اسرائيل ومن امريكا تغيير مواقفهما » .

وروى السادات انه قبل المعركة ، وفي يوم ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ذهب ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل في ذلك الوقت الى نيويورك لجمع التبرعات لاسرائيل

واجتمع بهنري كيسنجر الذي قال له : « ان امام اسرائيل فرصة طيبة ، فالرئيس السادات يتولى الرئاسة الآن في مصر ، وهو زعيم يريد السلام ويمكن التفاهم معه ، وانتم متفوقون عليهم ، وليس هناك اي ضرر من قيام اسرائيل بتقديم مبادرة نحو السلام » . ورد ايبان قائلا : « ان مصر والدول العربية جميعا لا قيمة لها عسكريا او سياسيا لمدة خمسين سنة قادمة . وبعد يومين كانت قوات مصر تعبر قناة السويس ، وتثبت لامريكا واسرائيل انها تستطيع تغيير الواقع ، وان لها القيمة العسكرية التي تسمح لها بتحطيم نظرية الامن الاسرائيلي ، وتدفع هنري كيسنجر من ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ الى سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ تحت رئاسة نيكسون ثم فورد الى تحريك الموقف وانسحاب اسرائيل شرقي الممرات .

اوردت هذه الاحاديث التي رواها الرئيس السادات بينما كيسنجر يستأنف محاولاته لتحقيق انسحاب اسرائيلي جديد في سيناء ضمن اتفاقية جديدة للفصل بين القوات ، واستمرت جلسة يوم ٢٢ اغسطس (آب) ١٩٧٥ حتى منتصف الليل . وفي صباح اليوم التالي كان كيسنجر يجتمع بالسيد اسماعيل فهمي والفريق اول عبد الغني الجمسي لبحث اهم واخطر موضوع يرتبط بهذه الاتفاقية وهو استخدام الفنيين الامريكيين في الاشراف على محطات الانذار المبكر ، بحيث لا تكون محطة ام خشيب التي يستخدمها الاسرائيليون الا في داخل المنطقة العازلة ، وبحيث يشترك فيها الامريكيون ، على ان تكون لمصر محطة مماثلة يديرها العسكريون المصريون الذين سيكون لهم حق الوصول الى الممرات في المنطقة العازلة لادارة هذه المحطة بالتعاون مع الخبراء الامريكيين .

كانت موافقة امريكا على الاشتراك في ادارة هذه المحطات بمثابة التغيير الاساسي في الموقف الامريكي خلال شهر مارس (اذار) ١٩٧٥ ، فقد اشارت امريكا الى فكرة مساهمتها في ادارة نظام الانذار المبكر بصيغة غير محددة في محادثات اسوان ، وتركت هذا الموضوع دون الاصرار عليه ، ورفضت اسرائيل في ذلك الوقت الالتزام بالانسحاب . الى ان التقى الرئيس السادات بالرئيس فورد في سالزبورج واقترح عليه ان تكون الولايات المتحدة « شاهدا » في المنطقة بحيث تتولى التعاون مع مصر ومع اسرائيل للتحذير من اي هجوم . وكانت فكرة الرئيس السادات الاساسية هي حصول مصر على محطة انذار مبكر وهي ميزة تتمتع بها اسرائيل بعد ان رفض الاتحاد السوفيتي استمرار احتفاظ مصر بمحطات الانذار المبكر التي كانت تستخدمها بالتعاون مع الخبراء السوفييت ، ولذلك اقترح الرئيس السادات على فورد قيام امريكا بتزويد مصر بهذه المحطة التي ستقوم ببيعها لها ، مقابل استخدامها في منطقة الممرات . وكان الهدف الثاني من استخدام محطات الانذار المبكر هو بدء التزام الولايات المتحدة باتخاذ موقف محايد بين مصر واسرائيل ، وانهاء حجة اسرائيل باستمرار احتلال الارض بدعوى خوفها من هجوم مفاجىء عليها .

طار هنري كيسنجر بعد ظهر يوم السبت ٢٣ اغسطس (آب) ١٩٧٥ الى دمشق ، واجتمع بالرئيس حافظ الاسد وساله : « هل توافق على قيام الولايات المتحدة ، بترتيب

اتفاق بين مصر واسرائيل .. وهل توافق على اجراء مماثل بين اسرائيل وسوريا على جبهة الجولان ؟ » . ورد الاسد بالموافقة . وطار كيسنجر الى اسرائيل ليشترك في محادثات مطولة مع فريق المفاوضين الاسرائيليين يوم الاحد ٢٤ اغسطس ، وابلغ نتائج محادثاته الى سفيره الموجود في الاسكندرية المستر هيرمان ايلتس ، وعاد يوم الاثنين ٢٥ اغسطس الى المعمورة ليبلغ الرئيس السادات نتائج محادثاته في اسرائيل وفي دمشق وليطير في اليوم نفسه الى اسرائيل ويعود الى المعمورة يوم ٢٦ اغسطس ، ويظل يتنقل بين المعمورة واسرائيل حتى يوم الاحد ٣١ اغسطس عائدا من اسرائيل ومعــه المشروع النهائي للاتفاق الذي يتألف من

١ ـ اتفاق بين مصر واسرائيل.

٢ ـ ملحق بالاتفاق ينظم ويرتب الاجراءات العسكرية الخاصة بالانسحاب وتقدم القوات المصرية وترتيبات استخدام الطرق .

٣ ـ اقتراح امريكي خاص باستخدام الفنيين الامريكيين في محطات الانذار المبكر .

. وصل كيسنجر الى المعمورة في زيارته الخامسة لمصر ومعه نصوص الاتفاقية التي عرضها على الرئيس السادات في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الاحد ٣١ اغسطس(آب) ، وطار بعد ان حصل على موافقة مصر الى اسرائيل حيث قام الجنرال مردخاي جور بالتوقيع على الاتفاق يوم اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ وعاد كيسنجر الى الاسكندرية في العاشرة والنصف من مساء الاثنين اول سبتمبر ١٩٧٥ ومعه صيغة الاتفاق النهائي بعد التوقيع عليه بالاحرف الاولى في اسرائيل .

قبل ان يصل كيسنجر الى الاسكندرية كان الرئيس السادات قد تلقى مكالمة تليفونية في الساعة السادسة والربع من مساء يوم الاثنين اول سبتمبر ، بتوقيت القاهرة ، من الرئيس الامريكي جيرالد فورد ، الذي شكره الرئيس السادات على هذه المكالمة واهتمامه الشخصي بتوقيع هذه الاتفاقية ، وكرر الرئيس السادات في هذه المكالمة المبادىء الاتية :

١ ـ لا بد من التحرك في اتجاه تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي .

٢ ـ تجديد ثقة الرئيس السادات في الرئيس فورد واشادته بموقفه ورجولته ، وبجهود كيسنجر .

٣ ـ ان مصر لا ترضى كل الرضى عن هذه الاتفاقية لانها غير كافية وكانت تفضل ان تكون هناك تسوية شاملة للمشكلة .

٤ ـ ان مصر تبدي قلقها لان اسرائيل مارست الكثير من المناورات اثناء المباحثات مما يشير الى ان ان اسرائيل ليست لديها الرغبة في السلام .

٥ ـ ان مصر يهمها الاستمرار في التوصل الى حل نهائي وهذا يقتضي تحركا مماثلا على الجبهة السورية .

٦ ـ ان ذلك يقتضي ايضا ان يجري الرئيس الامريكي حوارا مع الفلسطينيين لان التسوية النهائية في الشرق الاوسط لا تتحقق الا بالاعتراف بحقوقهم .

ولآخر مرة تهبط طائرة كيسنجر في الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم الاثنين اول سبتمبر ويجتمع به الرئيس السادات وممدوح سالم رئيس الوزراء واسماعيل فهمي والفريق اول الجمسي . اما حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية فكان قد غادر الاسكندرية الى السعودية وسوريا لمقابلة الملك خالد والرئيس حافظ الاسد ، الذي رفض مقابلته . وفي ركن من اركان الحديقة تم وضع طاولة للتوقيع . وتقدم هنري كيسنجر وممدوح سالم الى الطاولة ووقعا الاقتراح الامريكي الخاص بالفنيين الامريكيين ، بينما تقدم الفريق محمد علي فهمي رئيس الاركان والدكتور احمد عثمان رئيس وفد مصر لدى المقر الاوروبي بجنيف للتوقيع بالحروف الاولى على الاتفاق .

وبعد مؤتمر صحفي عقده الرئيس السادات وكيسنجر في حديقة المعمورة تناول كيسنجر بدعوة من السادات العشاء . وفي الواحدة من فجر يوم الثلاثاء ٢ سبتمبر (ايلول) طار كيسنجر الى السعودية بعد ان تأجل وصول موافقة سوريا على زيارته . وفي الطائف تلقى الموافقة فطار في اليوم نفسه الى دمشق وعاد الى واشنطن بعد ان تم التوصل الى اتفاق جديد لانسحاب اسرائيل من الممرات ومن ابورديس .

وثـــائق

- مذكرة رداً على المشاريع والمقترحات طلب عبد الناصر تقديمها الى الامم المتحدة
- قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢
- مذكرة الى يارينج من محمود رياض
- اسئلة يارينج ورد الحكومات عليها
- قرار الجمعية العامة (٤ نوفمبر ١٩٧٠) حول الوضع في الشرق الاوسط
- مذكرة من محمود رياض الى يارينج
- مذكرة ثانية من محمود رياض الى يارينج
- اتفاقية الفصل بين القوات
- التعهدات الاميريكية لكل من مصر واسرائيل

مذكرة ردا على المشاريع والمقترحات

طلب عبد الناصر تقديمها الى الامم المتحدة

نص المذكرة التي طلب جمال عبد الناصر يوم ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ من احمد حسن الفقي نائب وزير الخارجية تقديمها الى الامم المتحدة رداً على المشاريع والمقترحات التي كانت مطروحة للبحث انذاك ·

اولا : الانسحاب:

١ ـ حددت الجمهورية العربية المتحدة موقفها بضرورة النص الصريح على الانسحاب الى مواقع ما قبل العدوان ، اي الى خطوط ٥ يونيو وذلك في اي قرار يصدر عن مجلس الامن .

واذا عدنا الى المشروع الذي اتفقت عليه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وقدم لنا في ٢١ يوليو (تموز) ١٩٦٧ فاننا نجد ان هذا المشروع بصيغة الاربع قد حدد الانسحاب الى مواقع ٤ يونيو وكانت الصيغ الاربع لهذا الاتفاق الامريكي السوفيتي تشير الى تاريخ ٤ يونيو والفارق الوحيد ان في بعضها يذكر بدون تأجيل، وفي البعض الاخر يذكر توقع.

كانت كافة المشاريع الاخرى التي قدمت خلال الدورة الطارئة للجمعية العامة سواء من المجموعة اللاتينية او غيرها تشير ايضا الى الانسحاب الى المواقع التي كانت فيها اسرائيل قبل ٥ يونيو او من الاراضي التي تحتلها .

٢ ـ وفي اتصالاتنا الاخيرة بالولايات المتحدة عادت لتنكر انها وافقت على تاريخ ٥ يونيو وبالطبع رفضنا هذا الموقف .

ثم تبين من هذه الاتصالات ان الولايات المتحدة تسعى الى ان تجعل الانسحاب كمعنى مجرد غير محدد ، مجرد مبدأ يقره مجلس الامن ، وليس قرارا تنفيذيا يتحتم على اسرائيل تنفيذه .

٣ ـ وليس هذا فقط بل ان الولايات المتحدة ترفض الانسحاب الكامل وتشير الى الاكتفاء بانسحاب اسرائيل من الاراضي التي تحتلها ، وهنا نجد ان هذا الموقف يحتمل ما يلي :

١) ان تنسحب اسرائيل من سيناء ولا تنسحب من غزة على اساس ان غزة ليست ارضا مصرية .

ب) ان ترفض اسرائيل الانسحاب من القدس بدعوى انها ليست اردنية .

جـ) ان تنسحب اسرائيل انسحابا جزئيا وتعلن انسحابها الكامل من الارض المحتلة

بتحقيق شروط معـينة تطلبها كنزع سلاح منطقة معينة او المرور في قناة السويس . وهنا نجد ان الموقف الامريكي المتشدد يحاول دائما الربط بين الانسحاب والمرور في قناة السويس .

٤ ـ وقد بدا في الاتصالات الاخيرة التي دارت في مجلس الامن انه ازاء تشدد الولايات المتحدة في عدم النص على تاريخ ٤ يونيو فان موقفنا في محاولة اخيرة للوصول الى قرار ـ عدل بحيث قبلنا صيغة اخرى للانسحاب ليس فيها نص على تاريخ ٤ يونيو وانما تفيد نفس المعنى دون ان نستخدم نفس الالفاظ مثل ما ورد في ورقة العمل الهندية المعدلة والتي تشير الى الانسحاب من الاراضي التي احتلتها اسرائيل خلال النزاع الاخير .

٥ ـ ونجد في ورقة العمل الدانماركية ـ الكندية نصا للانسحاب يقضي بأنه لا يجب على أي دولة من دول المنطقة ان تحتفظ بقوات في اقليم دولة اخرى رغما عن ارادتها او ان تصمم على رفض سحب هذه القوات ، ومثل هذا النص يسمح بالطبع لاسرائيل بالا تنسحب من قطاع غزة او القدس وتتلكأ في الانسحاب من الضفة الغربية حتى يسلم لها بالحدود الآمنة وهي غير الحدود الحالية وهو ما يعنى انها ستستولي على اراضي جديدة تكفل لها هذا الامن .

ثانيا : الحدود :

١ ـ هذا الموضوع متعلق بالانسحاب والموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة هو الذي دفعنا الى مزيد من الحرص بالنسبة الى النص الصريح على الانسحاب ويرجع ذلك الى التفسير الذي خرجت به الولايات المتحدة في الرسالة التي بعث بها الرئيس جونسون الى الرئيس تيتو وتكلم فيها عن الانسحاب الى حدود متفق عليها ومأمونة .

٢ ـ ومثل هذا التفسير الذي تصمم عليه الولايات المتحدة حتى الآن في مختلف اتصالاتها يشير الى ان اي انسحاب لن يكون انسحابا كامل وانما سيقف عند نقاط معينة تضمن لاسرائيل هذا الامن .

٣ ـ وهناك تصريحات اسرائيلية عديدة حول ضرورة تعديل الحدود وخاصة في الضفة الغربية والمرتفعات السورية . ويعني هذا بالتالي ان الانسحاب الاسرائيلي سيقف عند نقط معينة بدعوى الامن .

٤ ـ ولذلك فاننا نعمل عن طريق التشدد في ايضاح صيغة الانسحاب بقطع الطريق على هذه المحاولات .

ثالثا : مهمة المبعوث الخاص للسكرتير العام :

١ ـ لقد حددنا موقفنا بداية عن هذا المبعوث باننا لا نعترض على ارساله كممثل للسكرتير العام وليس كوسيط

٢ ـ ولقد كانت هناك محاولة لتمييع مهمة هذا المبعوث وعدم تحديدها بمسائل معينة يعمل على متابعة تنفيذها ويبلغ مجلس الامن بنتيجة اتصالاته ولكننا قطعنا الطريق

على هذه المحاولة واوضحنا ضرورة تحديد الانسحاب في اي قرار يصدر من مجلس الامن ينص على ارسال هذا المبعوث الى المنطقة كما صممنا على ان يكون مجلس الامن وليس هذا المبعوث هو المسؤول عن تنفيذ القرار الصادر .

٢ ـ ووراء هذا التصميم من جانبنا سببان رئيسيان :

اولهمـــــــا :

ان عدم تحديد مهمة المبعوث ستجعله يتصل بالاطراف في النزاع ثم يبلغ مجلس الامن ثم يعاود نفس المحاولة الامر الذي قد تستغرق وقتا طويلا وقوات الاحتلال ما زالت في اراضينا .

ثانيهمـــــــا :

انه من الخطورة بمكان ان نضع مهمة تنفيذ اي قرار في ايدي هذا الممثل بمفرده ويخلي مجلس الامن من مسؤولياته بل ان المصلحة تقضي بان يستمر المجلس مسؤولا عن الجوانب المختلفة للمشكلة باجمعها .

رابعا : انهاء حالة الحرب :

١ ـ منذ ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ـ حددت الولايات المتحدة موقفها بضرورة اعلان العرب انهاء حالة الحرب .

وفي الاتصالات المختلفة التي قمنا بها وقامت بها دول عديدة صديقة تبين ان الموقف الامريكي في مطالبته بانهاء حالة الحرب يعتبر ذلك شرطا اساسيا قبل قبول انسحاب اسرائيل ويرى انه لا يمكن ان تنسحب اسرائيل بدون ان تتلقى مقابلا لهذا الانسحاب .

٢ ـ وفي رأي الولايات المتحدة ان انهاء حالة الحرب والاعتراف بوجود اسرائيل في المنطقة لا يحتم سوى الاعتراف الواقعـي باسرائيل ولا يعني تبادل العلاقات معها ولكنه يؤدي الى نتيجة هامة هي مرور اسرائيل في قناة السويس .

وقد وضعت صيغ مختلفة لانهاء حالة الحرب مثل تقرير حق كل دولة في سيادتها واستقلالها وامنها او ما شابه ذلك من الصيغ دون النص صراحة على تعبير انهاء حالة الحرب .

٣ ـ وفي اتصالاتها قبلنا هذا النص ورفضنا ان يترتب عليه مرور اسرائيل في قناة السويس ما لم تحل مشكلة اللاجئين وبهذا فنحن نعلق هذا المرور على ضمان المحافظة على حقوق شعب فلسطين ونرفض المساومة في هذا المبدأ .

حدثت ضغوط امريكية عديدة وما زال موقفنا كما هو .. واخيرا تراجعت الولايات المتحدة بحيث قبلت عدم ربط انهاء حالة الحرب والاعتراف الواقعي بوجود اسرائيل بالمرور في قناة السويس ولكنها في مقابل ذلك رفضت ان يكون الانسحاب فوريا وانما مجرد مبدأ يجري تنفيذه مستقبلا بواسطة ممثل السكريتر العام مثله في ذلك مثل حل مشكلة اللاجئين او حل مشكلة المرور في الممرات الدولية .

مذكرة الى السفير جونار يارينج بتاريخ ٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ مقدمة من وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة

صدر قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ متضمنا التسوية السلمية في الشرق الاوسط . الآن وقد انقضى عام على هذا القرار ، فان اسرائيل ما زالت تصر على اتباع اسلوب تشويه الحقائق والتلاعب بالالفاظ والتهرب من مواجهة التزاماتها التي يفرضها عليها قرار مجلس الامن .

وازاء ذلك فاني اود ان اسجل الملاحظات التالية :

- ان اسرائيل لا زالت ترفض تنفيذ قرار مجلس الامن ، كما انها ترفض الانسحاب من كافة الاراضي العربية التي احتلتها عـلى اثر عدوانها على الدول العربية يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وهي بذلك ترفض تحقيق السلام في منطقة الشرق الاوسط برفضها التسوية السلمية التي اقرها مجلس الامن بالاجماع .
- ان استمرار وجود قوات اسرائيلية فوق الاراضي العربية يشكل عدوانا دائما ومتواصلا على سيادة وسلامة الدول العربية .
- اسرائيل لا تكتفي الآن برفضها قرار مجلس الامن ، بل هي اصبحت تعمل ضد هذا القرار ، ويدلي المسؤولون فيها بتصريحات تؤكد اهدافها التوسعية ، وهي تعبر بذلك عن السياسة التي رسمتها الصهيونية العالمية منذ نشأتها والتي دأبت على تحقيقها لاقامة الدولة اليهودية في فلسطين والتوسع بها تدريجيا عن طريق العدوان والحرب .
- منذ ان بدأت الصهيونية العالمية في تنفيذ خططها هذه ، بدأت الاضطرابات في فلسطين ومنطقة الشرق الاوسط .
- عند طرح المشكلة الفلسطينية على الامم المتحدة عام ١٩٤٧ اتخذت الجمعية العامة قرارا بتقسيم فلسطين بين عرب فلسطين واليهود ، واقامت حدودا لاسرائيل وهي الواردة في قرار الجمعية العامة عام ١٩٤٧ .
- على الرغم من ان شعب فلسطين والدول العربية ودولا اخرى عديدة قد اعتبرت ان اقتطاع ارض عربية من شعب فلسطين واعطاءها لاسرائيل كان اجحافاً وعدوانا على حقوقهم ، الا ان اسرائيل لم تكتف بالحدود التي قررتها اليها الامم المتحدة بمقتضى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ بل عملت على التوسع فاستولت في عام ١٩٤٨ على اراض عربية اخرى تزيد ٢٠ ٪ عما قرره لها قرار التقسيم متجاوزة بذلك الحدود التي قررتها لها الامم المتحدة .
- الا ان ذلك لم يكن ليرضى زعماء اسرائيل .

فقد صرح بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل في اول يوم لقيامها عام ١٩٤٨ :

« ليست هذه هي نهاية كفاحنا (قيام اسرائيل) بل اننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا ان نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل الى الفرات » .

وذكر في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ :

« ان المحافظة على الوضع الراهن لايعتبر مجديا ، لقد اقمنا دولة ديناميكية تقوم على التوسع » .

كما جاء في خطاب له عام ١٩٥٢ في بير سبع :

« انني اقبل تشكيل الحكومة الاسرائيلية بشرط ان استخدم كل الوسائل الممكنة للتوسع جنوبيا ، وليفهم الجميع ان اسرائيل قامت بالحرب وانها لن تقنع بما بلغته حدودها حتى الآن . ان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » .

- وقد بدأت اسرائيل في عام ١٩٥٥ في تنفيذ مخططاتها التوسعية فاحتلت في سبتمبر من ذلك العام منطقة العوجة - وهي المنطقة المنزوعة السلاح حسب قرارات الامم المتحدة وانزلت علم الامم المتحدة من هذه المنطقة واعلنت ضمها لاسرائيل متنكرة لتوقيعها على هذه الاتفاقية .

- ولم تكتف اسرائيل بهذا الحد ، بل شنت عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ، بقصد تحقيق اغراضها التوسعية . فاعلن بن جوريون ضم سيناء لاسرائيل كما اعلن ان اتفاقية الهدنة قد ماتت ودفنت .

وقد اضطرت اسرائيل للانسحاب من سيناء عندما رفض المجتمع الدولي التوسع الاسرائيلي .

- الا ان اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية ظلت تستعد وتتحين الفرص من اجل تحقيق اهدافها التوسعية ، فعاودت عدوانها على الدول العربية في الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ من اجل ضم المزيد من الاراضي .

وقد صرح اشكول في ١٢ يونيو عام ١٩٦٧ على اثر العدوان الاسرائيلي « بان اسرائيل اذا احتلت اراضي جديدة فلن تعود ابدا الى الحدود السابقة » .

كما ذكر موشي ديان في ١١ يونيو عام ١٩٦٧ :

« ان قواتي ينبغي ان تبقى في سيناء . وان القدس ينبغي ان تظل عاصمة اسرائيل وتحت سيادتها . ان اسرائيل يجب الا تتنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية من الاردن » .

وصرح ديان في ١٠ اغسطس (آب) عام ١٩٦٧ :

« ان اسرائيل ترفض العودة الى حدود عام ١٩٤٩ القديمة وان على اسرائيل الا تسمح لدول اخرى تعمل لمصلحتها الخاصة ان تجبرها على العودة الى الاوضاع القديمة .

قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢
الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧

ان مجلس الامن :

- اذ يعبر عن قلقه المستمر ازاء الموقف الخطير في الشرق الاوسط .
- واذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب . والحاجة الى العمل لاجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش في امان .
- واذ يؤكد ايضا ان جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

١ ـ يؤكد ان تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، الامر الذي يجب ان يتضمن تطبيق كلا المبدأين الآتيين :

ا ـ انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراض احتلتها في النزاع الاخير .

ب ـ انهاء جميع حالات الحرب او الادعاء بها ، واحترام والاعتراف بالسيادة ووحدة الاراضي والاستقلال السياسي الخاصة بكل دولة في المنطقة وبحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من اعمال القوة او التهديد بها .

٢ ـ ويؤكد المجلس ايضا ضرورة :

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب ـ التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج ـ ضمان الاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وعدم الاعتداء على اراضيها وذلك عن طريق اجراءات من بينها اقامة مناطق منزوعة السلاح .

٣ ـ يطلب من السكرتير العام ان يعين ممثلا خاص ليتوجه الى الشرق الاوسط لاقامة ومداومة الاتصالات مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق والمساعدة في الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ومقبولة وفقا للنصوص والمبادىء الواردة في هذا القرار .

٤ ـ يطلب من السكرتير العام ان يبلغ المجلس عن مدى تقدم جهود المبعوث الخاص في اقرب وقت ممكن .

« ان اسرائيل لن تعود الى اتفاقيات الهدنة او لتلك الحدود التي اقرتها هذه الاتفاقيات .

« ان اسرائيل يجب ان تحتفظ بجزء من سيناء بما فيها شرم الشيخ . ان حدود اسرائيل يجب ان تمتد من نهر الاردن الى البحر الابيض وان المرتفعات غرب الاردن يجب ان تكون قاعدة دفاع عن حدود اسرائيل » .

كما صرح ديان في الخامس من يوليو (تموز) ١٩٦٨ امام اتحاد شباب الكيبوتز الاسرائيلي في اجتماع عقده في الاراضي السورية المحتلة جاء به ما يلي :

« ان آباءنا قد وصلوا الى الحدود التي اعترف بها مشروع التقسيم عـام ١٩٤٧ وان جيلنا قد وصل الى حدود ١٩٤٩ اما جيل الايام الستة (اي الجيل الذي قام بعدوان ٥ يونيو) فقد امكن له الوصول الى السويس ونهر الاردن وهضبة الجولان في سوريا » . ثم اعلن موشي ديان : « ان هذه ليست النهاية لان هناك بعد خطوط وقف اطلاق النار الحالية خطوطا جديدة تصل الى ما وراء نهر الاردن وقد تصل الى لبنان واواسط سوريا »

وصرح ايجال آلون نائب رئيس الوزراء الحالي في ١٥ يوليو ١٩٦٧ : « ان امن وسلم حدود اسرائيل الشمالية يتطلبان منا عدم التخلي عن مرتفعات الجولان السورية ، كما ان نهر الاردن يجب ان يعتبر حدودا شرقية لاسرائيل » .

كما صرح ديان يوم ١٧ اكتوبر ١٩٦٨ بما يلي :

« يجب ان نقيم المستعمرات في مرتفعات الجولان ، وان نحصن سيناء ، وان ندمج الضفة الغربية وغزة اقتصاديا واداريا في اسرائيل » .

وذكر بن جوريون رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق في الكنيست يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٨ « اننا عندما نقول ان نهر الاردن يعتبر حدودا آمنة بالنسبة لاسرائيل ، فاننا نعني بذلك انه بمجرد عقد اتفاقية سلام لن نسمح لاي قوات اجنبية بان تعبر تلك الحدود ، حتى بعد توقيع اتفاقية صلح ، وان اسرائيل لن توافق على بقاء قوات اردنية او عربية اخرى في الضفة الغربية للاردن في اية تسوية نهائية » . كما صرح ايضا في الكنيست في ١ نوفمبر ١٩٦٨ :

« ان اسرائل سوف تتمسك بمضايق تيران كجزء من اية تسوية لمشكلة الشرق الاوسط » .

- وهكذا تتضح خطة اسرائيل التوسعية من عدوانها على ثلاث دول عربية في الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، فهي من واقع تصريحات المسؤولين تهدف الى :

١ ـ ضم القدس .
٢ ـ وجود قوات اسرائيلية في سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان في سوريا .
٣ ـ انشاء مستعمرات اسرائيلية في الضفة الغربية والجولان في سوريا .
٤ ـ ادماج الضفة الغربية وغزة اقتصاديا في اسرائيل .
٥ ـ نزع سلاح كافة المناطق العربية التي تحتلها اسرائيل بمعنى عدم وجود قوات عربية

بها مع تواجد قوات عسكرية اسرائيلية ، وانشاء مستعمرات اسرائيلية فيها .

- هذا هو مفهوم السلام لدى اسرائيل وهذه هي التسوية التي تبغي فرضها على الدول العربية والتي تقوم عـلى استمرار احتلالها للاراضي العربية تمهيدا لاغتصابها بعد التخلص من سكانها العرب ولجلب المزيد من المهاجرين اليهود لاسرائيل .

- وان سياسة اسرائيل هذه ومطامعها الاقليمية ومخططها التوسعي العدواني تفسر رفضها تنفيذ قرار مجلس الامن الذي يطالبها بالانسحاب من كافة الاراضي العربية التي احتلتها على اثر عدوانها في الخامس من يونيو ١٩٦٧ كما يؤكد عدم شرعية ضم اراض نتيجة للحرب .

- الا ان اسرائيل تحاول الايحاء بانها تعمل من اجل ايجاد تسوية سلمية حسب قرار مجلس الامن وذلك عن طريق طرح اسئلة عديدة في مذكراتها التي قدمتها لكم . واسرائيل بذلك تعمل بوجهين مختلفين ، الاول الذي يمثل السياسة العدوانية التي تتناقض مع ميثاق الامم المتحدة وقرار مجلس الامن ، هذه السياسة التي يعبر عنها بوضوح رئيس وزراء اسرائيل والمسؤولون فيها . اما الوجه الاخر فهو الذي يتمثل في المذكرات التي تتقدم بها اسرائيل اليكم والتي تملأها بالخداع والتلاعب بالالفاظ ، وكأن العالم لا يسمع تصريحات رئيس وزراء اسرائيل والمسؤولين فيها حول مفهومهم للتسوية السلمية التي يريدون فرضها على الدول العربية ، ولا يشهد ما تقوم به اسرائيل فعلا من اعمال عدوانية وتوسعية فوق الاراضي التي تحتلها .

- وفي الوقت الذي ما زالت اسرائيل تكرر فيه هذه الاسئلة ، فقد امتنعت عن الرد على السؤال الاساسي وهو : « هل اسرائيل على استعداد لتنفيذ قرار مجلس الامن ، والانسحاب من اراضي الدول العربية وهل يمكن لاسرائيل ان توضح لكم كيف يمكن انهاء حالة الحرب في الوقت الذي يعلن فيه المسؤولون في اسرائيل عن تصميمهم لضم اراض عربية وعن الاصرار على استمرار تواجد قوات اسرائيلية في مناطق عربية عديدة .

- كما اننا نلاحظ ان اسرائيل لا زالت ترفض حتى الآن الاجابة على الاسئلة المتكررة التي وجهتموها لها بالنسبة للحدود الامنة .

- ان الجمهورية العربية ما زالت مقتنعة ان تنفيذ قرار مجلس الامن سيؤدي الى حالة سلام في الشرق الاوسط ، وان الوصول لهذا الهدف يتطلب ان تقوم اسرائيل بابلاغكم بانها مستعدة لتنفيذ هذا القرار ، وانها ستسحب قواتها من كافة الاراضي العربية التي احتلتها نتيجة لعدوانها في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ .

- وأود ان اؤكد لكم انني ساظل مستعدا للاستمرار في اتصالاتي ، كما ان الجمهورية العربية المتحدة ستواصل تعاونها معكم في سبيل تنفيذ المهمة التي تقومون بها .

توقيع : محمود رياض
وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة

الاسئلة التي قدمها المبعوث الدولي في مارس (اذار) ١٩٦٩
الى الحكومات المعنية والاجابات عليها

ملاحظـــــة :

قدم السفير يارينج اسئلته الى الدول المعنية في شكل قوائم منفصلة موجهة الى كل حكومة على حدة . وقد تم اعداد هذه القوائم من قائمة عامة تنطبق على كل هذه الدول . وبما ان بعض الاسئلة كانت تتعلق ببنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) وكانت تنطبق على احدى او بعض هذه الدول فقد اختلفت الاسئلة الموجودة في القوائم المتخصصة في بعض الاحيان عن تلك التي وجدت في القائمة العامة . وفي بعض الحالات اختلف رقم الاجابة على نفس السؤال في القائمة العامة فوضعت ارقام هذه الاسئلة بين اقواس اضافية . وقدم السفير يارينج القوائم الى حكومات الجمهورية العربية المتحدة في ٤ مارس والاردن في ٨ مارس واسرائيل في ٩ مارس ثم لبنان في ١٤ مارس (آذار) ١٩٦٩ .

١ ــ الاسئلة المقدمة من المبعوث الدولي

وضع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) شروطا ومبادىء بهدف تحقيق اتفاق سلمي ومقبول لمشكلة الشرق الاوسط . وتفرض بعض هذه الشروط التزامات على كلا الجانبين ، وبعضها يفرض التزامات على جانب واحد وبعضها على الجانب الآخر .

وقد قامت الاسئلة التالية والتي تهدف الى تحديد موقف الاطراف تجاه شروط قرار مجلس الامن على هذا الاساس وعلى ان كل شرط هو جزء من التسوية الكاملة ككل متكامل .

١ ــ هل تقبل اسرائيل (الاردن ، لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة) تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) للتوصل الى اتفاق سلام مقبول لمشكلة الشرق الاوسط وفقا للشروط والمبادىء الواردة في القرار ؟

٢ ــ هل توافق اسرائيل (الاردن ، لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة) على التعهد بانهاء كافة مطالبها وانهاء حالة الحرب مع الاردن ولبنان والجمهورية العربية المتحدة (اسرائيل) ؟

٣ ــ هل توافق اسرائيل (الاردن ، لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة) حق الاردن ولبنان والجمهورية العربية المتحدة (اسرائيل) في العيش في سلام وامن في ظل حدود آمنة ومعترف بها بعيدا عن اية تهديدات او اعمال عدوانية ؟

٦ ــ اذا تم ذلك فما هو تصور الامن والحدود المعترف بها من قبل اسرائيل (الاردن ، لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة) ؟

٦ ـ هل تقبل اسرائيل سحب قواتها من الاراضي التي احتلتها في النزاع الاخير ؟

٧ ـ هل تقبل الجمهورية العربية المتحدة ضمان حرية الملاحة لاسرائيل في الممرات المائية الدولية في المنطقة خاصة :

١ ـ عبر مضايق تيران

ب ـ عبر قناة السويس ؟

٨ ـ اذا تم التوصل لاتفاق يتعلق بمشكلة اللاجئين وتم تقدير هذا الاتفاق للاطراف المعنية لدراسته وقبلته هذه الاطراف مبدئيا واعلنت استعدادها لتطبيقه فهل يشكل هذا القبول بالنسبة لاسرائيل (الاردن ، لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة) تطبيقا كافيا كاملا لهذا الشرط من قرار مجلس الامن كمبرر لتطبيق الشروط الاخرى ؟

٩ ـ هل توافق اسرائيل (الاردن ؛ لبنان الجمهورية العربية المتحدة) على ان عدم انتهاك الاراضي والاستقلال السياسي لدول المنطقة ينبغي حمايته عن طريق :

ا ـ انشاء مناطق منزوعة السلاح .

ب ـ من خلال وسائل اخرى ؟

١٠ ـ هل توافق اسرائيل على ان مثل هذه المناطق المنزوعة السلاح لا بد ان تشمل مناطق على جانبي الحدود ؟

١١ ـ هل توافق الاردن على ان تقام منطقة منزوعة السلاح في الاراضي الاردنية التي تنسحب منها القوات الاسرائيلية .

١٢ ـ هل توافق الجمهورية العربية المتحدة على اقامة منطقة منزوعة السلاح في :

١ ـ شرم الشيخ

ب ـ مناطق اخرى من شبه جزيرة سيناء .

١٣ ـ هل توافق اسرائيل (الاردن ، لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة) على ان تشرف الامم المتحدة وتتولى نزع سلاح مثل هذه المناطق ؟

١٤ ـ هل تقبل اسرائيل (الاردن، لبنان، الجمهورية العربية المتحدة، كبند اخير من الاتفاق على كافة الشروط توقيع اتفاقية متعددة الاطراف تتضمن الشروط الصالحة لاقامة سلام عادل ودائم في المنطقة ؟

ب ـ رد الحكومة الاسرائيلية

(سلمها وزير الخارجية الى السفير يارينج في القدس في ٢ ابريل (نيسان) ١٩٦٩)

عزيزي السفير يارينج

إن موقف اسرائيل من كل الموضوعات المثارة في الاحد عشر سؤالا قد بينت بالتفصيل في خطابي امام الجمعية العامة يوم ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٨ وفي المذكرة المقدمة اليكم في ١٥ اكتوبر و٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ .

انني اضع الان ردودا ايجابية للاسئلة كما وردت في تصوري انه على اساس الاجابات المتلقاة من الحكومات الثلاث انكم تنوون الاستمرار في طلب ايضاحات متبادلة وذلك في محاولة للوصول الى اتفاق حول كافة الموضوعات بما يتمشى مع التفويض الموكل اليكم . ونحن على استعداد للاشتراك معكم في الوقت المناسب .

ان موقف اسرائيل ، بما فيها اجاباتها على هذه الاسئلة قد اخذ في اعتباره التطورات الاخيرة في السياسة العربية بما فيها الخطب الاخيرة للرئيس عبد الناصر والقادة العرب الآخرين . لقد لاحظنا رفضهم التام وامتنعت لاقامة سلام مع اسرائيل والاعتراف بها والتفاوض معها ووقف الاعتداءات عليها او الاعتراف بامكانية السيادة والتعايش السلمي في اي مجال . وسيظهر في هذا الوقت ان رفض الجمهورية العربية المتحدة التام لمبادىء الميثاق ولقرار مجلس الامن هو رفض واضح وشديد اللهجة . اننا نأمل ان تتغير هذه السياسة التي تظهر آثارها كل يوم . ولكن هذه التصريحات المتشددة قد سببت شعورا عميقا وضغطا كثيفا كنا نأمل تخفيفه .

ومن وجهة نظرنا ايضا ان اجتماعات الدول الاربع الكبرى قد اضعفت الاهتمام الذي كان ينبغي تركيزه على جهود الدول ذاتها للتحرك نحو السلام وادت الى تشتيت الجهود ، كما انها خلقت احساسا خاطئا بأنه من الممكن ايجاد حل للمشكلة بعيدا عن المنطقة وبدون ارادة حكومات. ان اسرائيل تعترف بمهمتكم كاطار دولي ينبغي من خلاله تحقيق السلام بين الدول في الشرق الاوسط .

انني اذكر هنا الفكرة التي ناقشناها منذ عدة اسابيع مضت وهي ضرورة ان يتقابل وزرا خارجية الحكومات الثلاث معكم سريعا في مكان مناسب لمتابعة تقدم الاتفاق . وكما سوف تتذكر لقد عملت بايجابية من اجل هذه الفكرة . وانني اؤكد ان اسرائيل سوف تستمر في التعاون معكم لاتمام مهمتكم .

مع جزيل الشكر

(توقيع) ابا ايبان

اجابة السؤال الاول :

تقبل اسرائيل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ للتوصل الى اتفاق من اجل تحقيق سلام عادل ودائم يتم الوصول اليه عن طريق التفاوض وعقد اتفاقيات بين الدول المعنية . لا بد ان يبدأ تطبيق الاتفاقيات حينما يتم التوصل الى تحديد كافة بنودها .

اجابة السؤال الثاني :

ان الدول العربية ــ وليست اسرائيل هي التي اوجدت حالة الحرب . لقد اعلنت ذلك بقرار منها ولمدة عشرين سنة ــ انها ستكون في حرب مستمرة مع اسرائيل ، ولذلك فان هذه الدول يقع عليها عبء الاعلان عن انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ومن اجل اقامة السلام مع جيرانها العرب فان اسرائيل توافق ، وفقا لاتفاقيات تعاقدية متبادلة على انهاء حالة الحرب مع كل دولة تحقق معها السلام ، وفي حالة التوصل الى اتفاق تعاقدي فان كل دولة عربية مطالبة بالاعلان عن هذا الاتفاق مع اسرائيل .

ان هذا الاتفاق الذي ستعلنه اي دولة عربية يجب ان يؤكد بالتحديد انهاء حالة الحرب مع اسرائيل وليس مع اي دولة في المنطقة .

كما يجب النص عــلى الالتزامات القانونية بالنسبة للاطراف الذين يشملهم الاتفاق.

ان انهاء حالة الحرب يقتضي وقف كافة التدخلات البحرية ، وابطال اجراءات المقاطعة التي تتعلق بطرف ثالث . والغاء التحفظات التي تبديها الدول العربية على اسرائيل عند تطبيق الالتزامات التي تفرضها الاتفاقيات الدولية ، وعدم الاشتراك في معاهدات سياسية او عسكرية او اتفاقيات موجهة ضد اسرائيل او تشمل دولا غير راغبة في انهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية مع اسرائيل وعدم وجود قوات مسلحة تابعة لدول اخرى على اراضي الدول المعنية كذلك منع كافة الاستعدادات او الاعمال التي تقوم بها قوات غير نظامية او افراد وتكون موجهة ضد امن وسلامة وممتلكات اسرائيل في اي مكان في العالم .

اجابة السؤال الثالث :

توافق اسرائيل على احترام السيادة ووحدة الاراضي والاستقلال السياسي للدول العربية المجاورة . وينبغي النص على هذا المبدأ في اتفاقيات السلام بانشاء حدود متفق عليها .

اجابة السؤال الرابع :

تقبل اسرائيل حق الاردن ولبنان والجمهورية العربية المتحدة والدول المجاورة الاخرى في العيش في سلام وامن في ظل حدود معترف بها بعيدا عن التهديدات او استخدام القوة . ان الشرط الوحيد لاسرائيل في هذا البند هو الوضوح الكامل وعدم اللبس . ويتضمن ايضا تحريك القوات وتجهيزها والاعمال التي تقوم بها القوات غير النظامية بواسطة جماعات ضد امن وسلامة اسرائيل في اي جزء من العالم .

اجابة السؤال الخامس :

لم توجد مطلقا حدود آمنة ومعترف بها بين اسرائيل والدول العربية ، وتبعا لذلك فلا بد من اقامة هذه الحدود الآن كجزء من اتفاقية السلام . ولا بد ان يحل محل وقف اطلاق النار اتفاق سلام ينص على الحدود الامنة والمعترف بها من خلال التفاوض مع الحكومات المعنية .

اجابة السؤال السادس :

عندما تقام الحدود الدائمة الآمنة والمعترف بها بين اسرائيل وكل دولة من الدول العربية المجاورة فان وضع القوات سيكون متفقا مع الحدود المحددة في اتفاقيات السلام .

اجابة السؤال السابع :

ترجع مشكلة اللاجئين الى الحروب التي شنتها الدول العربية ضد اسرائيل وتجددت بسبب رفض الدول العربية اقامة علاقات سلام مع اسرائيل . وبالنظر الى المشاكل الانسانية فقد اعربت اسرائيل عن استعدادها لاعطاء الاولوية من اجل التوصل الى اتفاق لحل هذه المشكلة من خلال التعاون الاقليمي والدولي . ونحن نعتقد انه يمكننا التوصل الى هذا الاتفاق حتى قبل مفاوضات السلام . نحن نقترح عقد مؤتمر لدول الشرق الاوسط ، على ان تساهم الحكومات في معونة اللاجئين الى جانب الوكالات المتخصصة التابعة للامم المتحدة من اجل وضع خطة لخمس سنوات لحل مشكلة اللاجئين في اطار سلام دائم واشتراك اللاجئين في الحياة المنتجة . ومن الممكن عقد هذا المؤتمر قبل مفاوضات السلام . ولا بد من ان تقوم الحكومات المعنية بانشاء لجان مشتركة لاعادة توطين اللاجئين من اجل تنفيذ المشروعات المتفق عليها على اساس اقليمي مع المساعدات الدولية .

وبالنظر الى الطبيعة الانسانية الخاصة لهذا الحل فاننا لا نوافق على اي مشروع لحل مشكلة اللاجئين يرتبط بالموافقة على اي صورة اخرى لمشكلة الشرق الاوسط . ولنفس السبب لا يجوز للدول العربية ان تثير هذا الموضوع لتحول دون التوصل الى اتفاق حول المشاكل الاخرى .

اجابة السؤال الثامن :

الضمان الفعال لعدم انتهاك وحدة الاراضي والاستقلال للدول يكمن في التزام الحكومات المعنية بتنفيذ الالتزامات الواردة في الاتفاق وفيما يتعلق بضمان السلام والاحترام الكامل لسيادة الدول واقامة حدود معترف بها وغير ذلك من وسائل الامن فلا بد ان تناقشها الحكومات المعنية .

اجابة السؤال التاسع والعاشر (السؤالان العاشر والثالث عشر في القائمة العامة) :

بدون التأثر بما جاء في الاجابة على السؤال الثامن فانه من الواضح ان التجربة قد

بينت ان الوسائل المذكورة في السؤالين التاسع والعاشر لم تمنع من الاعداد وشن العدوان ضد اسرائيل .

اجابة السؤال الحادي عشر (السؤال الرابع عشر في القائمة العامة) :

يجب ان ينظر الى السلام من وجهة نظر قانونية وبصورة محددة تتمشى مع القانون والعرف الدولي وتبعا لذلك فان موقف اسرائيل هو ضرورة تحقيق السلام عن طريق اتفاقيات سلام ثنائية بين اسرائيل وكل دولة عربية . وعندما يتم توقيع هذه الاتفاقيات لا بد من تسجيلها في سكرتارية الامم المتحدة وفقا للمادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة .

القدس ٢ ابريل (نيسان) ١٩٦٩

جـ ـ ردالحكومة الاردنية

(تلقاها السفير يارينج في نيقوسيا في ٢٤ مارس (آذار) ١٩٦٩)

سيادة السفير

هذه هي اجابات حكومتي على الاسئلة التي قدمتموها الينا في عمان يوم السبت ٨ مارس (اذار) ١٩٦٩ . هذه الاجابات تشرح موقف حكومتي والذي سبق ان حددناه لسيادتكم من خلال لقاءاتنا الماضية .

وانني لانتهز هذه الفرصة لاعرب لكم عن امنياتي الحقيقية والمستمرة لنجاحكم في المهمة الحيوية التي تقومون بها .

مع جزيل الشكر ،
(توقيع) عبد المنعم الرفاعي
وزير الخارجية

الاجابة الاولى :

ان الاردن ، كما اعلن من قبل ، يقبل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) وعلى استعداد لتطبيقه من اجل التوصل الى اتفاق للسلام بما ينفق مع الشروط والمبادىء التي جاءت في القرار

الاجابة الثانية :

يوافق الاردن على انهاء جميع حالات الحرب.ان مثل هذا الاجراء يكون فعالا اذا ما انسحبت القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية التي احتلتها نتيجة عدوانها في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

الاجابة الثالثة :

في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ شنت اسرائيل عدوانها ضد ثلاث دول عربية منتهكة بذلك سيادتها ووحدة اراضيها . ان اتفاق احترام السيادة ووحدة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة يتطلب انهاء الاحتلال الاسرائيلي وانسحاب القوات من جميع الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل نتيجة عدوانها في ٥ يونيو .

الاجابة الرابعة :

يقبل الاردن حق كل دولة في المنطقة في الحياة في سلام عن طريق الامن والحدود المعـترف بها البعيدة عن التهديدات او اعمال القوة بشرط ان تسحب اسرائيل قواتها من

جميع الاراضي العربية التي احتلتها في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتطبق قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ .

اجابة السؤال الخامس:

عندما اثيرت مشكلة فلسطين امام الامم المتحدة عام ١٩٤٧ فان الجمعية العامة اصدرت قرارها رقم ١٨١ في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الخاص بتقسيم فلسطين وتحديد حدود اسرائيل .

اجابة السؤال السادس (السؤال الثامن في القائمة العامة):

كان موقفنا هو ان الاتفاق العادل لمشكلة اللاجئين قد جاء في الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ الصادر في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ والذي اعيد تأكيده في كل دورة من دورات الامم المتحدة .

فاذا ما قدمت الى الاطراف المعنية خطة تقوم على اساس هذه الفقرة فان قبولها من جانب هذه الدول واعلان نواياهم حول تطبيقها بالضمانات المناسبة لتطبيقها الكامل سيبرز تطبيق البنود الاخرى الواردة في القرار .

اجابة السؤالين السابع والثامن (السؤالين التاسع والحادي عشر في القائمة العامة)

اننا لا نرى ضرورة انشاء مناطق منزوعة السلاح . رغم ذلك فان الاردن لن يعارض انشاء مثل هذه المناطق اذا كانت بمثابة حدود فاصلة بين الدول المعنية .

اجابة السؤال التاسع (السؤال الثالث عشر في القائمة العامة) :

في حالة انشاء مناطق منزوعة السلاح فان الاردن يقبل ان تقوم الامم المتحدة بالاشراف وانشاء هذه المناطق .

اجابة السؤال العاشر (السؤال الرابع عشر في القائمة العامة):

بالنظر الى تجربتنا السابقة مع اسرائيل وخرقها لاربع اتفاقيات وقعتها مع الدول العربية فاننا نعتبر ان الاتفاقية التي يوقعها الاردن والتي تفرض عليه تنفيذ التزاماتها لا بد من توجيهها لمجلس الامن . ولابد لاسرائيل ان توقع وتوجه الى مجلس الامن الاتفاق الذي يضمن تنفيذ التزاماتها النابعة من قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ . ان تصديق مجلس الامن على هذه المستندات سيكون الخطوة الاخيرة المتعددة الاطراف في هذا الاتفاق .

د ـ رد الحكومة اللبنانية

(تلقاها السفير يارينج في موسكو في ٢١ ابريل (نيسان) ١٩٦٧)

(مترجمة عن الفرنسية) .

ردا على الاسئلة التي وجهتموها سيادتكم الينا في ١٤ مارس (آذار) ١٩٦٩ فانني اتشرف ، نيابة عن الحكومة اللبنانية ، واعلمكم بالآتي : ـ

ان لبنان اساسا يدخل في المفهوم العام للنزاع العربي ـ الاسرائيلي وبالتالي في الآثار المترتبة على هذه الحرب التي شنتها اسرائيل في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وبسبب التضامن الاخوي الذي يربط بين الدول العربية والتهديدات التي توجهها اسرائيل ضدها .

يعتبر لبنان ان اتفاقية الهدنة التي ابرمها مع اسرائيل في ٢٣ مارس (اذار) ١٩٤٩ لا تزال سارية طبقا للرسالة التي بعثنا بها بتاريخ ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ الى رئيس لجنة الهدنة المشتركة وكما اكد ذلك المستر يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة في تقريره الى الجمعية العامة في ١٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧ ، في هذا التقرير قال المستر يوثانت ان هذه الاتفاقية قائمة على اساس تبادلي مشترك بحيث تكون سارية المفعول او ملغاة طبقا لموافقة الطرفين . وبالنظر الى ظروف لبنان ، في الماضي والحاضر ، فان خطوط الهدنة لم تتغير ، وهذه الخطوط تتفق مع حدود لبنان التي اعترف بها عالميا دائما في الاتفاقيات الدبلوماسية الثنائية والمتعددة الاطراف وكذلك في جامعة الدول العربية وفي الامم المتحدة . وقد شارك لبنان بفاعلية في تحضير ميثاق الامم المتحدة وقد قبل بشكله وهيكله الحالي كعضو في المنظمة، ولم تتأثر حقوقه بأي تغيير نتيجة قرارات وقف اطلاق النار التي اتخذها مجلس الامن بعد خمس يوليو (حزيران) ١٩٦٧.

ومن المناسب ان نذكر هذه الحقائق السابقة لتوضيح طبيعة وصفات الرد الوحيد الذي ينبغي تقديمه على الاسئلة التي بعثتموها سيادتكم في ١٤ مارس (اذار) ١٩٦٩ .

ان ردنا هذا يعكس حقيقة الموقف الذي اتخذه لبنان في المؤتمرات العربية ، ونحن نعلن تأييد لبنان لموقف الدول العربية التي احتلت اسرائيل اراضيها والتي قبلت قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ .

هذه المذكرة تتمشى مع روح المحادثات التي اجريتموها من قبل مع عدد من المسؤولين اللبنانيين .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ، ،

(توقيع) يوسف سالم
وزير الخارجية

هـ ـ رد حكومة الجمهورية العربية المتحدة
(سلمها وزير الخارجية المصري الى السفير يارينج في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٦٩)

ان المذكرة التي تم تسليمها لكم خلال زيارتكم الاخيرة للقاهرة في ٥ مارس (اذار) ١٩٦٩ توضح حقيقة الوضع الراهن . فقد ورد في هذه المذكرة من البند الاول الى السابع ايضاح لموقف الجمهورية العربية القائم على اساس قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ واستعدادها لتنفيذ الالتزامات الواردة فيه .

كما اوضحت المذكرة اصرار اسرائيل على رفض قرار مجلس الامن ورفضها لتنفيذ الالتزامات الواردة فيه كما هو واضح من خطط اسرائيل الهادفة لضم الاراضي العربية عن طريق الحرب ، وهي سياسة ليست مرفوضة من جانب ميثاق الامم المتحدة فحسب ، بل انها تعتبر خرقا صريحا لقرار مجلس الامن الذي يؤكد عدم شرعية ضم الاراضي بالقوة . لقد اصبح من الواضح ان اسرائيل لم تكتف فقط برفض قرار مجلس الامن بل ايضا تعمل بحماس ضده .

وتشير نفس هذه المذكرة الى خطة التوسع الاسرائيلي كما كشفت عنها تصريحات القادة الاسرائيليين والتي تهدف الى :

١ ـ ضم القدس

٢ ـ ابقاء المرتفعات السورية تحت احتلالها .

٣ ـ احتلال الضفة الغربية من الاردن والسيطرة التامة عليها لانهاء سيادة الاردن على هذه المنطقة .

٤ ـ ضم قطاع غزة اقتصاديا واداريا الى اسرائيل مع استمرار التهجير المنظم لسكان هذا القطاع وطردهم خارجه .

٥ ـ احتلال شرم الشيخ وخليج العقبة وتأكيد الوجود العسكري المستمر في الضفة الشرقية لسيناء .

٦ ـ اقامة منشآت اسرائيلية في الاراضي المحتلة .

هذا الموقف الاسرائيلي يشكل خرقا واضحا ورفضا كاملا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ والتسوية السلمية التي نص عليها .

في ظل هذه الحقائق التي لا يمكن انكارها ، اجد ان مسؤوليتي تحتم علي ان احدد في ردي على الاسئلة التي وجهتموها الى الجمهورية العربية المتحدة في ٥ مارس (اذار) ١٩٦٩ ان تأكيد قبولنا لقرار مجلس الامن واستعدادنا لتنفيذ الالتزامات بقبول اسرائيل ايضا للقرار وتنفيذ كافة الالتزامات المترتبة عليه خاصة الانسحاب من كل الاراضي العربية التي احتلتها نتيجة لعدوانها في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

اجابة السؤال الأول :

تقبل الجمهورية العربية المتحدة ـ كما صرحت من قبل ـ قرار مجلس الامن ٢٤٢ سنة ١٩٦٧ وعلى استعداد لتطبيقه من اجل التوصل لاتفاق سلام مقبول وفقا للشروط والمبادىء التي يتضمنها .

اجابة السؤال الثاني :

توافق الجمهورية العربية المتحدة على انهاء جميع حالات الحرب ويكون هذا الاجراء ساريا بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة نتيجة العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

وسيكون لاعلان اسرائيل انهاء حالة الحرب دلالته عندما تسحب قواتها من جميع الاراضي العربية التي تحتلها منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ .

اجابة السؤال الثالث :

في ٥ يونيو ١٩٦٧ شنت اسرائيل عدوانها ضد ثلاث دول عربية منتهكة بذلك سيادة هذه الدول على اراضيها وعلى وحدتها . ان قبول الجمهورية العربية المتحدة لاحترام السيادة ووحدة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة يتطلب انهاء اسرائيل لاحتلالها وانسحاب قواتها من جميع الاراضي العربية التي تحتلها نتيجة عدوان ٥ يونيو ، والتطبيق الكامل لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ .

اجابة السؤال الرابع :

تقبل الجمهورية العربية المتحدة حق كل دولة في المنطقة في الحياة في سلام من خلال الامن والحدود والمعترف بها بعيدا عن التهديدات او اعمال القوة بشرط ان تسحب اسرائيل قواتها من جميع الاراضي العربية المحتلة نتيجة عدوانها في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتطبيق قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧

اجابة السؤال الخامس :

عندما اثيرت مشكلة فلسطين امام الامم المتحدة عام ١٩٤٧ اصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ١٨١ في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وتحديد الحدود الاسرائيلية .

اجابة السؤال السادس (السؤال السابع في القائمة العامة) :

لقد اوضحنا استعدادنا لتطبيق كافة بنود قرار مجلس الامن التي تنص على حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة بشرط ان تطبق اسرائيل ايضا كل بنود قرار مجلس الامن .

اجابة السؤال السابع (الثامن في القائمة العامة):

كان موقفنا دائما هو ان التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين تنص عليه الفقرة رقم ١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ الصادر في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ والذي

اعيد تأكيده في كل دورة للجمعية العامة منذ صدوره . فاذا ما قدمت الى الاطراف المعنية خطة تقوم على اساس هذه الفقرة فان قبول هذه الاطراف لها والاعلان عن نوايا هذه الدول بتطبيق ذلك بكل نية حسنة وبضمانات مناسبة تؤكد التطبيق الكامل سوف يخلق المبرر لتنفيذ بقية البنود الواردة في قرار مجلس الامن .

اجابة السؤالين الثامن والتاسع (السؤالان التاسع والثاني عشر في القائمة العامة) :

اننا لا نعتقد بضرورة انشاء مناطق منزوعة السلاح . وبالرغم من ذلك فان الجمهورية العربية لن تعترض على انشاء مثل هذه المناطق اذا كانت تقع على امتداد الحدود .

اجابة السؤال العاشر (السؤال الثالث عشر في القائمة العامة) :

في حالة انشاء مناطق منزوعة السلاح فان الجمهورية العربية المتحدة تقبل ان تشرف الامم المتحدة وتتولى امر هذه المناطق .

اجابة السؤال الحادي عشر (السؤال الرابع عشر في القائمة العامة) :

بالنظر الى تجربتنا السابقة مع اسرائيل وخرقها لاربع اتفاقيات وقعتها معها الدول العربية ، فاننا نعتبر ان الاتفاقية التي ستوقعها الجمهورية العربية المتحدة والتي تحملها على تنفيذ التزاماتها لا بد من توجيهها لمجلس الامن . وبالتالي لا بد لاسرائيل ان توقع وتوجه الى مجلس الامن اتفاقية تحملها على تنفيذ التزاماتها الصادرة عن قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧-ان تصديق مجلس الامن لهذه الوثائق سيكون الخطوة الاخيرة في هذه الوثيقة المتعددة الجوانب .

مصر ـ في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٦٩ .

قرار الجمعية العامة يوم ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠
الوضع في الشرق الاوسط

ان الجمعية العامة :

تنظر بقلق الى ان استمرار الوضع الخطير والمتدهور في الشرق الاوسط يشكل تهديدا حقيقيا للسلام والامن الدوليين .

تؤكد انه لا يجوز الاعتراف بحيازة الاراضي بطريق التهديد او استخدام القوة .

تستنكر استمرار احتلال الاراضي العربية منذ ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وتؤكد بقلق بان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ بهدف التوصل الى اتفاق سلام للوضع في الشرق الاوسط ، لم يتم تنفيذه بعد .

وبعد مناقشة الموضوع المدرج على جدول الاعمال تحت بند « الوضع في الشرق الاوسط » .

١ ــ تؤكد عدم جواز حيازة الاراضي بالقوة وعلى ذلك لا بد من استعادة الاراضي المحتلة .

٢ ــ تؤكد ان قيام سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط لا بد ان يتضمن تطبيق كل من هذه المبادىء :

أ ــ انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في النزاع الاخير .

ب ــ انهاء كافة حالات الحرب واحترام السيادة والتكامل الارضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في العيش في سلام وامن في ظل حدود معترف بها بعيدا عن التهديدات او اعمال القوة .

٣ ــ تعترف بان احترام حقوق الفلسطينيين هو عامل اساسي لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

٤ ــ تطالب بالتنفيذ العاجل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) الذي يهدف الى التوصل الى اتفاق سلام للوضع في الشرق الاوسط من كافة جوانبه .

٥ ــ تناشد الاطراف المعنية سرعة اتصال ممثليها بالمبعوث الخاص للسكرتير العام من اجل مساعدته في تنفيذ مهمته ، باسرع وقت ممكن ، بشأن تطبيق قرار مجلس الامن بكافة جوانبه .

٦ ــ تطلب من الاطراف مد فترة وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة شهور بهدف احتمال الدخول في مفاوضات تحت اشراف المبعوث الخاص للسكرتير العام لاعطاء الفاعلية لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) .

٧ ــ تطلب من السكرتير العام تقديم تقرير الى مجلس الامن والجمعية العامة خلال شهرين بشأن الجهود التي بذلها المبعوث الخاص وبشأن تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) .

٨ ــ تطلب من مجلس الامن وضع ترتيبات خاصة بتأكيد تطبيق قراراته وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة اذا احتاج الامر .

مذكرة محمود رياض الى يارينج
في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠

عزيزي السفير يارينج

كان الواضح تماما عندما بدأت مهمتكم بناء على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والصادر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ انها قامت اساسا لاجراء الاتصالات اللازمة باطراف النزاع لتنفيذ هذا القرار بكافة بنوده لتسوية الموقف في الشرق الاوسط .

وقد اتفقنا على القرار بمجرد صدوره وعبرنا حينئذ لكم بكل وضوح عن قبولنا للقرار واستعدادنا لتنفيذه ، هذا في الوقت الذي رفضت فيه اسرائيل تنفيذ القرار .

ولقد اتضح لكم بعد فترة من ممارسة مهمتكم انه قد يكون من الاصوب ان توجهوا اسئلة محددة الى اطراف النزاع تقوم اساسا على صلب القرار ، وذلك اعتقادا منكم بان اجابات الاطراف سوف تؤدي الى تنفيذ قرار مجلس الامن ، وقد قامت الجمهورية العربية المتحدة بالرد على اسئلتكم في ٥ مارس (اذار) ١٩٦٩ ، والتي تضمنها تقرير السكرتير العام المرفوع الى مجلس الامن مستند رقم ١٠٠٧٠ / ي بتاريخ ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ .

وقد حرصنا في ردنا ان يكون موقفنا ايجابيا بالنسبة لكافة الاسئلة ، وذلك لتأكيد استعدادنا لتنفيذ كافة الالتزامات التي يطالبنا بها قرار مجلس الامن .

اما بالنسبة لموقف اسرائيل ، فلقد وجدنا انها رفضت التقدم باجابات على بعض الاسئلة خاصة ما يتعلق بانسحابها من الاراضي العربية المحتلة ، كما انها رفضت الاعلان عن استعدادها لتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة باللاجئين .

هذا ، وبالنظر الى المذكرة الاخيرة التي سلمتها لكم اسرائيل في ١٠/١/١٩٧٠ فاننا نجد انها لم تخرج عما جاء في صلب اجاباتها على اسئلتكم في المرات السابقة والتي تجاهلت فيها اهم الامور التي يلزم توافرها لتحقيق السلام الدائم والقائم على اسس العدالة وهي :

- الانسحاب من كافة الاراضي العربية التي احتلتها بالقوة المسلحة منذ ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .
- تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفقا لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن التي صدرت تباعا في هذا الشأن منذ ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨

وتعتقد الجمهورية العربية المتحدة بان اي تسوية لتحقيق السلام في المنطقة يجب ان تحمل صفة الدوام ، وهذا لا يتحقق الا اذا كانت قواعد هذه التسوية قد ارسيت على مبادىء ميثاق الامم المتحدة والتنفيذ الدقيق لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقرارات الامم المتحدة .

ولكي يتم التوصل لمثل هذه التسوية وفقا لما تضمنه قرار مجلس الامن فانه يلزم:

١ ــ انهاء العدوان الاسرائيلي وذلك بانسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية الى ما وراء خطوط ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، تطبيقا لما جاء في قرار مجلس ا لامن رقم ٢٤٢ والذي يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب والحاجة الى العمل لاجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش في امان .

٢ ــ ان تعلن اسرائيل نبذها لسياسة التوسع الاقليمي على حساب الدول العربية المجاورة لها والتي تؤكدها التصريحات المتكررة على لسان ساسة اسرائيل وقادتها في هذا الشأن .

٣ ــ ضرورة التوصل لتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، ولا يتأتى ذلك الا باحترام اسرائيل لحقوق الشعب الفلسطيني وفقا لقرارت الامم المتحدة .

٤ ــ انهاء حالة الحرب وجميع الدعاوى القائمة عليها وكفالة حرية الملاحة في الممرات المائية .

٥ ــ احترام والاقرار بالسيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وبحقها في العيش في سلام داخل حدود امنة ومعترف بها بمنأى عن اعمال القوة او التهديد بها .

٦ ــ ضمان السلام والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وعدم الاعتداء على اراضيها ويمكن لمجلس الامن اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لتحقيق هذا الضمان عن طريق وضع ترتيبات كفيلة بتوفير الامن لجميع دول المنطقة والتي يمكن ان تشمل :

أ ــ انشاء قوة دولية لحفظ السلام وتشترك فيها الدول الاربع الدائمة العضوية في مجلس الامن .

ب ــ اقامة مناطق منزوعة السلاح على جانبي الحدود .

وقد أكدت الجمهورية العربية المتحدة استعدادها لتنفيذ التزاماتها الواردة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وسبق لنا ان اوضحنا موقفنا باجاباتنا على الاسئلة التي وجهتها لنا في ٥ مارس (اذار) ١٩٦٩ ، الامر الذي لمستموه خلال اتصالاتكم بنا في السنوات الثلاث الماضية وما اعلناه مرارا امام الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن من ان تحقيق التسوية يقتضي تنفيذ كافة الالتزامات الواردة في قرار مجلس الامن والتي لا غنى عنها لتحقيق سلام دائم وعادل في المنطقة .

والجمهورية العربية المتحدة تؤكد من جديد استعدادها التام لتنفيذ كافة التزاماتها الواردة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وهذا يتطلب كذلك ان تقوم اسرائيل من جانبها بتنفيذ جميع الالتزامات التي يطالبها بها مجلس الامن في هذا القرار .

ولقد اصبح واضحا ان اسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الامن بالرغم من انقضاء اكثر من ثلاث سنوات على بدء مهمتكم ، ولا زالت مستمرة في المماطلة بهدف التهرب من تنفيذ التزاماتها الواردة في هذا القرار ، وفي نفس الوقت تحاول فرض شروط على اساس القوة والامر الواقع ، ولا زالت تقدم اوراقا ومذكرات لا تخرج عن كونها ترديدا لمواقفها السابقة .

وهذا الموقف الذي تتخذه اسرائيل يعرقل الوصول الى التسوية السلمية ويؤدي الى استمرار تصاعد الحالة المتفجرة في الشرق الاوسط ، الامر الذي يشكل تهديدا خطيرا للسلم والامن الدولي ، فالموقف لم يعد يحتمل تسويفا او مماطلة في التوصل الى تسوية سلمية عاجلة في الشرق الاوسط ، ولذلك فاننا نرى انه يتعين على مجلس الامن مباشرة مسؤولياته في حفظ السلم والامن الدولي

وحفاظا منا على استمرار مهمتكم التي تعتبر اساسية لتنفيذ قرار مجلس ا لامن ، نرى ان يقوم المجلس باتخاذ كافة التدابير اللازمة لتمكينكم من القيام بالمهمة التي اوكلها اليكم السكرتير العام وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر بالاجماع في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ .

توقيع : محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة

مذكرة محمود رياض الى يارينج
بتاريخ ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١

صدر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ بالاجماع ، وبناء عليه اوكل اليكم السكرتير العام القيام بمهمة الاتصال بالدول المعنية في الشرق الاوسط تنفيذا للفقرة الثالثة منه لتحقيق التسوية السلمية عن طريق تنفيذ هذا القرار .

وبدأت اتصالاتكم بنا في ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ . وقد أكدنا لكم خلالها قبولنا لتنفيذ القرار كوحدة متكاملة واستعدادنا لتنفيذ ما نص عليه القرار من التزامات من جانبنا ، وقد اوضحنا ذلك في ردنا على اسئلتكم في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٦٩ ، والتي تضمنها تقرير السكرتير العام المرفوع الى مجلس الامن مستند رقم ١٠٠٧٠ / ي بتاريخ ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ .

ان قبولنا لتنفيذ القرار ٢٤٢ كان امتثالا منا لارادة المجتمع الدولي واحترامنا لميثاق الامم المتحدة . وقد رحبنا بكافة الجهود الدولية من اجل تحقيق التسوية السلمية وأعلنا تأييدنا للمبادرة التي تقدمت بها فرنسا في ١٦/١/١٩٦٩ وقبلنا المبادرة الامريكية التي قدمتها لنا في ١٩ يونيو ،(حزيران) ١٩٧٠ .

وقد كانت كافة اتصالاتنا الدولية تهدف الى تحقيق سلام في الشرق الاوسط يقوم على اصول ثابتة من العدل ولا تستند الى مبدأ القوة او استخدامها او التوسع الاقليمي حتى يمكن تحقيق سلام دائم . ومن ثم فقد ظلت نظرتنا لتسوية المشكلة ترتكز على ضرورة احترام اسرائيل لميثاق الامم المتحدة وقرارات المنظمة الدولية وتنفيذ قرار مجلس الامن بكافة بنوده ، وان يتعهد كل من اطراف النزاع بتنفيذ التزاماته دون ان يكون للنتائج المترتبة على استخدام القوة ضد دول اعضاء في الامم المتحدة ادنى اثر في معالجة قضيةالسلام في الشرق الاوسط .

وتأكيدا منا لرغبتنا في السلام ، وحرصا منا على استمرار مهمتكم ونجاحها ، اوضحنا موقفنا في المذكرة المسلمة اليكم بتاريخ ١٥/١/١٩٧١ ، والتي تقوم على اساس تنفيذ كافة بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ حتى يمكن التوصل لتسوية سلمية تحمل صفة الدوام . (مرفق ١) .

ومن خلال تجربتنا طيلة هذه المدة ومنذ ان بدأت مهمتكم في ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ اصبح واضحا ان اسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الامن وانها تعمل على فرض شروطها من مركز القوة مما ادى الى تعطيل مهمتكم .

وايمانا منا بضرورة تحقيق السلام العادل والدائم في المنطقة وامام رفض اسرائيل المتواصل لتنفيذ قرار مجلس الامن وحرصا منا على استمرار مهمتكم طرحنا الموضوع على الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الخامسة والعشرين والتى اصدرت قرارها رقم

٢٦٢٨ بتاريخ ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ الذي تعلن فيه عن اهتمامها البالغ بان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لم ينفذ بعد والذي تؤكد فيه مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة ونتيجة لذلك فالاراضي المحتلة لا بد وان تعاد .

كما اشتمل القرار على تأكيد ، ان اقامة سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط يستلزم انسحاب القوات الاسرائيلية من هذه الاراضي وانهاء جميع حالات الحرب واقامة سلام دائم وعادل في المنطقة وضرورة التوصل لتسوية عادلة لمشكلة الشعب الفلسطيني ، وطالب الاطراف باستئناف اتصالاتها بكم لتنفيذ قرار مجلس الامن .

وقد تقدمت اليكم اسرائيل بمذكرتها في ١٠/١/١٩٧١ كما تقدمت بمذكرة ثانية في ٢٧/١/١٩٧١ . واننا نعتبر ان المذكرتين الاسرائيليتين هما رفض لتنفيذ قرار مجلس الامن طالما ان اسرائيل لم تلتزم بانسحابها من كافة الاراضي العربية التي احتلتها بعد عدوانها في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧. وكذلك نعتبر ان السلام الذي اشارت اليه اسرائيل في مذكرتها لا معنى له طالما انه غير مقترن بعملية الانسحاب الكامل من الاراضي العربية كما ان رفض اسرائيل الالتزام بالانسحاب من كافة الاراضي العربية ، انما هو تأكيد لخطتها التوسعية والتي قامت بعدوانها من اجل تحقيقها .

وان اغفال المذكرتين الاسرائيليتين لموضوع ضمانات السلام ومعارضتها العلنية على لسان المسؤولين فيها لاقامة قوات دولية تشترك فيها الدول الكبرى عن طريق مجلس الامن لضمان السلام وانشاء مناطق منزوعة السلاح على الجانبين يؤكد ايضا عدم رغبة اسرائيل في تحقيق السلام الدائم . وكذلك فان اسرائيل لم تلتزم في مذكرتيها بتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالحل العادل لمشكلة اللاجئين والتي اصدرتها الجمعية العامة خلال الاثنين والعشرين السنة الماضية وكان آخرها القرار الذي صدر في دورة الجمعية العامة الاخيرة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠ .

واسرائيل بموقفها هذا المستند الى مبدأ استخدام القوة المسلحة تهدف الى فرض شروطها على الدول العربية لتحقق بها خططها التوسعية ، الامر الذي لا يمكن ان يحقق التسوية الدائمة التي نص عليها قرار مجلس الامن .

ان استمرار العدوان الاسرائيلي على اراضي الدول العربية يهدد السلام في المنطقة وان رفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن يستدعي ان يواجه المجلس مسؤولياته التي خولها له الميثاق بان يقوم باتخاذ التدابير اللازمة لمساعدتكم في انجاز مهمتكم لتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ وانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية ووضع الضمانات الكفيلة لتحقيق السلام العادل والدائم في المنطقة حفاظاً على الامن والسلام في العالم .

توقيع : محمود رياض

وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة

اتفاقية الفصل الثاني للقوات
بين مصر واسرائيل[1]

اتفقت حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة اسرائيل على ما يلي :

المادة الأولى

ان النزاع بينهما وفي الشرق الاوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية .

وقد شكلت الاتفاقية المعقودة بين الطرفين في ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ في اطار مؤتمر جنيف للسلام خطوة اولى نحو سلام عادل ودائم وفقا لاحكام قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، واذ يعتزمان التوصل الى تسوية سلمية نهائية وعادلة عن طريق المفاوضات التي دعا اليها قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، فان هذه الاتفاقية خطوة هامة نحو تحقيق هذا الهدف .

المادة الثانية

يتعهد الطرفان بعدم استخدام القوة او التهديد بها ، او الحصار العسكري في مواجهة الطرف الآخر .

المادة الثالثة

(١) ــ سوف يستمر الطرفان في ان يراعيا بدقة وقف اطلاق النار في البر والبحر والجو ، والامتناع عن اية اعمال عسكرية او شبه عسكرية ضد الطرف الآخر .

(٢) ــ ويقرر الطرفان ايضا ان الالتزامات الواردة في ملحق هذه الاتفاقية والبروتوكول الخاص بها ، عند عقده ، سيكونان جزءا لا يتجزأ من هذه الاتفاقية.

المادة الرابعة

أ ــ يتم تحريك القوات المسلحة للطرفين وفقاً للمبادىء التالية :

(١) ــ تنسحب جميع القوات الاسرائيلية الى شرق الخط المشار اليه بخط « ي » على الخريطة المرفقة .

(٢) ــ تتقدم جميع القوات المصرية الى غرب الخط المشار اليه بخط « هــ » الخريطة المرفقة .

(١) ــ هذه الاتفاقية تم التوقيع عليها في اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ في المعمورة من جانب مصر وفي القدس من جانب اسرائيل.

(٣) ـ ستكون المنطقة الواقعة بين الخطين المشار اليهما في الخريطة المرفقة بخطي « هـ » و« و » وكذلك المنطقة الواقعة بين الخطين المشار اليهما في الخريطة المرفقة بخطي « ي » و« ك » محددة السلاح والقوات .

(٤) ـ سيتم الاتفاق على التحديدات الخاصة بالسلاح والقوات في المنطقتين المشار اليهما في الفقرة (٣) عاليه وفقا لما هو وارد في الملحق المرفق .

(٥) ـ ستكون المنطقة الواقعة بين الخطين المشار اليهما في الخريطة المرفقة بخطي « هـ » و « ي » منطقة عازلة . وسوف تستمر قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة في القيام بوظائفها على النحو الوارد في الاتفاقية المصرية الاسرائيلية المعقودة في ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ .

(٦) ـ في المنطقة الواقعة بين الخط « هـ » والخط المنتهي على الساحل جنوب ابو رديس ، والمبين في الخريطة المرفقة ، سوف لا تكون هناك قوات عسكرية كما هو موضح في الملحق المرفق .

ب ـ التفاصيل المتعلقة بالخطوط الجديدة واعادة تحريك القوات وتوقيت ذلك والتحديد الخاص بالاسلحة والقوات والاستطلاع الجوي وتشغيل منشآت الانذار المبكر والاستكشاف ، واستخدام الطرق ومهام الامم المتحدة وغير ذلك من الترتيبات ستكون كلها وفقا لاحكام الملحق والخريطة اللذين يكونان جزء لا يتجزأ من هذه الاتفاقية وللبروتوكول الذي يتم التوصل اليه عن طريق مباحثات طبقا للملحق والذي سيصبح عند عقده جزءا لا يتجزأ من هذه الاتفاقية .

المادة الخامسة

تعتبر قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة اساسية ، وسوف تستمر في القيام بعملها وستجدد مدتها سنويا .

المادة السادسة

ينشىء الطرفان لجنة مشتركة اثناء سريان هذه الاتفاقية وتعمل تحت رياسة المنسق العام لعمليات الامم المتحدة في الشرق الاوسط وذلك لنظر اي مشكلة تنجم عن هذه الاتفاقية ولمعاونة قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة في تنفيذ مهمتها ، وستعمل اللجنة المشتركة وفقا للاجراءات الواردة في البروتوكول .

المادة السابعة

سيسمح بمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة الى اسرائيل ومنها بالمرور في قناة السويس .

المادة الثامنة

(١) ـ يعتبر الطرفان هذه الاتفاقية خطوة هامة نحو سلام عادل ودائم . وهي ليست اتفاق سلام نهائي

(٢) ـ سيواصل الطرفان بذل الجهود للتوصل بالتفاوض الى اتفاق سلام نهائي في اطار مؤتمر جنيف للسلام وفقا لقرار مجلس الامن .

المادة التاسعة

تسري هذه الاتفاقية بعد توقيع البروتوكول وتبقى سارية المفعول حتى تحل محله اتفاقية جديدة .

حررت في اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ من اربع نسخ اصلية .

عن حكومة اسرائيل　　　عن حكومة جمهورية مصر العربية

شهود

اقتراح

فيما يتعلق بنظام الانذار المبكر المشار اليه في المادة الرابعة من الاتفاقية المعقودة بين مصر واسرائيل اليوم وكجزء من هذه الاتفاقية (والمشار اليها فيما بعد بالاتفاقية الاساسية)، فان الولايات المتحدة تقترح ما يلي:

١ ـ سيكون انشاء نظام الانذار المبكر الذي يقام تطبيقا للمادة الرابعة في المنطقة الموضحة على الخريطة المرفقة بالاتفاقية الاساسية موكلا الى الولايات المتحدة . وسوف يقوم على العناصر التالية :

أ ـ سوف تكون هناك محطتان للاستكشاف للقيام بالانذار الاستراتيجي المبكر يقوم بتشغيل احداهما افراد مصريون والاخرى افراد اسرائيليون ، وتبين الخريطة المرفقة موقع هاتين المحطتين . وسوف تدار كل محطة بما لا يزيد عن مائتين وخمسين من الفنيين والاداريين . وسيقومون باداء واجباتهم في المراقبة البصرية والالكترونية في نطاق محطة كل منهما .

ب ـ وتدعيما لهاتين المحطتين ولتوفير انذار مبكر تكتيكي وللتحقق من الوصول اليهما تقيم الولايات المتحدة ثلاث محطات مراقبة في ممري الجدي ومتلا كما هو موضح على الخريطة المرفقة بالاتفاقية الأساسية وسوف تدار هذه المحطات بواسطة افراد مدنيين من الولايات المتحدة وتدعيما لهذه المحطات سوف تنشأ ثلاث مواقع استشعار الكترونية يكون تشغيلها ذاتيا دون افراد في نهايتي كل ممر وفي المنطقة المحيطة بكل محطة والطرق المؤدية الى هذه المحطات ومنها .

٢ ـ سيقوم افراد الولايات المتحدة المدنيون باداء واجباتهم فيما يتعلق بادارة وصيانة هذه المحطات على النحو التالي:

أ ـ في محطتي الاستكشاف المشار اليهما في الفقرة ١/أ عاليه سوف يتحقق افراد الولايات المتحدة المدنيون من طبيعة العمليات التي تقوم بها المحطتان وكل تحرك من والى كل محطة ويقومون فورا باخطار اطراف الاتفاقية الاساسية وقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة عن كل خروج يكتشفونه عن دورها المتفق عليه فيما يتعلق بالرقابة البصرية والالكترونية .

ب ـ في كل محطة مراقبة من المشار اليها في الفقرة ١ /ب عاليه سوف يقوم افراد الولايات المتحدة المدنيون بابلاغ اطراف الاتفاقية الاساسية وقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة على الفور عن اية تحركات للقوات المسلحة ـ عدا قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ـ الى داخل اي من المرين وكذا عن اية استعدادات للتحرك يمكن ملاحظتها.

ج ـ سوف لا يتجاوز العدد الاجمالي للأفراد المدنيين للولايات المتحدة المكلفين بواجبات طبقا لهذا الاتفاق مائتين (٢٠٠) وسوف يعهد الى افراد مدنيين فقط بالمهام الواردة في هذا الاتفاق .

٣ ـ سوف لا تتواجد اسلحة في المحطات والمواقع المشار اليها في هذا الاتفاق باستثناء الاسلحة الصغيرة اللازمة لحمايتهم .

٤ ـ سوف يسمح لأفراد الولايات المتحدة المدنيين العاملين في نظام الانذار المبكر بالتنقل بحرية داخل منطقة هذا النظام .

٥ ـ سوف تخول الولايات المتحدة وافرادها المدنيون الخدمات المساعدة المعقولة والضرورية لأداء مهامها .

٦ ـ سوف يتمتع افراد الولايات المتحدة المدنيون بالحصانة من الاختصاص المحلي الجنائي والمدني والضرائبي والجمركي كما قد يتمتعون بأية مزايا وحصانات محددة منصوص عليها في اتفاقية قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة المعقودة في ١٣ فبراير (شباط) ١٩٥٧ .

٧ ـ تعتزم الولايات المتحدة الاستمرار في اداء مهامها المشار اليها وذلك اثناء سريان الاتفاقية الاساسية .

٨ ـ مع مراعاة الأحكام الأخرى للاتفاق فللولايات المتحدة ان تسحب افرادها فقط في حالة ما اذا قررت ان سلامتهم مهددة او أن استمرارهم في أداء عملهم لم يعد ضرورية . وفي الحالة الأخيرة فان اطراف الاتفاقية الأساسية سوف يخطرون مسبقا لاعطائهم الفرصة لاتخاذ تدابير بديلة . واذا طلب اطراف الاتفاقية الاساسية من الولايات المتحدة انهاء دورها طبقا لهذا الاتفاق فان الولايات المتحدة سوف تعتبر هذا الطلب قاطعا .

٩ ـ سوف تعالج المشاكل الفنية بما في ذلك مواقع محطات المراقبة مع الولايات المتحدة .

ملحق للاتفاقية بين مصر واسرائيل

يجتمع خلال خمسة ايام من توقيع الاتفاقية بين مصر واسرائيل ممثلون للجانبين في مجموعة العمل العسكرية المنبثقة عن مؤتمر السلام للشرق الاوسط في جنيف للبدء في اعداد بروتوكول مفصل لتنفيذ الاتفاقية وستنتهي مجموعة العمل من البروتوكول خلال اسبوعين . ولتسهيل اعداد البروتوكول وتنفيذ الاتفاقية وللمعاونة في المراعاة الدقيقة لوقف اطلاق النار وباقي عناصر الاتفاقية ، وافق الطرفان على المبادىء التالية لتسترشد بها مجموعة العمل وكجزء لا يتجزأ من الاتفاق .

١ ـ تحديد الخطوط والمناطق :

الخطوط التي تفتح عليها القوات والمناطق المحدودة في القوات والاسلحة والمناطق

العازلة والمنطقة الواقعة جنوب الخط « هـ » وغربي الخط « م » والمناطق الاخرى المحددة وقطاعات الطرق المستخدمة استخداما مشتركا والنواحي الاخرى المذكورة في المادة الرابعة من الاتفاقية ستكون كما هو موضح على الخريطة المرفقة (١ : ١٠٠,٠٠٠ طبعة امريكية) .

٢ ـ المناطق العازلة :

أ ـ سيكون الدخول الى المناطق العازلة تحت اشراف قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة طبقا للاجراءات التي يتم الاتفاق عليها بواسطة مجموعة العمل العسكرية وقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة .

ب ـ يسمح لطائرات كل طرف بالطيران بحرية حتى الخط الامامي . ويمكن ان تطير طائرات استطلاع كل طرف حتى الخط المنتصف للمنطقة العازلة بين الخطين « هـ » و« ي » طبقا لجدول يتفق عليه .

جـ ـ سينشأ في المنطقة العازلة طبقا للمادة الرابعة من الاتفاق بين الخط « هـ » والخط « ي » نظام انذار مبكر يوكل الى افراد مدنيين من الولايات المتحدة كما هو موضح في رسائل متبادلة والتي هي جزء من هذه الاتفاقية .

د ـ يكون للاشخاص المصرح لهم بدخول المنطقة العازلة حق المرور العابر الى ومن نظام الانذار المبكر ، وسوف يحدد الاسلوب الذي يتم به ذلك بواسطة مجموعة العمل العسكرية وقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة .

٣ ـ المنطقة جنوب الخط « هـ » وغرب الخط « م » :

أ ـ سوف تتحقق قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة من عدم وجود قوات عسكرية او شبه عسكرية من اي نوع ، او تحصينات او انشاءات عسكرية في هذه المنطقة ، وستقيم نقط مراجعة وسيكون لها حرية الحركة اللازمة للقيام بهذه المهمة .

ب ـ المدنيون المصريون والعاملون الفنيون في حقول البترول من رعايا الدول الاخرى غير الأطراف في هذه الاتفاقية سوف يكون لهم الحق في الدخول والخروج والعمل والاقامة في المنطقة المشار اليها عدا المناطق العازلة ٢ ـ أ ، ٢ ـ ب ومراكز الأمم المتحدة ويكون مسموحا بتواجد الشرطة المدنية المصرية في هذه المنطقة للقيام بمهام الشرطة المدنية العادية بين المواطنين المدنيين بالاعداد والتسليح والمعدات التي سوف تحدد في البروتوكول ـ

جـ ـ سوف يكون الدخول والخروج من المنطقة برا وجوا وبحرا عن طريق نقط مراجعة قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة فقط وسوف تقيم هذه القوة كذلك نقط مراجعة على الطريق وعلى الخط الفاصل ونقط اخرى في الاماكن وبالاعداد التي تحدد في البروتوكول .

د ـ سيقتصر الدخول في المجال الجوي والمنطقة الساحلية على السفن المدنية المصرية غير المسلحة وطائرات الهليوكوبتر المدنية غير المسلحة وطائرات النقل التي تقوم بخدمات مدنية في المنطقة طبقا لما يتفق عليه بواسطة مجموعة العمل .

هـ ـ تلتزم اسرائيل بان تترك كافة الانشاءات المدنية والمرافق الاساسية القائمة بحالة سليمة وعاملة .

و ـ سوف تحدد تفصيلا في البروتوكول اجراءات استخدام القطاعات المشتركة من

الطريق الساحلي على طول خليج السويس بواسطة مجموعة العمل .
٤ ــ المراقبة الجوية :

سوف تستمر مهام الاستطلاع الجوي بواسطة الولايات المتحدة فوق المناطق التي يغطيها هذا الاتفاق (المنطقة بين الخطوط « و » « ك ») وتتبع نفس الاجراءات المطبقة حاليا .

وستنفذ هذه المهام عادة بمعدل مهمة كل سبعة الى عشرة ايام مع حق اي من الطرفين او قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة في طلب مهمة مبكرة ، وستجعل حكومة الولايات المتحدة نتائج هذه المهام متاحة بسرعة الى اسرائيل ومصر والمنسق العام لعمليات الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

٥ ــ القيود على القوات والتسليح :

أ ــ سوف تكون القيود الرئيسية في المناطق محدودة القوات والتسليح في المناطق بين الخطوط « ي » و« ك » و« هـ » و« و » : كما يلي :

١ ــ ثمانية كتائب مشاة .

٢ ــ خمسة وسبعون دبابة .

٣ ــ اثنتان وسبعون قطعة مدفعية بما فيها الهاونات الثقيلة (عيار اكبر من ١٢٠مم) التي لا يزيد مداها عن ١٢ كم.

٤ ــ سوف لا يتجاوز المجموع الكلي للافراد ثمانية آلاف .

٥ ــ وافق الجانبان على عدم وضع او تمركز اسلحة في المنطقة يمكنها الوصول الى خط الطرف الاخر .

٦ ــ وافق الجانبان على انه في المناطق بين الخطوط « ي » و« ك » وبين الخط أ (الخاص باتفاقية فض الاشتباك الموقعة في ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤) والخط « هـ » سوف لا تقام تحصينات جديدة او منشآت لقوات يزيد حجمها عما اتفق عليه في هذا الاتفاق .

ب ــ ستكون القيود الرئيسية خارج المناطق محدودة القوات والتسليح كالتالي :

(١) لا يضع اي من الطرفين أو يمركز أي سلاح في مناطق يمكن منها الوصول الى خط الطرف الآخر .

(٢) لا يضع اي من الطرفين صواريخ مضادة للطائرات في منطقة تبعد ١٠ كم شرق الخط « ك » وغرب الخط « و » على التوالي .

جـ ــ قوات الامم المتحدة سوف تجري تفتيشا للتحقق من مراعاة القيود المتفق عليها في هذه المناطق .

اجراءات التنفيذ :

التنفيذ التفصيلي وتوقيعات اعادة توزيع القوات وتسلم حقول البترول والترتيبات الاخرى التي نصت عليها الاتفاقية والملحق والبروتوكول تحدد بواسطة مجموعة العمل التي سوف تتفق على المراحل الخاصة بهذه العملية بما فيها مراحل تحرك القوات المصرية الى الخط « هـ » والقوات الاسرائيلية الى الخط « ي » . وستكون المرحلة الأولى هي

تسليم آبار البترول والمنشآت الى مصر . هذه العملية سوف تبدأ خلال اسبوعين من توقيع البروتوكول بوصول الفنيين اللازمين وسوف تتم في موعد اقصاه ثمانية اسابيع من بدئها . وتحدد مجموعة العمل العسكرية المراحل التفصيلية ، وينتهي التنفيذ النهائي للاتفاقية خلال خمسة شهور من توقيع البروتوكول .

التعهدات الاميركية لكل من اسرائيل ومصر

يوم السبت ٤ اكتوبر (تشرين الاول) نشرت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي الوثائق السرية الاربع الملحقة باتفاق سيناء على رغم معارضة الدكتور هنري كيسنجر ذلك . وكانت اللجنة اشترطت نشر هذه الوثائق للموافقة على ارسال الفنيين الاميركيين الى سيناء .

وفي ما يأتي نصوص الوثائق الاربع .

الوثيقة الاولى

اول ايلول ١٩٧٥

مفكرة اتفاق بين حكومتي اسرائيل والولايات المتحدة .

تعتبر الولايات المتحدة ان الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي ، الذي وقع بالاحرف الاولى في اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ (سيشار اليه بعد الآن بكلمة الاتفاق) ، والذي ينص على الانسحاب من مناطق حيوية في سيناء ، يشكل عملا ذا مغزى كبير من قبل اسرائيل في السعي الى السلام النهائي . ويتمتع هذا الاتفاق بكامل تأييد الولايات المتحدة .

الضمانات الاميركية الاسرائيلية :

١ ـ ستبذل حكومة الولايات المتحدة كل الجهود لكي تلبي في صورة كاملة ، وضمن حدود امكاناتها وترخيص الكونجرس واعتماداته ، وعلى اساس متواصل طويل الامد ، حاجات اسرائيل من الاعتدة العسكرية والحاجات الدفاعية الاخرى ، وحاجاتها من الطاقة والاقتصاد .

وستعتبر الحاجات المحددة في الفقرات ٢و٣و٤ صالحة للادراج في المجموع السنوي ، الذي سيطلب في السنة ١٩٧٦ وفي السنوات المالية التالية .

٢ ـ تكون حاجات اسرائيل العسكرية الطويلة الامد من الولايات المتحدة موضوع مشاورات دورية بين ممثلي الولايات المتحدة ومؤسسات الدفاع الاسرائيلية ، على ان يدرج الاتفاق حول مواد معينة في مفكرة اميركية ـ اسرائيلية منفصلة . وفي هذا المعمل سيجري خبراء عسكريون دراسة مشتركة خلال ٣ اسابيع. وعند اجراء هذه الدراسة ، التي ستشمل حاجات اسرائيل لسنة ١٩٧٦ ، ستنظر الولايات المتحدة في عطف الى طلبات اسرائيل ، بما في ذلك طلبها اسلحة حديثة ومتطورة .

٣ ـ تقوم اسرائيل بترتيباتها المستقلة الخاصة بامدادات النفط ، لتلبية حاجاتها بالوسائل الطبيعية وفي حال عجز اسرائيل عن تأمين حاجاتها في هذه الطريقة ، ستتصرف

حكومة الولايات المتحدة ، بناء على اشعار بذلك من حكومة اسرائيل ، كما يأتي مدة خمس سنوات ، وفي نهاية هذه المرحلة ، يمكن كل جانب ان ينهي هذا الترتيب بعد اشعار مدته سنة واحدة :

ا ـ اذا كان النفط ، الذي تحتاج اليه اسرائيل لتلبية كل حاجاتها العادية للاستهلاك الداخلي ، غير متوفر للشراء في ظروف لا تشمل قيودا كمية على مقدرة الولايات المتحدة على تأمين النفط لتلبية حاجاتها العادية ، ستوفر حكومة الولايات المتحدة في سرعة النفط لشرائه من قبل اسرائيل لتلبية كل حاجات اسرائيل العادية المذكورة آنفا .

واذا عجزت اسرائيل عن تأمين الوسائل اللازمة لنقل هذا النفط اليها ، ستبذل حكومة الولايات المتحدة كل الجهود لمساعدتها على ضمان وسائل النقل اللازمة .

ب ـ اذا كان النفط ، الذي تحتاج اليه اسرائيل لتلبية كل حاجاتها العادية للاستهلاك الداخلي ، غير متوفر للشراء في ظروف تمنع القيود الكمية ـ بواسطة الحظر او غيره ـ الولايات المتحدة من تأمين النفط لتلبية حاجاتها العادية ، ستوفر حكومة الولايات النفط للشراء من قبل اسرائيل وفقا لصيغة وكالة الطاقة الدولية الخاصة للمحافظة عليه وتخصيص حصص منه كما تطبقها حكومة الولايات المتحدة، في سبيل تلبية حاجات اسرائيل الاساسية.

واذا عجزت اسرائيل عن تأمين الوسائل اللازمة لنقل هذا النفط اليها ، ستبذل حكومة الولايات المتحدة كل الجهود لمساعدتها في ضمان وسائل النقل اللازمة . وسيجتمع الخبراء الاسرائيليون والاميركيون سنويا او مرات اكثر ، بناء على طلب اي من الطرفين ، لعرض حاجات اسرائيل النفطية المستمرة .

٤ ـ في سبيل مساعدة اسرائيل على تلبية حاجاتها من الطاقة ، وكجزء من الرقم السنوي الشامل في الفقرة الاولى المذكورة انفا ، توافق الولايات المتحدة على الآتي :

أ ـ عند تحديد الرقم السنوي الشامل ، الذي سيطلب من الكونغرس ، ستعير حكومة الولايات المتحدة حاجات اسرائيل من النفط المستورد انتباها خاصا ، وستأخذ في الاعتبار ، في المرحلة المحددة في المادة ٣ المذكورة ، عند حساب ذلك الرقم لانفاق اسرائيل الاضافي لاستيراد النفط مكان ما كان يأتي عادة من ابو رديس ورأس سدر (٤,٥ ملايين طن في ١٩٧٥) .

ب ـ ان تطلب من الكونغرس رصد اعتمادات ، يحدد حجمها باتفاق مشترك ، لحكومة اسرائيل من اجل مشروع بناء وتكديس احتياط النفط الذي سيجري تخزينه في اسرائيل ، لجعل امكانات تخزين الاحتياط البالغة الآن نحو ستة اشهر ، تؤمن حاجات سنة واحدة ، عند انجاز المشروع ، وسيجري تنفيذ المشروع خلال اربع سنوات . وسيكون البناء والادارة والتمويل وبقية المسائل المتعلقة بالمشروع موضوع محادثات مبكرة ومفصلة بين الحكومتين .

٥ ـ لن تتوقع حكومة الولايات المتحدة من اسرائيل ان تبدأ تنفيذ الاتفاق قبل ان تنفذ مصر تعهدها بموجب اتفاق كانون الثاني ١٩٧٤ لفك الارتباط ، القاضي بالسماح

بمرور كل الشحنات الاسرائيلية الى الموانيء الاسرائيلية ومنها عبر قناة السويس .

٦ ـ تتفق حكومة الولايات المتحدة مع اسرائيل على ان الاتفاق التالي مع مصر يجب ان يكون اتفاق سلام نهائيا .

٧ ـ ان حكومة الولايات المتحدة مستعدة ، في حال حدوث خرق مصري لاي من مواد الاتفاق ، للتشاور مع اسرائيل حول مغزى الخرق والعمل التصحيحي الممكن من قبل حكومة الولايات المتحدة .

٨ ـ ستقترع حكومة الولايات المتحدة ضد اي قرار لمجلس الامن تعتبر انه يخلق تأثيرا مضرا بالاتفاق او يعدله .

٩ ـ لن تشترك حكومة الولايات المتحدة وستسعى الى منع جهود الاخرين لدرس اقتراحات تتفق هي واسرائيل على انها ضارة بمصالح اسرائيل .

١٠ ـ نظرا الى التزام حكومة الولايات المتحدة القديم ببقاء اسرائيل وامنها ، ستنظر حكومة الولايات المتحدة في خطورة خاصة الى تهديدات دولة كبرى لأمن اسرائيل وسيادتها . وفي سبيل دعم هذا الهدف ، ستجري حكومة الولايات المتحدة ، في حال حدوث مثل هذا التهديد ، مشاورات فورية مع حكومة اسرائيل في شأن هذا التأييد ، الديبلوماسي او غيره ، وفي شأن المساعدة التي تستطيع تقديمها الى اسرائيل وفقا لممارساتها الدستورية .

١١ ـ ستنجز حكومة الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل، في اقرب وقت ممكن وخلال شهرين اذا امكن بعد توقيع هذه الوثيقة ، خطة عملية امداد عسكري لاسرائيل في حالة طارئة .

١٢ ـ يقوم موقف حكومة الولايات المتحدة على ان الالتزامات المصرية ، بموجب الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي ، وتطبيقه وسريان مفعوله ومدته ، ليست مشروطة بأي عمل او تطورات بين دول عربية اخرى واسرائيل . ان حكومة الولايات المتحدة تعتبر الاتفاق قائما في ذاته .

١٣ ـ تشارك حكومة الولايات المتحدة في الموقف الاسرائيلي ، انه في الظروف السياسية القائمة ، ستوجه المفاوضات مع الاردن نحو تسوية سلمية شاملة .

١٤ ـ وفقا لمبدأ حرية الملاحة في عرض البحار وحرية المرور في المضايق الموصلة بين مياه دولية وفوقها ، تعتبر حكومة الولايات المتحدة مضيق باب المندب ومضيق جبل طارق من الممرات المائية الدولية . كذلك ، تعترف حكومة الولايات المتحدة بحق اسرائيل في حرية الطيران فوق البحر الاحمر ومثل هذه الممرات ، وستؤيد ممارسة هذا الحق ديبلوماسيا .

١٥ ـ في حال سحب قوة طوارىء الامم المتحدة او اي هيئة تابعة للامم المتحدة ، قبل موافقة سابقة من الطرفين في الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي والولايات المتحدة ، وقبل ان يحل اتفاق اخر مكان هذا الاتفاق ، تعتقد الولايات المتحدة انه يجب ان يظل الاتفاق ملزما بكل اجزائه .

١٦ ـ تتفق الولايات المتحدة واسرائيل على ان توقيع بروتوكول الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي وبدء تنفيذه بكامله لن يتم قبل موافقة سابقة من الطرفين في الاتفاق المصري ـ

الاسرائيلي والولايات المتحدة ، وقبل ان يحل اتفاق اخر مكان هذا الاتفاق ، تعتقد الولايات المتحدة انه يجب ان يظل الاتفاق ملزما بكل اجزائه .

١٧ ـ تتفق الولايات المتحدة واسرائيل على ان توقيع بروتوكول الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي وبدء تنفيذه بكامله لن يتم قبل موافقة الكونغرس الاميركي على دور الولايات المتحدة في مهمات المراقبة الموصوفة في الاتفاق وملحقه . وقد ابلغت الولايات المتحدة حكومة اسرائيل انها حصلت على موافقة حكومة مصر على ذلك » .

الوثيقة الثانية

مفكرة اتفاق بين حكومتي اسرائيل والولايات المتحدة .

مؤتمر جنيف للسلام .

١ ـ يعاد عقد مؤتمر جنيف للسلام في موعد يجري تنسيقه بين الولايات المتحدة واسرائيل .

٢ ـ ستواصل الولايات المتحدة التقيد بسياستها الحالية حيال منظمة التحرير الفلسطينية ، اي انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية او تتفاوض معها ما دامت منظمة التحرير الفلسطينية لا تعترف بحق اسرائيل في الوجود ولا تقبل قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ وستجري حكومة الولايات المتحدة مشاورات كاملة ، وتسعى الى توفيق موقفها واستراتيجيتها حول هذا الموضوع ، في مؤتمر جنيف للسلام ، مع حكومة اسرائيل .

كذلك ستجري الولايات المتحدة مشاورات كاملة وتسعى الى توفيق موقفها واستراتيجيتها مع اسرائيل حول اشتراك اي دولة اضافية اخرى . ومن المفهوم ان اشتراك اي دولة او جماعة او منظمة اضافية ، في مرحلة لاحقة من المؤتمر ، سيتطلب موافقة جميع المشتركين الاصليين .

٣ ـ ستبذل الولايات المتحدة كل الجهود لتضمن اجـراء كل المفاوضـات الاساسية ، في المؤتمر ، على اساس ثنائي .

٤ ـ ستعارض الولايات المتحدة وتقترع ، عند الحاجة ، ضد كل مبادرة في مجلس الامن لاجراء تعديل مصر لبنود قيام مؤتمر جنيف للسلام او لتعديل القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ في اشكال لا تتفق مع هدفها الاصلي .

٥ ـ ستسعى الولايات المتحدة الى ضمان اتفاق دور الدولتين الراعيتين (اي اميركا وروسيا) مع ما اتفق عليه في مفكرة التفاهم بين حكومة الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل في ٢٠ كانون الاول ١٩٧٣ .

٦ ـ ستنسق الولايات المتحدة واسرائيل عملهما لضمان ادارة المؤتمر في شكل متفق مع اهداف هذه الوثيقة ومع الهدف المعلن للمؤتمر ، وهو تحقيق سلام متفاوض عليه بين اسرائيل وكل من جاراتها » .

الوثيقة الثالثة

تأكيدات من الحكومة الاميركية لاسرائيل .

حول مسالة المساعدات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل ، يضاف ما يأتي ـ وهو

ما ابلغته الولايات المتحدة اسرائيل ـ الى ما تعلنه مفكرة الاتفاق .

ان الولايات المتحدة مصممة على الاستمرار في المحافظة على قوة اسرائيل الدفاعية ، بواسطة امدادها بانواع متطورة من الاعتدة مثل طائرات « ف ـ ١٦ » .

وتوافق حكومة الولايات المتحدة على اجتماع مبكر لاجراء دراسة مشتركة حول مواد عالية التقنية ومتطورة ، تشمل صواريخ بيرشنغ ارض ـ ارض مع رؤوس حربية تقليدية ، في سبيل اعطاء رد ايجابي .

وستقدم الحكومة الاميركية سنويا الى الكونغرس الاميركي ، تمهيدا للحصول على موافقته ، طلبا بمساعدات عسكرية واقتصادية للمساعدة على تلبية حاجات اسرائيل الاقتصادية والعسكرية .

الوثيقة الرابعة

تأكيدات من الحكومة الاميركية

١ ـ تنوي الولايات المتحدة بذل جهد جدي للمساعدة على اجراء المزيد من المفاوضات بين سوريا واسرائيل ، بالطرق الديبلوماسية في البداية .

٢ ـ في حيال حدوث خرق اسرائيلي للاتفاق ، فان الولايات المتحدة مستعدة للتشاور مع مصر حول مغزى الخرق والعمل التصحيحي الممكن من قبل الولايات المتحدة .

٣ ـ ستقدم الولايات المتحدة مساعدة تقنية الى مصر من اجل محطة الانذار المبكر المصرية .

٤ ـ تؤكد الولايات المتحدة مجددا سياستها بمساعدة مصر في تنميتها الاقتصادية على ان يكون تحديد المبلغ خاضعا لموافقة الكونغرس واعتماده » .

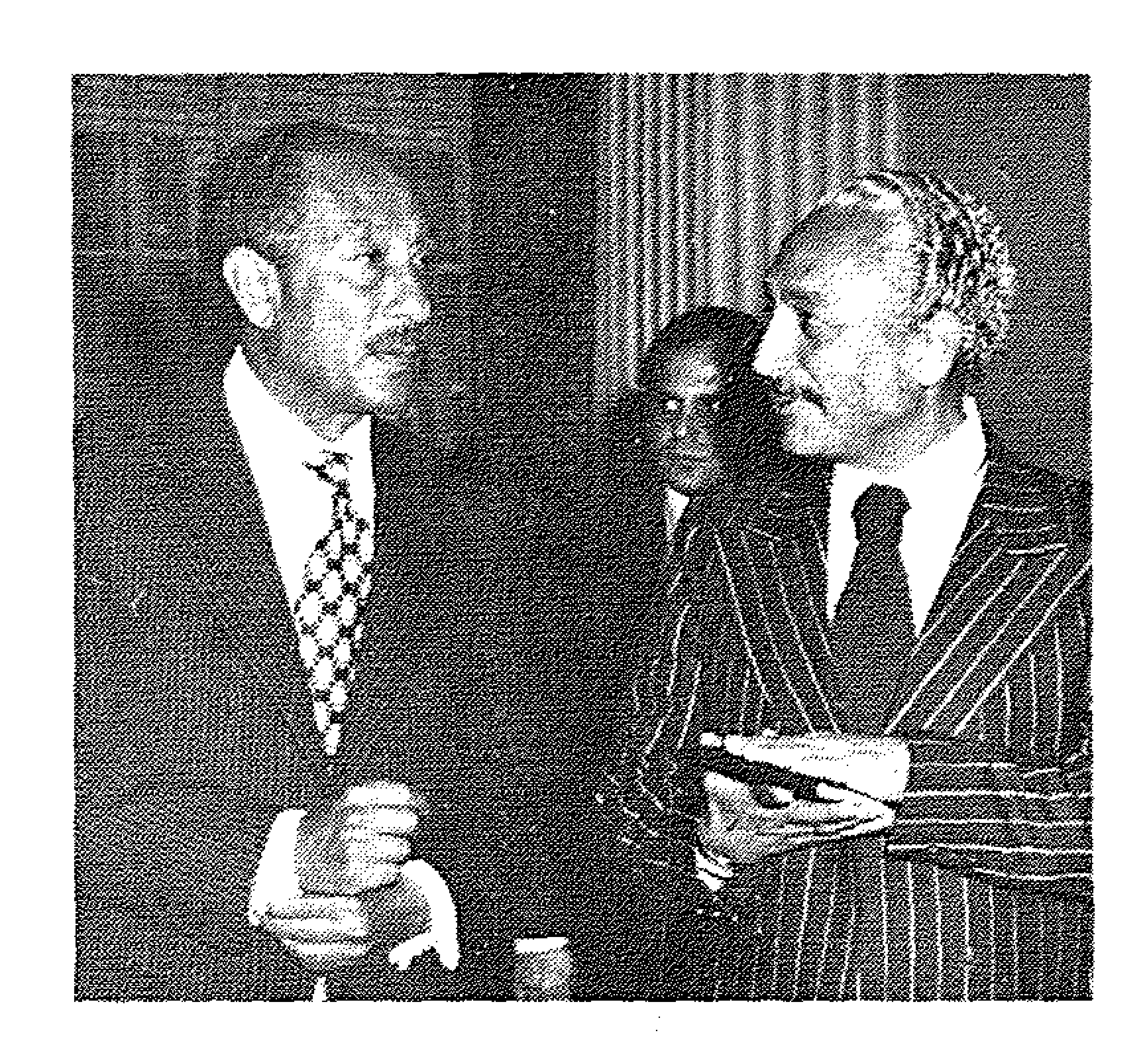
كلمة للناشر

هنالك كتب كثيرة صدرت عن حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ حرص الذين ألفوها على الاهتمام بالجانب العسكري والاستراتيجي للحربين، في حين ان الوجه الدبلوماسي للحربين في غاية الاهمية، خصوصا ان الوجه الدبلوماسي مهد للحربين، وبالتحديد لحرب ١٩٧٣، وان الوجه نفسه هو الذي نشط بعد ان توقفت المعارك.

والحرب الدبلوماسية التي خاضتها مصر ضد اسرائيل بعضها معروف وبعضها الآخر مجهول الجوانب. كما ان وثائق هذه الحرب موزعة هنا وهناك وهنالك.

من هنا يأتي هذا الكتاب الذي وضعه حمدي فؤاد المحرر الدبلوماسي لصحيفة "الاهرام" مرجعا بالغ الاهمية. فالمؤلف رافق كل التحركات الدبلوماسية المصرية في الوطن العربي وفي اوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي... ناهيك بالصين.

وهو هنا يقدم لنا الجانب الدبلوماسي من حرب مصر بخفاياه ووثائقه مع الكثير من التركيز على ما كان يدور وراء الكواليس، معتمدا على متابعته الدقيقة للمعارك التي خاضتها الدبلوماسية المصرية منذ قرار ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ حتى اتفاقية الفصل الثاني للقوات في جبهة سيناء التي توج بها وزير الخارجية الاميركية الدكتور هنري كيسينجر سياسة "الخطوة خطوة".



دار القضايا

ثمن النسخة : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها